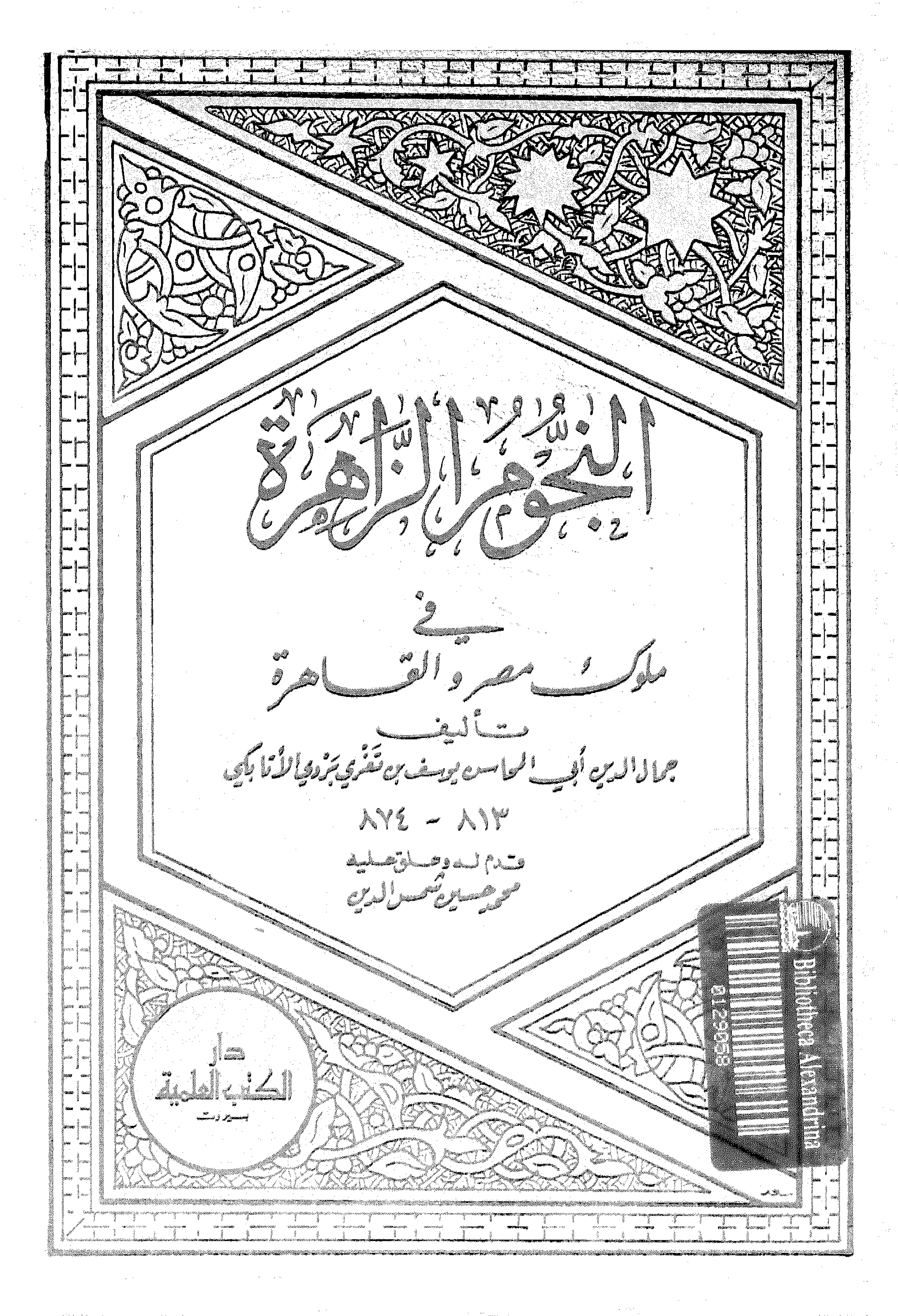
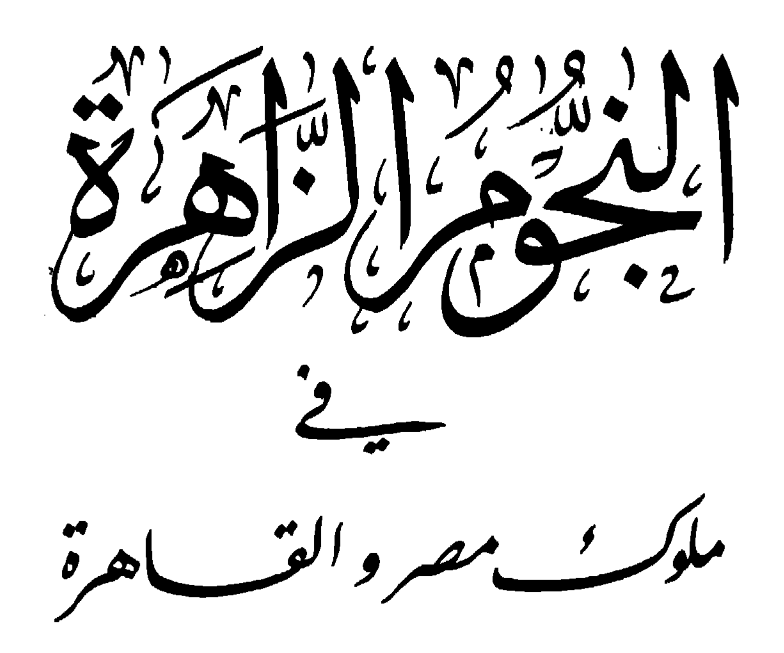


النجوم الزاهرة
في
ملوك مصر والقاهرة
تأليف
جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي
٨١٣ - ٨٧٤
قدم له وعلق عليه
محمد حسين شمس الدين
دار
الكتب العلمية
بيروت



تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤

قدم له وعلق عليه

محمد حسين شمس الدين

الجزء الخامس

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

يطلب من دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحابته والمسلمين

ذكر خلافة المستنصر[١] بالله على مصر

هو أبو تَميم مَعَدّ الملقَّب بالمستنصر بالله بن الظاهر لإعزاز دين الله عليّ بن الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله بن المعزّ لدين الله مَعَدّ أوّل خلفاء الفاطميّين بمصر آبن المنصور بالله إسماعيل بن القائم بالله محمد بن المهديّ عُبَيْد الله العُبيديّ الفاطميّ المَغْرِبيّ الأصل، المصريّ المولد والمنشأ والدار والوفاة؛ وهو الخامس من خلفاء مصر من بني عُبيد، والثامن من المهديّ عبيد الله. وَلِي الخلافةَ بعد موت أبيه الظاهر لإعزاز دين الله في يوم الأحد منتصف شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة. وكان عمُره يومَ ولِيَ الخلافة سبعَ سنين وسبعةً وعشرين يوماً؛ وخُتِن وهو آبن ستّ سنين.

قال الذهبيّ رحمه الله: «هو مَعَدّ أبو تَميم الملقَّب بأمير المؤمنين المستنصر بالله بن الظاهر بن الحاكم بأمر الله ــ وساق بقية نسبه بنحو ما سُقْناه إلى أن قال ــ: بقِي في الخلافة ستّين سنة وأربعةَ أشهر؛ وهو الذي خُطب له بإمْرة المؤمنين على منابر العراق في نَوْبة الأمير أبي الحارث أرْسلان المعروف بالبَسَاسِيريّ[٢] في سنة إحدى وخمسين وأربعمائة. ولا أعلم أحداً في الإسلام،

(١) ترجمة المستنصر بالله وأخباره في: وفيات الأعيان: ٢٢٩/٥ ــ ٢٣١، وخطط المقريزي: ٣٥٥/١ ــ ٣٥٦، واتعاظ الحنفا: ١٨٤/٢، وبدائع الزهور: ٢١٥/١/١ ــ ٢٢٠، وأخبار الدول المنقطعة: ٦٧ ــ ٨١، وكنز الدرر وجامع الغرر: ٣٤٢/٦ ــ ٤٤٠؛ وكتاب «الإمام المستنصر بالله الفاطمي» للدكتور عبد المنعم ماجد، القاهرة ١٩٦١.

(٢) هو أبو الحارث ارسلان بن عبد الله البساسيري التركي مقدم الأتراك ببغداد. كان من مماليك بهاء الدولة ابن عضد الدولة. خرج على القائم بأمر الله ببغداد، وكان قد قدّمه على جميع الأتراك بها، وقلّده الأمور

لا خليفةً ولا سلطاناً، طالت مدّتُه مثلَ المستنصر هذا. ووَلِي وهو آبن سبع سنين. ولمّا كان في سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة قطع الخطبةَ له من المغرب الأميرُ المعزّ بن باديس ــ وقيل: بل قطعها في سنة خمس وثلاثين ــ وخطَب لبني العبّاس وخرج عن طاعة بني عُبيد الباطنيّة. وحدَث في أيّام المستنصر بمصر الغلاءُ الذي ما عُهِد بمثله منذ زمان يوسف عليه السلام، ودام سبعَ سنين حتّى أكل الناس بعضُهم بعضاً، حتّى قيل: إنّه بيع رغيفُ واحد بخمسين ديناراً ــ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ــ وحتّى إنّ المستنصر هذا بقِي يركب وحده، وخواصُّه ليس لهم دوابُّ يركبونها؛ وإذا مشَوْا سقطوا من الجوع؛ وآل الأمرُ إلى أن آستعار المستنصر بغلةً يركبها من صاحب[١] ديوان الإنشاء. وآخر شيء نَزحت أُمّ المستنصر وبناتُه إلى بغداد خوفاً من أن يَمُتْنَ جُوعاً[٢]. وكان ذلك في سنة ستّين[٣] وأربعمائة. ولم يزل هذا الغلاء حتّى تحرّك الأمير بدرُ الجَمّالِيّ والد الأفضل أمير الجيوش من عَكّا وركب في البحر وجاء إلى مصر وتولّى تدبيرَ الأمور وشَرع في إصلاح الأمر[٤]. وتُوفّي المستنصر في ذي الحجّة [سنة ٤٨٧هـ]. وفي دولته كان الرَّفْض والسبّ فاشياً مُجْهَراً، والسنّة والإسلام غريباً! فسبحان الحليم الخبير الذي يفعَل في ملكه ما يريد. وقام بعده آبنه المُستعلِي أحمد، أقامه أمير الجيوش الأفضل. وآستقامت الأحوال؛ فخرج أخوه نِزَار من مصر خفْيَةً، فسار إلى ناصر الدولة أمير الإسكندرية،

= بأسرها، وخطب له على منابر العراق وخوزستان. ثم خرج عليه وأخرجه من بغداد. والبساسيري: نسبة إلى «بسَا» بفارس، وأهل فارس ينسبون إليها بقولهم: بساسيري، أما العرب فيقولون لها: «فَسَا» والنسبة إليها عندهم: فَسَوي. (ابن خلكان: ١٩٢/١ ــ ١٩٣؛ ومثله في أنساب السمعاني ومعجم البلدان). وفي أخبار الدولة السلجوقية لصدر الدين الحسيني أن البساسيري منسوب إلى «بساسير» بلدة مس بلاد فارس.

(١) في ابن خلكان: «وكان المستنصر يستعير من ابن هبة صاحب ديوان الإنشاء بغلته ليركبها صاحب مظلته.

(٢) ذكر ابن ميسَّر سبباً آخر. قال: «وفي سنة ٤٦٤هـ قدم ناصر الدولة بن حمدان وحكم فيها... وحكم في القاهرة وبالغ في إهانة المستنصر مبالغة عظيمة، وكان يظهر التسنّن، وقبض على أم المستنصر وعاقبها وأخذ منها أموالاً جمّة. وتفرّق عن المستنصر جميع أقاربه وأولاده ومضوا إلى المغرب والعراق، وقيل إن أم المستنصر فرّت إلى بغداد» ــ أخبار مصر: ٣٨. وانظر أخبار الدول المنقطعة: ٧٥.

(٣) في ابن خلكان: «سنة ٤٦٢هـ» وفي أخبار مصر لابن ميسّر: سنة ٤٦٤هـ، كما ذكرنا في الحاشية السابقة.

(٤) في الأصل: «وشرع الأمر في إصلاح».

فأعانه ودعا إليه، فتمّت بين أمير الجيوش وبينهم حروبٌ وأمور إلى أن ظَفِر بهم». انتهى كلام الذهبيّ في أمر المستنصر.

ونشرع الآن في ذكر المستنصر وأمرِ الغلاء بأوسع ممّا ذكره الذهبيّ من أقوال جماعة من المؤرخين وغيرهم.

قال العلامة أبو المظفّر في تاريخه: «ولم يَلِ أحدٌ من الخلفاء الأمويّين ولا العباسيّين ولا المصريّين مثلَ هذه المدّة (يعني مدّة إقامة المستنصر في الخلافة ستّين سنة) قال: وعاش المستنصر سبعاً وستّين سنة وخمسة أشهر في الهَزَاهِز والشدائد والوباء والغلاء والجلاء والفتن. وكان القحط في أيّامه سبع سنين مثل سنِي يوسف الصدّيق صلوات الله وسلامه عليه، من سنة سبع[1] وخمسين إلى سنة أربع وستّين وأربعمائة. أقامت البلادُ سبع سنين يطلُع النيل فيها وينزِل، ولا يوجد مَن يزرع لموت النّاس وآختلاف الوُلاة والرعيّة، فآستولى الخراب على كلّ البلاد، ومات أهلها، وآنقطعت السُّبُلُ برّاً وبحرّاً[2]. وكان معظم الغلاء سنة آثنتين وستّين.

وقال أبو يَعْلى بن القَلانِسيّ[3]: «في أيّامه (يعني المستنصر) ثارت الفتن في بني حمدان وأكابر القوّاد، وغلت الأسعار، وآضطربت الأحوال، وآختلّت[4] الأعمال، وحُصِر في قصره وطُمِع فيه. ولم يزل على ذلك حتّى آسْتَدْعَى أمير الجيوش بدراً الجماليّ من عَكّا إلى مصر فآستولى على التدبير، وقتل جماعة ممّن يطلب الفساد، فتمهّدت الأمور؛ ولم يبقَ للمستنصر أمر ولا نهيٌ إلّا الركوب في العيدين. ولم يزل كذلك حتّى مات بدرٌ الجَماليّ وقام بعده ولده الأفضل. ولمّا مات

---

(١) في الأصل: «تسع» والتصحيح عن أخبار مصر لابن ميسّر وإغاثة الأمة للمقريزي.

(٢) وقد علّل المقريزي في (إغاثة الأمة: ٥٩) سبب ذلك «بضعف السلطنة، واختلال أحوال المملكة، واستيلاء الأمراء على الدولة، واتصال الفتن بين العربان، وقصور النيل، وعدم من يزرع ما شمله الريّ».

(٣) هو المؤرخ أبو يعلى حمزة بن أسد، المعروف بابن القلانسي المتوفى سنة ٥٥٥هـ. وكتابه الذي ينقل عنه المؤلف هو المعروف بذيل تاريخ دمشق لابن عساكر.

(٤) في الأصل: «واختلفت». وما أثبتناه عن ذيل تاريخ دمشق.

المستنصر وقام المستعلِي مقامَه وتقرّرت الأمور، خرج عبد الله ونِزَار آبنا المستنصر خفْيةً، وقصد نِزَار الإسكندريّة إلى ناصر الدولة[١] واليها، وجرتْ بينه وبين الأفضل حروبٌ بسبب ذلك إلى أن ثَبت أمر المُستعلي». انتهى كلام أبـي يَعْلَى بآختصار.

قلت: وأمّا ما ذكره الذهبـيّ رحمه الله ـــ من الخطبة للمستنصر[٢] على منابر بغداد وبالعراق كلِّه، وخلـع القائم بأمر الله العبّاسيّ من الدعوة، فكان من قصّته أنّ السلطان طُغْرُلْبَك[٣] آشتغل بحصار تلك النّواحي ونازل المَوْصِل، ثمّ توجّه إلى نَصِيبين لفتـح الجزيرة وتمهيدها. وأرسل الأمير أبـو الحارث أرْسـلان المعروف بالبساسيريّ إلى إبراهيم يَنَّال[٤] أخي السلطان طُغْرُلْبَك ليُنجده؛ فأخذ البساسيريّ يَعِده ويُمنِّيه ويُطمعه في المُلك حتّى أصغى إليه وخالف أخاه طغرلبك. وساق إبراهيم يَنّال في طائفة من العسكر إلى الرّيّ. وبلـغ السلطان طغرلبك خبر عصيان إبراهيم فآنزعـج، وسار وراءه وترك بعض عسكره في ديار بكر مـع زوجته الخاتون ووزيره عمِيد المُلك الكُنْدُرِيّ[٥]، فتفرّقت العساكر. وعادت زوجته الخاتون بالعسكر

(١) كذا أيضاً في ابن الأثير. وفي ذيل تاريخ دمشق: «نصر الدولة». وذكره ابن ميسَّر باسم ناصر الدولة ونصر الدولة. وهو الأمير نصر الدولة (أو ناصر الدولة) أفتكين التركي، أحد غلمان أمير الجيوش بدر الجمالي. ترقى في خدمته إلى أن ولاه الإسكندرية. وقتله الأفضل بن بدر الجمالي سنة ٤٨٨هـ. (أخبار مصر لابن ميسّر: ٦١ ـــ ٦٣، وخطط المقريزي: ١/٤٣٤).

(٢) في الأصل: «من خطبة المستنصر».

(٣) هو السلطان أبو طالب، ركن الدين محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، أول ملوك السلاجقة. استهلّ حكمه في شوال سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م ودخل بغداد في ٢٥ رمضان سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م بناءً على طلب الخليفة القائم بأمر الله فنصره على البساسيري وأعاد رونق الدولة الخليفية. توفي بالري سنة ٤٥٥/١٠٦٣م وعمره سبعون عاماً. وقد استمرت سيطرة السلاطين السلاجقة على الحضرة إلى أيام الناصر في سنة ٥٩٠هـ. وطغرلبك: اسم علم تركي مركب من لفظين: طغرل وهو اسم لطائر معروف بلغة الأتراك، «وبك» معناه الأمير. (انظر أخبار الدولة السلجوقية: ١٨ ـــ ٢٣، ووفيات الأعيان: ٥/٦٣ ـــ ٦٨، والفخري: ٢٩٢ ـــ ٢٩٣).

(٤) يرد اسمه في المصادر: إبراهيم ينّال، وإبراهيم بن ينّال. وهو أخو طغرلبك لأمه، كما في أخبار الدولة السلجوقية.

(٥) هو الوزير عميد الملك أبو نصر محمد بن منصور الكندري، أول وزراء الدولة السلجوقية. وبعد وفاة طغرلبك وزر لابن أخيه ألب أرسلان. وقتل سنة ٤٥٦هـ. (ترجمته وأخباره في وفيات الأعيان: ٥/١٣٨ ـــ ١٤٣، وأخبار الدولة السلجوقية: ٢٣ ـــ ٢٦).

الذي صحبها إلى بغداد. وأمّا زوجها السلطان طغرلبك فإنّه التقى هو وأخوه إبراهيم يَنّال وتقاتلا، فظفِر عليه أخوه إبراهيم يَنّال وآنهزم السلطان طغرلبك إلى هَمَذان؛ فساق أخوه إبراهيم خلفه وحاصره بها. فعزمت الخاتون على إنجاد زوجها. وآختبطت بغداد وعظُم البلاء بها، وقامت الفتنة على ساق. وتمّ للأمير أبي الحارث أرْسلان البساسيريّ ما دبره من المكر. وأَرْجَف النّاسُ ببغداد بمجيء البَسَاسيريّ. ونفَر الوزير عميد الملك وزير طُغْرُلْبَك والأمير أنوشروان[1] إلى الجانب الغربيّ من بغداد وقطعا الجسر. ونهَبَت الغزُّ دار خاتون. وأكل القويُّ الضعيفَ. ووقع ببغداد وأعمالها أمورٌ هائلة شَنِعة. ثمّ دخل الأمير أبو الحارث أرْسلان البَسَاسيريّ بغداد في ثامن ذي القعدة بالرّايات المستنصريّة وعليها ألقاب المستنصر هذا صاحب مصر؛ فمال إلى البساسيريّ أهل باب الكَرْخ وفرحوا به لكونهم[2] رافضة، والبساسيريّ وخلفاء مصر أيضاً رافضة[3]؛ فآنضمّوا إلى البساسيريّ وتشفَّوْا من أهل السُّنّة، وشمَخت أنوف المنافقين الرافضة، وأعلنوا بالأذان بـ «حَيّ على خير العمل» ببغداد. وآجتمع خَلْق من أهل السنّة على الخليفة القائم بأمر الله العباسيّ وقاتلوا معه، وفشَت الحربُ بين الفريقين في السفن أربعة أيام. وخُطِب يوم الجمعة ثالث عشر ذي القعدة ببغداد للمستنصر هذا صاحب الترجمة بجامع المنصور وأذّنوا بـ «حَيّ على خير العمل». وعُقِد الجسر وعبَرت عساكرُ البساسيريّ إلى الجانب الشرقيّ؛ فخَنْدق الخليفةُ القائم بأمر الله على نفسه حولَ داره وحولَ نهر المُعَلَّى[4]، فأحرقت

---

(١) هو الأمير أنوشروان بن خالد بن محمد القاشاني. وزر للخليفة المسترشد، وتوفي سنة ٥٣٢هـ. وهو الذي صنّف له الحريري المقامات الحريرية، وإليه أشار في أولها بقوله: «فأشار من إشارته حكم وطاعته غنم». (انظر: ابن خلكان: ٤/٦٣ ــ ٦٧، والفخري: ٣٠٦، والمنتظم: ١٠/٧٧، والبداية والنهاية: ١٢/٢٢٩، وشذرات الذهب: ٤/١٠١).

(٢) في الأصل: «كونهم».

(٣) انظر نص عهد المستنصر بالله الفاطمي «بولاية الرجال» للبساسيري، في مذكرات داعي الدعاة: ص ١٥٨ ــ ١٦٠؛ وتاريخه شهر صفر سنة ٤٤٨هـ. وعن دخوله بغداد انظر ص ٢٢١ ــ ٢٢٦ من نفس المصدر.

(٤) نهر المعلّى: يدخل بغداد من باب «بين» ــ بكسر الباء ــ ومستمدُّه من الخالص، فيسير تحت الأرض حتى يدخل دار الخلافة. وهو المسمى بالفردوس. (معجم البلدان).

الغوغاء نهرَ المُعَلّى ونهبت ما فيه، وقَوِي البساسيريّ وتفلّلَ عن الخليفة القائم أكثرُ النّاس. فاستجار القائم بقُرَيْش[١] بن بَدْرَان أمير العرب، وكان مع البَسَاسيريّ، فأجاره ومَن معه وأخرجه إلى مُخَيَّمه. وقبض البساسيريّ على وزير القائم بأمر الله رئيس الرؤساء أبي القاسم بن المُسْلِمة[٢]، وقيّده وشهّره على جمل وعليه طُرْطُور وعباءة، وجعل في رقبته قلائد كالمسخرة[٣] وطِيف به بالشوارع، وخَلْفه من يصفعه[٤]، ثم سُلِخ له ثَوْرٌ وأُلبس جِلْدَه وخيط عليه، وجُعِلت قرون الثور في رأسه، ثمّ عُلِّق على خشبة، وعُمِل في فيه كَلُّوبَان[٥]، فلم يزل يضطرب حتّى مات رحمه الله. ونُصِب للقائم الخليفة خيمة صغيرة بالجانب الشرقيّ[٦] في المعسكر، ونَهَبت العامّةُ دارَ الخلافة، فأخذوا منها ما لا يُحصى ولا يُوصف كثرةً. فلمّا كان يومُ الجمعة رابع ذي الحِجة لم تُصَلَّ الجمعة بجامع الخليفة، وخُطِب بسائر الجوامع للمستنصر المذكور، وقُطِعت الخطبةُ العباسيّة بالعراق. وهذا شيء لم يفرح به أحد من آباء المستنصر.

---

(١) هو قريش بن بدران العقيلي، صاحب الموصل ونصيبين. كانت له إمارة بني عقيل ــ واستمرت دولته عشر سنين. مات بالطاعون في نصيبين سنة ٤٥٣هـ. (الأعلام: ٣٨/٦). قال صدر الدين الحسيني في أخبار الدولة السلجوقية: ص ٢٠ «.. وكان أمير المؤمنين القائم بأمر الله راكباً في صحن داره بغلة شهباء ومعه وزيره رئيس الرؤساء، فقرع الباب قريش بن بدران بمقرعته وقال لأمير المؤمنين: اخرج أيها الشريف ولا تهلك نفسك ولك الأمان ــ ولم يخاطبه بأمير المؤمنين ــ فخرج القائم راكباً، فحمله الأمير مهارش العقيلي (ابن عم قريش) إلى قلعة الحديثة، وحمل الوزير على حمار وردفه يهودي، واليهودي يصفعه وينتف لحيته ويقول: مولانا وقّع هذا المثال. ثم صلب الوزير. وخطبوا ببغداد يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوال سنة ٤٥٠هـ على المستنصر بالله العبيدي صاحب مصر، ونزعوا الثياب السود ولبسوا الثياب البيض وضربوا بألقابه الدنانير».

(٢) هو رئيس الرؤساء علي بن الحسين بن أحمد بن محمد بن عمر بن المسلمة. (الفخري: ص ٢٩٥).

(٣) عبارة ابن الطقطقي في الفخري: ٢٩٥ «وفي رقبته مخنقة فيها جلود مقطعة شبيهة بالتعاويذ».

(٤) عبارة أخبار الدولة السلجوقية: ٢٠ «وردفه يهودي، واليهودي يصفعه وينتف لحيته ويقول: مولانا وقّع هذا المثال».

(٥) كذا في تاريخ الإسلام للذهبي. وفي ذيل تاريخ دمشق: «وجعل على فكيه كلاّبان من حديد». وفي الفخري: «وعلّق بكلاّب في حلقه». وفي الأصل: «وعمل في قلبه» وهو تحريف.

(٦) في ذيل تاريخ بغداد: «في الجانب الغربي».

ثم حُمِل القائم بأمر الله إلى حَديثة[١] عانة فجلس بها، وسُلِّم إلى صاحبها مُهَارِش[٢]. وذلك أن البَسَاسيريّ وقريشاً آختلفا في أمر القائم بأمر الله، ثمّ وقع آتفاقهما بعد أمور على أن يكون عند مُهَارِش إلى أن يتّفقا على ما يتّفقان عليه في أمره. ثمّ جمع أبو الحارث أرْسلان البَسَاسيريّ القضاةَ والأشرافَ ببغداد، وأخذ عليهم البيْعة للمستنصر العبيديّ صاحب الترجمة فبايعوا قَهْراً على رغم الأنف.

وقال الشيخ عزّ الدِّين بن الأثير في تاريخه: «إنّ إبراهيم يَنَّال كان أخوه السلطان طُغْرُلْبَك قد ولاّه المَوْصِل عام أوّل، وإنّه في سنة خمسين فارق [الموصل][٣] ورحَل نحو بلاد الجبل، فنَسَب السلطان رحيلَه إلى العِصْيان، فبعث وراءه رسولاً معه الفرجيّة التي خلعها عليه الخليفة. ولمّا فارق الموصل قصدها البساسيريّ وقُريش بن بَدْرَان وحاصراها، وأخذا البلد ليومه، وبقيت القلعة، فحاصراها أربعة أشهر حتّى أكل أهلها دوابَّهم ثمّ سلّموها بالأمان، فهدمها البساسيريّ وعفَّى أثرها. وسار طغْرُلْبَك بجريدة[٤] في ألفين إلى الموصل، فوجد البساسيريّ وقريشاً فارقاها فساق وراءهم، ففارقه أخوه وطلب همذان فوصلها في رمضان. قال: وقد قيل إنّ المصريّين كاتبوه[٥]، وإنّ البساسيريّ آستماله وأطمعه في السلطنة، فسار طغرلبك في أثره (يعني أثر أخيه إبراهيم يَنَّال).

---

(١) في أخبار الدولة السلجوقية: «إلى قلعة الحديثة». وانظر معجم البلدان: ٢/٢٣٠ ــ ٢٣١.

(٢) هو أبو الحارث مهارش بن المجلّي العقيلي، ابن عم قريش بن بدران. توفي سنة ٤٩٩هـ. (الأعلام: ٧/٣١٠).

(٣) زيادة عن ابن الأثير.

(٤) في الأصل: «جريدة». والجريدة: خيل لا رجّالة فيها.

(٥) روى داعي الدعاة، المؤيد في الدين، في مذكراته ص٢١٨ أن «إبراهيم بن ينّال أرسل رسولاً من الموصل إلى مستقر أبي الحارث البساسيري وقريش بن بدران ــ رحمهما الله ــ وهما يومئذ في موضع يسمى «بالس» على مرحلتين من حلب، يبذل لهما الجميل عن أخيه وعنه، ويرغبهما في الدخول في الطاعة ليوليهما الولاية الجليلة، ويحسن إليهما الإحسان الكثير. فكان هذا ظاهر رسالته؛ وباطنها أن يخاطباني على التوثق له بأن أسوق إليه ما يلتمسه من الحضرة النبوية من الأموال الجزيلة والخلع والألقاب والألوية حتى يبطش بطغرل بك البطش الشديد الذي يهد قوته، فتصير جميع ممالكه في قبضته وحوزته، ويكون هو ملكها، وعلى أن تكون الخطبة لنا بالخلافة والإمامة مقدمة على خطبته. فلما جاء هذا الرسول إلى مستقرّ البساسيري وقريش بن بدران، وقصّ عليهما القصة ظاهراً وباطناً، سيراه إلى مستقري في حلب

قال: وأمّا البساسيريّ فوصل إلى بغداد في ثامن ذي القعدة ومعه أربعمائة فارس على غاية الضّر والفقر، فنزل بمَشْرَعة(٦) الروايا، ونزل قُرَيْشٌ في مائتي فارس عند مَشْرَعة باب البصرة، ومالت العامّة للبساسيريّ: أما الشِّيعة فللمذهب، وأمّا أهل السنة فلِما فَعَل بهم الأتراك. وكان رئيس الرؤساء لقلّة معرفته بالحرب ولِما عنده من ضعف البساسيريّ يرى المبادرةَ إلى الحرب؛ فآتّفق أنه في بعض الأيام التي تحاربوا فيها حضر القاضي الهَمَذَانيّ عند رئيس الرؤساء، ثمّ آستأذن في الحرب وضَمِنَ له قتل البساسيريّ، فأذِن له من غير أن يعلم عَميدُ العراق، وكان رأي عميد العراق المطاولةَ رجاءَ أن يُنجدهم طُغْرُلْبَك، فخرج الهَمَذَانيّ بالهاشميّين والخدم والعوامّ إلى الحلْبة وأبعدوا، والبساسيريّ يستجرّهم. فلمّا أبعدوا حَمَل عليهم فآنهزموا، وقَتَل جماعة وهلك آخرون في الزَّحْمة بباب الأزَج(١). وكان رئيس الرؤساء واقفاً دون الباب فدخل داره وهرب كلّ مَن في الحريم؛ ولطم عميدُ العراق على وجهه كيف آستبدّ رئيس الرؤساء بالأمر ولا معرفة له بالحرب. فآستدعى الخليفة عميدَ العراق وأمره بالقتال على سُور(٢) الحريم، فلم يَرُعهم إلا الزَّعَقات؛ وقد نُهِب الحريم ودخلوا من باب النُّوبـي(٣)، فركب الخليفة لابساً للسَّواد وعلى كتفه البُرْدَة

= لأبرم في بابه ما يجب إبرامه... فدخل عليَّ بزيّ المتصوفة، مشدود الرحل على عادتهم... ثم عاقدته عن الحضرة الطاهرة بالإجابة إلى سؤاله في معنى المال والخلع والألقاب، وأعطيته صفقتي بذلك، ففرح بنجاح سعيه...» انتهى. قلت: وواضح من تنكّر الرسول بزيّ المتصوّفة، ومن ظاهر الرسالة وباطنها، أن إبراهيم بن ينال لجأ إلى التمويه مخافة أن تقع رسالته في أيدي أصحاب طغرلبك أو أصحاب الخليفة قبل أن تصل إلى يدي داعي الدعاة صاحب التقرير في هذا الأمر، فينكشف أمره.

(١) المشرعة: شريعة الماء.

(٢) باب الأزج: محلة كبيرة من محلات بغداد؛ وكانت في موضع في محلة السيد سلطان علي، ممتدة حتى المربعة والحاج فتحي فرأس سوق القاطرخانة من جهة الجنوب. (في التراث العربي للدكتور مصطفى جواد ١٢/ ٤٠).

(٣) سور الحريم: قال صاحب مراصد الاطلاع: «... حريم دار الخلافة ببغداد، وهو في وسطها، عليه سور دائر يتحيز به، يبتدىء من دجلة وينتهي إليها ثلاثة أضلاع ورابعها دجلة. وله أبواب، وفي بعضه مساكن للناس، يقطع بينه وبين دار الخلافة حائط ممتد يفصل ما بينهما».

(٤) باب النوبـي: أحد أبواب سور الحريم الذي كان يحيط بحريم دار الخلافة. وهو منسوب إلى سعيد النوبـي الذي كان حاجباً فيه، والمتوفى سنة ٣١٤هـ. (د. مصطفى جواد: في التراث العربي: ١/ ٩٧).

وعلى رأسه اللِّواء وبيده السيف وحوله زُمرة من العباسيّين والخدم بالسيوف المسلَّلة، فرأى النّهبَ إلى باب الفِرْدَوْس من داره، فرجع إلى ورائه نحو عميد العراق، فوجده قد آستأمن إلى قُرَيْش، فعاد وصَعِد إلى المنظرة. وصاح رئيس الرؤساء: عَلَمَ الدِّين (يعني قُرَيشاً) أميرُ المؤمنين يستدنيك، فدنا منه؛ فقال: قد أنالك الله منزلةً لم ينلها أمثالك، وأمير المؤمنين يَسْتَذِمّ منك على نفسه وأصحابه بِذمام الله وذِمام رسوله وذِمام العربيّة؛ فقال: قد أذمّ الله تعالى له؛ قال: ولي ولمن معه؟ قال نعم؛ وخلع قَلَنْسُوَتَه وأعطاها الخليفة، وأعطى رئيس الرؤساء بحضرته ذِماماً. فنزل إليه الخليفة ورئيس الرؤساء وسارا معه. فأرسل إليه البساسيريّ يقول: أتخالف ما آستقرّ بيننا؟ ــ وكانا قد تحالفا ألّا ينفرد أحدهما عن الآخر بشيء، ويكون العراق بينهما نصفين ــ فقال قُرَيْش: ما عَدَلتُ عمّا آستقرّ بيننا، عدوّك آبن المسلمة (يعني رئيس الرؤساء) فخُذه، وأنا آخذ الخليفة، فرضِي البساسيريّ بذلك. فبعث رئيس رئيس الرؤساء إليه مع منصور[1] بن مَزْيد، فحين رآه البساسيريّ قال: مَرْحباً بمدمِّر الدولة، ومُهلِك الأمم، ومُخرِّب البلاد، ومُبيد العباد. فقال له: أيّها الأجلّ، العفو عند المقدرة. فقال: قد قدرتَ فما عفوتَ، وأنت تاجر صاحب طَيْلَسان، ولم تُبْق على الحريم والأموال والأطفال، فكيف أعفو عنك وأنا صاحب سيف وقد أخذت أموالي وعاقبتَ أصحابي ودرستَ دوري وسببتَني وأبعدتَني!. وآجتمع العوامّ على آبن المسلمة (يعني رئيس الرؤساء) وسبُّوه ولعَنوه وهَمّوا به. فأخذه البساسيريّ بيده وسيّره إلى جانبه خوفاً عليه من العامّة. وحَصَل في يد البساسيريّ جميع من كان يطلبه مثل ابن المردرسِيّ[2]، وأبي عبد الله[3] الدّامَغاني قاضي القضاة، وهبة الله بن المأمون، وأبي عليّ بن السِّيرواني، وأبي عبد الله بن عبد الملك، وكان من التّجار الكبار وبينه وبين البساسيريّ عداوة، وكان قد سكن في دار الخلافة خوفاً منه على ماله ونعمته. وظَفِر بالسيدة خاتون بنت الأمير داود زوجة الخليفة، فأحسن معاملتها ولم يتعرّض لها.

---

(١) سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٤٧٨هـ من هذا الجزء. وذكره ابن الأثير في حوادث سنة ٤٧٩هـ.

(٢) كذا في الأصل. وفي حاشية طبعة دار الكتب، عن مرآة الزمان: «ابن المردوشي».

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الحسن الدامغاني المتوفى سنة ٤٧٨هـ.

وأمّا قُرَيْش فحصل في يده الخليفة وعميد العراق وأبو منصور [بن][١] يوسف وولده؛ فحمل الخليفةَ إلى معسكره راكباً وعلى كتفه البُرْدَة وبيده سيفٌ مسلول وعلى رأسه اللِّواء. ولحِق الخليفةَ ذَرَبٌ عظيم قام منه في اليوم مراراً، وآمتنـع من الطَّعام والشراب؛ فسأله قُرَيْشٌ وألحّ عليه حتّى أكل وشرِب، وحمله في هَوْدَج وسار به إلى حديثة عانة فنزل بها[٢]. وسار حاشية الخليفة على حامية إلى السلطان طُغْرُلْبَك مُستنفرين له. ولمّا وصل الخليفة إلى الأنبار شكا البَرْدَ، فبعث يطلب من متولّيها ما يلبَس، فأرسل إليه جُبّةً ولِحافاً.

وركب البساسيريّ يوم الأضحى وعلى رأسه الألْوِيَة المصـريّة وعبَـر إلى المُصَلّى بالجانب الشرقي، وأحسن إلى الناس، وأجرى الجرايات على الفقهاء، ولم يتعصّب لمذهب، وأفرد لوالدة الخليفة داراً وراتباً، وكانت قد قاربت التسعين سنة. ثمّ في آخر ذي الحجّة أخرج رئيسَ الرؤساء مقيّداً وعلى رأسه طُرْطُورٌ، وفي رقبتـه مِخْنَقَة جلود، وهـو يقـرأ: ﴿قُـلِ ٱللَّهُمَّ مَـالِـكَ ٱلملك تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ. . .﴾[٣] الآية. فبصَق أهل الكَرْخ في وجهه، لأنّه كان متعصّباً لأهل السُّنّة، رحمه الله، ثمّ صُلِب على صورة ما ذكرناه أوّلاً[٤].

---

(١) زيادة عن ذيل تاريخ دمشق. وهو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن يوسف.

(٢) روى السيوطي أن القائم بالله ــ لما سجنه البساسيري ــ كتب قصته وأنفذها إلى مكة، فعلقت في الكعبة، وفيها: «إلى الله العظيم، من المسكين عبده. اللهمَّ إنك العالم بالسرائر، المطلع على الضمائر. . . هذا عبدٌ قد كفر بنعمك وما شكرها (يريد البساسيري) وألغى العواقب وما ذكرها. . . اللهمَّ قلَّ الناصر، واعتزّ الظالم، وأنت المطلع العالم. . . ونحن نعتزّ بك، وقد حاكمناه إليك. . . فاحكم بيننا بالحق وأنت خير الحاكمين». ــ اختصرناها عن تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ٤١٩، فلتنظر هناك.

(٣) سورة آل عمران. الآية ٢٦.

(٤) ذُكر أنه علّق على خشبة، وعمل في فيه كلّوبان. وبنفس المعنى ذكر غيره من المؤرخين. ونرجّح أن هذه الطريقة ليست الصلب، وإنما هي طريقة القتل بالقنّارة، وهي طريقة استحدثها البساسيري. والقنّارة: هي الخشبة يعلّق عليها القصّاب اللحم. والظاهر أنها ليست عربية. ويصح أن تطلق على ما يسميه العامة «سيبة». وأخذوها من الفارسية، لأنها ثلاث خشبات متصلة الرؤوس منفرجة من طرفها الآخر. ولعلَّ في إلباس ابن المسلمة جلد ثور، وجعل قرونه في رأسه، ما يشير إلى تلك الطريقة ويدعم ما ذهبنا إليه. (راجع ص ٨ من هذا الجزء؛ وانظر معجم متن اللغة ــ مادة: قَنَر ــ وفي التراث العربي لمصطفى جواد ص ٢٤٥).

وأمّا عمِيد العراق فقتله البساسيريّ أيضاً؛ وكان شجاعاً شَهْماً، وهو الذي بنى رباط شيخ الشيوخ. ثمّ بعث البساسيريّ البشائر إلى مصر، وكان وزير المستنصر هناك[١] أبا الفرج[٢] آبن أخي أبي القاسم المغربيّ، وكان أبو الفرج ممّن هرب من البساسيريّ، فذمّ للمستنصر فعلَه وخوّفه من سوء عاقبته؛ فتُرِكت أجوبته مدّة، ثمّ عادت على البساسيريّ بغير الذي أمّله، فسار البساسيريّ إلى البصرة وواسط وخطَب بهما أيضاً للمستنصر. وأمّا طُغْرُلْبَك فإنّه آنتصر في الآخر على أخيه إبراهيم يَنّال وقتله، وكَرّ راجعاً إلى العراق، ليس له همٌّ إلّا إعادة الخليفة إلى رتبته.

وفي الجملة أنّ الذي حصل للمستنصر في هذه الواقعة من الخطبة بآسمه في العراق وبغداد لم يحصل ذلك لأحد من آبائه وأجداده. ولولا تخوّف المستنصر من البساسيريّ [وتحريضُه على ما هو بصدده لكانت][٣] دعوته تتمّ بالعراق زماناً طويلاً، فإنّه كان أوّلاً أمدَّ البساسيريّ بجمل مستكثَرة. فلو دام المستنصر على ذلك لكان البساسيريّ يفتتح له عدّة بلاد. قال الحسن بن محمد العَلَويّ[٤]: «إنّ الذي وصل إلى البساسيريّ من المستنصر من مال خمسمائة ألف دينار، ومن الثياب ما قيمته مثل ذلك، وخمسمائة فرس، وعشرة آلاف قوس، ومن السيوف ألوف، ومن الرماح والنُّشّاب[٥] شيء كثير». يعني قبل هذه الواقعة؛ ولهذا قلنا: لو دام المستنصر على عطائه للبساسيريّ لكان آفتتح له عدّة بلاد. قلت: ولله الحمد على ما فعله المستنصر من التقصير في حقّ البساسيريّ، وإلّا لكانت السُّنّة تذهب بالعراق،

---

(١) في الأصل: «هذا» والتصحيح عن ابن الأثير.

(٢) هو الوزير الأجلّ الكامل الأوحد أبو الفرج محمد بن جعفر بن علي بن الحسين المغربي. تولى الوزارة مرتين: الأولى من ٢٥ شهر ربيع الآخر ٤٥٠هـ حتى ٩ شهر رمضان ٤٥٢هـ. والثانية مدة يسيرة في سنة٤٦١هـ، تولى بعدها ديوان الإنشاء. وتوفي سنة ٤٧٨هـ. (الوزارة والوزراء في العهد الفاطمي: ٢٥٨، ٢٥٩، ٣١١؛ والإشارة إلى من نال الوزارة: ٤٧).

(٣) عبارة الأصل: «... من البساسيري وترك تحريضه على ما هو بصدده وإلا كانت دعوته... الخ». وهي مضطربة.

(٤) عبارة الذهبي في تاريخ الإسلام: «وحكى الحسن بن محمد القيلوبي في تاريخه...».

(٥) في الأصل: «والثياب». وما أثبتناه عن الذهبي.

وتملِكها الرافضة بأجمعها كما كان وقع بمصر في أيّام دولة الفاطميّين (أعني صاحب الترجمة وآباءه).

ولمّا خَطَب البساسيريّ في بغداد بآسم المستنصر مَعَدّ هذا غنَّته مغنيّة[١] بقولها: [الرمل ــ مجزوء]

يا بني العبّاس صُدُّوا[٢] مَلَكَ الأمرَ مَعَدُّ
ملكُكُم كان مُعَاراً[٣] والعواري تُسْتَرَدُّ

فطرِب المستنصر لذلك ووَهبَها أرضاً بمصر رِزْقَةً لها جائزةً لإنشادها هذا الشعر، وتلك الأرض الآن تعرف بأرض[٤] الطّبّالة بالقرب من بركة الرَّطْليّ لكونها غنتّه بهذه الأبيات، وهي تُطَبِّل بدُفّ كان في يدها، فعُرِفت بأرض الطّبّالة، وحُكِرت الأرض المذكورة وبُنِيت. وكان ما وقع للمستنصر هذا تمامَ سعده[٥]. ومن حينئذ أخذ أمره في إدبار من وقوع الغلاء والوباء بالديار المصريّة.

---

(١) هي «نَسَب» أو «طرب»، طبّالة المستنصر. كانت تقف تحت القصر في المواسم والأعياد وتسير أيام المواكب وحولها طائفتها وهي تضرب بالطبل وتنشد. (انظر خطط المقريزي: ١٢٥/٢) ونسب هذه مدفونة بالقرافة الكبرى تجاه زاوية الشيخ صفي الدين أبي المنصور، بالموضع المعروف بالسهمية، وكان عليها قبة فخربت ودثر قبرها. (الانتصار لابن دقماق: ٤٣/٥).

(٢) في المقريزي: «ردّوا». وفي الانتصار: «جدوا».

(٣) في المقريزي: «ملككم ملك معار».

(٤) كتب الأستاذ محمد رمزي في تحديد أرض الطبّالة، قال: «يستفاد مما ذكره المقريزي في خططه: ١٨٥/٢ عند الكلام على جزيرة الفيل أن أرض الطبّالة كانت ممتدة إلى شاطىء النيل القديم تجاه جزيرة الفيل التي كانت وسط النيل، ومكانها اليوم منطقة شبرا بالقاهرة. ومن هذا يتضح أن أرض الطبالة كانت واقعة في المنطقة التي تحدّ اليوم من الشرق بشارع الخليج المصري، ومن الشمال بشارع الظاهر فشارع وقف الخربوطلي وما في امتداده حتى يتقابل بشارع مهمشة، ومن الغرب بشارع غمرة إلى محطة كوبري الليمون فميدان محطة مصر إلى ميدان باب الحديد حيث كان النيل يجري قديماً. ومن الجنوب بشارع الفجالة وسكة الفجالة ويدخل فيها الآن محطة كوبري الليمون والفجالة وبركة الرطلي. (راجع أيضاً خطط المقريزي: ١٢٥/٢ في كلامه على أرض الطبالة).

(٥) لم يشر أبو المحاسن ــ وكذلك أكثر المؤرخين ــ إلى القائد الحقيقي وصاحب الدور الأول في عملية الاستيلاء على حضرة الخلافة العباسية وإقامة الدعوة للخليفة الفاطمي المستنصر، عنيت داعي دعاة

وقاسى النّاس شدائد، وآختلّ أمر مصر ــ على ما سنذكره إن شاء الله تعالى في وقته من هذه الترجمة ــ من آستيلاء ناصر الدولة بن حَمْدان على ممالك الديار المصريّة؛ وزاد آبن حَمْدان في عطاء الجند حتّى نَفِدت الخزائن، وقلّت الارتفاعات[1]. وآتّفق آبن حَمْدان مع الشريف أبي طاهر حَيْدَرة بن الحسن الحُسينيّ، وكان قد نفاه بدْر الجَمَاليّ من دمشق، وكان مُحبَّباً للناس، وتلقّبه العامّة بأمير المؤمنين، وكان لمّا نفاه بدرٌ الجمالي من دِمَشق دخل إلى مصر شاكياً إلى آبن حمدان من بدر الجماليّ ــ فآتّفق آبن حمدان والشريف وحازم وحميد آبنا جرّاح وهما من أمراء عرب الشام، وكان لهما في حبس المستنصر نيّف وعشرون سنة، فأخرجهما آبن حَمْدان وآتّفقوا على الفتك ببدر الجَمَاليّ، فأعطاهم آبن حمدان أربعين ألف دينار ينفقونها في هذا الوجه. وتحدّث آبن حمدان بأن يُرتّب الشريف

= الدولة الفاطمية، المؤيد في الدين. وقد سلط المؤرخون الضوء على القائد المباشر لتلك العملية وهو البساسيري. على أن الرأس المخطط والمدبر لتلك العملية الكبرى ــ وما يمكن أن نسميه بقائد الظل ــ كان داعي الدعاة، المؤيد في الدين، هبة الله بن أبي عمران موسى الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٠هـ. كان هذا الرجل داعية خطيراً لا يشق غباره في علوم الدين والمناظرة والفلسفة، حتى قال عنه أبو العلاء المعري: «وسيّدنا الرئيس الأجلّ المؤيد في الدين، ما زالت حجته باهرة، ودولته عالية... والله لو ناظر ارسطاليس لجاز له أن يفحمه، أو أفلاطون لنبذ حججه خلفه» هذا إلى جانب براعة سياسية نادرة، وقدرات هائلة في المناورة واستقطاب المؤيدين وشق صفوف المعادين. وإليه يرجع الفضل في تجنيد البساسيري في صفوف الدعوة الفاطمية أولاً ثم في دفعه إلى واجهة العملية الانقلابية التي أطاحت بالخليفة العباسي؛ وهو ــ أي المؤيد في الدين ــ الذي استطاع أن يجنّد في تلك العملية أكثر القبائل العربية مثل بني كلب في الشام، وبني مروان أصحاب دياربكر، وبني عقيل أصحاب الموصل، وبني وثاب في حران، وبني مزيد أمراء عرب الفرات. كما استطاع أن يقنع ثمال بن صالح بن مرداس (أمير المرداسيين أصحاب حلب) والأمير دبيس بن مزيد صاحب الحلّة، بوضع قواهم، مع قبائل العرب المشار إليها، بإمرة البساسيري. ونضيف أيضاً أنه هو شخصياً كان وراء انفصال إبراهيم بن ينال عن أخيه طغرلبك وانحيازه إلى الحركة الفاطمية طمعاً في الاستيلاء على سلطات وأملاك أخيه. وبعد أن استطاع داعي الدعاة تأمين جميع مستلزمات العملية، من أموال ونفقات وعدة ورجال وتحالفات، أمر البساسيري بالزحف نحو بغداد. (انظر: مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية، تحقيق وتقديم الدكتور عارف تامر، بيرت ١٩٨٣م مؤسسة عز الدين للنشر). راجع أيضاً ص ٩ من هذا الجزء، حاشية (٥).

(١) الارتفاعات: هي مبلغ ما يتحصّل من المال لديوان من دواوين الدولة، أو هي مجموع الأموال الديوانية كلها. وارتفاع الضيعة: حصة الخراج من نمائها. يقال: ارتفعت الضيعة بكذا أي أعطته من الخراج. (معجم متن اللغة: رفع، وإغاثة الأمة بكشف الغمة: ٥٨ ــ حاشية).

إذا عاد مكان المستنصر في الخلافة لنسبه الصحيح. وآنقسم عسكر مصر قسمين: قسماً مع آبن حمدان، وقسماً عليه؛ وزادت مطالبة آبن حمدان بالأموال حتى آستوعبها وأخرج جميع ما في القصر من ثياب وأثاث وباعها بالثمن البَخْس[١] وحالف الأتراك سرًّا على المستنصر. وعلم المستنصر بما فعله مضافاً لما سمِع عنه من أمر الشّريف، فقَلِق وأرسل لابن حَمْدان ويقول بأنّك قدِمتَ علينا زائراً وجئتنا ضيفاً، فقابلناك بالإحسان وأكرمناك، فقابلتنا بما لا نستحقّه منك؛ ونحن عليك صابرون، وعنك مُغْضُون. وقد آنتهت بك الحال إلى محالفة العسكر علينا والسعي في إتلافنا، وما ذاك مما يهمّك؛ ونحبّ أن تنصرف عنّا موفوراً في نفسك ومالك، وإلّا قابلناك على قبيح أفعالك. فأغلظ آبن حمدان في الجواب وآستهزأ بالرسول. فبعث المستنصر إلى إلْدِكز الملقّب بأسد الدولة، وكان شيخَ الأتراك والمقدّم عليهم، وكان من المخالفين على آبن حمدان، فآستحضره وآستحلفه وتوثّق منه ومن جماعة ممّن جرى مَجرَاه، وجمع الأتراك[٢] الذين معه والمغاربة وكُتَامة إلى باب القصر. وعرف آبن حمدان بذلك فبرز بخَيْمة إلى بركة الحَبَش[٣]، وأخرجَ المستنصر خَيْمَته

---

(١) قال ابن ميسَّر: وقويت شوكة الأتراك، وطمعوا في المستنصر، وقلّ ناموسه عندهم. وكان مقررهم في كل شهر ٢٨ ألف دينار فصار في كل شهر أربعمائة ألف دينار، وطالبوه بالأموال فاعتذر بأنه لم يبق عنده شيء، وألزموه ببيع ذخائره فأخرجها إليهم فقوموها على أنفسهم بأبخس الأثمان. (أخبار مصر: ٣٢).

(٢) كان الأتراك في البداية مع ابن حمدان، وبهم تقوّى واستفحل أمره. ثم إنه حجب عنهم الأموال والأعطيات واستأثر بها، ففسدت نياتهم عليه وفارقوه. (انظر أخبار مصر لابن ميسَّر: ص ٣٣، ٣٤).

(٣) عن بركة الحبش، كتب الأستاذ محمد رمزي قال: هذه البركة كانت واقعة جنوبي مدينة مصر فيما بين النيل والجبل. وذكر المقريزي (١٥٢/٢) بأن هذه البركة كانت تعرف ببركة المغافر وبركة حمير وبإصطبل قرة وبإصطبل قامش وبركة الأشراف، وبركة الحبش وهو الاسم الذي اشتهرت به.

وهذه البركة لم تكن بركة عميقة فيها ماء راكد بالمعنى المفهوم الآن من لفظ بركة وإنّما كانت تطلق على حوض من الأراضي الزراعيّة التي يغمرها ماء النيل وقت فيضانه سنوياً بواسطة خليج بني وائل الذي كان يأخذ ماءه من النيل جنوبي مصر القديمة، فكانت الأرض وقت أن يغمرها الماء تشبه البرك ولهذا سميت بركة. وبعد أن ينتهي فيضان النيل ويصرف الماء عنها تنكشف أرضها ولا تحتاج إلى الحرث للينها بل تلاق لوقاً وتزرع أصنافاً شتوية أسوة بأراضي الملق التي في حياض الوجه القبلي.

وأمّا اليوم فقد بطلت طريقة الريّ الحوضي لهذه الأرض وأصبحت تروى ريّا صيفيّاً وشتويّاً من ترعة الخشاب التي تأخذ مياهها من النيل بواسطة طلمبات الليثي ببلدة الصف في أيام الصيف، وبواسطة طلمبات بلدة الكريمات في أيام فيضان النيل. =

الحمراءَ، وتُسمّى خيمة الدّم، فضربها بين القصرين من القاهرة. وآجتمع الناس على المستنصر، وركب وسار إلى حرب آبن حَمْدان. والتَقَوْا بمكان يُعرف بالباب الجديد[١]، فورد أكثرُ مَن كان مع آبن حمدان بالأمان إلى المستنصر. وكان في جملة مَن ورد الأميرُ أبوعليّ ابن الملك أبي طاهر بن بُوَيْه، ثمّ قُتِل المذكور بعد ذلك بمدّة. ووقع القتال فانكسر آبن حَمْدان وهرب بنفسه إلى الإسكندريّة، ونُهِبت دُوره وأمواله ودورُ أصحابه. ومضى آبن حمدان إلى حيّ من العرب[٢] وتزوّج منهم وقَوِي بهم، فصار يَشُنُّ الغاراتِ على أعمال مصر، ويبعَث إليه المستنصرُ في كلّ وقت جيشاً فيهزِمه آبن حمدان. ولا زال على ذلك حتّى جمع آبن حمدان جمعاً

= ويتضح مما ذكر المقريزي أنّها سمّيت بركة الحبش لأنّه كان يوجد بجوارها من الجهة الجنوبية جنان تعرف بالحبش فنسبت إليها البركة. ويستفاد مما ذكره أبوصالح الأرمني في كتاب الديارات أن هذه الجنان عرفت بالحبش لأنها كانت لطائفة من الرهبان الحبش، يؤيّد ذلك ما ذكره المقريزي أيضاً عند الكلام على هذه البركة حيث قال: «وفي تواريخ النصارى أن الأمير أحمد بن طولون صادر البطريق ميخائيل بطرك اليعاقبة على عشرين ألف دينار فباع النصارى رباع الكنائس بالإسكندرية وأرض الحبش بظاهر مصر».
ومن تطبيق الحدود التي ذكرها المقريزي لهذه البركة على موضعها اليوم يتبين أنها كانت تشغل من الأرض مساحة قدرها نحو ١٥٠٠ فدان: منها ٢١٣ فداناً وهومجموع الزمام المنزرع من أراضي قرية دير الطين، والباقي من زمام ناحية البساتين، وتحدّ هذه المنطقة اليوم من الشمال بصحراء جبانة مصر وجبل الرصد الذي يعرف اليوم بجبل اصطبل عنتر وأرض قرية أثر النبي في الحدّ الفاصل بينها وبين دير الطين، ومن الغرب جسر النيل بين قرية دير الطين ومعادي الخبيري، ومن الجنوب والشرق باقي أراضي ناحية البساتين التابعة لمركز الجيزة بمديرية الجيزة.

(١) الباب الجديد: هذا الباب كان يعرف بالباب الجديد الحاكمي، لأنه أنشيء في عهد الحاكم بأمر الله. ويعرف في أيام المقريزي بباب القوس. وكان واقعاً بالشارع خارج باب زويلة من القاهرة عند رأس حارة المنتجبية فيما بينها وبين حارة الهلالية. (انظر خطط المقريزي: ٢/١٩ ــ ٢٠) فأما حارة المنتجبية فكانت واقعة على يمين السالك في الشارع المذكور بعد خروجه من باب زويلة متجهاً إلى الجنوب، وفي أول هذه الحارة اليوم من بحري درب الأغوات؛ وحارة الهلالية كانت واقعة تجاهها على اليسار، وفي أولها اليوم من بحري درب الدالي حسين. وأما الباب الجديد المذكور فكان واقعاً في عرض الطريق التي تسمى اليوم بشارع المغربلين تجاه زاوية الست عائشة اليونسية الواقعة بشارع المغربلين على رأس شارع الداودية من الجهة القبلية. (محمد رمزي).

(٢) ذكر ابن ميسّر في أخبار مصر: ص ٣٤ أنه مضى منهزماً في نفر قليل من أصحابه، فوصل إلى بني سِنْبِس بالبحيرة فنزل فيهم وتزوّج منهم وتقوّى بهم. (انظر أيضاً المقريزي: ١/٣٣٦، وابن الأثير: ٨/٣٩٧ ــ ٤٠١).

كبيراً ونزل الصالحيّة[١]؛ فخرج إليه من كان يَهْوَاه من المشارقة، وآمتدّت عسكرُه نحو عشرة فراسخ وحاصر مصر؛ فضعُف المستنصر عن مقاومته وآنحصر بالقاهرة. وطال الحِصار وغلَت الأسعار حتّى بلغت الرّاوية الماء ثلاثة عشر قيراطاً، وكلّ ثلاثة عشر رطلاً من الخبز ديناراً، وعُدِمت الأقوات، فضجّ العوامّ، فخاف المستنصر أن يُسلِّموه إليه، فراسله وصالحه. وآقترح عليه آبن حمدان إبعاد إلْدِكز ومن يُعاديه من المشارقة، وأن ينفرد آبن حمدان بالبلاد وتدبير الأمور والعساكر، فرضي المستنصر بذلك كلّه؛ ورُفع الحِصار عن مصر، وعادت الأمور إلى ما كانت عليه. فهرب غالبُ مَن كان مع المستنصر إلى الشام، ووفدوا على صاحبها بَدْر الجَمَاليّ. وكان بدر الجماليّ يكره آبن حمدان والشريفَ المذكور. ثمّ ظَفِر الجماليّ بالشريف المذكور وقتله خَنْقاً. على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى. وصار المستنصر في قصره كالمحجور عليه ولا حكم له.

هذا والغلاء بمصر يتزايد، حتّى إنّه جلا من مصر خَلْق كثير لِمَا حصل بها من الغلاء الزائد عن الحدّ، والجوع الذي لم يُعَهد مثله في الدنيا، فإنّه مات أكثر أهل مصر، وأكل بعضُهم بعضاً. وظهروا على بعض الطباخين أنّه ذبح عدّةً من الصّبيان والنساء وأكل لحومهم وباعها بعد أن طبخها. وأُكلت الدوابّ بأسرها، فلم يبق لصاحب مصر ــ أعني المستنصر ــ سوى ثلاثة أفراس بعد أن كانت عشرة آلاف ما بين فرس وجمل ودابّة. وبيع الكلب بخمسة دنانير، والسِّنَّوْر بثلاثة دنانير. ونزل الوزير أبو المكارم[٢] وزير المستنصر على باب القصر عن بغلته وليس معه إلّا غلام واحد، فجاء ثلاثة وأخذوا البغلة منه، ولم يقدر الغلام على منعهم لضعفه من الجوع

---

(١) يريد المؤلف مكان الصالحية. اختطها الملك الصالح نجم الدين أيوب في أول الرمل بين مصر والشام سنة ٦٤٤هـ. وهي اليوم إحدى قرى مركز فاقوس بمديرية الشرقية (م. رمزي).

(٢) هو وزير الوزراء، العادل، خليل أمير المؤمنين، أبو المكارم المشرف بن أسعد بن عقيل. كان من صنائع الوزير أبي الفرج البابلي وخواصه. وكان نعته قبل الوزارة رئيس الرؤساء وذخيرة الملك. ولي الوزارة مرتين، وتنقلت به الأحوال إلى أن قتله أمير الجيوش بدر الجمالي فيمن قتلهم من وزراء مصر ورجالها. (الوزارة في العصر الفاطمي: ٢٦٢، والإشارة إلى من نال الوزارة: ٥١، وأخبار مصر لابن ميسّر: ٤١).

فذبحوها وأكلوها، فأُخِذوا وصُلِبوا، فأصبح الناس فلم يَرَوْا إلّا عظامهم، أكل الناس في تلك الليلة لحومهم. ودخل رجل الحَمّام فقال له الحَمّاميّ: من تريد أن يخدُمك سعد الدولة أو عزّ الدولة أو فخر الدولة؟ فقال له الرجل: أتهزأُ بـي! فقال: لا والله، أُنظر إليهم، فنظر فإذا أعيان الدّولة ورؤساؤها صاروا يخدمون الناس في الحَمّام لكونهم باعوا جميع موجودهم في الغلاء وآحتاجوا إلى الخدمة. وأعظم من هذا أنّ المستنصر الخليفة صاحب الترجمة باع جميعَ موجوده وجميعَ ما كان في قصره حتّى أخرج ثياباً كانت في القصر من زمن الطائع الخليفة العباسيّ، لمّا نَهَب بهاءُ الدولة دار الخليفة في إحدى وثمانين وثلاثمائة، وأشياء أُخر أُخِذت في نَوْبة البَساسيريّ، وكانت هذه الثياب التي لخلفاء بني العباس عند خلفاء مصر يحتفظون بها لبُغْضهم لبني العبّاس، فكانت هذه الثياب عندهم بمصر بسبب المعْيَرة[1] لبني العبّاس. فلمّا ضاق الأمر على المستنصر أخرجها وباعها بأبخس[2] ثمن لشدّة الحاجة. وأخرج المستنصر أيضاً طَسْتاً وإبريقاً بلّوراً يسَع الإبريق رطلين ماء، والطَّسْت أربعةَ أرطال، وأظنّه بالبغدادي، فبيعا بآثني عشر درهما فُلوساً، ثمّ باع المستنصرُ من هذا البلور ثمانين ألف قطعة. وأمّا ما باع من الجواهر واليواقيت والخُسْرَوَانِيّ[3] فشيءٌ لا يُحْصَى. وأُحصي من الثياب التي أُبيعت في هذا الغلاء من قصر الخليفة ثمانون ألفَ ثوب، وعشرون ألفَ دِرْع، وعشرون ألفَ سيف مُحلّى؛ وباع المستنصر حتّى ثيابَ جواريه وتُخوتَ المهُود، وكان الجند يأخذون ذلك بأقلّ ثمن[4]. وباع رجل داراً بالقاهرة كان آشتراها قبل ذلك بتسعمائة دينار بعشرين رطلَ دقيق. وبيعت البَيْضة بدينار والإردبُّ القمح بمائة دينار في الأول، ثمّ عُدِم وجود القمح أصلاً. وكان السُّودان يقفون في الأزقّة يخطَفُون النساء بالكلاليب ويُشرِّحون

---

(١) كذا. وهو استعمال عاميّ. وصوابه: «التعيير». قال ابن منظور في لسان العرب: ولا يكون «عيَّرت» إلا من العار والتّعيير.

(٢) في الأصل: «بأحسن» وهو تحريف.

(٣) المراد الديباج الخسرواني، كما في ابن ميسَّر. وهو منسوب إلى خسروشاه من الأكاسرة.

(٤) قارن بما جاء في أخبار الدول المنقطعة لابن ظافر: ص ٧٥، وحسن المحاضرة للسيوطي: ٢/٢٠٤، وابن الأثير: ٨/٣٥٨. وقال ابن ميسَّر: رأيت مجلداً يجيء في نحو عشرين كراساً فيه ذكر ما خرج من القصر من التحف والأثاث والثياب والذهب وغير ذلك. (أخبار مصر: ٣٧).

لحومهنّ ويأكلونها. وآجتازت آمرأة بزقاق[١] القناديل بمصر وكانت سمينةً، فعلّقها السُّودان بالكلاليب وقطعوا من عَجُزها قطعةً، وقعدوا يأكلونها وغَفَلوا عنها، فخرجت من الدار وآستغاثت، فجاء الوالي وكَبَس الدار فأخرج منها ألوفاً من القَتْلَى، وقتلَ السُّودان. وآحتاج المستنصر في هذا الغلاء حتى إنه أرسل فأخذ قناديلَ الفِضّة والستورَ من مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام[٢]. وخرجت آمرأة من القاهرة في هذا الغلاء ومعها مُدُّ جَوْهر، فقالت: مَن يأخذ هذا ويُعطيني عوضَه دقيقاً أو قمحاً؟ فلم يلتفت إليها أحد؛ فألقتْه في الطريق وقالت: هذا ما ينفعني وقت حاجتي فلا حاجة لي به بعد اليوم؛ فلم يلتفت إليه أحد وهو مُبَدَّد في الطريق! فهذا أعجب من الأول[٣].

وقيل: إنّ سبب ما حصل لمصر من الخلَل في أولّ الأمر[٤] الفتنة التي كانت

---

(١) زقاق القناديل: كان من الدروب الشهيرة التي سكنها الأعيان وكبار القوم بمدينة الفسطاط في زمن عمارتها، وقد زال بزوال مدينة الفسطاط القديمة. ومكانه اليوم أرض فضاء مجاورة من الشرق لجامع عمرو بن العاص بمصر القديمة. (محمد رمزي. ــ وانظر الانتصار لابن دقماق: ٤/١٣).

(٢) عبارة المقريزي في إغاثة الأمة: ص ٦٠ «واحتاج المستنصر حتى باع حلية قبور آبائه» ــ قال: وأفضى الأمر إلى ان عدم المستنصر القوت. وكانت الشريفة بنت صاحب السبيل تبعث إليه في كل يوم بقعب من فتيت، من جملة ما كان لها من البر والصدقات في تلك الغلوة، حتى أنفقت مالها كله، وكان يجلّ عن الإحصاء، في سبيل البرّ. ولم يكن للمستنصر قوت سوى ما كانت تبعث به إليه.

(٣) وروى المقريزي أن المستنصر استطاع أن يتخذ موقفاً صارماً من والي القاهرة وتهدده بأنه سيضرب عنقه إذا لم يظهر الخبز في الأسواق وينحلّ السعر. فما كان من الوالي إلا أن خرج من بين يديه وأحضر من الحبس قوماً وجب عليهم القتل، وألبسهم ثياب الأعيان والتجار، ثم جمع تجار الغلة والخبازين والطحانين، وعقد مجلساً عظيماً. وأمر بإحضار واحد من هؤلاء، فدخل في هيئة عظيمة حتى إذا مثل بين يديه قال له: «ويلك! أما كفاك أنك خنت السلطان، واستوليت على مال الديوان، إلى أن خربت الأعمال ومحقت الغلال، وأدى ذلك إلى اختلال الدولة وهلاك الرعية؟ اضرب رقبته!» فضربت في الحال. وتركه ملقى بين يديه. ثم أحضر ثانياً وخاطبه بما يشبه الأول وضرب عنقه. واستدعى آخر، فقام إليه الحاضرون من التجار والطحانين والخبازين وتعهدوا بإخراج الغلّة وإغراق الأسواق بالخبز، ورضوا بأن يبيعوا رطلين من الخبز بدرهم واحد. قال المقريزي: وتدارك الله الخلق وأجرى النيل وسكنت الفتن وزرع الناس وتلاحق الخير. (عن إغاثة الأمة باختصار: ص ٦١ ــ ٦٢).

(٤) في الأصل: «في أول الأمر أنه الفتنة».

بمصر في أيام المستنصر هذا بين الأتراك والعَبِيد، وهو أنّ المستنصر كان من عادته في كلّ سنة أن يركب على النُّجُب مع النساء والحشم إلى جُبّ عُمَيْرة[١]، وهو موضع نُزْهة، فيخرُج إليه بهيئة أنّه خارج إلى الحّج على سبيل الهُزْء والمجَانة، ومعه الخمر في الرَّوَايا عِوَضاً عن الماء ويسقيه الناس، كما يُفْعل بالماء في طريق مكّة[٢]. فلمّا كان في جُمَادى الآخرة خرج على عادته المذكورة، فاتّفق أنّ بعض الأتراك جرّد سيفاً في سَكْرته على بعض عَبِيد الشِّراء، فآجتمع عليه طائفة من العَبِيد فقتلوه؛ فآجتمع الأتراك بالمستنصر هذا وقالوا له: إن كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة، وإن كان عن غير رضاك فلا ترضَى بذلك، فأنكر المستنصر ذلك؛ فآجتمع جماعة من الأتراك وقتلوا جماعة من العَبيد بعد أن حصل بينهم وبين العبيد قتال شديد على كُوم شَرِيك[٣] وآنهزم العبيد من الأتراك. وكانت أم المستنصر تُعِين العبيدَ بالأموال والسّلاح؛ فظَفِر بعضَ الأيام أحدُ الأتراك بذلك، فجمع طائفةَ الأتراك ودخلوا على المستنصر وقاموا عليه وأغلظوا له في القول، فحلف لهم أنّه لم يكن عنده خبر. وصار السيف قائماً بينهم. ثمّ دخل المستنصر على والدته وأنكر عليها. ودامت الفتنة بين الأتراك والعَبيد إلى أن سَعَى وزير الجماعة أبو الفرج بن المغربيّ — وأبو الفرج[٤] هذا هو أوّل من وَلِي كتابة الإنشاء بمصر — ولا زال الوزير أبو الفرج هذا يسعَى بينهم حتى آصطلحوا صلحاً يسيراً، فاجتمع العبيد وخرجوا

---

(١) جب عميرة: محله اليوم القرية التي تعرف باسم «البركة» من قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية في الشمال الشرقي من القاهرة شرقي محطة المرج وبالقرب منها. عرفت قديماً باسم بركة الحجاج أو بركة الجب، نسبة إلى عميرة بن تميم التجيبي صاحب الجب المعروف باسمه في الموضع الذي يبرز إليه الحجاج عند خروجهم من مصر إلى مكة. (محمد رمزي) — وانظر خطط المقريزي: ١٦٣/٢، والانتصار: ٤٥/٥، وأخبار مصر للمسبحي: ٦٩ حاشية (١).

(٢) قارن بخطط المقريزي: ٤٨٩/١ و ١٦٣/٢، وأخبار مصر لابن ميسّر: ٢٤، ٢٥.

(٣) كوم شريك: هو اليوم إحدى قرى مركز كوم حمادة بمديرية البحيرة. عرف هذا الكوم بشريك بن سمي بن عبد يغوث بن جزء المرادي من الصحابة. وكان على مقدمة جيش عمرو بن العاص عند فتح الإسكندرية. (محمد رمزي، والخطط: ١٨٣/١) وفي تاريخ ابن الأثير وعبر الذهبي أن هذه الواقعة كانت على كوم الريش.

(٤) راجع ص ١٣ من هذا الجزء، حاشية (٢).

إلى شَبْرى دمنهور[١]. فكانت هذه الواقعة أوّل الاختلاف بديار مصر؛ فإنّه قُتل من[٢] الأتراك والعَبِيد خلائق كثيرة، وفسَدت الأمور فطَمِع كلّ أحد. وكان سبب كثرة السودَان ميلَ أمّ المستنصر إليهم؛ فإنّها كانت جاريةً سوداء لأبي سعد[٣] التُّسْتَرِي اليهودي. فلمّا ولي المستنصر الخلافة ومات الوزير صَفِي الدين[٤] الجَرْجَرَائي في سنة ستّ وثلاثين[٥] حكمت والدة المستنصر على الدولة، وآستوزرت سيّدها أبا سعد المذكور، ووزر لابنها المستنصر الفلّاحيّ، فلم يمش له مع أبي سعد حال؛ فآستمال الأتراك وزاد في واجباتهم حتّى قتلوا أبا سعد المذكور؛ فغضبت لذلك أم المستنصر وقتلت أبا منصور[٦] الفلّاحيّ، وشرعت في شراء العَبِيد السُّود، وجعلتهم طائفةً وآستكثرت منهم. فلمّا وقع بينهم وبين الأتراك قامت في نصرهم.

وقال الشيخ شمس الدين بن قزأوغلي في المرآة: «وكلّ هذه الأشياء كان آبن حَمْدان سببَها، ووافق ذلك آنقطاعَ النيل؛ وضاقت يد أبي هاشم محمد أميرِ مكّة بانقطاع ما كان يأتيه من مصر، فأخذ قناديلَ الكعبة وستورَها وصفائح الباب والمِيزاب، وصادر أهلَ مكّة فهربوا. وكذا فعل أمير المدينة مهنأ، وقطعا الخطبة للمستنصر، وخطبا لبني العباس الخليفة القائم بأمر الله، وبعثا إلى

(١) شبرى دمنهور: هي القرية التي تعرف اليوم باسم شبرى الخيمة إحدى قرى ضواحي مصر بمديرية القليوبية، وهي واقعة على فم الترعة الاسماعيلية في الشمال الغربي للقاهرة على النيل، وكانت تسمى قديماً شبرى دمنهور حيث يجاورها من الشمال قرية دمنهور شبرى التي تنسب إليها. وهذه اليوم أيضاً من ضواحي القاهرة. وشبرى الخيمة المذكورة تعرف عند سكان القاهرة باسم شبرى البلد تمييزاً لها من قسم شبرى أحد أقسام مدينة القاهرة. (محمد رمزي).

(٢) في الأصل: «بين الأتراك».

(٣) كذا في الاشارة إلى من نال الوزارة وأخبار مصر لابن ميسر. وهو أبو سعد إبراهيم بن سهل التستري. وفي الأصل: «أبو سعيد».

(٤) كذا أيضاً في أخبار مصر لابن ميسّر. والذي في الاشارة إلى من نال الوزارة: «صفي أمير المؤمنين أبو القاسم علي بن أحمد الجرجرائي».

(٥) كذا في الاشارة إلى من نال الوزارة في أكثر من موضع وابن خلكان في ترجمة الظاهر وابن ميسّر. وفي الأصل: «في سنة ست وثمانين» وهو تحريف.

(٦) هو أبو منصور صدقة بن يوسف الفلاحي كما في الاشارة إلى من نال الوزارة وأخبار مصر لابن ميسر. وفي الأصل: «أبا نصر. . .» وهو تحريف.

السلطان أَلْب أَرْسلان السّلْجُوقي حاكم بغداد بذلك، وأنهما أَذّنا بمكّة والمدينة الأذان المعتاد، وتركا الأذان بـ«حيّ على خير العمل»؛ فأرسل أَلْب أَرْسلان إلى صاحب مكّة أبي هاشم المذكور بثلاثين ألف دينار، وإلى صاحب المدينة بعشرين ألف دينار. وبلغ الخَبرُ بذلك المستنصرَ، فلم يلتفت إليه لشغله بنفسه ورعيّته من عِظَم الغلاء. وقد كاد الخراب أن يستولي على سائر الإقليم. ودخل آبن الفضل على القائم بأمر الله العبّاسي ببغداد، وأنشده في معنى الغلاء الذي شمل مصر قصيدة، منها: [الطويل].

وقـدْ علِم المصريُّ أنّ جنـوده سِنُو يوسف منها وطاعون عَمْوَاس
أحاطت به[1] حتى آستراب بنفسه وأوجس منهـا خِيفةً أي إيجـاس

قلت: وهذا شأن أرباب المناصب، إذا عُزِل أحدهم بآخر أراد هلاكه ولو هلك العالَم معه. وهذا البلاء من تلك الأيام إلى يومنا هذا.

ثمّ في سنة ستّ[2] وستين سار بدر الجمالي أمير الجيوش من عَكّا إلى مصر، ومعه عبد الله بن المستنصر بآستدعاء المستنصر بعد قتل آبن حمدان بمدّة. وآسم آبن حمدان الحسن بن الحسين بن حمدان أبو محمد التغلَبي الأمير ناصر الدولة ذو المجدين.

(١) كذا في عقد الجمان. وفي الأصل: «أقامت به...».
(٢) في عبر الذهبي أنه قدم سنة ٤٦٧هـ.

ذكر سبب قتل آبن حمدان المذكور

وسببه أنّه كان آبن حمدان آتّفق مع إلْدِكز التركيّ، وكان إلدكز تزوّج بابنته[١]، فآتفقا آتفاقاً كليّاً وتحالفا وأمِن أحدهما للآخر. ووصل ناصر الدولة إلى مصر ــ أعني بعد توجهه إلى الإسكندرية حسب ما ذكرناه ــ على طُمَأْنينة مرَتّباً للمواكب والعساكر، فركب إلْدِكز يوم الجمعة مستهلّ شهر رمضان في خمسين فارساً، وكان له غلام يقال له: أبو منصور كمشتكين[٢] ويلقّب حُسام الدولة، وكان يثق به، فقال له إلْدِكز: أريد أن أُطلعك على أمر لم أر له أهلاً غيرك؛ قال: وما هو؟ قال: قد علمتَ ما فعل آبن حمدان بالمسلمين من سفك الدماء والغلاء والجلاء، وقد عزمتُ على قتله، فهل فيك موافقة ومشاركة وأريح الإسلام منه؟ فقال نعم، ولكن أخاف أن يُفْلِت فتتبرّأ منّي؛ قال لا. وقصدوا آبن حمدان قبل أن يَلْحقه أصحابه وآستأذنوا عليه، فأذِن لهم فدخلوا والفرّاشون يُنَفِّضون البُسطَ ليقعد عليها آبن حمدان، وهو يتمشى في صحن الدار، ومشى إلْدِكز معه، ثم تأخّر عنه وضربه بـ «يافروت» كان معه، وهو سكّين مغربي في خاصرته، وضربه كمشتكين فقطع رجليه، فصاح: فعلتموها! فحزُّوا رأسه. وكان محمود بن ذبيان أمير بني سنْبس في خزانة الشّراب، فدخلوا عليه وقتلوه. ثم خرجوا إلى دار كان فيها فخر العرب[٣] آبن حمدان وقدشَرِب دواءً وعنده الأمير شاور فقتلوهما. وخرجوا إلى خيمة الأمير تاج المعالي بن حمدان أخي ناصر الدولة، وكان على عزم المسير إلى

(١) سيذكر في الصفحة ٩٢ من هذا الجزء أن ابن حمدان تزوج ببنت إلدكز.

(٢) في أخبار مصر لابن ميسّر أنه اتفق مع قائد آخر من كبار الترك يدعى «بلدكوز» ــ أخبار مصر: ص ٣٩؛ قارن أيضاً بابن الأثير: ٣٩٧/٨ ــ ٤٠١.

(٣) كذا أيضاً في ابن الأثير. وفي ابن ميسّر: «فخر الدولة». وهو أخو ناصر الدولة.

الصعيد، فهرب إلى خراب مقابل خيمته، فكَمَن فيه فرآه بعض العَبِيد فأعطاه مِعْضَدَة[١] فيها مائة دينار، وقال له: آكتُم علي؛. فأخذها العبد وجاء إلى إلْدِكز ونم عليه، فدخل وقتله. وآنهزم آبن أخي آبن المدبر[٢] في زِيّ المكِدِّين[٣] فأُخذ، وكان قد تزوّج بإحدى بنات نَزَار ابن المستنصر الخليفة، فقُطِع ذَكَرُه وجُعل في فمه ثمّ قُتل. وقطّع آبن حمدان قطعاً، وأنفذ كلّ قطعة إلى بلد. وجاؤوا إلى القصر إلى الخليفة المستنصر هذا ومعهم الرؤوس، وأرسلوا إلى الخليفة وقالوا: قد قتلنا عدوّك وعدوّنا، مَن أخرب البلاد وقتل العباد، ونريد من المستنصر الأموال. فقال المستنصر: أمّا المال فما ترك آبن حمدان عندي مالاً. وأمّا آبن حمدان فما كان عدوّي، وإنّما كانت الشِّحنة[٤] بينك وبينه يا إلْدِكز، فهَلكَت الدنيا بينكما، وإنّي ما آخترت ما فعلتَ من قتله ولا رضيتُه، وستعلم غِبّ الغَدْر، ونقض العهد. ووقع بينهما كلام كثير. وآل الأمر إلى بيع المستنصر قِطَعَ مَرْجَان وعُروضاً وحَمَلَ إلى إلْدكز ورُفْقتِه مالاً من أثمان ذلك وغيره. ثمّ علِم المستنصرُ أنّ أمره يؤول مع إلْدِكز إلى شرّ حال؛ فلذلك أرسل أحضر بَدْراً الجمالي المقدم ذكره. ولما حضر بدر الجمالي إلى مصر وجد إلْدِكز تغلّب عليها. [وكان إلدكز قد وصل][٥] إلى دِمياط وبها آبن المدبر،[٦] وكان قد هرب منه، فقتله وصلبه، وعاد إلى مصر، وآتفق مع بدر الجمالي وتحالفا وتعاهدا. فلم يكن إلاّ مدّة يسيرة وقبَض بدر الجمالي على إلْدكز وأهانه وعذّبه وطالبه بالمال؛ فلم يُظهر سوى آثني عشرَ ألفَ دينار، وكان له من الأموال والجواهر شيء كثير إلاّ أنّه لم يُقِرّ به، فقتله بدر الجمالي، وقيل: هرب إلى

---

(١) المعضدة: كيس تجعل فيه الدراهم. وسميت بذلك لأنها تشدّ على العضد.

(٢) ابن المدبر: هو الوزير أبو الفضل عبد الله بن يحيى بن المدبر

(٣) أي السائلين.

(٤) أي العداوة.

(٥) زدنا هذه العبارة بين معقوفين حتى يستقيم السياق ويصبح مفهوماً. وعبارة الأصل: «... وجد إلدكز تغلّب عليها. ووصل إلى دمياط... الخ».

(٦) المراد هنا ابن أخي ابن المدبر المذكور أعلاه. لأن ابن المدبر (عبد الله بن يحيى بن المدبر الوزير) كان قد توفي سنة ٤٥٥هـ.

الشام.[١] وأخذ بدر الجمالي في إصلاح أمور الديار المصريّة: اِنتزع الشرقية من أيدي عرب لواتة وقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر أمراءهم وأخذ منهم أموالاً جمة وعمر الريف فرخُصت الأسعار ورجعت إلى عادتها القديمة. ثم أخذ الإسكندرية وسلّمها إلى القاضي آبن المحيرق. وأصلح أموال الصعيد وآستدعى أكابرهم إليه، فجاءه منهم الكثير. وصَلح الحال لهلاك الأضداد، ورُفِعت الفتن، وآنفرد أمير الجيوش بدر الجمالي بالأمر إلى أن مات في خلافة المستنصر. وتولّى بعده آبنه الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي المذكور. ويأتي ذكر ذلك وغيره مما ذكرنا من الغلاء والفناء والحروب في الحوادث المتعلّقة بالمستنصر من سنين خلافته على سبيل الاختصار، كما هو عادة هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

ودام المستنصر في الخلافة وهو كالمحجوز عليه مع بدر الَجمالي؛ ثم من بعده مع ولده الأفضل شاهنشاه إلى أن تُوُفّي بالقاهرة في يوم عيد الفطر، وهو يوم الخميس سنة سبع وثمانين وأربعمائة. وبايع الناس آبنَه أحمد من بعده، ولُقِّب بالمستعلي بالله. وقام الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي بتدبير ملكه. وقد تقدّم مدّة إقامة المستنصر في الخلافة، وكم عاش من السنين في أول ترجمته فيطلب هناك.

وممّا رثِي به المستنصر قول حظّي الدولة أبي المناقب عبد الباقي بن عليّ التنوخي[٢] الشاعر: [الطويل].

---

(١) ننقل فيما يلي ملخصاً ما ذكره ابن ميسَّر عن قدوم بدر الجمالي إلى مصر واستتباب الأمور له، فهو أوضح في المقام وأكثر غنى بالمادة التاريخية:

ولما قتل ابن حمدان استطال إلدكز والأتراك والوزير ابن أبـي كدينة على المستنصر، فضاق ذرعه وبعث إلى أمير الجيوش يحسّن له ان يكون المتولي، فأجابه بشرط أن يستقدم معه عسكراً ولا يبقي على احد من عساكر مصر ــ يعني الأتراك ــ فأجابه المستنصر إلى ذلك. وسار أمير الجيوش من عكا ونزل في دمياط. ثم دخل القاهرة عشية يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ٤٦٦هـ.

فما لبث أن سيّر كل أمير من أمرائه إلى قائد من قواد الدولة ليلاً وأمره ان يأتيه برأسه، فاصبح وقد حضره من رؤوس أمراء الدولة شيء كثير. وقبض على الأتراك فقويت شوكته وعظم أمره؛ وقتل من أماثل المصريين وحكامهم ووزرائهم جماعة منهم: الوزير ابن أبـي كدينة، والوزير ابو المكارم أسعد بن عقيل، والوزير أبو شجاع محمد بن الأشرف أبـي غالب محمد بن علي بن خلف، والوزير أبو العلاء عبد الغني بن نصر بن سعيد الضيف، وجماعة كثيرة. (أخبار مصر: ٤٠ ــ ٤١).

(٢) ترجمته في خريدة القصر (قسم مصر) للعماد الأصفهاني: ٢/٥٢ ــ ٥٣.

وليس رَدَى المستنصر اليوم كالرَّدَى ... ولا أمرُه[١] أمرٌ يقاسُ به أمرُ
لقد هاب مَلْكُ الموت إتيانه ضُحًى ... ففاجأه ليلاً ولم يطلع[٢] الفجرُ
فأجرى عليه حين مات دموعنا ... سماء فقال الناس لا[٣] بل هو القطر
وقد بكت الخنْساء صخراً وإنّه ... ليبكيه من فرط المصاب به الصخرُ
وقَلَّدَها المستعليَ الظُّهرَ حَسْبَ ما ... عليه قديماً نصَّ والدُه الطُّهرُ

* * *

السنة الأولى من خلافة المستنصر مَعَدّ على مصر

وهي سنة ثمانٍ وعشرين وأربعمائة.

فيها في المحرّم خلَع الخليفة القائم بأمر الله على الأفضل أبي تمّام محمد بن محمد بن علي الزينبي الحنفي العلوي وفوّض إليه نقابةَ الهاشميِّين والصلاة، وأمره بآستخلاف أبي منصور محمد على ذلك؛ وأحضر الخليفة القضاة والأعيان وقال لهم: قد عوّلنا على محمد بن محمد بن على الزينبي في نقابة أهله من العباسيّين رعايةً لحقوقٍ سالفة. فقبّل أبو تمام الأرض؛ وخلع عليه السَّوَاد والطيلسان، ولقب عميد الرؤساء.

وفيها لم يحجّ أحد من العراق. وحجّ الناس من مصر وغيرها.

وفيها تُوفّي أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حَمْدان، الإمام العلاّمة أبو الحسين الحنفي الفقيه البَغْدادي المشهور بالقُدُورِي. قال أبو بكر الخطيب: لم يحدّث إلاّ شيئاً يسيراً؛ كتبتُ عنه، وكان صَدُوقاً، انتهت إليه بالعراق رياسة أصحاب أبي حنيفة، وعظُم [عندهم] [٤] قدره وآرتفع جاهُه؛ وكان حسنَ العبارة في النظر[٥]، جريءَ اللسان مُدِيماً للتلاوة. قلت: والفضل ما شَهِدت به الأعداء،

(١) في ابن ميسّر: «قدره». وفي كنز الدرر: «رزؤه».
(٢) في ابن ميسّر: «وما طلع».
(٣) ساقطة من المصدر السابق.
(٤) زيادة عن تاريخ بغداد.
(٥) في الشذرات: «في النظم».

ولولا أنّ شأن هذا الرجل كان قد تجاوز الحدّ في العلم والزّهد ما سلم من لسان الخطيب، بل مدحه مع عِظَم تعصُّبه على السادة الحنفية وغيرهم؛ فإنّ عادته ثَلْمُ أعراض العلماء والزّهّاد بالأقوال الواهية، والروايات المنقطعة، حتّى أشحن تاريخه من هذه القبائح. وصاحب الترجمة هو مصنف «مختصر القُدُوري» في فقه الحنفية، و «شرح مختصر الكَرْخي» في عدّة مجلّدات، وأملى «التجريد في الخلافيات» أملاه في سنة خمس وأربعمائة، وأبان فيه عن حفظه لما عند الدارَقُطْني من أحاديث الأحكام وعِلَلها، وصنّف كتاب «التقريب الأول» في الفقه في خلاف أبي حنيفة وأصحابه في مجلد، و «التقريب الثاني» في عدّة مجلّدات. وكانت وفاته في منتصف[1] رجب من السنة. ومولده سنة آثنتين وستين وثلاثمائة. وقد روينا جزأه المشهور عن الشيخ رضوان بن محمد العُقْبي،[2] عن أبي الطاهر بن الكُوَيك[3] عن محمد بن[4] البَلَوي، انا[5] عبد الله بن عبد الواحد بن عَلّاق، انا فاطمة بنت سعد الخير الأنصارية، انا أبو بكر بن أبي طاهر، انا العلّامة أبو الحسين القُدُورِي، رحمه الله تعالى.

وفيها تُوفّي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، الرئيس أبو علي، صاحب الفلسفة والتصانيف الكثيرة. كان إمام عصره في الحكمة وعلوم الأوائل، بل كان إماماً في سائر العلوم. وتصانيفه كثيرة في فنون العلوم، حتّى قيل عنه: إنّه ليس في الإسلام مَنْ هو في رتبته. قال أبو عبد الله الذهبي: كان آبن سينا آيةً في الذكاء، وهو رأس الفلاسفة الإسلاميين الذين مَشَوْا خلفَ العقول، وخالفوا الرسول ــ قلت: لم يكن آبن سينا بهذه المثابة بل كان حنفي المذهب، تفقّه على الإمام أبي بكر بن أبي عبد الله الزاهد الحنفي ــ وتاب في مرض موته، وتصدّق بما

---

(١) في تاريخ بغداد وعقد الجمان وشذرات الذهب: «الخامس من رجب».

(٢) وهو أحد شيوخ السخاوي؛ وقد ترجم له في الضوء اللامع: ٣/٢٢٦.

(٣) هو أبو الطاهر محمد بن محمد بن عبد اللطيف بن أحمد المعروف بابن الكويك الربعي المتوفى سنة ٨٢١هـ. (الضوء اللامع: ٩/١١١).

(٤) هو محمد بن محمد بن ميمون البلوي المتوفى سنة ٧٨٧هـ. كما في شذرات الذهب.

(٥) قوله «انا» مصطلح حديثي يعني أخبرنا، ومثلها «ثنا» يعني حدثنا، و«ثني» يعني حدثني... الخ.

كان معه، وأعتق مماليكه، وردّ المظالم على من عرفه، وجعل يَخْتِم في كلّ ثلاثة أيام ختمة إلى أن تُوفّي يوم الجمعة في شهر رمضان. قلت: ومَن يمشي خلف العقول، ويخالف الرسول، لا يُقلد الأحكام الشرعية، ولا يتقرب بتلاوة القرآن العظيم.

وفيها تُوفّي محمد بن أحمد بن أبي موسى، أبو عليّ الهاشمي البغدادي شيخ الحنابلة وعالمهم، وصاحب التصانيف الكثيرة. مات في شهر ربيع الاخر.

وفيها تُوفّي مِهْيار بن مَرْزويه الدّيْلَميّ، أبو الحسن[١] الكاتب الشاعر المشهور، كان مجوسيّاً فأسلم على يد الشريف الرضي، وهو أستاذه في الأدب والنّظْم والتشيُّع. اشتغل حتّى مَهَر في الأدب والكتابة والتشيُّع حتّى صار من كبار الشعراء الروافض[٢]. قال أبو القاسم[٣] بن بَرْهَان النحويّ: كان مجوسياً فأسلم في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة؛ فقلت له: يا أبا الحسن، آنتقلتَ [بإسلامك][٤] من زاوية في جهنّم؛ قال: وكيف؟ قلت: لأنّك كنتَ مجوسياً ثمّ صرتَ تتعرّض لأصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ والمجوسيّ والرافضي في النار. انتهى. قلت: وأمّا شعر مهْيار ففي غاية الجَوْدة. فمن ذلك قوله: [البسيط]

أستنجد الصبرَ فيكم وهو مغلوبُ وأسأل النوم عنكم وهو مسلوبُ
وأبتغي عندكم قلباً سمَحت به وكيف يُرْجَع شيء وهو موهوبُ

وله في إنجاز وعد: [الطويل]

أظلّت علينا منك يوماً غمامة أضاء لها برق وأبطا رَشاشُها
فلا غَيْمها يُجْلَى فييأسَ طامع ولا غَيْثها يأتي فيُروَى عِطاشُها

وفيها توفّي الحسن بن عبد الله بن حَمْدان، ناصر الدولة أبو المُطاع التّغْلَبيّ،

---

(١) كذا أيضاً في المنتظم والشذرات. وفي ابن خلكان: «أبو الحسين».
(٢) في الأصل: «الرفض».
(٣) هو أبو القاسم عبد الواحد بن علي، ابن برهان الأسدي العكبري المتوفى سنة ٤٥٦هـ. عالم بالأدب والنسب، من أهل بغداد. (الأعلام: ٤/ ١٧٦).
(٤) زيادة عن المنتظم. ومكانها في ابن خلكان: «بأسلوبك».

ويعرف بذِي القَرْنين ووجيه الدولة[١]. ولِيَ إمْرة دِمَشق للحاكم بأمر الله ثمّ عُزِل عَنها بلؤلؤ، ثمّ أعيد إليها سنة خمس عشرة وأربعمائة من قِبَل الظاهر بن الحاكم؛ ومات بها وقيل بمصر. وكان شاعراً أديباً شجاعاً فصيحاً. ومن شعره: [الرمل]

مُوعِدي بالبَيْن ظَنّا[٢] ... أنني بالبين أشقى
ما أرَى بين مماتي ... وفِراقي لكَ فَرْقا
لاتُهدِّدني ببَيْن ... لستُ منه أتَوَقّى
إنّما يشقَى ببَينٍ ... منكَ مَنْ بعدَكَ يَبْقَى

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع وثماني عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعاً وتسع أصابع.

* * *

السنة الثانية من خلافة المستنصر مَعَدّ على مصر

وهي سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

فيها تُوفّي عبد الرحمن بن عبد الله بن عليّ، أبو عليّ العدل، ويُعرف بآبن أبي العجائز؛ ولد سنة أربعين وثلاثمائة بدمشق وبها مات في المحرّم؛ وكان ثقةً سمع الحديث ورواه؛ روى عنه غير واحد؛ قال: وحدّثنا محمد بن سليمان الرَّبعي عن محمد بن تَمام الحرّاني، عن محمد بن قُدَامة قال: أتينا سفيان بن عُيَيْنَة فحُجِبْنا[٣]، فجاء خادم لهارون الرشيد يقال له حسين في طلبه فأخرجه، فقمنا إليه فقلنا: أمّا

(١) كذا في الأصل وفي طبعة دار الكتب المصرية. وصوابه أن يقول: «وفيها توفي أبو المطاع التغلبي، ويعرف بذي القرنين ووجيه الدولة، ابن الحسن بن عبد الله بن حمدان». والحسن بن عبد الله بن حمدان هو أبو محمد، وهو أخو سيف الدولة وأكبر منه. توفي سنة ٣٥٨هـ. (انظر ابن خلكان: ٢/٢٧٩، وشذرات الذهب: ٣/٢٣٨، ويتيمة الدهر: ١/٩١).

(٢) في الأصل: «موعدي بالبين فلقى» وما أثبتناه من طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان.

(٣) في الأصل: «فحججنا». والتصويب من طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان.

أهل الدنيا فيصلُون إليك، وأمّا نحن فلا نصل! فنظر إلينا وقال: لا أفلح صاحبُ عِيال؛ ثم أنشد: [البسيط]

اعَملْ بعلمي ولا تنظُرْ إلى عملي ينفَعْك علمي ولا يضرُرْك تقصيري

ثم قال: بم تُشبِّهون قوله عليه [الصلاة و] السلام إخباراً عن ربّه تعالى: «ما أشغَلَ عبدي ذكرى عن مسألتي إلاّ أعطيتُه أفضلَ ما أُعطي السائلين»؟ فقلنا: قل يرحمك الله؛ فقال قول القائل: [الكامل ـ مجزوء]

وفتى[١] خـلا من مـالـه ومن المـروءة غيرُ خـال
أعـطاك قـبـل سـؤالـه وكـفـاك مكـروهَ السـؤال

وفيها تُوفّي أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله العَلَوِيّ الطَّلَمَنْكِي[٢] الحافظ؛ كان إماماً حافظاً محدّثاً. مات في ذي الحجة وله تسعون سنة.

وفيها تُوفّي الحسن بن عليّ بن الصَّقر[٣]، الإمام الكاتب المقرىء صاحب زيد بن أبي بلال الكـوفيّ؛ كان فاضلاً قرأ القراءات بالرّوايات وبرَع في فنون.

وفيها تُوفّي أبو الوليد يُونُس بن عبد الله بن محمد بن مُغيث المقرىء القُرْطبي الفقيه المعروف بآبن الصفّار قاضي الجماعة، كان من أوعية العلم؛ كان فقيهاً محدِّثاً عالماً زاهداً. مات في شهر رجب.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وخمس أصابع. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعاً وعشرون إصبعاً.

* * *

(١) في الأصل: «وفي حلا» وهو تحريف. والتصحيح عن المرجع السابق.
(٢) الطلمنكي: بفتح الطاء واللام والميم وسكون النون. نسبة إلى طلمنكة بالأندلس. بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن. وبينها وبين وادي الحجارة عشرون ميلاً. (صفة جزيرة الأندلس: ١٢٨، ومعجم البلدان: ٤/٣٩) وذكره صاحب كشف الظنون باسم «أبي عمر أحمد بن عبد الله بن طالب الطلمنكي، ويقال الشلمنكي، المتوفى سنة ٤٤٦هـ».
(٣) في الأصل: «الصفر» بالفاء الموحدة. والتصحيح عن تاريخ الإسلام للذهبي وتاريخ بغداد.

السنة الثالثة من خلافة المستنصر مَعَدّ على مصر

وهي سنة ثلاثين وأربعمائة.

فيها سأل جلال الدولة الخليفة القائم بأمر الله أن يلقّب آبنه لقباً، فلقّبه «الملك العزيز» وكان مقيماً بواسط. قلت: وهذا أوّل لقب سمعناه من ألقاب ملوك الأتراك وغيرهم من ملوك زماننا.

وفيها آستولى بنو سَلْجُوق على خُراسان والجبال، وهرب منهم السلطان مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكِين إلى غَزْنة، وآقتسموا البلاد. وهذا أوّل ظهور[1] بني سَلْجُوق الآتي ذكرهم في عدة أماكن. وأصلهم أتراك من [ما] وراء النهر، فزوّج سلجوق آبنته من رجل يُعرف بعلي تَكين، فأفسدوا على محمود بن سُبُكْتِكين البلاد بالنهب والغارات، فقصدهم محمود بن سُبُكْتِكِين فقبض على سلجوق المذكور وهرب علي تكين وطُغْرُلْبَك، وآسمه محمد بن ميكائيل بن سلجوق، وبقي طُغْرُلْبَك في أربعة آلاف خركاه[2]، إلى أن تُوفّي محمود بن سبكتِكين، وآشتغل آبنه مسعود بن محمود بن سبكتكين باللهو. فصار أمر طُغْرُلْبَك ينمو إلى مسعوداً وهزمه وآستولى على خُراسان، وولّى أخاه داود مَرْو وسَرْخَس وبَلْخ، وولّى آبن عمّه الحسن بن موسى هَرَاة وبُوشَنْج وسِجِسْتان. وولّى أخاه لأمّه إبراهيم ينال دِهِستان. وعظُم أمر طُغْرُلْبَك إلى أن كان من أمره ما سنذكره في عدّة أماكن إن شاء الله تعالى.

وفيها تُوفّي أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مِهْران، الحافظ أبو نُعَيم الأصبهاني الصوفي والأحول سبط الزاهد محمد بن يوسف البناء؛ كان أحد الأعلام؛ جمع بين علو الرواية وكثرة الدّراية، ورُحِل إليه من الأقطار، وألحق الصغار بالكبار؛ وولِد سنة ستّ وثلاثين وثلاثمائة بأصبهان. وآستجاز له أبوه طائفة من شيوخ العصر حتّى تفرّد في آخر عمره في الدنيا عنهم.

---

(١) عن ابتداء أمر السلاجقة انظر: ابن الأثير: ٨/٢٣٦ ــ ٢٤٣، وأخبار الدولة السلجوقية: ١ ــ ١٨، والفخري: ٢٩٢، ومعجم زامباور: ٣٣٣ ــ ٣٣٥.

(٢) الخركاه: الخيمة. والمراد هنا: في أربعة آلاف بيت أو عائلة.

وفيها تُوفّي عبد الملك[١] بن محمد بن عبد الله، الشيخ أبو القاسم البغدادي الواعظ. كان مُسنِد العراق في زمانه؛ سمع الحديث وروى الكثير. قال أبو بكر الخطيب: كتبنا عنه وكان ثقة ثَبتاً صالحاً؛ وُلِد في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة.

وفيها تُوفّي موسى بن عيس بن أبي حاجّ الفاسي، المقرىء الإمام أبو عمران، الفاسي الدار الغَفَجُوميّ[٢] النسب ـ وغَفَجُوم: قبيلة من زَنَاتَة ـ البربري الفقيه المالكي نزيل القَيْرَوان وإليه آنتهت رياسة العلم بها. تفقّه على أبي الحسن[٣] القابسي وهو أجل أصحابه؛ ودخل الأندلُس فتفقه على أبي محمد[٤] الأَصِيليّ، وسمع وحدّث وحجّ غير مرّة، وكان من كِبار العلماء.

وفيها تُوفّي الفضل بن منصور، أبو الرضا البغدادي المعروف بآبن الظّريف؛ كان شاعراً أديباً.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وست أصابع مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الرابعة من خلافة المستنصر مَعَدّ على مصر

وهي سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة.

فيها تُوفّي محمد بن عليّ بن أحمد بن يعقوب بن مَرْوان، القاضي أبو العلاء الواسطيّ؛ أصله من فم الصِّلح، ونشأ بمدينة واسط. وكان فقيهاً فاضلاً محدّثاً؛ سمع الحديث، ووِلي القضاء. ومات ببغداد في جُمَادى الآخرة من السنة.

---

(١) سيذكره في وفيات سنة ٤٥٧هـ.

(٢) كذا أيضاً في نفح الطيب وشذرات الذهب والأعلام. وفي معجم البلدان: «الغفجموني، نسبة إلى غفجمون». وسيذكره المؤلف في وفيات سنة ٤٥٧هـ.

(٣) هو أبو الحسن علي بن محمد المعافري القابسي المتوفى سنة ٤٠٣هـ (الأعلام: ٣٢٦/٤).

(٤) هو عبد الله بن إبراهيم بن محمد، أبو محمد الأموي المعروف بالأصيلي ـ نسبة إلى أصيلة بالمغرب ـ المتوفى سنة ٣٩٢هـ. (الأعلام: ٦٣/٤).

وفيها تُوفّي محمد بن الفضل بن نظيف، أبو عبد الله المصري الفرّاء مُسنِد الديار المصريّة في زمانه؛ سمع الكثير وتفرّد بأشياء، وروى عنه خلائقُ كثيرة. ومات في شهر ربيع الآخر، وله تسعون سنة.

وفيها شَغَب الأتراك وخرجوا بالخِيَم [إلى شاطىء دِجْلة][١] وشكَوْا من تأخّر النفقة ووقوع الاستيلاء على إقطاعاتهم، [فَعَرف السلطان هذا][٢]، فكاتب دُبَيْس [ابن علي][٣] بن مَزْيد [و][٣] أبا الفتح [بن ورّام][٣] وأبا الفوارس بن سعد؛[٤] ثمّ كتب إلى الأتراك يلومهم. وحاصل الأمر أنّ الناس ماجوا وآنزعجوا، ووقع النهب وغلت الأسعار وزاد الخوف، حتّى إنّ الخطيب صلّى صلاة الجمعة بجامع بَرَاثا وليس وراءه إلا ثلاثة أنفس؛ ونُودي في الجمعة المقْبلة: مَن أراد الصلاة بجامع بَرَاثا فكلّ ثلاثة أنفس بدرهم خفارة.

وفيها تُوفّي القاضي أبو العلاء صاعد بن محمد بن أحمد، الفقيه الاستوائي[٥] الحنفي قاضي نيسابور وفقيهها وعالمها؛ كان إماماً فقيهاً عالماً عفيفاً ورِعاً كثير العلم؛ كان المعول على فتواه بنيسابور في زمانه. ومات في هذه السنة. قاله الذهبي رحمه الله.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي القاضي أبو العلاء صاعد بن محمد بن أحمد الفقيه الاستوائي الحنفي قاضي نيسابور وفقيهها، والقاضي أبو العلاء محمد بن علي الواسطي المقرىء وأبو الحسن محمد بن عَوْف المُزَني في [شهر] ربيع الآخر، وأبو عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف المصريّ

---

(١) زيادة عن المنتظم.
(٢) زيادة عن المنتظم والذهبي. والمراد به جلال الدولة.
(٣) زيادة عن المنتظم والذهبي.
(٤) في الأصل: «ابن سفري» والتصحيح عما سبق.
(٥) نسبة إلى «أستوا» من نواحي نيسابور. وضبطها في ابن خلكان وأنساب السمعاني بضم الألف وسكون السين وضم التاء المثناة، وقيل بفتح التاء.

الفرّاء في [شهر]ربيع الآخر، وله تسعون سنة، وأبو المعمَّر مُسَدَّد بن عليّ الأُمْلُوكي[١] خطيب حِمْص.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وعشر أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وعشر أصابع.

* * *

السنة الخامسة من خلافة المستنصر مَعَدّ على مصر

وهي سنة آثنتين وثلاثين وثلاثمائة.

فيها آتّفق جلال الدولة مع قِرْوَاش وتحالفا وسكنت الفتنة بينهما.

وفيها تُوفّي القاضي أبو العلاء صاعد المقدّم ذكره في السنة الماضية، في قول صاحب مرآة الزمان.

وفيها تُوفّي أبو بكر محمد بن عمر بن بُكَير[٢] بن النّجّار؛ كان إماماً عالماً محدّثاً. مات في هذه السنة.

وفيها تُوفّي عبد الباقي بن محمد الحافظ أبو القاسم الطحّان؛ كان إماماً فاضلاً فقيهاً محدّثاً. مات ببغداد في جمادى الأولى من هذه السنة.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي الحافظ أبو العبّاس جعفر بن محمد بن المعتزّ المستغفِريّ، وأبو القاسم عبد الباقي بن محمد الطحّان ببغداد في جمادى الأولى، وأبو بكر محمد بن عمر بن بُكَيْر النجّار.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وعشر أصابع مثل الخالية. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وعشرون إصبعاً.

* * *

(١) الأملوكي: بضم الألف وسكون الميم وضم اللام. نسبة إلى أملوك، وهو بطن من ردمان؛ وردمان بطن من رعين. (أنساب السمعاني).

(٢) كذا في الأصل والذهبي. وفي تاريخ بغداد: «عمر بن بكر». وفي الشذرات: «عمر بن نكير» بالنون الموحدة.

السنة السادسة من خلافة المستنصر مَعَدّ على مصر

وهي سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة.

فيها تُوفّي محمد بن جعفر [بن الحسين، المعروف بالجهرمي][(١)] أبو الحسين البغداديّ المقرىء؛ كان فاضلاً قارئاً أديباً شاعراً محدّثاً. ومن شعره: [الكامل]

يا ويحَ قلبي من تقلُّبِه ... أبداً يحِنُّ إلى مُعَذِّبِهِ
قالوا كتمتَ هواه عن جَلَدٍ ... لو كان لي جلدٌ لبُحْتُ بهِ

وفيها تُوفّي السلطان مسعود ابن السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين، أبو سعيد صاحب خُراسان وغَزْنة وغيرهما. كان مَلِكاً عادلاً حسن السِّيرة في الرعيّة؛ سلك طريق أبيه في الغزو وفتح البلاد، إلّا أنّه كان عنده محبّة في اللهو والطَّرَب. وكان وَلِي المُلك بعد موت أبيه السلطان محمود في ذي الحجّة سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، فكانت مدّة حكمه[(٢)] على بلاد الهند وغيرها اثنتي عشرة سنة إلّا أشهراً.

فيها تُوفّي الأمير أَنُوشْتِكِين الدِّزْبِريّ[(٣)]، قسِيم الدولة نائب الشام للمستنصر صاحب الترجمة؛ كان خَصِيصاً عند المستنصر يندُبه إلى المهمّات؛ وكان شجاعاً مِقْداماً عظيّم الهيبة حسنَ السياسة؛ طرد العرب من الشام وأباد المفسدين، ومهّد أمور الشام حتى أَمِنت السُّبل في أيّامه. وقد قدّمنا من ذكره نبذة في ترجمة المستنصر في هذا المحلّ. ولمّا مات وَلِيَ دمشق بعده الأمير ناصر الدولة الحسن بن الحسين ابن عبد الله بن حَمْدان.

وفيها تُوفّي الأمير أبو جعفر علاء الدولة بن كَاكَوَيْه[(٤)] صاحب أصبهان. ووَلِيَ بعده منصور[(٥)]، وأقام الدعوة والسِّكة للمَلك أبي كَالِيجَار في جميع بلاد أبيه.

(١) زيادة عن البداية والنهاية.
(٢) في الأصل: «تحكمه».
(٣) راجع الحاشية (٤) ص ٢٥٢ من الجزء الرابع.
(٤) في الأصل: «كالويه» وهو تحريف. والتصحيح عن ابن الأثير. قال ابن الأثير: هو علاء الدولة، أبو جعفر بن دشمنزيار المعروف بابن كاكويه؛ وإنما قيل له كاكويه لأنه ابن خال مجد الدولة بن بويه، والخال بلغتهم كاكويه. ــ وفي معجم زامباور هو محمد بن كاكويه.
(٥) عبارة ابن الأثير: «وقام بأصبهان ابنه ظهير الدين أبو منصور فرامرز مقامه وهو أكبر أولاده».

وفيها تُوفّي سعيد بن العبّاس، الحافظ أبو عثمان القرشيّ الهَرَوِيّ؛ كان إماماً فاضلاً محدّثاً فقيهاً. مات في المحرّم من هذه السنة.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وسبع عشرة إصبعاً.

* * *

السنة السابعة من خلافة المستنصر مَعَدّ على مصر

وهي سنة أربع وثلاثين وأربعمائة.

فيها ورد الخبر من تِبْريز[١] أنّ زلزلة عظيمة وقعت بها هدمت قلعتها وسورها وكثيراً من دُورها ومساكنها، ونجا أميرها بنفسه. وأُحصي مَن مات تحت الهدم فكانوا خمسين[٢] ألفاً؛ ولَبِس الناس بها السّواد وجلسوا على المُسُوح لِعظَم هذه المصيبة. ثمّ زلزلت تَدْمُر[٣] أيضاً وبَعْلَبَكّ[٤]، فمات تحت الهدم معظم أهل تَدْمُر.

وفيها تُوفّي حمزة بن الحسن بن العبّاس، الشريف العَلَويّ، أبو يَعْلَى فخر الدولة. ولِيّ قضاء دمشق عن الظاهر العُبَيْدي، وهو الذي أجرى الفَوّارة[٥] بجَيْرُون، وبني قيساريّة[٦] الأشراف وتُعرف بالفخريّة. قال الشريف أبو الغنائم عبد الله بن الحسين: أنشدني لقُسّ بن ساعدة في النجوم: [الكامل]

(١) تبريز: أشهر مدن أذربيجان.
(٢) كذا أيضاً في ابن الأثير والبداية والنهاية. وفي شذرات الذهب: «أكثر من أربعين ألفاً».
(٣) تدمر: مدينة قديمة مشهورة في برية الشام شمال شرقي دمشق.
(٤) بعلبك: مدينة قديمة مشهورة. فيها آثار رومانية باقية إلى اليوم. وتقع شمال شرقي دمشق، في وادي البقاع اللبناني.
(٥) قال ياقوت: «إن باباً من أبواب الجامع بدمشق، وهو بابه الشرقي، يقال له باب جيرون، فيه فوارة ينزل عليها بدرج كثيرة في حوض من رخام، وقبة خشب يعلوها ماء نحو الرمح» ـ معجم البلدان: ١٩٩/٢.
(٦) في الأصل: «قيسارية بالأسواق». والتصحيح عن عقد الجمان وطبعة دار الكتب المصرية.

علمُ النجوم على العقول وبالُ وطِلابُ شيء لا يُنال ضلالُ
ماذا طِلابك علْمَ شيء أُغلقت من دونه الأبواب والأقفال
افهم فما أحد بغامض فِطْنَة يَدْري متى الأرزاقُ والآجال
إلَّا الذي من فوق سبع عرشُهُ فلوجهه الإكرام والإفضال

وفيها تُوفّي عُبَيْد الله[١] بن هشام بن سِوَار، أبو الحسين، من أهل دَارَيّا بدمشق؛ كان إماماً فاضلاً متديّناً.

وفيها تُوفّي عبد[٢] بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن غُفَيْر[٣]، أبو ذَرّ الأنصاريّ الهَرَوِيّ المالكيّ الحافظ؛ كان يُعرف في بلده بآبن السمّاك؛ سمِع الحديث ورَحل [إلى] البلاد؛ وكان إماماً عالماً فاضلاً سخيّاً صوفيّاً. قال القاضي عِيَاض: ولأبي ذرّ كتاب كبير مُخرّج[٤] على الصحيحين [و] «كتاب السنة والصفات». رحمه الله تعالى.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وسبع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وست عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثامنة من خلافة المستنصر مَعَدّ على مصر

وهي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة.

فيها لم يحجّ أحد من العراق. وحجّ الناس من مصر وغيرها.

وفيها تُوفّي الحسين بن عثمان بن أحمد[٥] بن سهل بن أحمد بن عبد العزيز

(١) كذا في المشتبه وتاريخ الإسلام للذهبي. وفي الأصل: «عبد الله».

(٢) كذا في المشتبه وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب. وفي الأصل: «عبد الله بن أحمد».

(٣) في الأصل: «غفير» بالعين المهملة. والتصحيح عما سبق.

(٤) في الأصل: «فخرج فيه على الصحيحين» وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام. وعبارة الشذرات: «وصنَّف مستخرجاً على الصحيحين».

(٥) في البداية والنهاية: «ابن عثمان بن سهل بن أحمد...».

أبـي دُلَف، أبو سعد العِجْليّ؛ كان إماماً محدّثاً؛ سافر إلى خُراسان ثمّ عاد إلى بغداد وحدّث بها، ثم آنتقل إلى مكّة فتُوفّي بها في شوّال.

وفيها تُوفّي عُبَيد[١] الله بن أحمد بن عثمان بن الفرج بن الأزهر، أبو القاسم[٢] الصَّيْرَفيّ[٣] المحدّث؛ كان صالحاً ثقةً مكثراً في الحديث.

وفيها تُوفّي السلطان أبو طاهر، جلال الدولة بن بهاء الدولة فيروز بن عَضُد الدولة بُوَيْه بن ركن الدولة الحسن بن بويه. وُلد سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة. وكان ملِكاً محبّباً للرعيّة حسن السيرة، وكان يُحِبّ الصالحين. ولقِي في سلطنته من الأتراك شدائد. ومات ليلة الجمعة خامس شعبان، وغسّله أبو القاسم بن شاهين الواعظ وأبو محمد عبد القادر بن السمّاك، ودُفن بداره في دار المملكة في بيت كان دُفِن فيه عَضُد الدولة وبهاء الدولة قبل نقلهما إلى الكوفة، ثم نُقِل بعد سنة إلى مقابر قريش. وكان عمره لمّا مات إحدى وخمسين سنة وشهراً؛ ومدّة ولايته على بغداد ستّ عشرة سنة وأحد عشر شهراً. ولمّا مات كان آبنه الملقّب بالملك العزيز بواسط، فكتب إليه الخليفة القائم بأمر الله يُعزيه فيه. قلت: وجلال الدولة هذا أحسن بني بويه حالاً إن لم يكن رافضياً على قاعدتهم النَّجِسة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وآثنتان وعشرون إصبعاً. مبلـغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وستّ أصابـع.

* * *

(١) كذا أيضاً في شذرات الذهب. وفي البداية والنهاية: «عبد الله بن أحمد بن عثمان» وفي ابن الأثير: «عبد الله بن عبد الله بن أحمد...».

(٢) في الشذرات: «أبو القَسَم».

(٣) في الأصل: «السيرافي» وهو تحريف. والتصحيح عن المراجع أعلاه، بالإضافة إلى المنتظم وعقد الجمان وتاريخ الإسلام.

السنة التاسعة من خلافة المستنصر مَعَدّ على مصر

وهي سنة ست وثلاثين وأربعمائة.

فيها دخل أبو كاليجار بغداد ولم يخرج الخليفة القائم بأمر الله إلى لقائه، فنزل في دار المملكة وأخرج منها عيال جلال الدولة، وضَرَب الدّبادب على بابه في أوقات الصلوات الخمس؛ فروسل بالاقتصار على ثلاثة أوقات، كما كانت العادة، فلم يَلْتفِت إلى رسول الخليفة، وآستمرّت الدّبادب في خمسة أوقات.

وفيها تُوفّي الحسين بن عليّ بن محمد بن جعفر، أبو عبد الله الصَّيْمَرِيّ[1] العلاّمة. وُلِد سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، وكان أحد الفقهاء الحنفيّة الأعلام؛ كان جيّد النظر حسن العبارة وافر العقل صدوقاً ثِقةً؛ انتهت إليه رياسة الحنفيّة ببغداد، ووِلِي القضاء بالمدائن وغيرها؛ وكان في ولايته نزِهاً عفيفاً ديّناً ورِعاً. مات ليلة الأحد حادي عشرين شوّال ودفِن في داره بدرب الزرّادين[2].

وفيها تُوفّي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن، أبو محمد الأصبهانيّ، ويُعرف بابن اللبّان؛ كان صائماً قائماً صدوقاً ثقة أحدَ أوعية العلم، وله التصانيف الحِسان.

وفيها تُوفّي عليّ بن الحسن بن إبراهيم، أبو الحسن الصوفيّ الوكيل؛ كان ديّناً خيّراً؛ سكن مصر، وبها كانت وفاته في شعبان.

وفيها تُوفّي محمد بن أحمد بن بُكَيْر، أبو بكر التَّنُوخيّ الخيّاطِ الدمشقي؛ كان يؤمّ بمسجد أبي صالح خارج الباب الشرقيّ بدمشق، وكان صالحاً ثقةً.

وفيها تُوفّي محمد بن عليّ بن الطّيب، أبو الحسين البصريّ المتكلم؛ سكن بغداد ودَرَس بها على مذهب المعتزلة، وله تصانيف كثيرة[3]: منها «المعتمد في أصول الفقه[4]» لم يُصنَّف في فنه مثله.

---

(١) الصيمري: نسبة إلى الصَّيمر من أنهار البصرة، عليه عدة قرى.

(٢) في الأصل: «درب الرزازين». وما أثبتناه عن المنتظم وتاريخ بغداد.

(٣) في شذرات الذهب والذهبي: «وله التصانيف الكلامية».

(٤) في الأصل: «في أصول الدين». والتصحيح عن كشف الظنون والذهبي.

وفيها تُوفّي مُحسّن بن محمد بن العبّاس، الشريف الحسينيّ؛ كان نقيب الطالبيين بدمشق، ووَلِي القضاء بها بعد أخيه لأمّه فخر الدولة[١] نيابة عن أبي [محمد القاسم بن][٢] النُّعمان قاضي قضاة خليفة مصر. ومات بدمشق في المحرّم.

وفيها تُوفّي عليّ بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، الشريف أبو طالب العلويّ الموسويّ المعروف بالشريف المرتضى، نقيب الطالبيين ببغداد، وهو أخو الشريف الرضي. قال الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ: وكلّ منهما رافضيّ؛ وكان المرتضى أيضاً رأساً في الاعتزال كثير الاطلاع والجدل. ثمّ ذكر كلاماً عن ابن حزم في هذا المعنى، أنّزه الشريف عن ذكره مراعاة لسلفه الطاهر لا لاعتقاده القبيح في الصحابة. وكان الشريف المرتضى عالماً فاضلاً أديباً شاعراً. ومن شعره من جملة قصيدة قوله: [الخفيف]

[ضنَّ عني بالنَّزْر إذ أنا يقظا نُ وأعطى كثيرَهُ في المنام][٣]
وآلتقينا كما آشتهينا ولا عيـ ـبَ سوى أنّ ذاك في الأحلام
وإذا كانت الملاقاة ليلاً فالليالي خير من الأيام

وكانت وفاة الشريف في يوم الأحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول.

وفيها تُوفّي محمد بن عبد الله بن أحمد، أبو الوليد المُرْسي؛ يعرف بآبن مُنقذ[٤]؛ حدّث عن سهل بن إبراهيم وغيره؛ وكان عالماً فاضلاً ورِعاً محدّثاً صدوقاً ثقة.

(١) هو فخر الدولة، أبو يعلى، حمزة بن الحسن. تقدمت وفاته سنة ٤٣٤هـ.
(٢) زيادة عن الذهبي.
(٣) زيادة عن ابن خلكان. قال: وهذا الشعر من قول أبي تمام الطائي:
استزارته فكرتي في المنام فأتاني في خفية واكتتام
يا لها زورةً تلذّذت الأر واح فيها سراً من الأجسام
مجلس لم يكن لنا فيه عيب غير أنّا في دعوة الأحلام
(٤) في تاريخ الإسلام للذهبي: «ابن ميقل» بالقاف. وفي طبعة دار الكتب (حاشية) عن تاريخ علماء الأندلس: «ابن ميغل» بالغين المعجمة واللام.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثماني أذرع وسبع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة العاشرة من خلافة المستنصر مَعَدّ على مصر

وهي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة.

فيها مات بواسط نصرانيّ يقال له ٱبن سهل، وأُخرجت جنازته نهاراً، فثارت العامّة بالنّصارى وجرّدوا الميّت وأحرقوه، ومَضَوْا إلى الدَّير فنهبوه. وكان الملك العزيز بن جلال الدولة بن بويه بواسط، وعَمّه الملك أبو كاليجار ببغداد، ولم يكن له تلك الهيبة، وكانوا قد أحسّوا بٱنقراض دولة بني بُوَيْه بظهور طُغْرُلْبَك السَّلْجُوقيّ صاحب خُراسان، فلم ينتطح في ذلك شاتان.

وفيها جهّز المستنصر صاحب الترجمة جيشاً من مصر إلى حلب، فحصروا ٱبن مِرْداس فيها وٱستظهروا عليه، فٱستنجد بالرّوم فلم يُنجدوه. وقد تقدّم ذكر هذه الواقعة في ترجمة المستنصر.

وفيها لم يحج أحد من العراق. وحجّ الناس من مصر وغيرها.

وفيها تُوفي الحسن بن محمد بن أحمد، أبو محمد الدمشقيّ المعروف بٱبن السّكن؛ كان عابداً زاهداً. صام الدهر وله ٱثنتا[1] عشرة سنة من العمر، وعاش سبعاً وثمانين سنة. وكان لا يشرب الماء في الصيف، وأقام سنة وخمسة أشهر لا يشربه. فقال له طبيب: معدتك تشبه الآبار، في الصيف باردة وفي الشتاء حارة.

وفيها تُوفّي محمد بن محمد بن عليّ [بن الحسن بن عليّ بن إبراهيم بن

(١) كذا أيضاً في عقد الجمان. وفي تاريخ الإسلام للذهبي: «سردت الصوم ولي ثمان وعشرون سنة، وسرد أبي الصوم وله ثمانية عشر عاماً إلى أن مات، وصام جدي وله اثنتا عشرة سنة».

عليّ][1] بن عبد[2] الله بن الحسين [الأصغر][1] أبو الحسن العلويّ الحسينيّ البغداديّ النسّابة شيخ الأشراف[3]. كان فريداً في علم الأنساب، وله تصانيف[4] كثيرة، وله شِعر.

وفيها توفّي مَكّي بن أبي طالب حَمّوش[5] بن محمد بن مختار، الإمام أبو محمد القَيْسيّ القَيْروانيّ ثم القرطبيّ المقرىء شيخ الأندلُس في زمانه؛ حجّ وسمع بمكة وغيرها. وكان إماماً عالماً محدّثاً ورِعاً؛ صنّف الكثير في علوم القرآن. ومولده بالقَيْروان سنة خمس وخمسين وثلاثمائة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وسبع أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الحادية عشرة من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة.

فيها أغارت الترك على ما وراء النهر وآستولوا على بُخَارَى وسَمَرْقَنْد وخُوَارَزْم، فقطع طغرلبك جَيْحون. وبعث أخاه إبراهيم إلى العراق فآستولى على حُلْوان ثم عاد إلى الريّ. وآلتقى طغرلبك فهزمهم وعاد إلى خُراسان.

وفيها زُلزلت أخلاط وديار بكر زلازلَ هدمت القلاع والحصون وقتلت خلقاً كثيراً.

---

(١) زيادة من طبعة دار الكتب عن مراة الزمان.

(٢) في الأعلام: «عبيد الله»

(٣) في الأعلام: «كان يلقب بشيخ الشرف»

(٤) ذكر له صاحب الأعلام كتاب «تهذيب الأنساب ونهاية الأعقاب ـ مخطوط»

(٥) كذا في الأصل والأعلام. وفي ابن خلكان: «مكي بن أبي طالب بن حمّوش». ونقل صاحب الأعلام عن كتاب «صدور الأفارقة ـ مخطوط» لحسن حسني عبد الوهاب أن حمّوش تصغير محمد.

وفيها لم يحجّ أحد من العراق. وحجّ الناس من مصر والشام.

وفيها توفّي عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن حَيُّويَه[1] الجُوَيْنيّ الشافعي والد أبي المعالي[2] الجُويني. وجُوَيْن (بضم الجيم): بلدة من أعمال نَيْسابور. وأصلهم من العرب من بني سِنْبِس[3]. سمع الحديث، وتفقّه بمَرْو على القَفّال[4]، وصنّف التصانيف الكثيرة. ومات بنيسابور.

وفيها توفّي محمد بن يحيى بن محمد أبو بكر. كان أصله من قرية بالعراق يقال لها الزيديّة. كان عالماً بالقرآن والفرائض وسمع الحديث. ومات في شهر رمضان. قال أبو بكر الخطيب: «كتبت عنه، وكان ثقة».

وفيها توفّي الحسن بن محمد بن إبراهيم، أبو عليّ البغداديّ المالكيّ المقرىء العالم المشهور، مصنّف «الروضة»[5]. كان عالماً بالقراءات وغيرها، مفتنًا. مات في هذه السنة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ست أذرع وعشر أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وتسع عشرة إصبعاً.

* * *

---

(١) كذا ضبطه بالعبارة في شذرات الذهب: بمثناتين تحت أولاهما مضمومة والثانية مفتوحة. وفي الأصل: «حمويه» وهو تحريف.

(٢) أبو المعالي هو إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله، ركن الدين المتوفى سنة ٤٧٨هـ.

(٣) سنبس: ضبطه القلقشندي في صبح الأعشى بضم السين. وضبطه السويدي في سبائك الذهب بفتح السين. وضبطه أصحاب الصحاح والقاموس واللسان بكسر السين. وسنبس بطن من طيىء من القحطانية، وهم بنو سنبس بن معاوية بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيىء. (انظر معجم قبائل العرب: ٢/٥٥٧).

(٤) ورد ذكره في حوادث سنة ٤١٧هـ من الجزء الرابع.

(٥) هو «الروضة في القراءات السبع»، كما في كشف الظنون.

السنة الثانية عشرة من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة تسع وثلاثين وأربعمائة.

فيها وقع الغلاء والوباء بالموصل والجزيرة وبغداد، ووصل كتاب من الموصل أنهم أكلوا الميتة، وصلّى الجمعة أربعمائة نفس، ومات الباقون وكانوا زيادة على ثلاثمائة[١] إنسان، وبيعت الرّمّانة بقيراطين، واللَّيْنوفرة[٢] بقيراطين أيضاً، والخيارة بقيراط[٣]. قاله صاحب مرآة الزمان.

وفيها توفّي أحمد [بن أحمد][٤] بن محمد أبو عبد الله القَصْرِيّ (من قصر ابن هُبَيْرة)[٥]. ولد سنة ست وأربعين وثلاثمائة. وسمع الحديث، وكان من أهل العلم والقرآن، يَختِم القرآن في كلّ يوم مرّة، وكان معروفاً بالسنّة. ومات في شهر رجب، ودُفن بباب حرب. وكان صدوقاً صالحاً ثقة.

وفيها توفّي أحمد بن عبد العزيز بن الحسن، أبو يَعْلَى الطاهريّ (من ولد طاهر ابن الحسين الأمير). ولد سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وقرأ الأدب وسمع الحديث. ومات في شوّال. وكان فصيحاً صدوقاً.

وفيها توفّي أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد، أبو الفضل الهاشميّ العباسيّ، من ولد هارون الرشيد. ولي القضاء بِسِجِسْتان، وسمع الحديث؛ وكان له شعر وفضل.

---

(١) في مرآة الزمان: ألف إنسان. (عن حاشية طبعة دار الكتب). وزاد ابن كثير في البداية والنهاية: «وأن أهل الذمة لم يبق منهم إلا نحو مائة وعشرين نفساً.»

(٢) ويقال: النيلوفر والنينوفر. جنس نباتات مائية، فيه أنواع تنبت في الأنهار والمناقع، وأنواع تزرع في الأحواض لورقها وزهرها. ومن أنواعه اللوطس، أي عرائس النيل، وتسمى البشنين. (المعجم الوسيط.)

(٣) القيراط: وزن ثلاث حبات من الذهب. (المعجم الوسيط.)

(٤) زيادة عن تاريخ بغداد والذهبي ومعجم البلدان.

(٥) قصر ابن هبيرة: ينسب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة. وهذا القصر بناه بالقرب من جسر سورا، موضع بالعراق من أرض بابل. (معجم البلدان).

وفيها كان الطاعون العظيم بالموصل والجزيرة وبغداد، وصُلِّي بالموصل على أربعمائة نفس دفعةً واحدة، وبلغت الموتى ثلاثمائة ألف إنسان.

وفيها توفّي عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيّوب، أبو القاسم البغداديّ الشاعر المشهور؛ كان يعرف بالمطرِّز[١]. مات ببغداد في جمادى الآخرة.

وفيها توفّي محمد بن الحسين بن عليّ بن عبد الرحيم، الوزير أبو سعد[٢]، وزير جلال الدولة بن بويه. لقي شدائد من المصادرات من الأتراك، حتى آل أمره أنّه خرج من بغداد مستتراً وأقام بجزيرة[٣] ابن عمر حتّى مات في ذي القعدة.

وفيها توفّي محمد بن عليّ بن محمد بن إبراهيم، أبو الخطّاب الشاعر الجَبُلي؛ أصله من قرية جَبُل عند النُّعْمانيّة ببغداد. كان فصيحاً شاعراً. رحل إلى البلاد ثم عاد إلى بغداد، وقد كُفّ بصره فمات بها. وكان رافضياً خبيثاً. ومن شعره: [المنسرح]

ما حَكَم الحِبُّ[٤] فهو ممتثَلُ ... وما جناه الحبيبُ محتمَلُ
تهوَى وتشكو الضَّنَى وكلُّ هوًى ... لا يُنحل الجسمَ فهو مُنتحَلُ

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وثلاث وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وسبع أصابع.

* * *

(١) في الأصل: «بابن المطرز». وما أثبتناه عن تاريخ بغداد والمنتظم وتاريخ الأسلام.
(٢) في الأصل: «أبو سعيد». وما أثبتناه عن المنتظم وتاريخ الإسلام وابن الأثير.
(٣) جزيرة ابن عمر: بلدة فوق الموصل، بينها ثلاثة أيام. (معجم البلدان).
(٤) الحِبّ: بكسر الحاء، هو الحبيب.

السنة الثالثة عشرة من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة أربعين وأربعمائة.

فيها تمت عمارة سور شِيراز؛ ودَوْره آثنا عشر ألف ذراع، وآرتفاع حائطه عشرون ذراعاً، وله عشرة أبواب[١].

وفيها وَلّى المستنصر صاحبُ الترجمة خليفةُ مصر القائدَ طارقاً[٢] الصَّقْلبيّ على دمشق؛ وعزَل ناصرَ الدولة الحسن بن الحسين بن عبد الله بن حمدان، وقبَض عليه وآستقدمه إلى مصر؛ ثمّ صَرف المستنصرُ طارقاً عن إمْرة دمشق في سنة إحدى وأربعين، وولّى مكانه عُدة[٣] الدولة المستنصريّ؛ ثمّ صرفه أيضاً عنها وبعث به إلى حلب[٤]، وولّى دمشق حيدرةَ[٥] بن الحسين بن مُفْلِح، ويعرف بأبي الكرم[٦] المؤيَّد؛ فأقام عليها حيدرة تسع سنين.

وفيها في شعبان خَتَن الخليفة القائم بأمر الله العباسيّ آبنَه أبا العبّاس محمداً، ولقبه بذخيرة الدين[٧] وذكر آسمه على المنابر.

---

(١) ذكر ياقوت في معجم البلدان أن السلطان أبا كاليجار ابتدأ ببناء هذا السور سنة ٤٣٦هـ وفرغ منه في سنة ٤٤٠هـ. فكان طوله اثني عشر ألف ذراع، وعرض حائطه ثمانية أذرع، وجعل له أحد عشر باباً. وفي تاريخ الإسلام للذهبي والمنتظم وعقد الجمان أن طول حائطه ثمانية أذرع، وعرضه ستة أذرع. في حين أن الحميري صاحب الروض المعطار قال: «إن شيراز مدينة متصلة البناء لا سور لها».

(٢) هو بهاء الدولة وصارمها، طارق الصقلبي المستنصري. تولى ولاية دمشق يوم الجمعة مستهل رجب سنة ٤٤٠هـ وقرىء سجل ولايته بعد أن قبض على ناصر الدولة بن حمدان وسيّر إلى مصر تحت الحوطة. (ذيل تاريخ دمشق: ٨٤، وأخبار مصر لابن ميسّر: ٩).

(٣) هو الخادم رفق المستنصري. وصل إلى دمشق والياً عليها في يوم الخميس الثاني عشر من المحرم سنة ٤٤١هـ. (ذيل تاريخ دمشق: ٨٥، وابن ميسّر: ٩).

(٤) سار من دمشق إلى حلب في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول.

(٥) هو الأمير المؤيد، عدّة الإمام، مصطفى الملك، معين الدولة، ذو الرئاستين، حيدرة بن عصب الدولة حسين بن مفلح. أقام على دمشق تسع سنين. توفي سنة ٤٥٥هـ. (ذيل تاريخ دمشق: ٨٥، وتهذيب ابن عساكر: ٥/٢١).

(٦) في تهذيب ابن عساكر: «أبو المكرَّم».

(٧) في الأصل: «ولقبه بالذخيرة». وما أثبتناه عن ابن الأثير.

وفيها لم يحجّ أحد من العراق. وحجّ الناس من مصر وغيرها.

وفيها توفّي محمد بن جعفر [بن][1] أبي الفرج، الوزير أبو الفرج، ويلقّب ذا[2] السعادات. وزر لأبي كالِيجار بفارس وبغداد. وكان وزيراً فاضلاً عادلاً شاعراً. ومات في شهر ربيع الآخر، وقيل: في جمادى الأولى. ومن شعره: [الوافر]

أودّعكم وإنّي ذو آكتئابِ وأرحَل عنكمُ والقلبُ آبي
وإنّ فراقكم في كل حال لأوجَعُ من مفارقة الشبابِ

وفيها توفّي السلطان أبو كاليجار؛ وآسمه المَرْزُبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة فيروز بن عَضُد الدولة بويه بن ركن الدولة الحسن بن بويه بن فَنّاخُسْرو الدَّيْلَميّ. وُلد بالبَصْرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة في شوّال، ومات ليلة الخميس منتصف جمُادى الأولى. وكانت ولايته على العراق أربع سنين وشهرين وأياماً، ومدّة ولايته على فارس والأهواز خمساً وعشرين سنة. وكان شجاعاً فاتكاً مشغولاً بالشرب واللهو. ولمّا مات كان ولده أبو نصر ببغداد في دار الملك نيابةً عن أبيه، فلقّبه الخليفة القائم بأمر الله «الملك الرحيم» وخلع عليه خِلْعةَ السلطنة. وكانت الخلع سبعَ جِبّاب كاملة والتاج والطَّوْقَ والسوارين واللواءيْن كما كان فعل بعضد الدولة.

وفيها توفّي الفضل ــ وقيل: فضل الله ــ بن أبي الخير محمد بن أحمد، أبو[3] سعيد المِيهنيّ[4] العارف بالله صاحب الأحوال والكرامات. مات بقرية مِيهنَة[4] من خُرَاسان في شهر رمضان وله تسع وسبعون سنة بعد أن سمع الحديث، وروى عنه جماعة؛ وتَكلّم في آعتقاده آبن حزم. والله أعلم بحاله.

(١) زيادة عن المنتظم وعقد الجمان. وأبو الفرج جدّه اسمه محمد، كما في الأعلام.

(٢) في الأصل: «بأبي السعادات». والتصحيح عن المنتظم وعقد الجمان والذهبي والأعلام.

(٣) في الأصل: «ابن سعيد». والتصحيح عن الذهبي ومعجم البلدان وأنساب السمعاني.

(٤) كذا ضبطها السمعاني بكسر الميم وسكون الياء وفتح الحاء. وهذه النسبة إلى «ميهنة» من قرى خابران، وهي ناحية بين أبيورد وسرخس. وضبطها ياقوت بفتح الميم.

وفيها توفّي محمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن إسحاق بن زياد، أبو بكر الأصبهانيّ التاجر، المعروف بآبن رِيذة[١]. روى عن الطّبَرانيّ مُعْجَميه الكبير والصغير. وطال عمره، وسار ذكره، وتفرّد بأشياء. ذكره أبو زكريّا بن مَنْده وقال: «الفقيه[٢] الأمين. كان أحد وجوه الناس، وافر العقل، كامل الفضل، [حسن الخط، يعرف طرفاً من النحو واللغة]»[٣].

وفيها توفّي محمد بن محمد بن إبراهيم بن غَيْلان بن عبد الله بن غيلان بن حكيم، أبو طالب الهمَذانيّ البغداديّ البزّاز، أخو غيلان المقدّم[٤] ذكره. سمع من أبي بكر الشافعيّ أحد عشر جزءاً معروفة بالغَيْلانيّات، وتفرّد في الدنيا عنه. قال أبو بكر الخطيب: «كتبنا عنه، وكان صدوقاً ديِّناً صالحاً».

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وثلاث وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وسبع عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الرابعة عشرة من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة إحدى وأربعين وأربعمائة.

فيها كانت فتنة بين أهل السنّة والرافضة. قال القاضي أبو القاسم عليّ بن المُحَسِّن التنوخيّ: «أهل الكرخ طائفة نشأت على سبّ الصحابة، وليس للخلافة عليها أمر». قلت: وعدم أمر الخليفة عليهم لميل بني بويه إليهم في الباطن، فإنهم أيضاً من كبار الشيعة، وهم يوم ذلك سلاطين بغداد؛ غير أنهم كانوا لا يُظهرون ذلك خوفاً على الملك.

---

(١) كذا في المشتبه وتاريخ الإسلام للذهبي وتاج العروس. وفي الأصل وشذرات الذهب: «زيدة».

(٢) في شذرات الذهب: «وقال: ثقة أمين».

(٣) زيادة عن الشذرات.

(٤) لم يتقدم له ذكر غيلان.

وفيها هبّت ريح سوداء ببغداد أظلمت الدنيا وقلعت رَواشِن[١] دار الخلافة ودار المملكة ودور الناس، وآقتلعت من الشجر والنخل شيئاً كثيراً.

وفيها نزل طغرلبك السّلجوقيّ الرّيّ ولم يتحقّق موتَ أبي كاليجار بن بويه، ثمّ فحص عن ذلك حتّى تحقّق وفاته.

وفيها دخل السلطان مودود بن مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكين بلاد الهند، ووصل إلى الأماكن التي كان وصل إليها جدّه محمود.

وفيها توفّي أحمد بن حمزة بن محمد بن حمزة بن خُزَيمة، أبو إسماعيل الهَرَويّ الصوفيّ. كان يعرف بعَمُّوَيْه وكان شيخ الصوفية بَهَراة. سمع الكثير بالعراق والشام. ومات بهراة في شهر رجب.

وفيها توفّي محمد بن عليّ بن عبد الله الصُّوريّ الحافظ. وُلِد بصُور[٢] سنة ست وسبعين وثلاثمائة وقِدم بغداد، وسمع الحديث على كبر السنّ وعُنِي به. وكان إماماً صحيح النقل دقيق الخطّ صائماً قائماً لا يُفطر إلاّ في العيدين وأيام التشريق. وكان حسن المحاضرة. وله شعر على طريق القوم؛ فمن ذلك من قصيدة: [المجتث].

نعم الأنيسُ كتابُ ... إن خانك الأصحابُ

تنال منه فنوناً ... تحظَى بها وتُثاب

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وتسع أصابع.

* * *

(١) الرواشن: جمع روشن، بضم الراء وفتح الشين. لفظ فارسي بمعنى الكوة والنافذة والشرفة.
(٢) صور: مدينة قديمة شهيرة وميناء على البحر المتوسط في جنوبي الساحل اللبناني.

السنة الخامسة عشرة من خلافة المستنصر مَعَدّ على مصر

وهي سنة آثنتين وأربعين وأربعمائة.

فيها كان من العجائب أنّه وقع الصلح بين أهل السُّنة والرافضة وصارت كلمتهم واحدة. وسبب ذلك أنّ أبا محمد النَّسَوي[١] وُلِّي شرطة بغداد وكان فاتكاً، فآتّفقوا على أنه متى رحَل إليهم قتلوه، وآجتمعوا وتحالفوا، وأذَّن بباب البصرة بـ «حيّ على خير العمل» وقُرىء في الكَرْخ فضائلُ الصحابة، ومضى أهل السّنة والشيعة إلى مقابر قريش، فعُدّ ذلك من العجائب؛ فإنّ الفتنة كانت قائمة والدماء تُسْكَب، والملوك والخلفاء يعجزون عن ردّهم، حتّى وُلّي هذا الشرطة، فتصالحوا على هذا الأمر اليسير. فلله الأمر من قبلُ ومن بعدُ.

وفيها تُوفّي علي بن عمر بن محمد بن الحسن، أبو الحسن الزاهد المعروف بابن[٢] القَزْويني. وُلد بالحربيّة ببغداد في المحرم سنة ستّين وثلاثمائة؛ وكان إماماً فاضلاً زاهداً، قرأ النّحو وسمِع الحديث الكثير؛ وكان صاحبَ كرامات وصلاح، يُقصد للزيارة. ومات في شعبان.

وفيها تُوفّي الأمير قرواش بن المقلّد، أبو المَنيع صاحب الموْصِل والكوفة والأنبار. وقرواش بفتح[٣] القاف والراء المهملة والواو وبعد الألف شين معجمة ساكنة. ومعناه باللغة التركية عبد أسود. وكان قرواش هذا قد خَلَع عليه الخليفة القادر بالله ولقبه مُعتمَد الدولة. وكان قد جمع بين أُختين، فلامه النّاس على ذلك؛ فقال لهم: خبِّروني، ما الذي نستعمله مما تُبيحه الشريعة! فهذا من ذاك. وكان الحاكم بأمر الله آستماله فخطَب له ببلاده ثمّ رجع عن ذلك. ولمّا مات قرواش ولي مكانه آبن أخيه قُرَيْش بن بَدْرَان بن المقلّد المقدّم ذكره في ترجمة المستنصر أنّه كان مع البَسَاسيري. ويأتي ذلك أيضاً في محلّه مختصراً.

---

(١) في ابن الأثير والشذرات: «أبو محمد بن النَّسوي».

(٢) كذا أيضاً في شذرات الذهب. وفي المنتظم وعقد الجمان والبداية والنهاية: «المعروف بالقزويني».

(٣) ضبطه ابن خلكان بكسر القاف وسكون الراء وفتح الواو.

وفيها تُوفّي السلطان مودود بن مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكِين صاحب غَزْنة، وغيرها من بلاد الهند وغيره. ومات بغزنة، وقام مقامه عمّه عبد الرشيد بن محمود بن سُبُكْتِكين؛ اختاره أهل المملكة فأقاموه.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وستّ عشرة إصبعاً.

* * *

السنة السادسة عشرة من خلافة المستنصر مَعَدّ على مصر

وهي سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة.

فيها في صفر عادت الفتنة بين أهل السُّنّة والرافضة ببغداد، وكتب أهل الكَرْخ على برج الباب: «محمد وعلي خير البشر، فمن رضِي شكر، ومن أبى فقد كفر»[١]. وثارت الفتنة بينهم، ولم يقدر على منعهم الخليفة ولا السلطان. وآستنجد الخليفة بعيّار[٢] من أهل درب ريحان، فأُحضر إلى الديوان وآسْتُتِيب عن الحرام، وسُلِّط على أهل الكَرْخ فقتَل منهم جماعة كثيرة.

وفيها أقام آبن[٣] المعزّ بن باديس الصنهاجي ملك الغرب الدعوة بالمغرب للقائم بأمر الله العباسي، وأبطل دعوة بني عُبَيْد خلفاء مصر من الغرب. وكان المعزّ لدين الله مَعَدّ خرج من المغرب وقصَد الديار المصريّة سلّمها إلى المعِزّ[٤] بن

(١) ذكر ابن الأثير أن أهل الكرخ كتبوا «محمد وعلي خير البشر» وادعى السنيّة أن المكتوب: «محمد وعلي خير البشر، فمن رضي فقد شكر، ومن أبى فقد كفر» فأنكر أهل الكرخ الزيادة وقالوا: ما تجاوزنا ما جرت به عادتنا فيما نكتبه على مساجدنا. فأرسل الخليفة القائم أبا تمام نقيب العباسيين وعدنان بن الرضي نقيب العلويين لكشف الحال وإنهائه، فكتبا بتصديق قول الكرخيين. وذكر ابن الأثير تفاصيل وافية يستحسن الرجوع إليها. (حوادث سنة ٤٤٣هـ).

(٢) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أنه يقال له «القطيعي».

(٣) كذا بالأصل. وصوابه: «المعز بن باديس». وذكر المؤلف ذلك صحيحاً في ص ٤ من هذا الجزء.

(٤) الذي تذكره المصادر أن المعز الفاطمي سلم المغرب، حين خرج إلى مصر، إلى بلكين بن زيري جدّ المعز بن باديس هذا.

باديس. فأقام بها سنين إلى أن تُوفّي، وملكها آبنه[١] من بعده؛ فأقام مدّة سنين يَخطُب لبني عُبَيْد إلى هذه السنة؛ فأبطل الدعوة لهم وخَطَب لبني العبّاس، ودعا للقائم بأمر الله وهو ببغداد. فلم تزل دعوة العباسية بعد ذلك بالمغرب حتى ظهر محمد بن تُومَرْت[٢] بالمغرب وتلقّب بالمهديّ، وقام بعده عبد المؤمن بن علي فقطع الدعوة لبني العبّاس في أيام المقتفي العبّاسي، على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها لم يحجّ أحد من العراق. وحجّ الناس من مصر وغيرها.

وفيها تُوفّي أحمد بن عثمان بن عيسى، أبو نصر الجلّاب[٣]؛ كان محدّثاً ثقةً؛ وأخرج له أبو بكر الخطيب حديثاً عن آبن عمر: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قُرئت عنده سورة الرحمن فقال: «ما لي أرى[٤] الجِنَّ أحسن جواباً لردّها منكم». قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «ما أتيت على قول الله تعالى ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلّا قالت الجنّ ولا بشيء من نعمك يا ربنا نكذّب».

وفيها تُوفّي إسماعيل بن علي بن الحسين زَنْجويه، أبو سعد الحافظ الرازي[٥] الحنفي؛ كان إماماً فاضلاً. طاف الدنيا ولَقي الشيوخ وأثنى عليه العلماء؛ وكان

(١) هو تميم بن المعز بن باديس، أبو طاهر. ولاه أبوه المهدية سنة ٤٤٥هـ، وبقي تميم يقوم بالأمر في حياة أبيه إلى أن توفي أبوه سنة ٤٥٤هـ. (الحلة السيراء: ٢/٢١) وعطفاً على ما سبق من تصحيح السياق التاريخي للخبر، نورد فيما يلي ولاة إفريقية والمغرب الأوسط من بني زيري، على أثر انتقال المعز لدين الله إلى الديار المصرية. وهم على التوالي: أبو الفتوح يوسف بلكين بن زيري (سلّمه المعز المغرب سنة ٣٦٢هـ) ثم المنصور بن يوسف، ولقبه عدة العزيز بالله، (في ٢١ ذي الحجة ٣٧٣هـ) ثم أبو مناد باديس بن منصور، ناصر الدولة (في ٣ ربيع الأول ٣٨٦هـ) ثم المعز بن باديس (في ٢٠ ذي القعدة سنة ٤٠٦هـ) ثم أبو طاهر تميم بن المعز (في مستهل شوال سنة ٤٥٣هـ). انظر معجم زامباور: ص ١٠٩.

(٢) هو محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي البربري المتلقّب بالمهدي المتوفى سنة ٥٢٤هـ.

(٣) في الأصل: «الحلاف» وهو تحريف. والتصويب عن تاريخ بغداد والذهبي.

(٤) في تاريخ بغداد: «ما لي أسمع الجن».

(٥) كذا في شذرات الذهب وتاريخ الإسلام وتاريخ ابن عساكر. وفي تاريخ بغداد: «الاستراباذي». وفي الأصل: «أبو سعد الدارمي».

ورِعاً زاهداً فاضلاً، إمام أهل زمانه [بغير مدافعة][1]، [و][1] ما رأي مثل نفسه [في كلّ فنّ][1]، وكان يقال له: شيخ العدليّة[2] ومات بالرّي، ودفن بجنب الإمام محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة. وكان قرأ على ألف وثلاثمائة شيخ، وقرأ عليه ثلاثة آلاف. قال آبن عساكر: سمع نحواً من أربعة آلاف[3] شيخ، ومات وله أربع وتسعون سنة.

وفيها تُوفّي محمد بن محمد بن أحمد أبو الحسن البُصْرَوِي[4]؛ كان شاعراً فصيحاً فاضلاً ظريفاً صاحب نوادر. ومن شعره: [الوافر]

ترى الدنيا وزَهْرَتَها فتَصْبُو[5] وما يخلو من الشُّبهات قلبُ[6]
فضول العيش أكثُرها هموم وأكثرُ ما يضرُّك ما تُحِبُّ

وفيها تُوفّي المفضّل بن محمد بن مسعود[7]، أبو المحاسن التّنوخي المَعَرّي الفقيه الحنفي. تفقّه على القُدُوري، وأخذ الأدب عن أبي عيسى الرَّبَعي وبرعَ في فنون، وناب في القضاء بدمشق، ووِلِي قضاء بعلبكّ؛ وصنّف تاريخ النحاة وأهل اللغة. ومات بدمشق، ولم يخلف بعده مثلُه.

---

(١) زيادة من طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان.
(٢) العدليّة: المعتزلة.
(٣) في تهذيب ابن عساكر: «سمع الحديث نحو أربعمائة شيخ».
(٤) نسبة إلى «بصُرى» بضم الباء، قرب عكبرا. (معجم البلدان وأنساب السمعاني).
(٥) كذا أيضاً من فوات الوفيات. وفي البداية النهاية: «نرى الدنيا وشهوتها فنصبو». وفي الوافي بالوفيات: «نرى الدنيا وزهرتها فنصبو».
(٦) كذا أيضاً في البداية والنهاية والوافي. وفي فوات الوفيات: «صبّ». وأورد صاحب الفوات هذه المقطوعة في خمسة أبيات.
(٧) كذا في الأصل. وفي مرآة الزمان وطبقات الحنفية: «مسعر». وفي بغية الوعاة للسيوطي: «مشعر» (عن حاشية طبعة دار الكتب). واعتمد الزركلي في الأعلام سنة ٤٤٢هـ لوفاته. وقال: «وهذه الترجمة وردت في الجواهر المضيّة: ٢/ ١٧٩ لشخصين: أحدهما معتزلي شيعي وعبارتها: «المفضل بن محمد بن مسعر، القاضي أبو المحاسن التنوخي. كان معتزلياً شيعياً)، ذكره الذهبي في الميزان.» والثاني حنفي نحوي «المفضل بن مسعود بن محمد بن يحيى بن أبي الفرج التنوخي الفقيه النحوي القاضي». وعبارة الذهبي في الميزان تجعلهما واحداً: مفضل بن محمد بن مسعر الحنفي، معتزلي شيعي... انتهى كلام الزركلي. (الأعلام: ٧/ ٢٨٠).

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وآثنتا عشرة إصبعاً.

* * *

السنة السابعة عشرة من خلافة المستنصر مَعَدّ على مصر

وهي سنة أربع وأربعين وأربعمائة.

فيها برز مَحْضَر من ديوان الخليفة القائم بأمر الله العبّاسي بالقَدْح في أنساب خلفاء مصر وأنّهم ديصانية خارجون عن الإسلام، من جنس المحضر الذي برزَ في أيام القادر بالله، وقد ذكرناه في وقته، وأخذ فيه خطوط القضاة والشهود والأشراف وغيرهم[1].

وفيها كانت في مدينة أرجَان والأهواز زلازل عظيمة آرتجت منها الأرض، وقلعت الجبال وخرّبت القِلاع، وآمتدّت هذه الزلازل إلى بلاد كثيرة.

وفيها آستولى طُغْرُلْبَك محمد بن ميكائيل السَّلجُوقي على هَمَذان ونواحيها، وطمِع في قصد العراق.

وفيها تُوُفّي الحسن بن علي بن محمد بن علي أبو علي التميمي الواعظ؛ سمع الحديث الكثير ورُوِي عنه مسند الإمام أحمد عن القَطيعِي[2].

وفيها تُوفّي سهل بن محمد بن الحسن، أبو الحسن الفاسِي الصوفي؛ سمِع الكثير وحدّث بالعراق ودمشق وصُور، وتوجه إلى مصر فمات بها. وكان أديباً شاعراً على طريق القوم. فمن ذلك قوله: [الطويل]

إذا كنتَ في دار يُهنيك أهلُها ... ولم تك محبوباً بها فتحوّلِ
وأيقنْ بأن الرّزق يأتيك أينما ... تكون ولو في قَعْر بيت مُقفّلِ

(١) قارن بابن الأثير: ٨/٣١٠.
(٢) راجع وفيات سنة ٣٦٨هـ.

وفيها تُوفّي عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر، الإمام أبو عمرو الأموي مولاهم القرطبي المقرىء الحافظ المعروف بآبن الصيرفي[1] أوّلاً، ثم بأبي عمرو الدّاني[2]؛ صاحب التصانيف. كان أحدَ الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه، وجمع في ذلك كلِّه تواليف حساناً مفيدة يطول تَعدادُها. قال الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ: وبلغني أن مصنَّفاته مائة وعشرون مصنفاً.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وخمس أصابع.

* * *

السنة الثامنة عشرة من خلافة المستنصر مَعَدّ على مصر

وهي سنة خمس وأربعين وأربعمائة.

فيها وقف طُغْرُلْبَك السّلْجُوقي على مقالات الأشعري، كان طغرلبك حنفيّاً، فأمر بلعن الأشعري على المنابر، وقال: هذا يُشعِر بأن ليس لله في الأرض كلام. فعزّ ذلك على أبي القاسم القُشَيْري[3]، وعَمِل رسالة سماها «شِكاية أهل السُّنّة ما نالهم من المحنة». ووقع بعد ذلك أمور، حتّى دخل القُشَيْري وجماعة من الأشعريّة إلى السلطان طغرلبك المذكور وسألوه رفع اللعنة عن الأشعري. فقال طغرلبك: الأشعري عندي مبتدع يزيد على المعتزلة، لأنّ المعتزلة أثبتوا أنّ القرآن في المصحف وهذا نفاه. قال الحافظ أبو الفرج بن الجَوْزي رحمه الله: لو أنّ القُشَيْري لم يعمل في هذه رسالة كان أستَر للحال، لأنّه إنّما ذكر فيها أنّه وقع اللعنُ على الأشعري، وأنّ السلطان سئل أن يرفع ذلك فلم يجُب؛ ثمّ لم يذكر له حُجّة، ولا دفع للخَصْم شبهة. وذكر آبن الجَوْزي من هذا النوع أشياء كثيرة، حتّى قال: وذكْرُ مثل هذا نوع تغفُّل. إنتهى.

(١) في الأصل: «الصدفي» والتصويب عن الذهبي والشذرات ونفح الطيب والأعلام.

(٢) نسبة إلى «دانية» بالأندلس.

(٣) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، أبو القاسم النيسابوري القشيري المتوفى سنة ٤٦٥هـ. كان شيخ خراسان في عصره، وكان السلطان ألب أرسلان يقدمه ويكرمه. (الأعلام: ٤/ ٥٧).

وفيها تُوفِّي إبراهيم بن عمر بن أحمد، أبو إسحاق الفقيه الحنبليّ، ويُعرف بالبَرْمَكِي، لأنّ أهله كانوا يسكنون بالبرمكية[1]؛ كان إماماً عارفاً بمذهبه، وله حلقة للفتوى بجامع المنصور، وسمع خلقاً كثيراً، ورَوَى عنه الخطيب وغيره؛ وكان صالحاً زاهداً ورِعاً ديّناً صدوقاً ثقة.

وفيها تُوُفّي أحمد بن عمر بن رَوْح، أبو الحسين[2] النَّهْروانِي؛ كان فاضلاً شاعراً. قال: كنت على شاطىء دجلة، فمرّ بي إنسان في سفينة وهو يقول:
[الوافر ــ مجزوء]

وما طلبوا سوى قتلي   فهان عليّ ما طلبوا

فقلتُ له: قِف، ثم قلت بديهاً: أضِف إليه:

على قلبي الأحبّةُ بالتـ   ـمادي في الجفا غلَبُوا
وبالهجران طِيب النّـو   مِ من عينيَّ قد سَلَبُوا
وما طلبوا سوى قتلي   فهان عليَّ ما طلبوا

وفيها تُوُفِّي مُطَهّر[3] بن محمد بن إبراهيم، أبو عبد الله الصوفي الشِّيرازيّ أحد أعيان مشايخ الصوفية؛ جاور بمدينة النبي صلّى الله عليه وسلّم أربعين سنة، ورَحَل إلى بغداد، ثمّ عاد إلى دمشق فمات بها في شهر رجب.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً سواء.

* * *

---

(١) البرمكية: محلة ببغداد تعرف بالبرامكة. وقيل: بل كانوا يسكنون قرية يقال لها البرمكية فنسبوا إليها. (تاريخ بغداد).

(٢) في الأصل: «أبو الحسين». وما أثبتناه عن تاريخ بغداد والذهبي.

(٣) في الأصل: «مظفر». والتصحيح عن السمعاني وتاريخ دمشق وتاريخ بغداد.

السنة التاسعة عشرة من خلافة المستنصر مَعَدّ على مصر

وهي سنة ستّ وأربعين وأربعمائة.

فيها آستوحش الخليفة القائم بأمر الله من الأمير أبي الحارث أرْسلان البَساسيري وآستوحش البساسيري منه. وهذا أوّل الفتنة التي ذكرناها في ترجمة المستنصر هذا من أنه خُطِب له على منابر بغداد. وكتب الخليفة القائم بأمر الله إلى طُغْرُلْبَك السَّلْجُوقي في الباطن يستنهضه إلى المسير إلى العراق، وكان بنواحي خراسان.

وفيها تُوفّي الحسن بن عليّ بن إبراهيم، أبو علي الأهوازيّ المقرىء، كان إماماً في القراءات، وصنّف في علوم القرآن كتباً كثيرة، وانتهت إليه الرياسة بالشام في القراءة، وسمِع الحديث الكثير؛ وكان يكره مذهب الأشعري ويُضعفه، ومن أجله صنّف ابن عساكر كتابه المسمّى «تبيين[1] كذِب المفتري، فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري».

وفيها تُوفي الحسين بن جعفر بن محمد[2] بن جعفر بن داود، أبو عبد الله السَّلَماسِيّ[3] الفقيه الصالح؛ كان مشهوراً بأفعال البِرّ والصدقات، ينْفِق ماله على الفقراء والصالحين، وأخذ منه السلطان عشرة آلاف دينار قَرْضاً، ثمّ أراد ردّها فلم يَقبلها، وقال: إنني رجل يأكل من مالي قوم لو عِلِموا أنّني أخذتُ من مال السلطان لامتنعوا.

وفيها تُوفي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأصبهاني الفقيه المحدّث؛ كان زاهداً عالماً ورِعاً، وكنيته أبو محمد[4]، ويُعرف بآبن اللبّان. أثنى على علمه وفضله جماعة من العلماء. وكانت وفاته في جُمادَى الآخرة.

---

(١) في الأصل: «تكذيب المفتري على أبي الحسن الأشعري» والتصويب عن كشف الظنون والذهبي.

(٢) في الأصل: «محمود». وما أثبتناه عن المنتظم وعقد الجمان وتاريخ بغداد.

(٣) في الأصل: «السلماني». والتصحيح عما سبق. والسلماسي: نسبة إلى سلماس (بفتح السين واللام) بلدة من بلاد أذربيجان.

(٤) كذا أيضاً في الذهبي وتاريخ بغداد. وفي المنتظم والبداية والنهاية: «أبو عبد الله».

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وأربع أصابع[١].

* * *

السنة العشرون من خلافة المستنصر مَعَدّ على مصر

وهي سنة سبع وأربعين وأربعمائة.

فيها دخل طُغْرُلْبَك السَّلجوقي بغداد، وهرب منها أبو الحارث أَرْسلان البَسَاسيريّ إلى الرَّحبة[٢]، وكاتب البساسيريُّ المستنصر صاحبَ مصر، ومشت الرُّسُل بينهما.

وفيها آستولى أبو الحسن[٣] علي بن محمد الصُّلَيْحِيّ على اليمن، وانتمى إلى المستنصر صاحب مصر، وخَطَب له باليمن، وأزال دعوة بني العبّاس منها، وكان يُدْعَى بها للقائم بأمر الله، فصار يدعو للمستنصر هذا صاحب الترجمة.

وفيها تُوفّي الحسين [بن عليّ][٤] بن جعفر بن علكان بن محمد بن دُلَف، أبو عبد الله العِجْليّ القاضي، وكان يُعرف بابن ماكُولا؛ ولي قضاء البصرة وبغداد، وكان قاضياً نَزِهاً عفيفاً ديّناً أديباً شاعراً.

وفيها تُوفّي علي بن المحَسِّن بن عليّ بن محمد بن أبي الفهم، أبو القاسم التَّنُوخيّ القاضي؛ تقلّد القضاء في عدّة بلاد، وسمِع الحديث الكثير، وصنف

(١) في كنز الدرر: «١٥ ذراعاً و ١٤ إصبعاً».

(٢) الرحبة: مدينة بين الرقة وبغداد على شاطىء الفرات. (معجم البلدان).

(٣) كذا أيضاً في ابن خلكان، وهو الصحيح. وفي ابن الأثير والمنتظم وعقد الجمان وطبعة دار الكتب: «أبو كامل» وهو وهم؛ إذ هو الملك الكامل أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف بن عبد الجبّار بن الحجاج الصليحي ــ نسبة إلى صلاحة، بلدة في الأخروج (طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب: ص ١١٦ ــ ١١٧). وذكر عمارة اليمني في تاريخه المسمى «المفيد في أخبار صنعاء وزبيد» ص ١١٥ ــ ١١٦ أن الصليحي كتب في عام ٤٥٣هـ إلى المستنصر بالله يستأذنه في إظهار الدعوة، فعاد إليه الجواب بالإذن.

(٤) زيادة عن المنتظم وتاريخ بغداد والذهبي والبداية والنهاية وعقد الجمان.

الكتب المفيدة؛ ومات في بغداد في المحرم. وكان صَدوقاً محتاطاً في الحديث. وقيل: إنّه كان معتزليّاً يميل إلى الرَّفض.

وفيها تُوفّي محمد ابن الخليفة القائم بأمر الله العباسي في حياة والده، كان قد نشأ نشوءاً حسناً، ورشّحه أبوه القائم بأمر الله للخلافة، ولقّبه «ذخيرة الدين». وكانت وفاته في ذي القعدة، وحزِن عليه أبوه القائم حزناً شديداً، وخرج حتَّى صَلّى عليه بنفسه، فصَلّى عليه وبينه وبين الناس سرُادِق وهم يُصلّون خلفَه بصلاته؛ وجلس الوزير رئيس الرؤساء للعزاء ثلاثة أيام، ومنَع من ضرب الطُّبول ثلاثة أيام، فلمّا كان اليوم الرابع حضر عَميدُ الملْك وزير السلطان بين يدي القائم بأمر الله، وأدّى عن السلطان رسالةً تتضمّن التعزية والسؤال بقيام الوزير والجماعة من مجلس التّعزية فقاموا، ثم حُمِل تابوتُه بعد ذلك إلى الرّصافة فدفِن هناك.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وستّ عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ[1] عشرة ذراعاً وأربع أصابع.

* * *

السنة الحادية والعشرون من خلافة المستنصر مَعَدّ على مصر

وهي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة.

فيها عمّ الوباء والقحط ببغداد والشام ومصر والدنيا؛ وكان الناس يأكلون الميتة. وبلغت الرّمانة والسفرجلة ديناراً، وكذا الخيارة واللَّيْنوفرة؛ وآنقطع ماء النيل بمصر، وكان يموت بها في كلّ يوم عشرة آلاف[2] إنسان. وباع عطّار واحد في يوم واحد ألف قارورة شراب. ووقع بمصر أنّ ثلاثة لصوص نَقَبُوا نَقْباً فوُجِدُوا عند الصّباح مَوْتى: أحدهم على باب النقب، والثاني على رأس الدرجة، والثالث على

(١) في كنز الدرر: «١٧ ذراعاً و ٤ أصابع».

(٢) في ابن الأثير: «وكان يموت في اليوم ألف نفس».

الكارة التي سرقها. وهذا الوباء والغلاء خلاف[١] الغلاء الذي ذكرناه في ترجمة المستنصر؛ ويأتي ذكر ذلك أيضاً في محلّه. غير أنّه كان يُنْذِر عن ذاك بأمور آسترسلت إلى أن عَظُم الأمر.

وفيها أُقيم الأذان في مَشْهَد موسى بن جعفر ومساجد الكَرخ بـ «الصلاة خير من النوم» على رغم[٢] أنف الشِّيعة، وأزيل ما كانوا يقولونه في الأذان من «حيّ على خير العمل».

وفيها تُوفّي جعفر بن محمد بن عبد الواحد، أبو طالب الجعفَريّ الشريف الطُّوسِيّ شيخ الصوفية، كان محدّثاً فاضلاً، سافر [إلى] البلاد في طلب الحديث، وسمِع بالعراقين والشام وخُراسان وغيرها.

وفيها تُوفّي عليّ بن أحمد بن عليّ، أبو الحسن المؤدّب. أصله من قرية ببلاد خُوزسْتان يقال لها «فالة» (بفاء) ثم قدِم البصرة وسمع الحديث، ثم قدم بغداد ومات بها؛ وكان محدّثاً شاعراً أديباً فصيحاً ثقةً.

وفيها تُوفّي هلال بن المُحسِّن بن إبراهيم بن هلال، أبو الحسين الكاتب الصابىء صاحب التاريخ ــ قلت: نقلنا عنه كثيراً في هذا التاريخ ــ وكان مولده في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وجدّه إبراهيم هو صاحب الرسائل المقدّم ذكر وفاته، وأن الشريف الرضي رثاه، وعِيب عليه من كونه من الأشراف ورَثَى صابئاً. وكان أبو هلالٍ هذا المُحَسِّنُ صابئاً، وأسلم هو متأخراً؛ وكان قبل أن يُسلِم سمع جماعة من النحاة، منهم أبو عليّ الفارسيّ وعليّ بن عيسى الرُّمانيّ وغيرهما.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وخمس عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وثلاث عشرة إصبعاً.

* * *

(١) ذكر ابن الأثير أن هذا الوباء والغلاء ما لبث أن عمّ سائر البلاد من الشام والجزيرة والموصل والحجاز واليمن وغيرها.

(٢) ذكر ابن الأثير أن الخليفة أمر بذلك، ففعلوا ما أمرهم به خوف السلطنة وقوتها.

السنة الثانية والعشرون من خلافة المستنصر مَعَدّ على مصر

وهي سنة تسع وأربعين وأربعمائة.

فيها استعفى ابن النّسوي[١] من ولاية الشُّرْطة ببغداد لاستيلاء الحَرامية واللصوص عليها بحيث إنه أقيم جماعة [٢] لحفظ قصر الخليفة والطّيّار الذي للخليفة من الحريق، لأن اللصوص كانوا إذا امتنع عليهم موضع حَرقوه.

وفيها كان الطاعون العظيم ببخارى، حتّى إنه خرج[٣] منها في يوم واحد ثمانية عشر ألفَ إنسان. وحُصِر من مات فيه فكان ألف ألف وستمائة ألف وخمسين ألف شخص. ثمّ وقع في أذْرَبِيجان والأهواز وواسط والبصرة، حتّى كانوا يحفِرون التُّربة الواحدة ويُلْقون فيها العشرين والثلاثين. ثمّ وقع بسَمَرْقَنْد وبَلْخ، فكان يموت في كلّ يوم ستة آلاف وأكثر. وذكر صاحب المرآة في هذا الطاعون أشياء مَهُولة يطول الشرح في ذكرها، منها أن مؤدّب[٤] أطفال كان عنده تسعمائة صغير فلم يبقَ منهم واحد. ومات من عاشر شوّال إلى سَلْخ ذي القعدة بسَمَرْقَنْد خاصّةً مائتا ألف وستة وثلاثون ألفاً وكان ابتداء هذا الطاعون من تُرْكِسْتان إلى كَاشغَر وَفَرْغانة اِنتهى.

وفيها تُوفّي أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهّر بن زياد بن ربيعة [بن الحارث][٥] بن أنور بن أسحم بن

(١) هو أبو محمد النسوي صاحب الشرطة ببغداد، كما في ابن الأثير. وانظر فيما يأتي: حوادث سنة ٤٥٢هـ.

(٢) أغلب الظن أن هذه الجماعة التي انتدبت لحماية الخليفة وحراسة قصره هي من طائفة العيّارين والشطار (الحرامية واللصوص) بقيادة أشطر الشطار في تلك المرحلة وهو علي الزيبق. ولعل المؤرخين صمتوا أو خجلوا من ذكر تلك الحقيقة احتراماً لهيبة الخلافة ومكانة السلطة. ففي هذه السنوات ٤٤٤ ــ ٤٥٤هـ انخرقت هيبة الخلافة، وعظم انحلال أمر السلطنة بالكلية، على حد تعبير ابن الأثير. (انظر حكايات الشطار والعيارين: ص ١٢٩).

(٣) في ابن الأثير: «مات في يوم واحد . . . إلخ».

(٤) عبارة مرآة الزمان: «وكان عند الفقيه عبد الجبار بن أحمد سبعمائة فقيه، فمات عبد الجبار والفقهاء بأسرهم». (عن طبعة دار الكتب، حاشية).

(٥) زيادة عن ابن خلكان.

أرقم بن النُّعمان بن عَديّ بن غَطَفان بن عمرو بن بَرِيح بن جذيمة[١] بن تَيْم الله بن أَسَد بن وَبْرة بن تَغْلَب بن حُلْوان بن عِمْران بن الحاف بن قُضَاعة، أبو العَلَاء المَعَري التَّنوخِيّ اللغويّ الأعمى الشاعر المشهور، صاحب التصانيف المشهورة. قال الذهبيّ: وصاحب الزندقة المأثورة. وقال أبو المظفَّر في مرآة الزمان: وتَنوخُ قبيلة من اليمن. وتُوفّي أبو العَلاء بمعرّة النُّعمان في يوم الجمعة ثالث عشر [شهر] ربيع الأوّل. ومولده يوم الجمعة لثلاث بقين من [شهر]ربيع الأوّل سنة ثلاث وستين وثلاثمائة. وأصابه جُدَرِيّ بعد ثلاث سنين من عمره فعَمِي منه. وقال الشعر وهو آبن إحدى عشرة سنة. قلت: وقد آختلف الناس في أبي العَلَاء المذكور، فمن الناس مَن جعله زِندِيقاً وهم الأكثر، ومن الناس مَن أوّل كلامه وَدَفع عنه. ومما يُسْتَشْهَد عليه من المقالة الأولى قوله: [الوافر]

عقول[٢] تَسْتَخِفُّ بها سطور ... ولا يَدْرِي الفتى لمن الثُّبُورُ
كتابُ محمد وكتابُ موسى ... وإنجيلُ آبن مريم والزَّبُورُ

وله في غير هذا المعنى أشياء كثيرة، وتصانيف مشهورة، منها «سَقْط الزَّند» وشَرَحه بنفسه وسَمّاه «ضَوْء السقْط». وله غير ذلك.

وفيها تُوفّي إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عابد بن عامر، أبو عثمان الواعظ المفسر الصّابونِيّ النيسابوريّ شيخ الإسلام، قال أبو عبد الله المالكي: أبو عثمان ممن شهِد له أعيان الرجال بالكمال في الحِفظ والتفسير وغيرهما. وقال البيهقي: «أنبأنا إمام المسلمين حقاً، وشيخ الإسلام صِدْقاً أبو عثمان الصابونيّ».

وفيها تُوفّي عليّ بن هِنْدِيّ، القاضي أبو الحسن، قاضي حِمْص. وله سنة أربعمائة. كان عالماً فاضلاً نَزِهاً عفيفاً فصيحاً مات بدمشق.

---

(١) كذا في الأصل وفي معظم من ترجم له. وفي طبعة دار الكتب جاء مصححاً بـ«خزيمة». انظر تعريف القدماء بأبي العلاء.

(٢) كذا أيضاً في تاريخ الإسلام للذهبي ومعجم الأدباء لياقوت وإنباه الرواة للقفطي. وفي اللزوميات والمنتظم وعقد الجمان والبداية والنهاية: «أمور تستخفّ بها حلوم». (تعريف القدماء بأبي العلاء).

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وثلاث أصابع.

* * *

السنة الثالثة والعشرون من خلافة المستنصر مَعَدّ على مصر

وهي سنة خمسين وأربعمائة.

فيها أقام أبو الحارث أرسلان البَساسيريّ الدعوة للمستنصر ببغداد وخَطَب له على منابرها. وقد آستوعبنا واقعته مع الخليفة القائم بأمر الله العباسِيّ في أوّل ترجمة المستنصر هذا، فيُطلب هناك.

وفيها وَلّى المستنصر الأمير ناصرَ الدولة أبا محمد الحسن بن الحسين بن حَمْدان على دِمَشق، فدام بها إلى أن أمرَه المستنصر أن يتوجّه إلى حلب في سنة آثنتين وخمسين لقتال العرب الذين آستَولَوْا عليها؛ فتوجّه إليها ودافع العربَ بظاهرها فكانت بينهم وقعة هائلة آنكسر فيها ناصر الدولة المذكور وعاد جريحاً[١]، وآستولت العرب على أثقاله وما كان معه.

وفيها تُوفّي داود جُغْري[٢] بك أخو السلطان طُغْرُلْبَك السّلْجُوقي، وداود كان الأكبر[٣]. ولم يقدم بغداد، وكان مقيماً بخُراسان بإزاء أولاد محمود بن سُبُكْتِكِين. وهو حمو الخليفة القائم بأمر الله. وكان ملكاً شجاعاً عاقلاً جَوَاداً مدبِّراً حكيماً. مات ببلخ. وتوجّه ولداه ياقوتي[٤] بك وقاورد[٥] بك إلى عند أخيهما متملّك الأمر

---

(١) في أخبار مصر لابن ميسَّر: «وأصابته ضربة شلّت منها يده». انظر أيضاً ذيل تاريخ دمشق: ص ٩٠، وزبدة الحلب لابن العديم: ١ / ٢٨٠ وفيه أن اسم الوقعة «وقعة الفنيدق».

(٢) في أخبار الدولة السلجوقية، ص ٤: «داود جقر بك». وفيه أن وفاته في صفر سنة ٤٥٢هـ.

(٣) في المصدر السابق أن طغرلبك كان الأكبر.

(٤) في الأصل: «ياقوت» وما أثبتناه عن أخبار الدولة السلجوقية وتاريخ دول الإسلام.

(٥) في الأصل: «قاورت» وما أثبتناه عن المصدرين السابقين وفي معجم زامباور أنه «عماد الدين قرا آرسلان».

بعد أبيهما، وآسمه ألْب أرسلان ، وقرّر عمّهما السلطان طغرلبك أمورهما، وكان بأصبهان وقد عَزَم على قصد العراق.

وفيها تُوفّي طاهر بن عبد الله بن طاهر، أبو الطيّب الطبَّريّ القاضي الشافعيّ. تفقّه بخُرَاسان وبالعراق، وولي القضاء بربْـع الكَرْخ. ومولده سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، ومات يوم السبت عشرين [شهر] ربيـع الأوّل، وقد بلـغ مائـة سنة وسنتين، وهو صحيـح العقل ثابت الفهم سليم الأعضاء والحواسّ.

وفيها تُوفّي عبد الله بن عليّ بن عِياض، أبو محمد الصُّوريّ؛ كان يُلَقَّب بعين الدولة؛ كان جليلاً نبيلاً؛ ولي القضاء بصُور، وسمِـع الكثير، وخرّج له أبو بكر الخطيب فوائد في أربعة أجزاء وقرأها عليه بصور. وهو الذي أخذ الخطيب مصنفاته وآدّعاها لنفسه . ومات فجأةً في الزِّيـب (قرية بين عَكّا وصور) في شوّال. وكان صَدُوقاً ثقةً.

وفيها قُتِل الوزير رئيسُ الرؤساء عليّ بن الحسين بن أحمد بن محمد، الوزير ابو القاسم؛ كان من بيت رياسة ومكانة، إستكتبه القائم بأمر الله العباسي ثم استوزره ولقّبه «رئيس الرؤساء شرف الوزراء». ومولده في شعبان سنة تسع وتسعين وثلاثمائة. وكان عالماً بفنون كثيرة مـع سَداد رأي ووفور عقل. قتله أبو الحارث أرسـلان البَسَاسيريّ. حسب ما ذكرناه في أوّل ترجمة المستنصر صاحب الترجمة.

وفيها تُوفّي عليّ بن محمد بن حبيب، أبو الحسن المَاوَرْدِيّ البصري ، الإمام الفاضل الفقيه الشافعيّ صـاحب التصانيف الحِسـان، منها «التفسيـر» و«كتاب الحاوي» و«الأحكام السلطانية» و«قوانين الوزارة» و«الأمثال». وولي القضاء ببُلْدان كثيرة. وكان محتَرَماً عند الخلفاء والملوك.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وسبـع أصابـع. مبلـغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وآثنتا عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الرابعة والعشرون من خلافة المستنصر مَعَدّ على مصر

وهي سنة إحدى وخمسين وأربعمائة.

فيها آنصرف أبو الأغرّ دُبَيْس بن مَزْيَد عن بغداد على غضب من البَساسيريّ.

وفيها كان بمكة رُخْص لم يُعْهَد مثله، حتّى بلغ البُرُ والتمر مائتي رطل بدينار.

وفيها قُتِل أبو الحارث أرْسلان التركيّ المعروف بالبَسَاسيريّ صاحب الدعوة للمستنصر ببغداد؛ كان يلقّب بالمظفر. وكان في مبدأ أمره مُقدَّماً على الأتراك خصيصاً عند القائم بأمر الله العباسيّ، لا يقطع القائم أمراً دونه. فتجبَّر وطغى، فجفاه القائم وآستنصر عليه بالسلطان طُغْرُلْبَك السَّلْجُوقيّ حتّى خرج من بغداد على غضب. وصار يسعى في زوال الخلافة عن القائم، ولا زال يُدَبِّر عليه حتى فعل تلك الأمور، ودخل بغداد وقاتل الخليفة القائم وقطع خطبته وخطب للمستنصر صاحب الترجمة، وقَتَل الوزير رئيسَ الرؤساء المقدّم ذكره ــ وقد ذكرنا ذلك كلّه في أوّل ترجمة المستنصر هذا ــ وملَك بغداد ودام بها حتّى ظَفِره[1] السلطان طُغْرُلْبَك السَّلْجُوقِيّ وقتله شرّ قِتْلَة. وأعاد الخليفةَ القائم بأمر الله من حديثة عانة إلى بغداد، وأُعيدت الخطبةُ بآسمه، وأبطل طُغْرُلْبَك آسم المستنصر هذا من بغداد والعراق، ومهّد أمورها (أعني العراق) حتّى عادت كما كانت عليه، وكان قتله في آخر السنة[2].

وفيها تُوفّي الحسن بن أبي[3] الفضل الإمام أبو عليّ الشَّرْمَقَانيّ[4] ــ والشَّرْمَقَان: قرية من قرى نَيْسابور ــ كان إماماً فاضلاً حافظاً للقرآن ووجوه القراءات، زاهداً عابداً ورِعاً سليم الصدر. وكان لا يقبل من أحد، ويقنع بورق

---

(١) ظفر: يتعدى بنفسه وبالحرف. فيقال: ظفر به، وظفره.

(٢) وكانت مدة استيلائه على الخلافة وإقامة الدعوة الفاطمية سنة كاملة.

(٣) في تاريخ بغداد: «الحسن بن الفضل».

(٤) في الأصل: «الشرمغاني» بالغين المعجمة.

الخَسّ. فآتفق أنّ ابن العَلاّف خرج يوماً متوجّهاً على دِجْلة فرأى الشرْمَقَانيّ هذا يأخذ ما يَرْمِي به أصحاب الخَسّ فيأكله، فشقّ عليه ذلك، فَحَكى أمره للوزير رئيس الرؤساء؛ فقال: نَبْعَث له شيئاً؛ فقال: لا يقبل. فقال الوزير: تحيّل فيه. فقال لغلام له: اِذهب إلى مسجد الشَّرْمَقَانِيّ واعمل لغَلَقه(١) مِفتاحاً من حيث لا يشعر ففعل. فقال: اِحْمِل له في كلّ يوم ثلاثة أرطال خبز، ودجاجة مشوية، وقطعة حَلْوى سكّر. فكان الغلام يَرْصُده، فإذا خرَج من المسجد فتح الباب وترك ذلك في خلوته وخرج؛ فيقول الشَّرْمَقَانِيّ: المِفتاح معي، من أين ذلك! وما هو إلاّ من الجنّة! وسكت ولم يُخبِر أحداً خوفاً من أن ينقطع، فأخصب جسمه وسَمِن؛ فقال له آبن العلاّف: قد سَمِنت، فإيش تأكل؟ فأنشد الشَّرْمَقَانِيّ يقول: [البسيط]

مَن أطلعوه على سِرٍّ فباح به ... لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

وأخذ يُوَرِّي ولم يُصرِّح بما يقع له، فقال: هذا كرامة. فقال له بعضهم: ينبغي أن تدعوَ للوزير؛ ففهِم وآنكسر قلبه وآمتنع من أكل ذلك. وتُوفّي بعد ذلك بمدّة يسيرة.

وفيها تُوفّي سعيد بن محمد بن أحمد، الشيخ أبو عثمان النَّجِيرَمِيّ(٢) النيسابوريّ العدل.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وآثنتا عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصبعاً.

* * *

(١) الغَلَق (بالتحريك): ما يغلق به الباب ويفتح بالمفتاح. وهو ما يعرف عند العامة بمصر بـ «الكالون» وعند عامة الشام بـ «الغال». (معجم متن اللغة).

(٢) في الأصل: «البحيري» وهو تحريف. وما أثبتناه عن الشذرات مضبوطاً بالعبارة. نسبة إلى نجيرم: محلة بالبصرة.

السنة الخامسة والعشرون من خلافة المستنصر مَعَدّ على مصر

وهي سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة.

فيها في صفر دخل عَطِيّةُ[١] صاحبُ بالِس إلى الرَّحْبَة وحصرها وآفتتحها. فلمّا دخلها أحسن معاملة أهلها، وخَطَب بها للمستنصر هذا صاحب الترجمة، بعد أن كانوا خطبوا فيها بأمر السلطان طُغْرُلْبَك السَّلْجُوقِيّ للقائم بأمر الله العبّاسيّ.

وفيها دخل السلطان طُغْرُلْبَك بغداد وفي خدمته أبو كاليجار من ملوك بني بُوَيْه، وآسمه هزارسب، والأمير أبوالأغرّ بن مَزْيَد، والأمير أبوالفتح بن وَرَّام، وصَدَقَةُ بن منصور بن الحسين؛ ونزل بدار المُلك ببغداد. وآنقرضت دولة بني بُوَيْه من بغداد بسلطنة طُغْرُلْبَك السلجوقيّ هذا.

وفيها تُوفّي أحمد بن عبد[٢] الله بن فَضالة أبو الفتح المَوَازِينيّ الحلبيّ[٣] الشاعر. كان يُعرف بالماهر. سكن دِمَشْق وبها تُوفّي. ومن شعره: [الكامل]

يا من تَوَقّدُ في الحشا بصدوده ... نارٌ بغير وِصاله لا تنطفِي

وظننتُ جسمي أنْ سيَخْفَى بالضّنَا ... عن عاذِلِيّ فقد ضَنِيتُ وما خَفِي

وفيها تُوفّيت الترنجان[٤] زوجة السلطان طُغْرُلْبَك السَّلْجُوقيّ وأُمّ أنو شروان التي تزوّجها خُوارَزْم شاه[٥]؛ كانت أُمّ ولد، وفيها دِينٌ وافر، ومعروف ظاهر، وصدقات كثيرة، وكانت صاحبةَ رأي وتدبير وحزم وعزم؛ وكان زوجها السلطان طُغْرُلْبَك سامعاً لها ومطيعاً، والأمور مردودة إلى عقلها، وكانت تَسِير بالعساكر وتُنْجِده وتقاتل أعداءه.

---

(١) هو عطيّة بن صالح بن مرداس، أبو ذؤابة. توفي سنة ٤٦٥هـ. (الأعلام: ٥/٣٣).

(٢) في الشذرات: «أحمد بن عبيد بن فضال» وفي وفيات الأعيان (ترجمة ابن القيسراني الشاعر): «أحمد بن عبيد بن فضل».

(٣) في الأصل: «الحلّي». والتصحيح عن الشذرات والوفيات.

(٤) كذا في الأصل؛ وفي ابن الأثير: «توفيت خاتون زوجة السلطان طغرلبك بزنجان».

(٥) جاء في تاريخ دول الإسلام: ٢/٩٧ «ولما توفي الملك داود بن ميكائيل تزوج أخوه طغرلبك امرأته أم ابنه سليمان، وعهد لابنها سليمان بالملك من بعده».

وفيها تُوفّيت أمّ الخليفة القائم بأمر الله العباسيّ، وهي أرمينيَة أمّ ولد. تسمّى قطر الندى ــ وقيل بدر الدجى، وقيل علم ــ وهي التي حبسها البَساسيريّ لمّا ملك بغداد. وكانت وفاتها في شهر رجب ببغداد، وصلّى عليها آبنها الخليفة القائم بأمر الله. وقد جاوزت التسعين سنة من العمر.

وفيها تُوفّي الحسن بن أبي الفضل، الأمير أبو محمد النَّسَوِيّ صاحب شرطة بغداد الذي آصطلح أهلُ السنّة والرافضة خوفاً منه فيما تقدّم ذكره. وكان صارماً فاتكاً ظالماً، يقتُل الناس ويأخذ أموالهم. وشَهِد عليه الشهود عند القاضي أبي الطيب[1] فحَكم بقتله، فصالح بمال فسلِم، وعُزِل من الشّرطة ثم أُعِيد؛ فآتّفقت أهل السّنة والرافضة عليه فقتلوه.

وفيها وقع الطاعون بالحجاز واليمن، وخَرِبت قُرًى كثيرة، وصار من يدخلها هلك من ساعته.

وفيها تُوفّي محمد بن عبيد الله بن أحمد، أبو الفضل المالكيّ المعروف بآبن عُمْرُوس؛ إنتهت إليه رياسة المالكية ببغداد في زمانه، وكان من القرّاء المجوّدين ثقةً ديِّناً؛ أخرج له الخطيب حديثاً عن مُعاذ بن جَبَل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «مَنْ عيَّر أخاه بذنب لم يَمُت حتّى يفعَلَه».

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وآثنتان وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وتسع أصابع.

* * *

(١) هو القاضي الشافعي طاهر بن عبد الله بن طاهر، أبو الطيب الطبري المتوفى سنة ٤٥٠هـ. (الأعلام: ٢٢٢/٣).

السنة السادسة والعشرون من خلافة المستنصر مَعَدّ على مصر

وهي سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة.

فيها تُوفّي الأمير أحمد(١) بن مَرْوان بن دُوسْتك نصر الدولة الكُرْدِيّ، صاحب مَيّافارِقين وديار بكر؛ مَلك البلاد بعد أن قتِل أخوه أبو سعيد منصور. وكان نصر الدولة هذا عاليَ الهِمّة، قويّ الحُرمة، مقبلاً على اللّذّات، عادلاً في الرعيّة. قيل: لم تَفُتْه صلاة الصبح مع الجماعة مع آنهماكه في اللهو. وكان له ثلاثمائة وستّون جارية، يخلو كلَّ ليلة بواحدة على عدد أيّام السنة. وخلّف عدّة أولاد. وقد وَزَر له أبو القاسم الحسين بن عليّ المغربي صاحب الرسائل، وكان أوّلاً وزير صاحب مصر، فقدِم عليه فوَزَر له مرّتين. ومات نصر الدولة في شوّال بظاهر ميّافارقين وله سبع وسبعون سنة. وكانت سلطنته إحدى وخمسين سنة. وملّك بعده ولده نظام الدين أبو القاسم نصر بن أحمد.

وفيها تُوفّي عليّ(٢) بن رِضوان بن عليّ بن جعفر، أبو الحسن المصريّ صاحب المصنّفات. كان من كِبار الفلاسفة في الإسلام، وكان له دار بمدينة مصر على قصر الشّمعة(٣) تُعرف بدار آبن رِضوان. وقد تهدّمت الآن. كان إماماً في الطِّبّ والحِكمة، كثير الردّ على أرباب فنّه. وكان فيه سعة خُلُق عند بحثه، وله مصنّفات كثيرة.

وفيها تُوفّي عليّ بن يحيى بن محمد، أبو محمد وأبو القاسم السُّلَميّ

(١) تقدم له ذكر وفاته في سنة ٤٠٢هـ. والصحيح ما ذكر هنا. راجع الجزء الرابع، ص ٢٣١، حاشية (٢).

(٢) كان ابن رضوان رئيس أطباء مصر، ومن كبار الفلاسفة في الإسلام. صنّف عدداً من الكتب من أهمها «دفع مضار الأبدان بأرض مصر» منه نسخة بخط جميل مشكول في دار الكتب المصرية برقم ٣٦ طب (مصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم ١٠٦ طب) وأخرى برقم ٢١ طب م، مصورة بمعهد المخطوطات برقم ٤٦٨ طب. (أخبار مصر لابن ميسّر: ص ٢٦، حاشية).

(٣) كذا في الأصل. ولعل المراد به قصر الشمع.

الدِّمشقِيّ المعروف بـالسُّمَيْسَاطِي واقف خانقاه[1] دمشق وغيرها. سمِع الحديث، وكان مقدّماً في علم الهندسة والهيئة، وروى عنه أبو بكر الخطيب وغيره.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وأربع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وثماني عشرة إصبعاً.

* * *

السنة السابعة والعشرون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة أربع وخمسين وأربعمائة.

فيها قَبَض المستنصر على وزيره أبي الفرج بن المغربيّ[2]، وآستوزر أبا الفرج البَابِليّ[3]، ثمّ ردّ آبنَ المغربيّ إلى كتابة الجيش[4]، وهي كانت رتبته قبل الوزارة؛ ولم يكن قبله وزير يُعزل فيعود إلى قديم تصرفه.

وفيها كانت وقعة بين أبي المكارم مسلم بن قُرَيْش بن بَدْران وبين عمّه مُقبِل

---

(١) وهي الخانقاه السميساطية. وتعرف اليوم بالشميساتية. والسميساطي: نسبة إلى سميساط، بلدة بشاطىء الفرات في طرف الروم، كانت قلعة بين قلعة الروم وملطية. (الأعلام: ٣٢٨/٤).

(٢) الصواب أنه صرف من الوزارة في رمضان سنة ٤٥٢هـ. (انظر أخبار مصر لابن ميسّر: ٢٢، والإشارة للصيرفي وكنز الدرر: ٣٤٢/٦، والوزارة والوزراء في العصر الفاطمي: ٢٥٩) وهو أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين المغربي. وقد توفي سنة ٤٧٨هـ.

(٣) هو أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلي. وفي هذه السنة كانت وزارة البابلي الثالثة، ودامت حوالى خمسة أشهر. وفي هذه السنة (٤٥٤هـ) توالى على الوزارة أربعة وزراء هم عبد الكريم بن سعيد الفارقي، وأحمد بن عبد الحاكم بن سعيد الفارقي، والحسين بن علي الماشلي ثم البابلي المذكور. والذي يسترعي الانتباه ويلفت النظر هو كثرة تقلّب الوزراء على الوزارة في أيام المستنصر. وقد استطعنا أن نسجّل صرف الوزير عن وزارته واستبداله بآخر حوالى خمسين مرّة في الفترة الواقعة ما بين المحرم سنة ٤٥٤هـ وجمادى الأولى سنة ٤٦٦هـ حين ابتدأت وزارة بدر الجمالي، واستمر فيها إحدى وعشرين سنة وبضعة أشهر. وهذا مؤشر واضح على عدم الاستقرار السياسي. كما يمكننا ملاحظة أن أكثر الوزارات في تلك الفترة المشار إليها لم تكن لتدوم أكثر من شهر واحد، وكثير منها كانت لأيام معدودات. (انظر الوزارة في العصر الفاطمي: ص ٣٠٨ ــ ٣١١ والجداول المرفقة بالكتاب).

(٤) بعد عزله تولى ديوان الإنشاء، وليس كتابة الجيش كما يذكر المؤلف هنا.

ابن بَدْران. وكان مُقبِل قد طَلَب الأمر لنفسه وآجتمع إليه خَلْق من الأكراد وغيرهم، وآلتقيا على الخابور[١] فآنهزم مُسلم، وملك مقبِل الجزيرة. فبذل مُسلم المال وجمع وعاد إلى عمّه مقبِل فهزمه. ثمّ آتّفقا وآجتمعا وآصطلحا على أمر مَشَى بينهما.

وفيها تُوفّي الحسن بن عليّ بن محمد بن الحسن، أبو محمد الجَوهريّ ثم الشّيرازيّ ثمّ البغداديّ، مُسنِد العراق في عصره. وُلد في شعبان سنة ثلاث وستّين وثلاثمائة، وسمِع الكثير وتفرّد بأشياء عوالٍ. وكان يُعرف بالمُقَنّعِي[٢] لأنّه كان يَتَطَيْلَسُ ويلتفّ بها تحت حَنكه. ومات في ذي القعدة، وكان له شعر. فمن ذلك قوله: [السريع]

يا موتُ ما أجفاك من زائرٍ تَنْزِل بالمرء على رغمه[٣]
وتأخذ العَذْراء من خِدْرها وتسْلُب الواحد من أمّه

وفيها تُوفّي عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بُنْدَار، أبو الفضل العِجْليّ الرّازيّ المقرىء الإمام الزاهد. أصله من الرّيّ، ووُلد بمكّة، وكان يتنقّل من بلد إلى بلد. وكان مقرئاً، جليلَ القدر، كثير التصانيف، حسن السِّيرة، زاهداً متعبّداً.

وفيها تُوفّي المُعِزّ بن باديس بن منصور بن بُلُكِّين الحِمْيريّ الصِّنْهاجيّ سلطان إفريقيّة وما والاها من الغرب. كان الحاكم صاحب مصر قد لقّبه شرف الدولة، وأرسل إليه خِلْعة في سنة سبع وأربعمائة، وعاش المُعِزّ إلى هذا الوقت. وكان مِلِكاً رئيساً جليلاً عاليَ الهمّة، وهو الذي حَسَم مادّة الخِلاف ببلاد الغرب. وكان مذهب أبي حنيفة ظاهراً بإفريقيّة، فَحَمل أهل مملكته بالاشتغال بمذهب مالك وترك ما دونه من المذاهب. وكان المعزّ شيخاً جَوّاداً ممدَّحاً. وهو الذي خلع طاعة خلفاء مصر من بني عُبَيْد، وأبطل دعوتهم من الغرب، وخطب للقائم بأمر الله العبّاسيّ، فكتب

(١) الخابور: نهر كبير بين رأس عين والفرات. وولاية واسعة وبلدان جمة غلب عليها اسمه. وخابور الحسنيّة: من أعمال الموصل في شرقي دجلة. (معجم البلدان).
(٢) في الأصل: «المقتفي» والتصحيح عن المنتظم والشذرات.
(٣) في عقد الجمان أن هذين البيتين لأبي الفضل العجلي الذي ذكره المؤلف عقب هذا الشعر.

إليه المستنصر هذا يتهدّده، فما ٱلتفت إلى ذلك. ثمّ وقَع بين عساكره وعساكر المستنصر حروب بسبب ذلك[١].

وفيها تُوفّي سُبُكْتِكِين [بن عبد الله][٢] التُّركيّ أبو منصور، ولقب بتمام الدولة[٣]. تولى إمارة دمَشق من قِبَل المستنصر صاحب الترجمة، ومات بها في شهر ربيع الأول. وكان صالحاً عفيفاً، سمع الحديث ورواه.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم أربع أذرع وستّ أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً سواء.

* * *

السنة الثامنة والعشرون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة خمس وخمسين وأربعمائة.

فيها دخل الصُّلَيْحِيّ[٤] إلى مكّة، وٱستعمل الجميلَ مع أهلها، وأظهر العدل والإحسان، وطابت قلوبُ الناس له ورخصت الأسعار؛ وكان شابّاً أشقر اللّحية أزرق العينين، وليس كان باليمن أشقر أزرق غيره. وكان متواضعاً، إذا ٱجتاز بقوم سلّم عليهم بيده؛ وكسا البيت الحرام بثياب بِيض، وردّ بني شَيْبة عن قبيح أفعالهم.

وفيها كانت واقعة بين قاورد بك بن داود وبين فضلويه الشونكاريّ على فرسخين من شِيراز، فٱنهزم فضلويه وغنِم قاورد بك أمواله. وكان فضلويه في عشرين ألفاً من الدّيْلم وغيرهم؛ وكان قاورد بك في أربعة آلاف من الترك لا غير.

---

(١) انظر في ذلك: اخبار مصر لابن ميسّر: ص ١١ ــ ١٢، وأخبار الدول المنقطعة لابن ظافر: ٦٩ ــ ٧٠.
(٢) زيادة عن تهذيب ابن عساكر.
(٣) في الأصل: «أبو منصور بن همام الدولة». وما أثبتناه عن تهذيب ابن عساكر.
(٤) راجع ص ٥٩ من هذا الجزء، حاشية (٣).

وفيها ثار أهل همَذان على العميد فقتلوه مع سبعمائة رجل من أصحاب السلطان، وقتلوا أيضاً شِحْنة[١] البلد.

وفيها قصد قُتُلْمِش الرَّيَّ ومعه خمسون ألفاً من التركمان، فدفعه عميد الملك عنها.

وفيها توفّي السّلطان طُغْرُلْبَك. وآسمه محمد بن ميكائيل بن سَلْجوق أبو طالب السَّلْجوقيّ. قدِم بغداد سنة سبع وأربعين وأربعمائة، وخلع عليه الخليفة القائم بأمر الله العباسيّ، وخاطبه بملِك المشرق والمغرب. قلت: وهذا أوّل ملوك السلجوقيّة، وهو الذي مهّد لهم الدولة، وردّ مُلْك بني العباس بعد أن كان آضمحلّ وزالت دعوتهم من العراق، وخُطِب لبني عُبَيْد خلفاء مصر لمّا آستولى أبو الحارث أرْسلان البَسَاسيريّ على بغداد. وقد تقدّم ذكر ذلك. فما زال طغرلبك هذا حتّى ردّ الخليفة القائم بأمر الله من الحديثة إلى بغداد، وأعاد الخطبة بآسمه، وقَتَل البَساسِيريّ. وكان شجاعاً مِقْداماً حليماً؛ عَصَى عليه جماعة فظَفِر بهم وعفا عنهم. وهو الذي أزال ملك بني بُوَيْه من العراق وغيره. وكانت وفاته بالرَّيّ في يوم الجمعة ثامن شهر رمضان من هذه السنة. وكانت مدّة ملكه خمساً وعشرين سنة؛ وقيل ثلاثون[٢] سنة. ومات وعمره سبعون سنة ــ وقيل جاوز الثمانين ــ والأول أشهر. وطُغْرُلْبَك (بضم الطاء المهملة وكسر[٣] الراء المهملة وسكون اللام وفتح الباء ثانية الحروف وسكون الكاف).

وفيها تُوفّي مسلم بن إبراهيم، أبو الفضل السلميّ البزّاز، ويُعرف بابن الشُّوَيْطْر؛ كان أديباً فاضلاً. ومن شعره: [البسيط]

ما في زمانك مَنْ تَرجو مودّتَه ... ولا صديقٌ إذا خان الزمانُ وفا
فعِشْ فريداً ولا تَرْكَنْ إلى أحدٍ ... فقد نصحتُك فيما قلتُه وكفَى

(١) الشِّحنة في البلد والكورة: من فيهم الكفاية لضبطها من جهة السلطان. أثبتها مجمع اللغة العربية بدمشق لما يعرف بالبوليس من الجند. (معجم متن اللغة).
(٢) في أخبار الدولة السلجوقية: «أربعاً وعشرين سنة وأشهراً».
(٣) المشهور بضم الراء. (راجع ابن خلكان).

وفيها تُوفّي منصور بن إسماعيل بن أبي قُرّةَ القاضي، أبو المظفَّر الفقيه الهَرَوِيّ الحنفيّ، قاضي هَرَاة وخطيبُها ومسنِدُها؛ سمِع الكثير وحدّث. وهو أحد أعيان فقهاء الحنفية في زمانه. كان إماماً حافظاً مفتناً. مات في ذي القعدة عن قُرَيْب تسعين سنة.

وفيها كان الطاعون العظيم بمصر وقُراها فمات بمصر في عشرة أشهر كلّ يوم ألفُ إنسان.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وخمس عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع[1] عشرة ذراعاً وآثنتا عشرة إصبعاً.

* * *

السنة التاسعة والعشرون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة ستّ وخمسين وأربعمائة.

فيها وقعت فتنة عظيمة بين عَبِيد مصر والتّرك؛ ووصل ناصر الدولة بن حمدان إلى الإسكندرية، وآلتقى مع العَبِيد بموضع يُعرف بالكَرْم[2]؛ فقُتِل من العَبِيد ألف رجل، وهرب من بَقِي. ثم تردّدت الرسل في إصلاح ذات البَيْن فتمّ. وقد تقدّم شيء من ذلك في ترجمة المستنصر هذا.

وفيها جرت مراسلة بين قاورد بك ابن [أخي][3] طُغْرُلْبَك السَّلْجوقيّ وبين أخيه ألْب أرْسلان، وسببه أن ألب أرسلان لمّا ملك الريّ وآستولَى على الأموال، كان قاورد بك على أصبهان فرجع إلى كَرْمان وخطب لألْب أرْسلان المذكور ولنفسه من بعده؛ فلم يحصل له إنصاف من ألْب أرْسلان؛ فوقع بسبب ذلك ما وقع.

وفيها تُوفّي الحسن بن عبد الله بن أحمد، أبو الفتح الحَلَبيّ الشاعر المعروف بآبن أبي حُصينة. كان فاضلاً شجاعاً فصيحاً، يُخاطَب بالأمير.

---

(١) في كنز الدرر: «١٩ ذراعاً و١٢ إصبعاً».

(٢) كذا في الأصل. وصوابه: «كوم شريك». راجع ص ٢١ من هذا الجزء.

(٣) زيادة عن أخبار الدولة السلجوقية.

وفيها تُوفّي عبد الواحد بن عليّ بن بَرْهان[١]، أبو القاسم النحويّ. كان إماماً فاضلاً نحويّاً، وفيه شراسة خُلُق؛ ولم يلبَس سراويل قطّ ولا غطّى رأسه أبداً. ومات ببغداد في جُمادى الأولى.

وفيها تُوفّي عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خَلَف بن مَعْدان بن سُفيان بن يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أميّة الأموي الفارسيّ الأصل، ثمّ الأندلسيّ القُرطبيّ، أبو محمد المعروف بآبن حزم المحدّث صاحب التصانيف المشهورة. كان ظاهريّ[٢] المذهب. وقد تكلّم فيه كلّ أحد ما خلا أهلَ الحديث، فإنّهم أثبتوا على حفظه. كان إماماً عارفاً بفنون الحديث، إلا أنّه كان صاحب لسان خبيث، وَيَقع في حقّ العلماء الأعلام حتّى صار مثلاً، فيقال: «نعوذ بالله من سيف الحجّاج ولسان آبن حزم». وكان له شعر جيّد. فمن ذلك قوله: [الوافر]

---

(١) في الأصل: «مهران». والتصحيح عن شذرات الذهب والمنتظم.

(٢) ينتسب المذهب الظاهري في الفقه إلى أبي سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني المتوفى سنة ٢٧٠هـ. تخرج داود الأصبهاني على تلاميذ الشافعي وأصحابه، لكنه لم يلبث إلا قليلاً آخذاً بالمذهب الشافعي حتى خرج عنه وقال: إن المصادر الشرعية هي النصوص فقط؛ فلا علم في الإسلام إلا من النص. وأبطل القياس، ولم يأخذ به. ولقد قيل له: كيف تبطل القياس، وقد أخذ به الشافعي؟ فقال: أخذت أدلة الشافعي في إبطال الاستحسان فوجدتها تبطل القياس. وهو بإجماع العلماء أول من أظهر القول بالظاهر. وإلى جانب إنكاره القياس جملة، فإنه قال بأن القرآن مخلوق محدث. ومنع التقليد منعاً مطلقاً، وأجاز لكل فاهم للعربية أن يتكلم في الدين بظاهر القرآن والسنة، حتى لقد جرأ العامة على ما لا قبل لهم به من أخذ الأحكام مباشرة من الكتاب والسنّة. وظهر ابن حزم في الأندلس في وقت كانت السيادة فيه لفقه الإمام مالك. وكان في البداية شافعياً، ثم تحوّل إلى المذهب الظاهري وأصبح إمامه والمدافع الأول عنه في الأندلس، مقابل معاصره ابن أبي يعلى الذي كان يحمل راية المذهب الحنبلي في الشرق. وقد خالف ابن حزم في آرائه الفقهية آراء الأئمة الأربعة في كثير من الفروع، إلى جانب مخالفته لهم في منهاج الاستنباط؛ فهم يعتمدون في استنباطهم على الكتاب والسنّة والإجماع والرأي. ويختلفون في منهاج الرأي ما بين مضيق فيه وموسع: فالشافعي يقصر الرأي على القياس ولا يتجاوزه إلى غيره، وأبو حنيفة يفتح الباب للاستحسان والعرف بجوار القياس، ومالك يفتح الباب مع ذلك للمصالح المرسلة وسدّ الذرائع، وينهج ابن حنبل في استنباطه منهاجاً قريباً من منهاج مالك وكان له اجتهاد بني على الرأي المتسع الرحاب. أما ابن حزم فقد اعتمد فقط على الكتاب والسنّة والإجماع؛ وقد صرّح بأنه لا يصح لأحد أن يقلّد أحداً، ولو كان صحابياً. (عن كتاب الاستاذ الشيخ محمد أبو زهرة: «ابن حزم: حياته وعصره، آراؤه وفقهه منشورات دار الفكر العربي ١٩٥٤) وانظر دائرة المعارف الإسلامية: ١/٢٥٤.

لئن أصبحتُ مرتحلاً بجسمِي ... فقلبي عنـدكم أبـداً مقيـمُ
ولكن للعِيـان لـطيفُ معنىً ... لـه سـأل المعـاينـةَ الكَليم

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وآثنتا عشرة إصبعاً. مبلـغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وثلاث[١] أصابـع.

* * *

السنة الثلاثون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة سبـع وخمسين وأربعمائة.

فيها تُوفّي محمد[٢] بن منصور أبو نصر عَمِيد الملك الكُنْدُرِيّ وزير السلطان طُغْرُلْبَك السَّلْجُوقيّ. كان فاضلاً مدبراً حازماً عاقلاً. وكان طغرلبك في مبدأ أمره قد بعثه ليخطُب له آمرأة فتزوّجها هو، فخصاه طغرلبك[٣] ثم أقرّه على خدمته، فاستولى عليه إلى أن مات. ووَزَر بعد موت طغرلبك لابنه ألْب أرْسلان وهو الذي قتله. وولي الوزارة بعده نظام الملك الذي نشر مذهب الإمام الشافعي بالعجم. وكان عَمِيد الملك المذكور فاضلاً أديباً شاعراً. ومن شعره لمّا تحقّق قتلَه، وأجاد إلى الغاية: [البسيط]

---

(١) حسب جدول كارتمير: «١٦ ذراعاً و١٣ إصبعاً».

(٢) كذا أيضاً في ابن خلكان وشذرات الذهب. وفي المنتظم وابن الأثير وعقد الجمان والبداية والنهاية: «منصور بن محمد».

(٣) في أخبار الدولة السلجوقية للحسيني أن الذي بعثه هو «السلطان الأعظم عضد الدولة الب أرسلان ووكله حتى يزوّج بنتاً لخوارزمشاه من السلطان، فوقـع إرجاف، ورفـع إلى السلطان عضد الدولة أن الوزير عميد الملك زوّجها من نفسه وخان، فتغيّر عليه رأي السلطان، فحلق عميد الملك لحيته وجبّ مذاكيره حتى سلم مـن سياسـة السلطان». انتهى. انظر أيضاً شذرات الذهـب. وكان الكندري المذكور يجمـع بين الفصاحتين العربية والفارسية، وكان يقوم بالترجمة بين السلطان طغرلبك والخليفة العباسي القائم. (الأعلام: ٧/١١١).

إن كان بالناس ضِيقٌ عن مزاحمتي فالموت قد وَسّع الدنيا على الناسِ
قضيتُ والشامت المغرور يَتْبَعُني إنّ المنية كاسٌ كلنا حاسِي[1]

وفيها تُوفّي عبيد[2] الله بن عمر القاضي، أبو زيد الدَّبُوسِيّ[3] الحنفيّ شيخ الحنفيّة بما وراء النهر[4]. كان إماماً عالماً فقيهاً نحويّاً بارعاً في فنون عفيفاً مشكور السِّيرة؛ اِنتهت إليه رياسة مذهب أبـي حنيفة في زمانه بما وراء النهر، ومات والمعول على فتواه بها.

وفيها تُوفّي عبد الملك[5] بن محمد بن عبد الله بن بِشْران، أبو القاسم الواعظ الفقيه المحدّث في شهر ربيع الآخر. وكان له لسان حُلْو في الوعظ مع دِين وزُهْد وعفّة.

وفيها تُوفّي موسى[5] بن عيسى بن أبـي حاجّ، أبو عِمْران الفقيه المالكيّ القَابِسِيّ، شيخ المالكيّة في زمانه. كان فقيهاً نحويّاً إماماً فاضلاً بارعاً في فنون من العلوم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وأربع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وعشر أصابع.

* * *

---

(١) رواية البيتين في أخبار الدولة السلجوقية:
إن كان بالناس ضيق من منافستي فالموت قد وسّع الدنيا على الناس
مضيت والشامت المقبور يتبعني كل لكاس المنايا شارب حاسي

(٢) كذا أيضاً في كشف الظنون ومعجم البلدان. وفي الشذرات وأنساب السمعاني وتاج العروس: «عبد الله». واختلفوا في وفاته، فقيل في سنة ٤٠٣هـ كما في معجم البلدان، وقيل سنة ٤٣٠هـ كما في السمعاني والشذرات وعقد الجمان، وقيل سنة ٤٣٢هـ كما في كشف الظنون.

(٣) نسبة إلى «دبوسيّة» بين بخارى وسمرقند.

(٤) ما وراء النهر: يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان. فما كان في شرقيه يقال له بلاد الهياطلة وفي الإسلام سموه ما وراء النهر، وما كان في غربيه فهو خراسان وولاية خوارزم. (معجم البلدان).

(٥) تقدمت وفاته في سنة ٤٣٠هـ. راجع ص ٣٢ من هذا الجزء.

السنة الحادية والثلاثون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة.

فيها شَرَع أهل الكَرخ في عمل مأتم الحسين في يوم عاشوراء، فثار عليهم أهل السنّة. فقال القائم بأمر الله: هذا شيء قد كان فلا تعاودوه، ونهى عنه. فانكفّت الرافضة بغيظهم إلى لعنة الله.

وفيها تُوفّي أحمد بن الحسين بن عليّ بن عبد الله، الحافظ أبو بكر البَيْهَقيّ؛ مولده سنة أربع وثمانين. كان أوحد زمانه في الحديث والفقه، وله تصانيف كثيرة، جمع نصوص الإمام الشافعيّ ـ رضي الله عنه ـ في عشرة مجلّدات. ومات بنيسابور في جُمادى الآخرة، ونُقِل تابوته إلى بَيْهَق[1]. وقد روَيْنا سننه الكبرى عن الشيخ أبي النعيم رضْوان العُقْبِيّ، ثنا[2] التقيّ بن حاتم، انا عليّ بن عمر الأَرْمَويّ، انا آبن البخاريّ، انا منصور بن عبد المنعم الفَرَاوِيّ، انا محمد بن إسماعيل الفارسيّ، انا أبو بكر البيهقيّ.

وفيها تُوفّي محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفَرَّاء، أبو يَعْلَى القاضي الحنبليّ. ولد سنة ثمانين وثلاثمائة في المحرّم، وسمِع الكثير وتفقّه على جماعة من العلماء، وانتهت إليه رياسة الحنابلة في زمانه، ومات يوم الاثنين العشرين من شهر رمضان؛ وكانت جنازته مشهورة مشى فيها الأعيان مثل القاضي الدَّامَغانِيّ الحنفيّ ونقيب الهاشميّين أبي الفوارس طَرَّاد وغيرهما.

وفيها تُوفّي محمد[3] بن الفضل بن نظيف، أبو عبد الله المصريّ الفرّاء في شهر ربيع الآخر وله تسعون سنة؛ وكان إماماً عالماً زاهداً ورِعاً.

وفيها تُوفّي المُسَدَّد[3] بن عليّ، أبو المُعمَّر الأُمْلُوكِيّ، الإمام المحدّث البارع خطيب حِمْص. كان إماماً فقيهاً فصيحاً؛ سمِع الحديث ورواه.

---

(١) بيهق: ناحية كبيرة من نواحي نيسابور. (انظر معجم البلدان).

(٢) راجع ص ٢٨، حاشية (٥).

(٣) تقدمت وفاته سنة ٤٣١هـ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وأربع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وسبع عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثانية والثلاثون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة تسع وخمسين وأربعمائة.

فيها بعث المستنصر صاحب الترجمة إلى محمود بن الرّوقلية[1] المتغلّب على حلب يُطالبه بحمل المال وغَزْو الروم، وصرف آبن خاقان[2] ومَن معه من الغُزّ إن كان على طاعته. فأجاب بأنّني آلتزمت على أخذ حلب من عمّي أموالاً اقترضتها وأنا مُطَالَب بها، وليس في يدي ما أقضيها فضلاً عمّا أصرفه لغيره. وأمّا الرّوم فقد هادنتُهم مدّة وأعطيتهم ولدي رهينةً على مال آقترضتُه منهم، فلا سبيل إلى محاربتهم. وأمّا آبن خاقان والغُزّ معه فيَدُهم فوق يدي. فلمّا وصل الجواب إلى المستنصر كتب المستنصر أيضاً إلى بدر الجَمَاليّ أمير الجيوش المقيم بدمشق: إنّ آبن الرّوقلية خَلَع الطاعة ومال إلى جهة العِراقيّة. ثم ندب بدرٌ الجماليّ المذكور عطيّةَ[3] وهو بالرُّحبة لقتاله؛ فدخل القاضي آبن عَمّار المقيم بطرابُلُس بينهم وأصلح الحال.

وفيها كان بمصر الغلاء والقَحْط المتواتر الذي خرج عن الحدّ ــ وقد تقدّم ذكره ــ ولا زال في زيادة في هذه السنة والتي قبلها إلى أن أخذ أمره في نقص في

---

(١) هو محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي، عز الدولة ابن شبل الدولة: أحد الأمراء المرداسيين أصحاب حلب. وليها سنة ٤٥٢هـ. ووجهت إليه حكومة مصر عمه ثمال بن صالح فانتزعها منه سنة ٤٥٣هـ، وتوفي ثمال بعد عام فوليها عطية بن صالح، فأغار عليه محمود فامتلكها سنة ٤٥٥هـ واستمر فيها إلى أن توفي سنة ٤٦٧هـ. (الأعلام: ١٨٩/٧) وانظر في سبب موته، ص ١٠١ من هذا الجزء.

(٢) في ذيل تاريخ دمشق: «ابن خان أمير الغز».

(٣) هو عطية بن صالح بن مرداس، أبو ذؤابة، المتوفى سنة ٤٦٥هـ (الأعلام: ٣٣/٥).

سنة إحدى وستّين وأربعمائة. وأُبيع القمح في هذه السنة بثمانين ديناراً الإردبّ.

وفيها تُوفّي سعيد بن محمد بن الحسن، أبو القاسم إمام جامع صُور. كان فاضلًا سمِع الحديث ورواه؛ ومن رواياته عن الحسن البَصريّ أنه قال: «لا تشتروا مودّة ألف رجل بعداوة رجل واحد».

وفيها تُوفّي عليّ بن الخضر، أبو الحسن العثمانيّ الدمشقيّ الحاسب. كَان له تصانيف في علم الحساب. ومات بدِمَشق في شوّال.

وفيها كان بالرملة الزلزلَة الهائلة التي أخربتْها حتّى طلع الماء من رؤوس الآبار، وهلَك من أهلها ــ كما نقل آبن الأثير ــ خمسة وعشرون ألفاً. وقال آبن الصابىء: حدّثني علويّ كان بالحجاز: أنّ الزلزلة كانت عندهم في الوقت المذكور، وهو يوم الثلاثاء حادي عشر جمادى الأولى، فرمت شُرْفتين من مسجد النبيّ صلى الله عليه وسلم، وآنشقّت الأرض فبان فيها كنوز ذهب وفضّة، وآنفجرت فيها عين ماء، وأنها أهلكت أَيْلَةَ ومن فيها؛ وذكر أشياء كثيرة من هذه المقولة. وأمّا آبن الأثير فإنّه قال: وآنشقّت صخرة بيت المقدس وعادت بإذن الله، وأُبعد البحر عن ساحله مسيرة يوم، فنزل النّاس إلى أرضه يلتقطون السمك فرجع الماء عليهم فأهلكهم[1].

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستّ أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وسبع عشرة[2] إصبعاً.

* * *

(١) ابن الأثير: ٣٨١/٨.

(٢) في كنز الدرر: «١٦ ذراعاً و ٧ أصابع».

السنة الثالثة والثلاثون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة ستّين وأربعمائة.

فيها وَلّى المستنصر دمشق للأمير بارَزْطَغان قطب الدولة، ووصل معه الشريف أبو طاهر حَيْدرة[(١)]، ونزل بدار العَقِيقِيّ، وآنهزم بدر الجماليّ أمير الجيوش من دمشق، فَنَهب أهلها خزائنه لأنّه كان مسيئاً إليهم؛ ثم ظفِر بدر الجمالي بالشريف حَيْدرة بعد أمور صدرت وسلخه.

وفيها جاء ناصر الدولة بالأتراك إلى باب المستنصر بالقاهرة ــ وقيل: بالساحل ــ وزحف المذكورون إلى باب وزيره آبن كدينة:[(٢)] فطالبوه بالمال؛ فقال: وأيّ مال بقي عندي بعد أخذكم الأموال وآقتسامكم الإقطاعات! فقالوا: لا بدّ أن تكتب إلى المستنصر. فكتب إليه بما جرى. فكتب المستنصر الجواب على الرّقعة بخطه يقول: [السريع]

أصبحتُ لا أرجو ولا أتّقِي إلّا إلهي وله الفضلُ
جَدِّي نَبِيٌّ وإمامي أبي وقوليَ التوحيدُ والعدلُ

المال مال الله، والعبد عبد الله، والإعطاء خير من المنع ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[(٣)].

وفيها تُوفّي أحمد بن محمد بن عُقَيْل الشَّهْرُزُورِيّ[(٤)] الشاعر الفاضل في القدس الشريف. وكان إماماً فاضلاً أديباً شاعراً. ومن شعره: [البسيط]

---

(١) أبو طاهر، حيدرة بن مختص الدولة أبي الحسين. وقد رافقه كناظر في أعمالها. (ابن ميسّر: ٣٣، وابن القلانسي: ٩٦) راجع أيضاً ص ١٥ من هذا الجزء، وانظر ص ٨٦ منه.

(٢) هو الوزير الأجلّ الأوحد... أبو محمد الحسن بن مجلّي بن أسد بن أبي كدينة. ولي الوزارة للمستنصر أربع عشرة مرة ما بين شعبان ٤٥٥هـ وجمادى الأولى سنة ٤٦٦هـ، وفيها قتله بدر الجمالي. (الوزارة في العصر الفاطمي: ٢٦٢ ــ ٢٧٠، والإشارة: ٥١).

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

(٤) الشهرزوري: نسبة إلى شهرزور، بلدة بين الموصل وزنجان. ضبطها ياقوت بفتح الراء الأولى، وفي أنساب السمعاني وتقويم البلدان: بضم الراء الأولى، وفي معجم ما استعجم: بكسرها.

واحسرتا مـات حَظِّي من قلوبكُم وللحـظوظ كما للنـاس آجـالُ

وفيها تُوفّي الحسن بن أبي طاهر بن الحسن، أبو علي الخُتَّلي [١]. كان يسكن دِمَشق وبها تُوفّي. ومن رواياته عن الحسن عن الحسن عن الحسن عن الحسن عن النبيّ. صلّى الله عليه وسلّم قال: «إنّ أحسن الحسن الخلُق الحسن» فالحسن الأوّل آبن حسّان التميميّ، والثاني آبن دينار، والثالث البصريّ، والرابع آبن عليّ بـن أبي طالب، رضي الله عنهما.

وفيها تُوفّيت خديجة بنت محمد بن عليّ بن عبد الله الواعظة الشّاهجانية. كانت عظيمة مشهورة بالصدق والوَرَع والزهد والدِّين المتين. وُلدت سنة ستّ [٢] وسبعين وثلاثمائة. وكانت تسكن قطيعة الربيع. وصحِبت آبن سَمْعون [٣] الواعظ. ولمّا ماتت دُفنت إلى جانبه.

وفيها تُوفّي عبد الملك بن محمد بن يوسف، أبو منصور البغداديّ؛ كان إماماً بارعاً. لم يكن في زمانه من يُخاطَب بالشيخ الأجلّ سواه. ولِد سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، وكان أوحدَ زمانه في فعل المعروف، والقيام بأمور العلماء، وقمـع أهل البِدَع.

وفيها توفّي أبو جعفر الطُّوسيّ [٤] فقيه الإماميّة الرافضة وعالمهم. وهو صاحب «التفسير الكبير» وهـو عشرون مجلداً، ولـه تصانيف أُخَـر. مات بمشهـد عليّ ــ رضي الله عنه ــ وكان مجاوراً بضريحه [٥]. كان رافضيّاً قويّ التشيّـع.

(١) في الأصل: «الحنبلي». والتصحيح عن تهذيب ابن عساكر. وانظر في ضبط «الختل» أنساب السمعاني: ٣٢٢/٢ وحاشية نفس الصفحة عن الإكمال ٢١٩/٣، ٢٢٣.

(٢) كذا أيضاً في الشذرات. وفي المنتظم: «سنة ٣٧٤هـ».

(٣) هو محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس بن سمعون، أبو الحسين البغـدادي المتوفى سنـة ٣٨٧هـ. (الأعلام: ٣١٢/٥).

(٤) هو محمد بن الحسن بن علي الطوسي. نعته السبكي بفقيه الشيعة ومصنِّفهم. (الأعلام: ٨٤/٦. وله ترجمة وافية في أعيان الشيعة: المجلد ١٥٩/٩ ــ ١٦٧).

(٥) الصواب أنه دفن بداره في النجف الأشرف، بوصية منه. وتحولت الدار بعده مسجداً في موضعه اليوم، ويعرف بمسجد الشيخ الطوسي. وموقعه في محلة المشراق من الجهة الشمالية للصحن المرتضوي =

وفيها تُوفّي أحمد بن محمد بن عيسى بن هلال، أبو عمر القرطبيّ المعروف بآبن القَطّان المالكيّ المغربيّ، شيخ المالكيّة في زمانه وعالمهم. مات في هذه السنة وله سبعون سنة.

وفيها تُوفّي أحمد بن الفضل، أبو بكر البَاطِرْقانِيّ[1] المقرىء في صفر وله ثمانٍ وثمانون سنة. كان إماماً عالماً بالقراءات رحمه الله.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وثلاث أصابع. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعاً وستّ[2] أصابع.

* * *

السنة الرابعة والثلاثون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة إحدى وستّين وأربعمائة.

فيها خرج ناصر الدولة بن حمدان من عند الوزير أبي عبد الله [الماشلي][3] وزير المستنصر بمصر؛ فوثب عليه رجل صَيْرفيّ وضربه بسكّين؛ فأُمسك الصيرفيّ وشُنِق في الحال، وحُمِل ناصر الدولة بن حَمْدان إلى داره جريحاً، فعولج فبرِىء بعد مدّة. وقيل: إنّ المستنصر ووالدته كانا دَسّا الصيرفيّ عليه.

وفي هذه الأيام آضمحلّ أمر المستنصر بالديار المصريّة لتشاغله باللهو

= الشريف. وسمي باب الصحن المنتهي إلى مرقده بباب الطوسي. وفي سنة ١٣٦٩هـ هدمت الحكومة ما يقرب من ربع مساحته وأضافتها إلى الشارع الذي فتحته بجنبه في نفس العام، وسمته بشارع الطوسي أيضاً. (أعيان الشيعة: ٩/١٦٧).

(١) نسبة إلى الباطرقان، من قرى أصبهان. (شذرات الذهب).

(٢) في كنز الدرر: «١٥ ذراعاً وإصبع واحدة».

(٣) زيادة عن الإشارة وابن ميسّر والوزارة في العصر الفاطمي. ووردت هذه النسبة في بعض المراجع: الماسلي، بلام ثم ياء؛ والماسكي، بكاف ثم ياء. وهو أبو عبد الله، الحسين بن سديد الدولة علي بن محمد بن الحسن بن عيسى الماشلي. تولى الوزارة من ربيع الأول سنة ٤٥٤هـ حتى الثاني من شعبان من السنة نفسها. تولى بعد صرفه من الوزارة ديوان الشام، ثم رحل إلى صور حيث أقام بها عدة سنين، وعاد إلى مصر وأصبح مشارفاً للإسكندرية، ثم صرف وتوفي سنة ٤٨٧هـ. (الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي: ٢٦٠، والإشارة: ٤٩، وابن ميسّر: ١١، ٥٦، ٦١، ٦٤).

والشرب والطَّرَب. فلمّا عُوفي آبن حمدان آتفق مع مقدَّمِي المشارقة، مثل سِنان الدولة وسلطان الجيوش وغيرِهما، فركِبوا وحصروا القاهرة. فآستنجد المستنصر وأمّه بأهل مصر، وأذكَرهم حقوقَه عليهم، ووعَدهم بالإحسان؛ فقاموا معه ونهبوا دُور أصحاب آبن حمدان وقاتلوهم. فخاف آبن حمدان وأصحابُه، ودخلوا تحت طاعة المستنصر، بعد أمور كثيرة صدرت بين الفريقين.

وفيها أبيع القمح بمصر بمائة دينار الإردب، ثمّ عُدِم وجوده. وقد ذكرنا ذلك كلَّه في أوّل ترجمة المستنصر مفصّلاً.

وفيها تُوفّي عبد الرحيم بن أحمد بن نصر، الحافظ أبوزكريّا البُخاريّ التميميّ؛ سمِع الحديث وطاف البلاد في طلب الحديث، وسمِع بعدّة أقطار، وآتّفقوا على صدقه وثقتِه . وكانت وفاته في المحرّم بمصر.

وفيها تُوفّي محمد بن مَكي بن عثمان، الحافظ أبو الحسين الأزديّ المصريّ في جُمادى الأولى؛ وكان إماماً فاضلاً محدّثاً سمِع الحديث ورحل البلاد.

وفيها تُوفّي نصر بن عبد العزيز، أبو الحسين الشِّيرازيّ الفارسي المقرىء؛ كان إماماً في علم القراءات، وله سَماعٌ ورِواية.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستّ أذرع وأربع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وثماني عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الخامسة والثلاثون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة آثنتين وستّين وأربعمائة.

فيها كان معظم الغلاء بالديار المصرية حتّى خَرِبت وخَرِب غالبُ أعمالها. وأبطل صاحب مكّة و[صاحب] المدينة خطبة المستنصر، وخطبا للقائم بأمر الله العبّاسيّ، فلم يلتفت المستنصر لذلك لشغله بنفسه ورعيّته من عِظَم الغلاء.

وفيها وقف الوزير نظام[1] الملك الأوقاف على مدرسته النظاميّة[2] ببغداد.

وفيها[3] تُوفّي الحسن بن عليّ بن محمد، أبو الجوائز الواسطيّ الكاتب؛ وُلِد سنة آثنتين وخمسين وثلاثمائة؛ وسكن بغداد دهراً طويلاً. وكان شاعراً ماهراً. ومن شعره ــ رحمه الله تعالى ــ: [الرجز]

واحَرَبا[4] من قولها: خان عهودي وَلَها
وحقِّ من صيرني وقْفاً عليها ولها
ما خطرتْ بخاطري إلا كستْني ولها

وفيها توفّي الشريف حَيْدرة بن إبراهيم، أبو طاهر بن أبي الجِنّ، الشريف العَلَوِيّ. كان عالماً قارئاً محدّثاً، وكان عدوّاً لبدر الجَمالِيّ؛ فلمّا دخل بدر الجماليّ دِمشق هَرَب منها حَيْدَرة المذكور إلى عَمان البَلْقاء؛ فغدَر به بَدْر بن حازم وبعث به إلى بدر الجَمَاليّ بعد أن أعطاه بدر الجماليّ آثني عشر ألف دينار وخِلَعاً كثيرة؛ فقتله بدر الجماليّ أقبح قِتْلة ثمّ سَلَخ جلده. وقيل: سلخه حيّاً. وأظنّ القاضيَ شهاب الدين أحمد قاضي دمشق وكاتب مصر في زماننا هذا كان من ذرّيّة آبن أبي الجِنّ هذا. والله أعلم.

---

(١) هو الوزير نظام الملك، قوام الدين، أبو علي، الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي. اتصل بالسلطان ألب أرسلان فاستوزره، فأحسن التدبير، وبقي في خدمته عشر سنين. ومات ألب أرسلان فخلفه ولده ملك شاه، فصار الأمر كله لنظام الملك، وأقام على هذا عشرين سنة. كانت أيامه دولة العلم. قتل سنة ٤٨٥هـ على يد صبي ديلمي من الباطنية. (الأعلام: ٢/٢٠٢، ونهاية الأرب: ٢٦/٣٣٠ ــ ٣٣٣، وابن خلكان: ٢/١٢٨، وتاريخ مختصر الدول: ١٩٢، وابن الأثير: ٨/٤٧٨ ــ ٤٨١).

(٢) أسس نظام الملك المدرستين المشهورتين اللتين تعرفان باسمه في بغداد ونيسابور، وتعرف كل منهما باسم المدرسة النظامية. كما أسس المدرسة الحنفية ببغداد. وكان الإمام الغزالي يقوم بالتدريس في المدرسة النظامية ببغداد ثم في نيسابور في أواخر القرن الخامس الهجري. (تاريخ الإسلام السياسي للدكتور حسن إبراهيم حسن: ٤/٤٢٥). وقد ابتدىء بعمارة المدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٥٧هـ، وكملت عمارتها سنة ٤٥٩هـ. (نهاية الأرب: ٢٦/٣٠٩).

(٣) في ابن خلكان وفوات الوفيات أنه توفي سنة ٤٦٠هـ. وقال ابن خلكان: «قال الخطيب: سمعت أبا الجوائز يقول: ولدت سنة ٣٨٢هـ؛ وغاب عني خبره في سنة ٤٦٠هـ. قلت: وقد صح أن وفاته كانت في سنة ستين كما ذكرته. وإن كان الخطيب لم يصرح به بل اقتصر على انقطاع خبره لا غير».

(٤) في ابن خلكان: «واحَزَني». ورواية الفوات: «يا خجلتي».

وفيها توفّي محمد بن أحمد بن سهل، أبو غالب بن بِشْرَان النحويّ الواسطيّ الحنفيّ، ويُعرف بآبن الخالة. كان إماماً عالماً فاضلاً عارفاً بالأدب والنّحو واللّغة والحديث والفقه، وكان شيخ العراق ورُحْلته. وآبن بِشْرْان جده لأمه. ومات بواسط. ومن شعره: [المتقارب]

يقول الحبيب غَداةَ الوَداعِ كأن قد رَحَلْنا فما تصنَعُ
فقلت أواصل سفح الدموع وأهجُر نومي فما أَهْجَعُ

وله أيضاً: [البسيط]

لمّا رأيتُ سُلُوِّي غير مُتَّجِهٍ وأنّ عزم آصطباري عاد مفلولا
دخلتُ بالرغم مِنّي تحت طاعتكم ليقضي الله أمراً كان مفعولا

وفيها تُوفّي هَزارْسب بن تَنْكِر(١) بن عِياض، أبو كاليجار تاج الملوك الكُردِيّ. كان قدِم على السلطان ألب أرسلان السلجوقيّ بأصبهان ثمّ عاد إلى خوزستان، ونزل بموضع يعرف بخرندة. وكان قد تجبّر وتكبر وتسلط وتفرعن وتزوّج بأخت السلطان أَلب أَرْسلان، فلَحِقه مرض الذَّرَب حتى مات منه.

وفيها تُوفّي محمد بن عَتّاب، الإمام الفقيه أبو عبد الله القُرْطُبِيّ المالِكيّ مفتي قُرْطُبة وعالمها؛ انتهت إليه رياسة مذهبه في زمانه ببلاد قرطبة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وعشر أصابع. مبلغ الزيادة ستّ(٢) عشرة ذراعاً سواء.

* * *

(١) في ابن الأثير: «ابن بنكير» وفي معجم زامباور: «ابن تنكير».
(٢) في كنز الدرر: «١٧ إصبعاً».

السنة السادسة والثلاثون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهذه سنة ثلاث وستين وأربعمائة.

فيها كانت الواقعة العظيمة بين السلطان ألْب أرْسلان بن طغرلبك السَّلجُوقيّ وبين ملك الرّوم[١]، وأنتصر المسلمون ولله الحمد. ثم سار ألْب أرْسلان إلى ديار بكر وأفتتح بها عِدّة حُصون، ثم نزل على الفرات؛ ولم يخرج إليه محمود[٢] صاحب حلب فغاظه ذلك، فقدِم حلب فسار إليها ووصلها، وأخربت عساكره حلب ونهبوها، ووصَلت عساكره إلى القَرْيَتَيْن[٣] من أعمال حِمْص؛ ثم شفَع فيه الخليفة القائم بأمر الله، فقبِل ألْب أرْسلان الشفاعة وآصطلحا[٤].

وفيها ملَكت الفرنج جزيرة صَقَلّيّة. وسببه أنّه كان بها والٍ، فبعث إليه المستنصر صاحب مصر يطلب منه المال، وكان عاجزاً عمّا طُلِب منه، فبعث إلى الفرنج وفتح لهم باب البلد فدخلوا وقتلوا وملكوا الجزيرة.

---

(١) هو الملك رومانوس ديوجانيس. وتلك الواقعة العظيمة هي معركة منازكرد، نسبة إلى مكان وقوعها قرب بلدة منازكرد القريبة من بحيرة وان في تركية اليوم. ويمكن اعتبار هذه المعركة من المعارك الفاصلة في التاريخ، وهي تشبه اليرموك وتعدلها أهمية، وربما فاقتها من حيث النتائج حيث كانت نقطة البداية الفعلية لزوال الامبراطورية البيزنطية من الوجود وقيام دولة تركية مكانها. وهي كانت إحدى مسببات الحروب الصليبية. (انظر كتاب الدكتور سهيل زكار: مختارات من كتابات المؤرخين العرب، ص ١١٠ ـ ١١٨. وقد جمع فيه الدكتور زكار أهم النصوص التاريخية التي تحدثت عن هذه المعركة الهامة، وهي نصوص مرآة الزمان عن محمد بن هلال الصابىء، والمنتظم لابن الجوزي، وتاريخ دولة آل سلجوق للعماد الأصفهاني، وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي، وزبدة التواريخ للحسيني، وبغية الطلب لابن العديم، وزبدة الحلب لابن العديم أيضاً، والكامل لابن الأثير، وتاريخ ابن أبي الدم، وتاريخ الفارقي، وأخبار مصر لابن ميسّر، وتاريخ بطاركة الكنيسة المصرية لساويروس بن المقفع، وتاريخ الزمان لابن العبري، وتاريخ المسلمين لابن العميد، وابن كثير، والذهبي، والمقريزي، وابن أيبك الدواداري).

(٢) هو محمود بن نصر بن صالح، ويعرف بابن الروقلية، كما سيأتي ذكره في حوادث سنة ٤٦٧هـ.

(٣) القريتان: قرية كبيرة من أعمال حمص في طريق البرية، بينها وبين سخنة وأرك. (معجم البلدان).

(٤) في نهاية الأرب: ٣١٣/٢٦ أنه لما عظم الأمر على محمود صاحب حلب، نتيجة الحصار، خرج ليلاً =

وفيها ظهر أتْسِز(١) بن أوق مقدَّم الأتراك، وفتَح الرّملة وبيت المقدس، وضايق دِمَشْق، وأخرب الشام.

وفيها تُوفّي أحمد بن عليّ بن ثابت بن أحمد بن مَهْدِي، أبو بكر الخطيب البغداديّ. وُلد سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة بدَرْزِيجَان(٢) (قرية من قُرى العراق) ثم آنتقل إلى بغداد، ورَحَل وسمِع الحديث، وصنف الكتب الكثيرة. ويُرْوَى عن أبي الحسين(٣) بن الطيوريّ أنه قال: أكثر كُتب الخطيب مستفادة من كُتب الصوريّ(٤) (يعني أخذها برمّتها). منها: «تاريخ بغداد» الذي تكلّم فيه في غالب علماء الإسلام بالألفاظ القبيحة بالرّوايات الواهية الأسانيد المنقطعة، حتى آمْتُحِن في دنياه بأمور قبيحة ــ نسأل الله السلامة وحسن العاقبة ــ ورُمِيَ بعظائم. وأمَر صاحبُ دِمَشق بقتله لولا [أنه] آستجار بالشريف آبن أبي الحسن(٥) فأجاره. وقصته مع الصبيّ الذي عشِقه مشهورة. ومن أراد شيئاً من ذلك فلينظر في تاريخ الإمام الحافظ الحجة أبي الفرج بن الجَوْزِي المسّمى بـ «المنتظم»؛ وأيضاً ينظر في تاريخ العلاّمة شمس الدين يوسف بن قَزَأُوغْلي (أعني مرآة الزمان) وما وقع له من الأمور والمِحَن. وما رَبّك بظلاّم للعبيد(٦). أضربت عن ذكر [ذلك] كلّه لكونه متخلّقاً

= هو وأمه، ودخلا على السلطان ألب أرسلان وقالت له: هذا ولدي تفعل به ما تحب. فتلقاها بالجميل، وأحسن إلى محمود، وخلع عليه وأعاده.

(١) هو أتسِز بن أوق الخوارزمي، مقدم الأتراك، من أمراء السلطان ملكشاه على دمشق. وأتْسِزْ كلمة تركية معناها «ليس معه فرس». لقّب نفسه بالملك المعظم، وهو أول من ملك دمشق من الأتراك وقطع منها دعوة الخلفاء الفاطميين. وكانت مدة ولايته ثلاث سنين وستة أشهر وإحدى وعشرين يوماً. وقتل في شهر ربيع الآخر سنة ٤٧١هـ. (أخبار مصر لابن ميسّر: ص ٤٢، حاشية ١٧٧).

(٢) في تذكرة الحفاظ: «ولد سنة ٣٩٢هـ وكان والده خطيب قرية درزيجان من سواد العراق». وفي الأعلام: «مولده في غزيّة ــ بالتصغير ــ بين الكوفة ومكة. ومنشأه ووفاته ببغداد».

(٣) هو المبارك بن عبد الجبار بن أحمد المتوفى سنة ٥٠٠هـ. (الأعلام: ٢٧١/٥ وفيه أنه أبو الحسن).

(٤) هو عبد الله بن علي بن عياض. (راجع وفيات سنة ٤٥٠هـ) وذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ أن ابن الطيوري أخذ عن الخطيب. وروي عن ابن ماكولا: سألت الصوري عن الخطيب وأبي نصر السجزي ففضّل الخطيب تفضيلاً بيناً.

(٥) كذا أيضاً في تذكرة الحفاظ. وفي طبعة دار الكتب المصرية عن مرآة الزمان: «ابن أبي الجنّ».

(٦) رواية الذهبي في تذكرة الحفاظ لقصة الخطيب مع الصبي المذكور تشير إلى أنها مختلقة؛ وقد استغلها صاحب دمشق ــ وكان رافضياً متعصباً ــ لمحاولة الفتك بالخطيب.

بأخلاق الفقهاء، وأيضاً من حَمَلة الحديث الشريف. غير أنني أذكر من شعره ما تغزّل به في محبوبه المذكور. فمن ذلك قوله من قصيدة أوّلها: [البسيط]

تَغَيَّب الناس عن عيني سوى قمرٍ حسبي من الناس طُرّاً ذلك القمرُ

وكلّه على هذه الكيفيّة.

وفيها تُوفّي أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زَيْدُون، أبو الوليد المخزوميّ الأندَلُسِيّ القُرْطُبيّ الشاعر المشهور المعروف بآبن زَيْدُون، حامل لواء الشعراء في عصره. كانت وفاته في شهر رجب بمدينة إشْبِيلِيَةَ. ومن شعره: [السريع]

أيّتها النفس إليه آذْهَبِي فما لقلبي عنه من مذهبِ
مُفَضَّض الثغر له نقطة من عَنْبَر في خَدّه المذْهَب
أنساني التَّوبةَ من حُبِّه طلوعهُ شَمساً من المغرْب

وله القصيدة التي سارت بها الركبان الموسومة بالزيدونية التي أوّلها: [البسيط]

بِنْتُم وبِنّا فما آبتلّت جوانحُنا شَوْقاً إليكم ولا جَفّت مآقينا[1]

وفيها تُوفّي محمد بن عليّ بن محمد بن حُباب، أبو عبد الله الصُّوريّ الشاعر المشهور. كان فاضلاً فصيحاً. مات بطرابلس. ومن شعره أوّل قصيدة: [مجزوء الكامل]

صَبٌّ جفاه حبيبهُ فحلا له تعذيبُهُ

وفيها تُوفّي محمد بن وِشّاح بن عبد الله، أبو عليّ. وُلد سنة تسع وسبعين وثلاثمائة. وكان فاضلاً كاتباً شاعراً فصيحاً مترسّلاً. رحمه الله.

أمر النيل في هذه السنة:

---

(١) الرواية المشهورة للقصيدة أن أولها:

أضحى التنائي بديلاً عن تدانينا وناب عن طيب لُقيانا تجافينا

الماء القديم أربع أذرع وعشر أصابع. مبلغ الزيادة سبع[١] عشرة ذراعاً وثلاث أصابع.

* * *

السنة السابعة والثلاثون من خلافة المستنصر معد على مصر

وهي سنة أربع وستين وأربعمائة.

فيها بعَث الخليفة بأمر الله الشريفَ أبا طالب الحسن بن محمد، أخا طرَّاد الزَّيْنبِي، إلى أبي هاشم محمد أمير مكة بمال وخِلَع، وقال له: غيِّر الأذان وأبطل «حَيّ على خير العمل». فناظره أبو هاشم المذكور مناظرةً طويلة، وقال له: هذا أذان أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب. فقال له أخو الشريف: ما صح عنه، وإنما عبد الله بن عمر بن الخَطّاب رُوِي عنه أنه أذّن به في بعض أسفاره، وما أنت وآبنَ عمر! فأسقطه من الأذان.

وفيها تُوفّي عبد الله بن محمد بن عثمان، القاضي أبو طالب أمير الدولة، الحاكم على طرابلس الشأم والمتولّي عليها. وكان كريماً، كثير الصدقة، عظيم المراعاة للعلويّين. مات في نصف شهر رجب.

وفيها تُوفّي عيسون[٢] بن عليّ، الشيخ أبو بكر الصِّقِلّي الزاهد المشهور. كان كثير العبادة والزُّهد والوَرَع. صنّف كتاباً سماه «دليل القاصدين» في آثني عشر مجلداً.

وفيها تُوفّي محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصّمد ابن الخليفة المهتدي بالله، أبو الحسين[٣] الهاشميّ العبّاسيّ، خطيب جامع المنصور ببغداد. كان صالحاً عالماً زاهداً ثقة.

---

(١) في كنز الدرر: «١٦ ذراعاً و٣ أصابع».

(٢) في هامش طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان أنه «غيسون» بالغين المعجمة. وفي إيضاح المكنون لإسماعيل باشا البغدادي أنه «أبو بكر عتيق بن داود السمنطاري».

(٣) في المنتظم وعقد الجمان والبداية والنهاية: «أبو الحسن».

وفيها[١] تُوفّي المعتِضد بالله عَباد بن محمد بن إسماعيل بن عَبّاد الملك الجليل صاحب إشْبِيلِيَة من بلاد الغرب، في قول الذهبيّ. كان من أجلّ ملوك المغرب وأعظمهم؛ وكان مُحِبّاً للعلماء والشعراء، وعنده فضيلة ومشاركة. وكان آبن زيدون الشاعر ــ المقدَّم ذكره ــ عنده في صورة وزير. رحمه الله تعالى.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وعشر أصابع. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وعشر أصابع.

* * *

السنة الثامنة والثلاثون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة خمس وستين وأربعمائة.

فيها قُتِل الحسن بن الحسين بن حمدان، الأمير أبو محمد ناصر الدولة التَّغْلَبيّ، ذو المجدين المقدّم ذكره في أوّل ترجمة المستنصر هذا. وقع له أمور آل أمره بعدها إلى أن تزوج ببنت إلدِكز[٢]، وآتّفق معه. وآتفق لهما أمور كثيرة مع المستنصر صاحب الترجمة. ولما آتّفقا قوي أمر ناصر الدولة هذا ودخل إلى مصر وآستولى عليها، ولَقّب نفسه بسلطان الجيوش، وأمِن إلْدِكز وناصر الدولة هذا كلّ منهما إلى الآخر. ووَقَع لهما أمور، إلى أن دخل ناصر الدولة مصر ثالث مَرّة، فغدَر إلْدِكز به وقتله، حسب ما ذكرناه مفصَّلاً في ترجمة المستنصر. ثمّ خرج إلْدِكز بمن معه إلى محمود بن ذُبيان أمير بني سِنْبِس فقتلوه، وكان عنده الأمير شاوَر فقتلوه أيضاً، وخرجوا إلى خيمة تاج المعالي بن حمدان أخي ناصر الدولة فقتلوه بعد أن هرب منهم. ثم قُطع ابن حمدان المذكور قِطَعاً وأُنفذ كلّ قطعة إلى بلد. قلت: وهذا ناصر الدولة آخر من بَقي من أولاد بني حمدان ملوك حلب وغيرها.

---

(١) كذا أيضاً في شذرات الذهب وفوات الوفيات. وفي ابن الأثير وابن خلدون والبيان المغرب أنه توفي سنة ٤٦١هـ. وذكره لسان الدين ابن الخطيب في أعمال الأعلام باسم «عباد بن محمد بن عباد» ولم يذكر سنة وفاته.

(٢) ذكر المؤلف في ص ٢٤ من هذا الجزء أن إلدكز كان قد تزوج بابنه ناصر الدولة هذا.

وفيها تُوفّي عبد الكريم بن هَوَازِن بن عبد الملك بن طَلْحة بن محمد، أبو القاسم القُشَيْرِيّ النيسابوريّ. وُلِد سنة ستّ وسبعين وثلاثمائة في شهر ربيع الأوّل؛ ورُبِّي يتيماً فقراً وآشتغل بالأدب والعربية. وكان أوّلاً من أبناء الدنيا، فجذبه أبو عليّ الدّقّاق[1] فصار من الصوفيّة. وتفقّه على بكر[2] بن محمد الطُّوسيّ، وأخذ الكلام عن آبن فُورَك[3]، وصنّف «التفسير الكبير» و«الرسالة». وكان يَعِظ ويتكلّم بكلام الصوفية. ومات بنيسابور. ومن شعره: [السريع]

إنْ نابك الدهرُ بمكروه فقُل بتهوين تخاويفِهِ
فعن قريب يَنْجلي غَمُّه وتنقضي كلُّ تصاريفه

وقد روينا رسالته عن حافظ العصر قاضي القضاة شهاب الدِّين أحمد بن علي ابن حَجَر، انا أبو الحسن بن أبي المجد شِفَاهاً، انا أبو محمد القاسم بن مظَفَّر بن عساكر إجازةً إن لم يكن سماعاً، انا محمد بن علي بن محمود العَسْقَلانيّ سماعاً، أنا أُمّ المؤيّد زينب بنت عبد الرحمن الشَّعْرِيّة سماعاً، أنا أبو الفتوح عبد الوهاب بن شاه الكِرْمانيّ، أنا المؤلّف إحمع الله.

وفيها تُوفّي السلطان أَلْب أرسلان، عضد الدولة، أبو شجاع محمد الملقّب بالملك العادل ابن جغري بك داود بن ميكائيل بن سَلْجوق السلجوقيّ التركيّ، ثاني ملوك بني سَلْجوق؛ كان آسمه بالعربيّ محمداً، وبالتركيّ أَلْب أَرْسلان. وأصل هؤلاء السَّلْجوقية من الأتراك فيما وراء النهر، في موضع بينه وبين بُخارَى مسافة عشرين فرسخاً؛ وكانوا لا يدخلون تحت طاعة سلطان حتى صار من أمرهم ما صار. وهو آبن أخي السلطان طغرلبك محمد، وبعده تولّى السلطنة. وأَلْب أَرْسلان هذا هو أوّل من أسلم من إخوته، وأوّل من لُقِّب بالسلطان من بني سَلْجوق، وذُكِر على منابر بغداد. وكانت سلطنته بعد عمّه طغرلبك في سنة سبع وخمسين وأربعمائة. ونازعه

(١) هو الحسن بن علي النيسابوري المعروف بالدقاق المتوفى سنة ٤١٢هـ (ابن خلكان: ٢٠٨/٣ ترجمة أبي القاسم القشيري).

(٢) في ابن خلكان: «تفقه على أبي بكر محمد بن أبي بكر الطوسي».

(٣) هو أبو بكر محمد بن فورك الأنصاري الأصبهاني المتوفى سنة ٤٠٦هـ. (الأعلام: ٨٣/٦).

أخوه قاورد بك فلم يتمّ [له] أمرٌ. وكان مَلِكاً مُطاعاً شجاعاً. مات وهو أجلّ ملوك بني سَلْجوق وأعدلُهم في الرعيّة. وهو الذي أنشأ وزيره نِظَام الملك. وتولّى السلطنة من بعده ولدُه مَلِكْشاه. ومات أَلْب أَرْسلان وعمرهُ أربعون سنة قتيلاً؛ وكان سبب موته أنه سار في سنة خمس وستين وأربعمائة في مائتي ألف فارس إلى نحو بلاد الروم، ثم عاد إلى ديار بكر، ثمّ إلى جهة حلب وقصد شمس المُلك تَكِينَ. فلمّا دخَل إليه أتاه أعوانُه بوالي قلعة من قِلاع شمس المُلك، وآسم الوالي يوسف الخُوَارَزْمي، وقرّبوه إلى سرير السلطان أَلْب أَرْسلان، فأمر أَلب أَرْسلان أن يُضْرَب له أربعة أوتاد وتُشد أطرافه الأربعة إليها. فقال يوسف المذكور للسلطان: يا مخنّث، مثلي يُقتل هذه القِتْلة! فغضِب السلطان وأخذ القوس والنُّشّاب وقال: خَلُّوه، فرماه فأخطأه، ولم يكن يُخطىء له سهم قبل ذلك، فأسرع يوسف المذكور وهجمَ على السلطان على السرير، فنهض السلطان ونزل فعَثَر وخَرّ على وجهه؛ فوصل يوسف إليه وبَرَك عليه وضربه بسكِّين في خاصرته؛ وقُتِل يوسف في الحال، وحُمل السلطان فمات بعد أيام يسيرة ــ وقيل في يومه ــ وكان ذلك في جُمَادى[(١)] الآخرة من السنة. وأَلْب أَرْسلان بفتح الهمزة وسكون اللام وبعدها باء موحدة وبقية الاسم معروف.

وفيها تُوفِّي قاورد بك بن داود بن ميكائيل السَّلْجوقي أخو السلطان أَلْب أَرْسلان المقدَّم ذكره. ولمّا مات أخوه أَلْب أَرْسلان نازع آبن أخيه ملكْشاه وقاتله، فظَفِر به ملكشاه بعد حروب وأسَرَه وأمَرَ بقتله؛ فَخنَقه رجل أرمنيّ بوتَر قَوْس، وتولّى سعد الدولة كوهرائين[(٢)] على قتله، وكان ذلك في شعبان بهَمَذَان. وأمرُ قاورد بك المذكور من العجائب؛ فإنّه كان يتمنّى موت أَلْب أَرْسلان ويتصوّر أنه يملِك الدنيا بعده، فكان هلاكه مقروناً بهلاكه. قلت: وكذلك كان أمر قُتُلْمِش مع أخيه طغرلبك عمّ أَلْب أَرْسلان وقاورد بك؛ فإنّه كان ينظر في النجوم ويتحقّق أنه يَملِك بعده، وكان هلاكه أيضاً مقروناً بهلاكه.

---

(١) في نهاية الأرب للنويري أنه توفي في عاشر شهر ربيع الأول. وفي أخبار الدولة السلجوقية: يوم السبت سلخ شهر ربيع الأول.

(٢) في الأصل: «الكوهراني». وما أثبتناه عن ابن الأثير وأخبار الدولة السلجوقية. وفي نهاية الأرب: كوهراتين.

وفيها تُوفّي محمد بن أحمد بن المُسْلِمة، الحافظ أبو جعفر. كان إماماً حافظاً محدِّثاً عالماً. مات ببغداد في جُمادى الأولى من السنة.

وفيها تُوفّي عليّ بن الحسن بن عليّ بن الفضل، الرئيس أبو منصور الكاتب المعروف بصَرَّدُرّ[1] الشاعر المشهور. كان أحد نجباء الشُّعراء في عصره، جمع بين جَوْدة السَّبْك وحسن المعنى. ومن شعره: [البسيط]

أُكَلِّف القلبَ أن يَهْوَى وأُلْزِمُه صَبْراً وذلك جَمْع بين أضدادِ
وأكتُم الركب أوطاري وأَسأَلُه حاجاتِ نفسي لقد أتعبتُ رُوادِي

وله أيضاً: [الكامل]

لم أَبْكِ أنْ رَحَل الشبابُ وإنما أبكي لأن يتقارب الميعادُ
شَعرُ الفتى أوراقه فإذا ذَوَى جَفّت على آثاره الأعوادُ

وله أيضاً في جارية سوداء: [السريع]

عَلِقْتُها سوداء[2] مصقولةً سواد قلبي صفة فيها
ما آنكسف البدر على تِمِّه ونوره إلا ليَحْكِيها
لأجلها الأزمان أوقاتُها مؤرّخات بلياليها[3]

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم ثلاث أذرع وسبع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وسبع أصابع.

* * *

(١) في رواية ابن خلكان بضم الصاد المهملة. قال: وإنما قيل له «صُرَّدرَّ» لأن أباه كان يلقب «صُرَّ بعر» لشحّه، فلما نبغ ولده المذكور وأجاد في الشعر قيل له: صرّدرّ.
(٢) كذا أيضاً في ابن خلكان والشذرات. ورواية ديوانه: «حمّاء».
(٣) كذا أيضاً في ابن خلكان. وفي الديوان: «من لياليها». ورواية الشذرات: «منزوجات بلياليها».

السنة التاسعة والثلاثون من خلافة المستنصر مَعَدّ على مصر

وهي سنة ستّ وستّين وأربعمائة.

فيها خرج عساكر غَزْنة وتعرّضوا لبلاد السلطان ملكشاه السّلْجوقي: فخرج إليهم إلياس[١] بن ألْب أرسلان أخو ملكشاه، فقاتلهم وآستأمن إليه سبعمائة منهم، وآنهزم مَن بقي إلى غَزْنة، وأوغل خلفهم إلياس. وكان سلطان غزنة يوم ذاك إبراهيم بن مسعود بن سُبُكْتِكِين. ثم عاد إلياس[١] من الوقعة وقد كَفَى ملكشاه أمرَ الغزنويّة. ولمّا وصل إلياس[١] إلى بَلْخ مات بعدها بثلاثة أيّام، وسُرَّ أخوه ملكشاه بموته، فإنّه كان مُنْحرِفاً على ملكشاه. فقال له وزيره نِظام الملك: لا تظهِر الشماتة وآقعُد في العَزَاء؛ ففعل وأظهر الحزن عليه.

وفيها بَنَى حسّان بن مسمار الكَلْبيّ قلعة صَرْخَد[٢]، وكتب على بابها: أمر بَعمارة هذا الحصن المبارك الأمير الأجَلُّ مقدَّمُ العرب عزّ الدِّين فخر الدولة عُدّة أمير المؤمنين (يعني المستنصر صاحب مصر) وذكر عليها آسمه ونسبه.

وفيها [كما][٣] قال آبن الصابىء: ورد إلى مكّة إنسان عجميّ يعرف بسلار من جهة جلال الدولة ملكشاه، ودخل وهو على بغلة بَمرْكَب ذهب، وعلى رأسه عمامة سوداء، وبين يديه الطُّبول والبُوقات، ومعه للبيت كسوة ديباج أصفر، وعليها اسم محمود بن سُبُكْتِكِين وهي من آستعماله؛ وكانت مُودَعةً بنيسابور من عهد محمود بن سُبُكْتِكِين عند إنسان يُعرف بأبي القاسم الدّهقان، فأخذها الوزير نظام الملك منه وأنفذها مع المذكور.

---

(١) لم يذكر أحد من المؤرخين أن له ولداً اسمه إلياس. ولعل الصواب: «إياز» كما في نهاية الأرب وأخبار الدولة السلجوقية وابن الأثير.

(٢) صرخد: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق؛ وهي قلعة حصينة وولاية حسنة. (معجم البلدان).

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

وفيها تُوفّي أحمد[1] بن محمد بن عقيل أبو العباس الشَّهْرُزُورِيّ. كان محدِّثاً وسمِع الكثير، وكان فاضلاً فقيهاً شاعراً. مات ببيت المقدس في ذي القعدة. ومن شعره من قصيدة طويلة قوله[2]: [البسيط]

سألتُ طَيْفك عن تلفيق[3] إفْكِهِم ... فقال معتذراً لا كان ما قالوا
سعى الوُشاة بقطع الوُدّ بينكما ... وللمودّات بين الناس آجالُ

وفيها تُوفّي عبد الله بن محمد بن سعيد بن سِنان، أبو محمد الخَفَاجِيّ الحلَبيّ الشاعر المشهور. كان فصيحاً فاضلاً. أخذ الأدب عن أبي العَلَاء المعَرّي وغيره، وسمِع الحديث وبرَع فيه. ومات بقلعة أعزاز من أعمال حلب. ومن شعره قوله: [الرمل]

أترى طيفكمُ لمّا سَرَى ... أخذ النّومَ وأعطى السَّهرا
يا عُيوناً بالغَضَا راقدة ... حرَّم الله عليكُن الكَرَى

ومنها:

سل فُروعَ البان عن قلبي فقد ... وهِمَ البارقُ فيما ذكرا
قال في الرَّبْع وما أحسبهُ ... فارق الأظعان حتّى انفطرَا[4]

وفيها تُوفّي عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن عليّ بن سليمان، أبو محمد الكَتّانِيّ الصوفيّ الحافظ الدِّمَشْقيّ أحد الرّحالين في طلب العلم. كان من المكثِرين في الحديث كتابةً وسماعاً مع الصدق والأمانة.

(١) تقدم للمؤلف ذكر وفاته سنة ٤٦٠هـ.
(٢) سبق له ذكر بيت من نفس القصيدة في حوادث سنة ٤٦٠هـ.
(٣) في تهذيب ابن عساكر: «عن تنميق إفكهم».
(٤) كذا في طبعة دار الكتب عن ديوانه ومرآة الزمان. وفي الأصل: «انتظرا».

وفيها تُوفّي محمد بن إبراهيم بن عليّ الحافظ، أبو بكر العَطّار الأصبهانيّ. كان عظيم الشأن ببلده، عارفاً بالرجال والمتون، وكان إماماً ثقةً.

وفيها تُوفّي محمد بن عُبَيد الله بن أحمد [بن محمد][١] بن أبي الرّعد الفقيه الحنفيّ، قاضي عُكْبَرَا. كان إماماً فقيهاً صادقاً ثقة. مات بعُكبَرَا يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الآخر.

وفيها تُوفّيت المَاوَرْدِيّة البصرية. كانت زاهدة عابدة صالحة، تجتمع إليها النساء فتعظهنّ وتؤدّبهنّ؛ قاربت الثمانين سنة، أقامت منها خمسين سنة لا تفطر النهار ولا تنام الليل، ولا تأكل خُبْزاً ولا رطباً ولا تمراً، وإنّما يُطْحَن لها الباقلاء فتتقوت به[٢]. وماتت بالبصرة فلم يبق بالبلد إلّا من شَهِد جنازتها.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعاً. ولمّا كان ليلة النَّوْرُوز نقص أصابع، ثم زاد حتى أوفى. ونُودِي عليه في سابع عشرين توت: إصبع من سبع عشرة ذراعاً. وانتهت زيادته في هذه السنة إلى ستّ[٣] عشرة ذراعاً وثلاث أصابع (أعني أنه زاد بعد الوفاء إصبعين لا غير).

* * *

السنة الأربعون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة سبع وستين وأربعمائة.

فيها أُعيدت الخطبة بمكّة للمستنصر صاحب الترجمة.

وفيها تُوفّي الخليفة أمير المؤمنين القائم بأمر الله عبد الله ابن الخليفة القادر بالله أحمد ابن الأمير إسحاق ابن الخليفة جعفر المقتدر ابن الخليفة المعتضد بالله

---

(١) زيادة عن المنتظم.

(٢) هكذا من الصعب أن تبقى على قيد الحياة خمسين سنة، كما يذكر المؤلف. وعبارة ابن كثير في البداية والنهاية أوضح وهي: «... وتقتات بخبز الباقلا، وتأكل من التين اليابس لا الرطب، وشيئاً يسيراً من العنب والزيت، وربما أكلت من اللحم اليسير».

(٣) في كنز الدرر: «١٥ ذراعاً و ٩ أصابع».

أحمد ابن الأمير طلحة الموفّق ابن الخليفة المتوكّل على الله جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد بالله هارون ابن الخليفة المهدي بالله محمد ابن الخليفة أبـي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس، أميرُ المؤمنين أبو جعفر الهاشميّ العباسيّ البغداديّ. وأمّه أمّ ولد روميّة تسمّى قَطْر النَّدَى[1]. ماتت في خلافته، حسب ما ذكرناه في هذا الكتاب في محلّه. ومَوْلِدُه في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة. وبُويـع بالخلافة بعد موت أبيه وعمره إحدى وثلاثون سنة في ذي الحجة سنة آثنتين وعشرين وأربعمائة. وكان جميلاً، مليـحَ الوجه، أبيض اللّون، مُشْرَباً بحُمرة، أبيض الرأس واللّحية، متديِّناً ورِعاً زاهداً عالماً، في وجهه أثر صُفَار من قيام اللّيل؛ وكان يَسْرُدُ الصوم، وكان قليل الجِماع، ولهذا قلّ نَسْلُه. وكان سبب تركه الجماع أنّه جامـع ليلةً وبين يديه شمعة فصارت صورتُه على الحائط صورةً شنيعة، فقام عنها وقال: لا عُدت إلى مثلها. وكانت وفاته في يوم الخميس ثالث عشر شعبان من هذه السنة، وله خمس وسبعون سنة وثمانية أشهر وأربعة وعشرون يوماً، وقيل غير ذلك. وأقام في الخلافة أربعاً[2] وأربعين سنة. قلت: ومن الغرائب أن القائم هذا كان معاصراً للمستنصر العُبَيْدِي صاحب الترجمة وهو خليفة مصر، وكلاهما مكث في الخلافة ما لم يمكنه غيرُه من آبائه وأجداده من طول المدّة؛ فالقائم هذا كانت مدّته أربعاً وأربعين سنة، والمستنصر ستّين سنة؛ فما وقـع للقائم لم يقـع لأحد من العباسيّين، وما وقـع للمستنصر لم يقـع لأحد من الفاطميّين. وبويـع بالخلافة بعد القائم حفيده عبد الله بن محمد الذَّخِيرة بن القائم، المذكور. ومولده بعد وفاة أبيه الذخيرة بستة أشهر، وتولّى تربيته جدّه القائم، ولُقِّب بالمقتدي بأمر الله[3].

---

(١) في الشذرات: «وأمه أرمنية». وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي: «وأمه أم ولد أرمنية اسمها بدر الدجى، وقيل: قطر الندى».

(٢) في تاريخ الخلفاء: «خمساً وأربعين».

(٣) في الأصل «المقتدي بالله». وما أثبتناه عن الفخري وابن الأثير وابن خلكان والشذرات والسيوطي والبداية والنهاية.

وفيها تُوفِّي عبد الرحمن بن محمد بن المظفَّر[١] بن محمد بن داود، أبو الحسن بن أبي طلحة الداوديّ الحافظ. ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، وسمع الحديث وقرأ الفقه ودرس وأفتى، ووعظ وصنّف؛ وكان له حظّ من النظم والنثر. ومن شعره: [الخفيف]

كان في الاجتماع للناس[٢] نورٌ فمضى النُّورُ وآدلهمَّ الظلامُ
فسَد الناس والزمانُ جميعاً فعلى الناس والزمانِ السلامُ

وفيها تُوفِّي أبو الحسن عليّ بن الحسن بن عليّ[٣] بن أبي الطيّب البَاخَرْزِيّ. كان إماماً فاضلاً شاعراً، صنّف «دمية القصر في شعراء[٤] أهل العصر». والعِمّاد[٥] الكاتب حذا حَذْوَه. وكان الباخرزي فريدَ عصره، وديوان شعره مشهور بأيدي الناس. ومن شعره قوله: [الطويل]

زكاةُ رؤوس الناس في عيد فطرهمْ بقول رسول الله صاعٌ من البُرِّ
ورأسُكِ أغلى قيمة فتصدّقيّ بفيك علينا فهو صاعٌ من الدُّرِّ

وفيها تُوفِّي عليّ بن الحسين بن أحمد بن الحسين[٦]، أبو الحسن الثَّعلَبي،

---

(١) كذا أيضاً في البداية والنهاية. وفي الشذرات: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن المظفر البوشنجي.

(٢) رواية الشذرات: «كان في الاجتماع من قبل نورٌ» ورواية البداية والنهاية: «كان في الاجتماع بالناس نورٌ».

(٣) كذا أيضاً في ابن خلكان والبداية والنهاية. وفي الشذرات: «علي بن الحسن بن أبي الطيب».

(٤) في ابن خلكان وكشف الظنون والشذرات: «دمية القصر وعصرة أهل العصر». وهو ذيل يتيمة الدهر للثعالبي. وقد وضع على هذا الكتاب أبو الحسن علي بن زيد البيهقي كتاباً سماه «وشاح الدمية» وهو كالذيل له.

(٥) هو العماد الكاتب الأصبهاني، محمد بن محمد بن حامد، أبو عبد الله المتوفى سنة ٥٩٧هـ. وكتابه الذي حذا فيه حذو الباخرزي «خريدة القصر وجريدة العصر» وقد جمع فيه تراجم شعراء الشام والعراق ومصر والجزيرة والمغرب وفارس ممن كان بعد المائة الخامسة إلى ما بعد سنة ٥٧٠هـ (معجم الأدباء). وقال صاحب كشف الظنون: «ذكر أنه جعله ذيلاً على كتاب زينة الدهر للخطيري، وهو ذيل دمية القصر للباخرزي، وهو ذيل يتيمة الدهر للثعالبي، وهو ذيل البارع لهارون المنجم. وذكر أيضاً أنه أورد الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة إلى سنة ٥٩٢هـ من أهل العراق والشام ومصر والجزيرة والمغرب؛ وهو في نحو عشرة مجلدات».

(٦) في الشذرات: «محمد».

ويُعرف بآبن صصرى. ذكره الحافظ آبن عساكر وأثنى عليه. حدّث عن تمام بن محمد وغيره، وكان ثقةً. وأصل بني صصرى من قرية بالموصل. ومات بدمشق.

وفيها تُوفّيت كُوهر[١] خاتون عمّة السلطان ملكشاه السّلجوقيّ أخت السلطان ألْب أرْسلان. كانت ديّنةً عفيفةً، صادرها نظامُ الملك لمّا مات أخوها ألْب أرْسلان وأخذ منها أموالاً عظيمة. فخرجت إلى الريّ لتمضي إلى المُبَارَكيّة تستنجدهم على قتال الوزير نظام الملك، فأشار نظام الملك على ملكشاه بقتلها فقتلها. فلما وصل خبر قتلها إلى بغداد ذَمَّ الناسُ نظامَ الملك وقالوا: ما كفاه بناء هذه المدرسة النظاميّة وغصبُه لأراضي الناس وأخذُ أنقاضهم حتّى دخل في الدماء من قتله هذه المرأة! وأيضاً أنّه أشار على مَلِكْشاه بقتل عمّه قاورد بك المقدّم ذكره، ثم أشار على ملكشاه بكحل أولاد عمّه. وهجا نظامَ الملك جماعةٌ من أهل العراق؛ فلمّا بلـغ نظامَ الملك قال: ما أقام هذه الشناعة عليّ إلّا فخر الدولة بن جَهِير.

وفيها تُوفّي محمود[٢] بن نصر بن صالـح [بن مرداس] صاحب حلب ويُعرف بابن الروقليّة. كان عمّه عطيّة قد أخذ حلب منه، فتجهّز محمود هذا وأتاه وحصره حتّى آستعادها منه. ومات بها في ليلة الخميس ثالث عشر شعبان، وهي الليلة التي مات فيها الخليفة القائم بأمر الله العباسيّ. وسبب موته أنه عَشِق جاريةً لزوجته، وكانت تمنعه منها، فماتت الجارية فحزِن عليها حتّى مات بعد يومين. ولمـا مات وقـع بين العسكر الخلاف. وكان محمود هذا قد أوصى إلى ولده أبـي المعالي شِبْل وأسكنه القلعة والخزائن عنده؛ وأسكن ولده نصراً البلد، وكان يكره نصراً ويُحِبّ شِبْلاً، والعساكر تُحِب نصراً؛ فلا زالوا حتّى ملك نصرٌ وخُلِـع شِبْل.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وتسـع عشرة إصبعاً. مبلـغ الزيادة سبـع[٣] عشرة ذراعاً وسبـع أصابـع.

* * *

(١) ويقال لها أيضاً: جوهر خاتون. وكانت تلقب بمهد العراق، كما في أخبار الدولة السلجوقية.

(٢) راجـع ص ٨٨ من هذا الجزء، حاشية (٢) وص ٨٠ حاشية (١).

(٣) في كنز الدرر: «١٦ ذراعاً و١٢ إصبعاً».

السنة الحادية والأربعون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة ثمان وستين وأربعمائة.

فيها خرج مؤيّد الملك بن نظام الملك الوزير من بغداد يريد والده، وكان أبوه قد مَرِض، وخرج معه أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد البيضاويّ الشاهد رسولاً من الديوان إلى السلطان إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكِين صاحب غَزْنة، يخبِره بوفاة الخليفة القائم بأمر الله وإقامة ولده المقتدي بعده في الخلافة.

وفيها لبِس بدرُ الجَمَاليّ أميرُ الجيوش من المستنصر خِلْعة الوزارة بمصر، وكانت منزلته قبل ذلك أجلَّ من الوزارة، ولكن لبِسها حتّى لا يترتّب أحد في الوزارة فينازعه في الأمر[1].

وفيها أيضاً قَبَض بدرٌ الجَمَاليّ على قاضي الإسكندرية آبن المحيرق وعلى جماعة من فقهائها وأعيانها، وأخذ منهم أموالاً عظيمة.

---

(١) يقول القلقشندي إن الوزارة هي أرفع الوظائف عند الفاطميين وأعلاها رتبة، وانها كانت تارة في أرباب السيوف وتارة في أرباب الأقلام. وكانت تارة تعلو فتكون وزارة تفويض ويعبر عنها حينئذ بالوزارة، وتارة تنحط فتكون دون ذلك ويعبر عنها بالوساطة. (صبح الأعشى: ٣/٤٨٢ ــ ٤٨٣) ويقسم المؤرخون وكتاب النظم الوزراء الفاطميين إلى قسمين، وزراء أصحاب أقلام وهم وزراء التنفيذ في القرن الأول من الحكم الفاطمي، ووزراء أصحاب سيوف أو وزراء تفويض في القرن الثاني. مع بعض استثناءات في الحالتين. ولما جاء بدر الجمالي إلى مصر سنة ٤٦٦هـ استطاع إعادة الهدوء والنظام، وسيطر على البلاد واستحوذ على كل سلطان، وظل مدة سنتين يدير شؤون البلاد دون أن يلي الوزارة، وفي ذلك يقول ابن الصيرفي (الإشارة: ٥٦): «ودخل أمير الجيوش في ربيع سنة ٤٦٦هـ فخلع عليه وورد النظر إليه وبطل حينئذ أمر الوزارة». وكان مركز بدر يشبه مركز أمير الأمراء لدى العباسيين، إلا أنه على ما يبدو أراد أن يضم إليه الوزارة ليأمن كل منافس قد يفسد عليه الأمر، فتقرر ذلك في هذه السنة كما يشير أبو المحاسن هنا. وأصبح قواد الجيش والموظفون والقضاة والدعاة تحت سلطانه، وابتدأ عصر الوزراء العظام أو عصر وزراء السيوف الذي استمر حتى نهاية الدولة، وذلك فيما عدا فترات قليلة لم يستوزر فيها الخلفاء مثل الخليفة الآمر الذي لم يستوزر أحداً بعد أن قبض على المأمون البطائحي، والخليفة الحافظ الذي ظل فترة بدون وزراء وتولى الأمر بنفسه بعد موت الوزير يانس. (الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي: ٣٦ ــ ٣٩).

وفيها آستولى أَتْسِزْ التُّركمانيّ على دمشق وخطب بها للمقتدي العَباسيّ[١]، وكتب إلى المقتدي يذكر له تسليمها إليه وغلوّ الأسعار بها وموت أهلها، وأنّ الكارة الطعام بلغت في دمشق نيّفاً وثمانين ديناراً مغربيّة، وبقيت على ذلك أربع سنين. والكارتان ونصفُ غِرَارةٌ بالشاميّ. فتكون الغرارة بمائتي دينار. وهذا شيء لم يُعهد مثله في سالف الأعصار. قلت: ولا بعده. وقد تقدّم ذكر هذا الغلاء بمصر والشام في ترجمة المستنصر هذا.

وفيها تُوفّي أحمد[٢] بن عليّ بن محمد، القاضي أبو الحسين جلال الدولة الشريف العَلَويّ؛ كان ولي قضاء دِمَشْق للمستنصر، وهو آخر قضاة المصريّين الرافضة، وهو الذي أجار الخطيبَ البغدادي لمّا أمر أميرُ دمشق بقتله. قال يوماً وعنده [أبو][٣] الفِتيان بن حَيُّوس: وَدِدت أنيّ في الشجاعة مثل جدّي عليّ، وفي السخاء مثل حاتم. فقال له [أبو][٣] الفتيان بن حيّوس: وفي الصدق مثل أبي ذَرّ [الغِفارِيّ][٣]. فَخجِل الشريف، فإنّه كان يتزيّد في كلامه.

وفيها تُوفّي إسماعيل بن عليّ، أبو محمد العَيْن زَرْبيّ[٤] الشاعر الفصيح. كان يسكن دِمَشق وبها مات. ومن شعره:

وحقِّكُم لا زرتكم في دُجُنَّةٍ ... من الليل تُخفيني كأنّي سارقُ
ولا زُرْت إلاّ والسيوفُ شواهرٌ[٥] ... عليّ وأطرافُ الرماح لواحقُ

---

(١) وكان آخر ما دعي للمصريين في دمشق يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة سنة ثمان وستين وأربعمائة (ولاة دمشق في العهد السلجوقي لصلاح الدين المنجد: ص ١٨). وقد سبق التعريف بأتسز التركماني في حاشية الصفحة ٨٩ من هذا الجزء فلينظر.

(٢) في أخبار مصر لابن ميسّر: «أبو الحسين بن أحمد بن أبي القاسم علي بن محمد بن الحسين بن الحسن بن إبراهيم بن علي بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب النصيبيني».

(٣) زيادة عن تهذيب ابن عساكر.

(٤) نسبة إلى عين زربة، بلدة من بلاد الجزيرة مما يقرب الرها وحرّان (أنساب السمعاني) وقال ابن الأثير في اللباب معقباً على هذا: «قلت: هكذا ذكر السمعاني.. وليس كذلك، وإنما كانت قديماً من ثغور المسلمين الموغلة في بلاد الروم تقارب طرسوس وأذنة، وملكها الروم من المسلمين أيام سيف الدولة بن حمدان سنة ٣٥١هـ». وفي معجم البلدان: «عين زربى» ضبطها بالعبارة بألف مقصورة في الآخر، وذكر في تحديدها ما يوافق كلام ابن الأثير.

(٥) كذا أيضاً في فوات الوفيات. وفي معجم البلدان: «هواتفُ... إليّ».

وله أيضاً: [الطويل]

ألاَ يا حمامَ الأيْك عيشُك[١] آهلٌ وغُصنك مَيّال[٢] وإلْفك حاضرُ
أتبكي وما آمتدّت اليك يدُ النَّوى ببَيْنٍ[٣] ولم يَذْعَرْ جَنَاحَك[٤] ذاعرُ

قلت: وهذا يشبه قول القائل في أحد معانيه: [الخفيف]

نَسَب الناس للحمامة حزناً وأراها في الحزن ليست هنالِكْ
خضَبت كفَّها وطوّقت الجيـ ـدَ وغنّت وما الحزينُ كذلكْ

وفيها تُوفّي مسعود [بن عبد العزيز][٥] بن المحسن بن الحسن بن عبد الرزاق، أبو جعفر البياضِيّ الشاعر البغداديّ. كان أديباً فاضلاً شاعراً. مات ببغداد في ذي القعدة. ومن شعره: [الخفيف]

ليس لي صاحبٌ معينٌ سوى الليـ ـل إذا طال بالصدود عَليّا
أنا أشكو همَّ الحبيب إليه وهو يشكو بُعْدَ الصَّباح إليّا

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وإصبعان. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وأربع عشرة إصبعاً. وأوفى يوم نصف توت.

* * *

السنة الثانية والأربعون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة تسع وستّين وأربعمائة.

فيها في صفر غلب على المدينة النبويّة مُحيطُ العَلَويّ وأعاد خطبة المستنصر هذا بها، وطرد عنها أمِيرَها الحسين بن مهنّأ فقصد الحسين مَلِكْشاه السَّلْجُوقيّ.

(١) في تهذيب ابن عساكر والفوات: «عشك آهل».
(٢) في تهذيب ابن عساكر: «ميّاس». وفي الفوات: «مياد».
(٣) كذا في تهذيب ابن عساكر والفوات. وفي الأصل: «ولم يدرك».
(٤) في الفوات: «جنابك».
(٥) زيادة عن ابن خلكان.

وفيها تُوفّي ــ والصحيح في التي قبلها ــ عليّ بن أحمد بن محمد بن عليّ، أبو الحسن الوَاحِديّ النيسابوريّ. كان من أولاد التجار من ساوه[١]، وكان أوحد عصره في التفسير. كان إماماً عالماً بارعاً محدّثاً؛ صنف التفاسير الثلاثة: «البسيط» و«الوجيز» و«الوسيط». والغزاليّ أخذ هذه الأسماء برمّتها وسمّى بها تصانيفه. وصنّف الواحِديّ أيضاً «أسباب النزول» في مجلّد و«شَرْح الأسماء الحسنى» وكتباً كثيرة غير ذلك. وكان له أخٌ آسمه عبد الرحمن قد تفقّه وحدّث أيضاً.

وفيها توفّي إسفهدوست[٢] بن محمد بن الحسن أبو منصور الدَّيْلَميّ الشاعر. كان أوّلاً يهجو الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ والناسَ، ثم تاب وحسُنت توبته. وقال في ذلك قصيدة طَنَّانة أولها: [الكامل]

لاح الهدى فجلا عن الأبصار ... كالليل يجلوه ضِياءُ نهارِ

ورأت سبيل الرشد عيني بعدما ... غطّى عليها الجهل بالأستار

ومنها:

وعدلتُ عما كنتُ معتقِداً له ... في الصحب صحبِ نبيك[٣] المختارِ

السيد الصدّيق والعدل الرِّضَى ... عُمَر وعثمان شهيد الدار

وهي طويلة جدّاً.

وفيها تُوفّي طاهر بن أحمد بن باب شاذ[٤]، أبو الحسن النحويّ المصريّ صاحب «المقدّمة»[٥] المشهورة. كان عالماً فاضلاً وله تصانيف في النحو. سمِع الحديث ورواه، وقُرِىء عليه الأدب بجامع مصر[٦] سنين. تَرَدَّى من سطح جامع مصر في شهر رجب فمات من ساعته.

---

(١) ساوَه (بهاء ساكنة في الأخير، كما في معجم البلدان): مدينة بين الريّ وهمذان.

(٢) في ابن الأثير والبداية والنهاية وفوات الوفيات: «أسبهدوست».

(٣) في المنتظم وعقد الجمان: «نبيّه».

(٤) وترسم أيضاً «بابشاذ» وهي كلمة أعجمية تتضمن معنى الفرح والسرور، كما في ابن خلكان.

(٥) هي مقدمة في النحو (كشف الظنون). وتسمى «المقدمة المحسنيّة في فن العربية» ويوجد منها ثلاث نسخ مخطوطة ومحفوظة في دار الكتب المصرية. (حاشية ص ١٠٥ من النجوم، طبعة دار الكتب).

(٦) أي جامع عمرو بن العاص، كما في المنتظم وابن خلكان.

وفيها تُوفّي عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه ــ وآسم منده إبراهيم بن الوليد ــ الحافظ أبو القاسم ابن الحافظ أبي عبد الله العبديّ الأصبهانيّ. كان كبير الشأن، جليل القدر، حسن الخطّ واسع الرّواية. وُلِد سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وهو أكبر إخوته ــ رحمه الله ــ ومات في شوّال. وقال الذهبيّ: مات في سبعين وأربعمائة.

وفيها كان الطاعون العظيم بالشام، ومات خلائق لا تُحصر.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وسبع أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وثلاث عشرة إصبعاً. وأوفى بأواخر توت.

* * *

السنة الثالثة والأربعون من خلافة المستنصر مَعَدّ على مصر

وهي سنة سبعين وأربعمائة.

فيها ورد كتاب أُرْتُق[1] بك على الخليفة المقتدي العباسيّ بأخذه بلاد القرامطة.

وفيها تُوفّيت بنت الوزير نظام الملك وزوجة الوزير عميد الدولة[2]، وجلس الوزير وولده للعزاء. ونظام الملك وزير السلطان ملكشاه، وعميد الدولة وزير الخليفة المقتدي بالله؛ وكان عميد الدولة في المحلّ أعظم، ونظام الملك في المال أكثر.

وفيها تُوفّي أحمد بن عبد الملك بن عليّ، الحافظ أبو صالح النيسابوريّ المؤذّن. وُلِد سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، وسمِع الحديث الكثير، وصنّف الأبواب والشيوخ؛ وكان يؤذّن ويَعِظ، وكان شيخ الصوفيّة في وقته علماً وعملاً وصدقاً وثقةً وأمانةً.

(١) هو أُرتق بن أكسك (أو أكسب) جدّ الملوك الأرتقيّة. توفي سنة ٤٨٤هـ. (معجم زامباور: ٣٤٦).

(٢) في الأصل: «عميد الملك». والتصحيح عن ابن خلكان وابن الأثير والفخري. وعميد الملك هو أبو نصر الكندري وزير طغرلبك السلجوقي.

وفيها تُوفّي عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن أحمد، أبو جعفر بن أبي موسى، الشريفُ الهاشميّ، إمام الحنابلة وعالمهم في زمانه. وُلِد سنة إحدى عشرة وأربعمائة. وكان عالماً وَرِعاً فاضلاً؛ تفقّه على القاضي أبي يَعْلَى. وكان يَشْهَد ثمّ ترك الشهادة. وكان صدوقاً ثقة زاهداً عابداً مصنّفاً. مات بنيسابور في شهر رمضان.

وفيها تُوفّي أحمد بن محمد [بن أحمد][1] بن عبد الله بن النفور[2] الحافظ أبو الحسن[3] البزاز. مات ببغداد في شهر رجب وله تسعون سنة. وكان إماماً محدّثاً فاضلاً بارعاً.

وفيها توفّي الحسين[4] بن محمد [بن أحمد][5] بن طلّاب أبو نصر خطيب دمشق في صفر بها وله إحدى وتسعون سنة. وكان إماماً بارعاً محدّثاً فصيحاً خطيباً.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وآثنتان وعشرون إصبعاً. وفُتِح الخليج في سابع عشر مِسْرَى، والماء على آثنتي عشرة إصبعاً من ست عشرة ذراعاً. وأوفى في رابع أيام النسيء، وبلغ سبع عشرة ذراعاً وعشر أصابع. ونقص في ثالث عشر بابة.

* * *

السنة الرابعة والأربعون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة.

فيها تُوفّي إبراهيم بن عليّ بن الحسين، أبو إسحاق شيخ الصوفيّة بالشام. سمِع الحديث، وكان صاحب رياضات ومجاهدات. أقام بصُور[6] أربعين سنة، ومات بدِمشق.

---

(١) زيادة عن الشذرات وابن الأثير.

(٢) في ابن الأثير والشذرات: «النقور» بالقاف المثناة.

(٣) في ابن الأثير والشذرات والبداية والنهاية: «أبو الحسين».

(٤) كذا في الشذرات وتهذيب ابن عساكر. وفي الأصل: «الحسن».

(٥) زيادة عن تهذيب ابن عساكر.

(٦) في الأصل: «أقام يصوم». وما أثبتناه عن تهذيب ابن عساكر.

وفيها تُوفّي الحسن بن أحمد بن عبد الله أبو عليّ بن البنّاء الحنبليّ. وُلِد سنة سبع وتسعين وثلاثمائة. وبرَع في الفقه وغيره، وصنّف في كلّ فنّ. وكان يقول: صنّفت خمسين ومائة مصَنَّف. وكانت وفاته في شهر رجب هذه السنة.

وفيهـا تُوفّي الحسين بن أحمـد[1] بن عقيل بن محمـد أبو عليّ بن رِيش الدمشقيّ. مات بدمشق في جمادى الاخرة. وكان ثقة صدوقاً فاضلاً أديباً.

وفيها تُوفّي سعد بن عليّ بن محمد بن عليّ بن الحسين، الحافظ أبو القاسم الزَّنْجانيّ[2] الصُّوفيّ. وُلِد سنة ثمانين وثلاثمائة، وطاف البلاد وسمِع الكثير. وآنقطع في آخر عمره بمكّة وصار شيخ الحرم.

وفيها تُوفّي عبد القاهر بن عبد الرحمن، أبو بكر الجُرْجَانيّ النحويّ شيخ العربيّة في زمانه. كان إماماً بارعاً مُفْتَنّاً. إنتهت إليه رياسة النُّحاة في زمانه.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وسبع وعشرون إصبعاً. وفتح الخليج في سابع عشرين مسرى والماء على ثماني عشرة إصبعاً من ست عشرة ذراعاً. وكان الوفاء في ثالث توت بعد ما توقّف ولم يزد إلى عاشر مسرى. وكان مبلغ الزيادة في هذه السنة سبع عشرة ذراعاً وعشرين إصبعاً، ونقص في خامس بابة.

* * *

السنة الخامسة والأربعون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة آثنتين وسبعين وأربعمائة.

فيها تُوفّي منصور[3] بن بَهْرَام الأمير نظام الملك[3] صاحب ميّافارِقين من ديار بكر، وملك بعده آبنه ناصر الدولة[3].

(١) اسم «أحمد» ساقط من رواية ابن عساكر وتهذيبه ومعجم الأدباء.

(٢) في الأصل: «الريحاني». والتصحيح عن المنتظم والشذرات وأنساب السمعاني، وفيه أن وفاته سنة ٤٧٠هـ.

(٣) كذا بالأصل. وصوابه: «نصر بن أحمد بن مروان الكردي، نظام الدين». مات في ذي الحجة من سنة ٤٧٢هـ. كان خفيف الوطأة كثير الإحسان عادلاً، ولم تر ميافارقين أعمر ولا أحسن مما كان في أيامه. وملك بعده ابنه ناصر الدولة أبو المظفر منصور الذي توفي سنة ٤٨٨هـ. (تاريخ ميافارقين: ٧٦).

وفيها توفّي هَيّاج بن عُبَيْد[١] بن الحسين، أبو محمد الحِطِّينيّ الزاهد ــ وحِطِّين: قرية غربيّ طَبَرِيّة. ويقال: إن قبر شُعَيْب عليه السلام بها، وبنته صَفُورَاء زوجة موسى عليه السلام أيضاً بها. وحِطِّين بكسر الحاء المهملة وفتحها ــ. وكان هيّاج المذكور إماماً زاهداً. سمِع الحديث وبرع، وجاور بمكّة وصار فقيه الحرم ومفتي مكّة. وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويأكل في كلّ ثلاثة أيام مرّة، ويعتمر في كلّ يوم ثلاث مرّات على قدميه. وأقام بالحرم أربعين سنة لم يُحْدِث فيه، وكان يخرج إلى الحِلّ ويقضي حاجته. وكان يزور النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في كلّ سنة ماشياً، وكان يزور عبد الله بن عبّاس في كلّ سنة مرّة بالطائف؛ ويأكل أكلة بالطائف وأخرى بمكة، وما كان يدّخر شيئاً، ولم يكن له غير ثوب واحد. وفيه قال بعضهم: [الوافر]

أقول لمكّة آبتهجي وتيهي ... على الدنيا بَهيّاج الفقيه
إمامٌ طلق الدنيا ثلاثاً ... فلا طَمَعٌ لها من بعدُ فيه

وكان سبب موته أنّ بعض الرافضة شكا إلى صاحب مكّة محمد بن أبي هاشم، قال: إنّ أهل السُّنة يستطيلون علينا بهيّاج، وكان صاحبُ مكّة المذكورُ رافضياً خبيثاً، فأخذه وضربه ضرباً عظيماً على كِبَر سِنّه، فبقِي أيّاماً ومات، وقد نيَّف على الثمانين سنة، ودُفِن إلى جانب الفُضَيْل بن عِياض، رحمة الله عليهما. ولمّا مات قال بعض العلماء: لو ظفِرت النصارى بَهيّاج لما فعلوا فيه ما فعله به صاحب مكة هذا الخبيث!. قلت: وهم الآن على هذا المذهب سوى أنّ الله تعالى قَمَعهم بالدولة التركيّة ونصَر أهلَ السنّة عليهم، وجعلهم رعايا ليس لهم بمكّة الآن غيرُ مجرّد الاسم.

وفيها توفّي الحسن بن عبد الرحمن، أبو عليّ الفقيه المكيّ الشافعيّ في ذي القعدة؛ وكان من الفضلاء.

---

(١) كذا أيضاً في الشذرات. وفي السمعاني: «هيّاج بن محمد بن عبيد».

وفيها توفّي أبو عبد الله يحيى بن أبي مسعود عبد العزيز بن محمد الفارسيّ بهَرَاةَ في شوّال؛ وكان إماماً فقيهاً نحوياً محدّثاً.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم لم يتحرّر[1]، فإنّه زاد في بؤونة خمس أذرع، ثم نقص ثلاثَ أذرع؛ ولم يزد إلى ثاني عشرين أبيب. وفتح الخليج في عشرين مسرى والماء على تسع عشرة إصبعاً من ست عشرة ذراعاً. وكثرت زيادته في توت، وآنتهى إلى خمس عشرة ذراعاً وثماني عشرة إصبعاً، ثم نقص في ثاني بابة.

* * *

السنة السادسة والأربعون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة.

فيها وصل السلطان مَلِكْشَاه السَّلْجوقيّ إلى الرَّيّ لقتال آبن عمّه سلطان شاه بن قَاوِرْد بك؛ فخرج إليه سلطان شاه مستأمِناً وقبّل الأرض بين يديه. فقام السلطان ملكشاه له وأجلسه بجانبه وتحالفا وزوّجه آبنته، وعاد السلطان ملكشاه إلى أصبهان.

وفيها ملك جلال الملك[2] أبو الحسن بن عمّار قاضي طرابلس وصاحبها حصن جَبَلة. وكان آبن عمّار هذا قاضي طرابلس وصاحبها، غلب على تلك البلاد سنين، وعجزَ بدر الجماليّ أمير الجيوش عن مقاومته.

وفيها عزل المقتدي بالله العباسيّ وزيرَه عميد الدولة وآستوزر أبا شجاع[3] محمد بن الحسين الرُّوذْرَاوَرِيّ[4]، وكان صالحاً عفيفاً ديّناً. فهجاه الموصليّ فقال: [الكامل]

---

(١) في حاشية الصفحة ١١٠ من النجوم، طبعة دار الكتب المصرية، عن درر التيجان أن الماء القديم خمس أذرع وثماني أصابع. ومبلغ الزيادة في تلك السنة سبع عشرة ذراعاً وعشر أصابع.

(٢) قارن بمعجم البلدان، مادة جبلة. وفيه أن ابن عمار المذكور هو جلال الدين.

(٣) له ترجمة وافية في الفخري ص ٢٩٧ ــ ٢٩٨.

(٤) نسبة إلى «روذراور» بنواحي همذان.

ما آستبدلوا آبن جَهِيرَ[١] في ديوانهم ... بأبي شُجَاع لِرفْعةٍ وجلالِ
لكنْ رأوْه أشَحَّ أهلِ زمانه ... فآستوزروه لحفظ بيت المالِ

وفيها تُوفّي محمد بن الحسين بن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن الشِّبْليّ، أبو عليّ الشاعر البغداديّ؛ كان شاعراً مجيداً؛ ومات في المحرّم. ومن شعره: [الكامل]

لاتُظْهِرنّ لعاذلٍ أو عاذرٍ ... حالَيْك في السرّاء والضرّاءِ
فلرحمةِ المتوجِّعين مرارةٌ ... في القلب مثلُ شماتة الأعداء

وفيها تُوُفّي محمد بن سلطان بن محمد بن حَيُّوس الأمير الشاعر. كان أحد شعراء الشاميّين وفحولهم المجيدين، وكان له ديوان شعر. ومات بدمشق في شعبان وقد جاوز الثمانين سنة. وأنشد له آبن عساكر قصيدة أولها: [الكامل]

أسُكّان نَعْمانِ الأراك تيقّنوا ... بأنكمُ في ربع قلبيَ سُكّانُ

وفيها تُوفّي عليّ بن محمد بن عليّ، أبو الحسن[٢] الصُّلَيْحِيّ الخارج باليمن. قال ابن خَلّكان: كان أبوه قاضياً باليمنِ سُنِّيّ المذهب، ثمّ ذكر عنه فضيلة وأشياء أُخَر تدُلّ على أنّه كان رافضياً خبيثاً، إلى أن قال: ثمّ إنه صار يحجّ بالناس على طريق السَّرَاة[٣] والطائف خمس عشرة سنة. انتهى كلام آبن خلّكان. قلت: وتغلّب

---

(١) هو محمد بن محمد بن جهير الثعلبي، فخر الدولة، مؤيد الدين، أبو نصر المتوفى سنة ٤٨٣هـ (الأعلام: ٤٦/٧).

(٢) راجع ص ٥٩ من هذا الجزء، حاشية (٣). وقد ذكر عمارة اليمني في تاريخه المسمى «المفيد في أخبار صنعاء وزبيد» ص ١٢٣ وفاة الصليحي في هذه السنة، وصححه محقق الطبعة التي رجعنا إليها بسنة ٤٥٩هـ، قال: وهي الرواية الصحيحة التي صادقت عليها جميع التواريخ التي ذكرناها.

(٣) السراة: بفتح أوله، وهي الجبال المتقاطرة الآخذة بعضها برقاب بعض، آتية من قعرة المعافر الحجرية حتى الطائف والشام. وهي الجبال المطلة على تهامة. وتسمى هذه الجبال في عرف العامة: ساق الغراب (انظر صفة جزيرة العرب: ص ٩٩ وما بعدها، وتاريخ عمارة اليمني: ص ٩٣ حاشية (٥) وفيها أن طريق الحاج لذلك العهد كان على نجد العليا لا على هذه السراة).

على اليمن حتّى ملكه، وجعل كرسيّ مُلْكه بصنعاء، وبنى عدّة قصور، وطالت أيامه، ودخل سنة خمس وخمسين وأربعمائة إلى مكّة وآستعمل الجميل مـع أهلها، ورَخُصت الأسعار، وأحبّه الناس لتواضـع كان فيه. ودخل معه مكّة زوجته[1] الحرّة التي كان خُطِب لها على منابر اليمن؛ وأقام بمكّة شهراً ثمّ رحَل. وكان يركب فرساً بألف دينار، وعلى رأسه العصائب. وإذا رَكِبت زوجته الحرّة ركِبت في مائتي جارية بالحلِيّ والجواهر، وبين يديها الجنائبُ بالسروج الذهب.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربـع أذرع وإحدى وعشرون إصبعاً. وفُتِح الخليـج في خامس توت والماء على خمس عشرة إصبعاً من ستّ عشرة ذراعاً. وكان الوفاء في خامس عشرين توت. وكان مبلـغ الزيادة في هذه السنة ستّ[2] عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصبعاً. ونقص في ثالث بابة.

* * *

السنة السابعة والأربعون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة أربـع وسبعين وأربعمائة.

فيها تُوُفّي داود ولد السلطان ملكْشاه السَّلْجوقيّ في يوم الخميس حادي عشرين ذي الحجة بأصبهان، وحزِن عليه والده ملكشاه حزناً جاوز الحدّ، وفعَل في مُصابه ما لم يُسمـع بمثله، ورام قتلَ نفسه دَفَعات وخواصُّه تمنعه من ذلك، ولم يُمكِّن من أخذه وغسله لقلّة صبره على فراقه، حتّى تغيّر وكادت رائحته تظهر، فحينئذ مَكَّن منه. وآمتنـع عن الطعام والشراب. وآجتمـع الأتراك والتُّرْكمان في دار المملكة وجزّوا شعورَهم، وآقتدى بهم نساء الحواشي والحشم والأتباع والخدم، وجُرّت نواصي الخيول وقُلِبت السروج، وأُقيمت الخيول مُسَوَّدات، وكذا النساء المذكورات؛ وأقام أهل البلد المأتم في منازلهم وأسواقهم. وبقيت الحال على هذا

(١) هي أسماء بنت شهاب الصليحي، كما في الوفيات وتاريخ عمارة اليمني.

(٢) في حاشية طبعة دار الكتب، عن كنز الدرر ودرر التيجان: «سبع عشرة ذراعاً».

سبعة أيام، حتى كلّمه أرباب الدولة في منع ذلك؛ وأرسل إليه الخليفة يحثه على الجلوس بالديوان.

وفيها سار تتش صاحب دمشق فآفتتح أَنْطَرْطُوس[١] وغيرها.

وفيها أخذ شرف الدولة صاحب الموصل حَرَّانَ من بني وثّاب النُّمَيْرِيِّين، وصالحه صاحب الرُّهاء وخُطِب له بها.

وفيها تملّك الأمير سديد الملك[٢] أبو الحسن عليّ بن مُقَلَّد بن نصر بن مُنقذ الكِنانيّ حصن شيزَر، وآنتزعه من الفرنـج، بعد أن نازلها وتسلمها بالأمان وبمال للأسقف. فلم تزل شَيْزَر بيده وبيد أولاده إلى أن هدمتها الزلزلة وقتلت أكثرَ من كان بها؛ فعند ذلك أخذها السلطان الملك العادل نور الدين محمود الشهيد وأصلحها وجدّدها. وأمّا سديد الملك فلم يَحْيَ بعد أن تملّكها إلاّ نحو السنة ومات. وكان شجاعاً فارساً شاعراً. وملكها بعده آبنه أبو المرهف نصر.

وفيها تُوفّي سليمان بن خلف بن سعد بن أيّوب بن وارث، الإمام أبو الوليد التُّجيبي القُرْطُبيّ الباجيّ صاحب التصانيف. أصله بَطْلَيُوسيّ[٣]، وآنتقل آباؤه إلى باجة، وهي مدينة قريبة من إشبِيلِيَةَ. ووِلُد في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة. ورحل البلاد وحـج وسافر إلى الشام وبغداد، وسمِـع بهما الكثير. قال القاضي عِياض: وولي قضاء مواضـع من الأندلس، وذكر مصنّفاته وأثنى على علمه وفضله.

وفيها تُوفّي نور الدولة دُبَيْس بن عليّ بن مَزْيَدَ أبو الأغرّ صاحب الحِلَّة.[٤] . عاش ثمانين سنة، كان فيها أميراً نيّفاً وستّين سنة؛ وكان الطبول تُضرب على بابه في أوقات الصلوات، وكان جَوَاداً ممدّحاً؛ كان مَحطّ رِحال الرافضة ـ أخزاهم الله ـ وملك بعده آبنه أبو كامل بهاء الدولة منصور.

(١) أنطرطوس: وتعرف اليوم باسم طرطوس، بلد من سواحل بحر الشام.

(٢) في الأصل: «سديد الدولة» وما أثبتناه عن ابن خلكان وعقد الجمان.

(٣) نسبة إلى بطليوس، مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربي قرطبة (معجم البلدان) وفي «صفة جزيرة الأندلس» أنها على ضفة نهرها الكبير المسمى بالغور.

(٤) وتسمى حلّة بني مزيد؛ وهي مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد. (معجم البلدان).

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وثماني عشرة إصبعاً. وفُتح الخليج في خامس عشرين مسرى، والماء على ثماني عشرة إصبعاً من ستّ عشرة ذراعاً. وكان الوفاء أوّل أيّام النسيء[1]. وبلغ ثماني عشرة ذراعاً وثلاث عشرة إصبعاً. ونقص في ثالث بابة.

* * *

السنة الثامنة والأربعون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة خمس وسبعين وأربعمائة.

فيها شفَع أُرْتُق بك إلى تاج الدولة تُتُش صاحب الشام في مسمار الكلبيّ فأفرج عنه، وسار الأمير أرتق بك إلى القدس.

وفيها فتح آبن قُتُلْمِش حصن أَنْطَرْطُوس من الروم، وبعث إلى آبن عمار قاضي طرابلس وصاحبها يطلب منه قاضياً وخطيباً.

وفيها سار مسلم بن قُرَيش صاحب حلب إلى دِمَشق وحصر بها صاحبها تُتُش، ثم عاد عنها ولم يظفَر بطائل.

وفيها تُوفّي آبن ماكولا عليّ بن هبة الله بن عليّ بن جعفر بن علكان بن محمد ابن دُلَف ابن الأمير أبي دلف القاسم بن عيسى بن إدريس بن مَعْقِل العِجْليّ. وعجل: بطن من بكر بن وائل من أَمَة ربيعة أخي مضر آبني نِزار بن مَعَدّ بن عدنان. قال شِيرَوَيْه في طبقاته: وكان يُعرف بالوزير سعد الملك بن ماكولا، ووُلِد بعُكْبرا في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة في شعبان، وكنيته أبو نصر. قال صاحب مرآة الزمان: «الأمير الحافظ أبو نصر العِجليّ». قال أبو عبد الله الحميديّ: ما راجعت الخطيب في شيء إلّا وأحالني على كتاب[2] وقال: حتّى أبصره؛ وما راجعت أبا نصر

---

(١) تقسم السنة القبطية إلى اثني عشر شهراً، كل شهر منها عدده ثلاثون يوماً سواء. فإذا تمت الأشهر الاثنا عشر أتبعوها بخمسة أيام زيادة وسموا هذه الأيام الخمسة «أبو عمنا» وعرفت فيها بعد باسم «النسيء» ــ انظر خطط المقريزي: ٢٦٣/١، وفيه أيضاً أسماء شهور القبط وما يتعلق بالتقويم القبطي.

(٢) في الأصل: «الكتاب».

آبن ماكولا في شيء إلّا وأجابني حفظاً، كأنه يقرأ من كتاب. قلت: وهو الذي صنّف عن أوهام الخطيب كتاباً سماه «مستمرّ الأوهام». ومات في هذه السنة. وقيل سنة تسع وسبعين، وقيل سنة سبع وثمانين. ومن شعره ــ رحمه الله ــ: [الطويل]

ولمـا تـوافينـا تبـاكت قلوبُنـا فمسـكُ دمع يـوم ذاك كَسـاكِبهْ
فيا كبدي الحرّى آلبَسِي ثوب حسرةٍ فِراقُ الذي تَهْوَيْنَه قـد كساكِ بـه

وفيها تُوفّي محمد بن أحمد بن عيسى[1] الإمام أبو بكر السّمسار. مات في شوّال. كان إماماً فاضلاً بارعاً، سمع الحديث وبرع في فنون.

وفيها وقع الطاعون ببغداد ثم بمصر وما والاهما، فمات فيه خلق كثير.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثماني عشرة ذراعاً. ثم زاد حتّى كان مبلغ الزيادة في هذه السنة خمس عشرة ذراعاً وعشر أصابع. ثم نقص في خامس بابة.

* * *

السنة التاسعة والأربعون من ولاية المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة ستّ وسبعين وأربعمائة.

فيها عَزَل المقتدي بالله العباسيّ عميدَ الدولة عن الوزارة.

وفيها سلّم آبن صقيل قلعة بعلبكّ إلى تاج الدولة تُتُش صاحب الشام، وكان مقيماً فيها من قِبلَ المستنصر العبيديّ صاحب الترجمة، وكان ذلك في صفر.

وفيها عزم تُتُش صاحب دمشق على مصاهرة أمير الجيوش بدر الجماليّ وزير مصر وصاحب عَقْدها وحَلّها، فأشار آبن عمار قاضي طرابلُس وصاحبها على تُتُش بألّا يفعل، فثَنَى عزمه عن ذلك.

وفيها تُوفّي سلطان شاه بن قاورد بك بن داود بن ميكائيل السَّلْجوقيّ صاحب

(١) في الشذرات: «محمد بن أحمد بن علي».

كَرْمان وآبن عمّ السلطان مَلَكْشاه؛ فقدِمت أمّه على ملكشاه بهدايا وأموال، فأكرمها وأقرّ ولدها الآخر مكانه.

وفيها تغيّرت نيّة السلطان ملكشاه على وزيره نظام الملك، ثم أصلح نظامُ الملك أمره معه.

وفيها تُوفّي إبراهيم بن عليّ بن يوسف، أبو إسحاق الفَيْرُوزاباديّ الشيرازيّ الشافعيّ. وُلِد سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، وتفقّه بفارس على أبي عبد الله[1] البيضاويّ، وببغداد على أبي الطّيب الطَّبَرِيّ. وسمِع الحديث، وكان إماماً فقيهاً عالماً زاهداً. ولما قدِم خُراسان في الرسالة تلقّاه الناس وخرجوا إليه من نَيْسابور، فحمَل إمام الحرمين أبو المعالي الجُوَيْنيّ غاشيته ومشى بين يديه كالخدم وقال: أنا أفتخر بهذا. قال أبو المظفر في المرآة: وما عِيب عليه شيء إلّا دخوله النِّظَاميّة، وذكره الدروس [بها]، لأنّ حاله في الزهد والوَرَع خلاف ذلك. ثم ساق له أشعاراً كثيرة. منها في غريق في الماء: [الطويل]

غريق كأنّ الموت رقّ لأخذه ... فلاَنَ له في صورة الماء جانِبُهْ
أبى الله أن أنساه دهري فإنّه ... توفاه في الماء الذي أنا شاربُهْ

وله: [الوافر]

سألت الناس عن خِلٍّ وفيٍّ ... فقالوا ما إلى هذا سبيلُ
تمسّكْ إن ظفِرتَ بودّ[2] حرّ ... فإنّ الحرّ في الدنيا قليل

وكانت وفاته ببغداد من الجانب الشرقي.

وفيها تُوفّي محمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل، أبو طاهر بن أبي الصقر[3] الأنباريّ؛ كان محدّثاً فاضلاً ثقة صدوقاً صاحب صيام وقيام. وله شعر. وأنشد لابن الروميّ: [الكامل]

---

(١) في الأصل: «.. على أبي الفرج بن البيضاوي» وما أثبتناه عن ابن خلكان والبداية والنهاية.
(٢) في ابن خلكان: «بذيل حرّ».
(٣) في الأصل: «ابن أبي الأصفر». والتصحيح عن شذرات الذهب.

يـا دهر صـافيتَ اللئام مـواليا ... أبـداً وعاديت الأكـارم عـامـدا
فغَدرت كالميزان ترفـع نـاقصا ... أبداً وتخفض لا محالـة زائدا

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وسبـع عشرة إصبعاً. وفتـح الخليج في ثاني النسيء. وكان الوفاء في ثامن توت. وكان مبلـغ الزيادة سبـع عشرة ذراعاً وتسع أصابـع. ونقص في تاسع بابة.

* * *

السنة الخمسون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة سبـع وسبعين وأربعمائة.

فيها بني أمير الجيوش بدر الجَماليّ جامـع العطّارين[١] بالإسكندرية. وسببه أنّ [الأوحد][٢] ولد بدر الجماليّ عصى عليه وتحصّن بالإسكندرية. فسار إليه أبوه بدر الجماليّ حتى نزل على الإسكندرية وحاصرها شهراً حتّى طلب أهلها الأمان وفتحوا له الباب، فدخلها وأخذ آبنه أسيراً ثم بنى هذا الجامـع.

وفيها تُوفّي عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد، أبو نصر بن الصباغ الفقيه الشافعيّ. وُلد سنة أربعمائة، وتفقّه وبرَع حتّى صار فقيه العراق، وكان يُقَدَّم على أبي إسحاق الشيرازيّ في معرفة مذهبه. وصنّف الكتب في الفقه، منها: «الشامل» و«الكامل» و«تذكرة العالم» و«الطريق السالم». وولي تدريس النِّظَاميّة قبل أبي إسحاق عشرين يوماً. ومات جُمادى الأولى.

---

(١) جامـع العطارين: من أقدم مساجد الإسكندرية؛ وكان قائماً في سوق العطارين فعرف به. ومكانه اليوم بشارع جامـع العطارين. ولم يبن بدر الجمالي هذا الجامـع وإنما جدّده وأشار إلى ذلك في لوحة تاريخية مثبتة الآن في قاعدة المنارة على يسار الداخل من الباب البحري الشرقي ونصّها:
﴿بسم الله الرحمن الرحيم. إنما يعمُر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخْشَ إلا الله﴾ مما أمر بإنشائه السيد الأجل، أمير الجيوش، سيف الإسلام، ناصر الإمام، كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين، أبو النجم بدر المستنصري عند حلول ركابه ثغر الإسكندرية ومشاهدته هذا الجامـع خراباً، فرأى بحسن ولائه ودينه تجديده زلفا إلى الله تعالى، وذلك في ربيـع الأول سنة سبـع وسبعين وأربعمائة» (أخبار مصر لابن ميسّر: ص ٤٦، حاشية: ١٨٩).

(٢) زيادة عن ابن ميسّر.

وفيها تُوفّي مسلم بن قُرَيْش بن بَدْران الأمير أبو البركات شرف الدولة أمير بني عُقَيل صاحب الموصل والجزيرة وحلب. وزوّجه السلطان ألْب أرْسلان السلجوقي أخته. وكان شجاعاً جَوَاداً ذا همّة وعزم؛ إحتاج إليه الخلفاء والملوك والوزراء، وخُطِب له على المنابر من بغداد إلى العواصم والشام. وأقام حاكماً على البلاد نيفاً وعشرين سنة. ولمّا مدحه آبن حَيُّوس بقصيدته التي أوّلها: [الكامل]

ما أدرك الطَّلبات[1] مثلُ مصمِّمٍ إن أقدمت أعداؤه لم يُحجِمِ

فأعطاه الموصل جائزة له، فأقامت في حكمه ستة أشهر. وقُتِل مسلم هذا في وقعة كانت بينه و[بين سليمان بن][2] قُتُلْمِش في هذه السنة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعاً. وفُتح الخليج في رابع عشرين مسرى، والماء على آثنتي عشرة إصبعاً من ست عشرة ذراعاً. وكان الوفاء آخر أيام النسيء. ووقف مدّة ثم نقص في العشرين من توت بعد ما بلغ سبع عشرة ذراعاً وثلاث عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الحادية والخمسون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة.

فيها وقع طاعون عظيم بالعراق ثم عمّ الدنيا؛ فكان الرجل قاعداً في شغله فتثور به الصفراء فتصرَعه فيموت من وقته. ثم هبّت ريح سوداء ببغداد، أظلمت الدنيا، ولاحت نيران في أطراف السماء وأصوات هائلة، فأهلكت خلقاً كثيراً من الناس والبهائم. فكان أهل الدرب يموتون فيسدّ الدرب عليهم. قاله صاحب مرآة الزمان ــ رحمه الله ــ.

---

(١) في الأصل: «الطيبات» وما أثبتناه من طبعة دار الكتب عن ديوانه ومرآة الزمان.

(٢) زيادة عن ابن الأثير وعقد الجمان.

وفيها آتفق جماعة بمصر مع ولده أمير الجيوش بدر الجماليّ على قتل والده وينفرد الولد بالملك، ففطن به أبوه فقتل الجماعة وعفّى أثرَ ولده؛ ويقال: إنّه دفنه حيّاً، وقيل: غرّقه، وقيل: جوّعه حتى مات. وكان بدر الجماليّ أرمنيّ الجنس، فاتكاً جبّاراً؛ قتل خلقاً كثيراً من العلماء وغيرهم، وأقام الأذان بـ «حيّ على خير العمل»، وكبّر على الجنائز خمساً، وكتب سبَّ الصحابة على الحِيطان. قلت: وبالجملة إنّه كان من مساوىء الدنيا، جزاه الله. وغالب من كان بمصر في تلك الأيام كان رافضيّاً خبيثاً بسبب وُلاة مصر بني عُبيد إلّا من ثبّته الله تعالى على السنّة.[1]

وفيها تُوفّي أحمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيمْ، أبو بكر سِبطُ ابن فُورَك وخَتَنُ[2] أبي القاسم القُشَيريّ على آبنته؛ وكان يعظ في النِّظاميّة، وكان قبيح السِّيرة.

وفيها تُوفّي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، أبو المعالي الجُوَيْنِيّ الفقيه الشافعيّ المعروف بإمام الحرمين. وجُوَيْن: قرية من قرى نيسابور. وُلِد سنة سبع عشرة وأربعمائة. وتفقّه على والده فأُقعِد مكانه وله دون العشرين من العمر، فأقام الدرس، وسَمِع بالبلاد، وحجّ وجاور؛ ثم عاد إلى نيسابور، ودرّس بها ثلاثين سنة، وإليه المنبر والمِحراب، ويجلس للوعظ؛ وتخرّج به جماعة، وصنّف «نهاية المطلب [في رواية المذهب][3]». وصنّف في الكلام الكتب الكثيرة: «الإرشاد» وغيره. قال

---

(١) من مراجعة قائمة وزراء العصر الأول عند الفاطميين، نلاحظ أن بعضهم من أهل الذمة، والبعض الآخر وإن كان مسلماً إلا أنه يتمذهب بغير مذهب الدولة: فابن كلّس وأبو منصور صدقة بن يوسف الفلاحي وأبو علي التستري كانوا يهوداً قبل إسلامهم. ومن الوزراء المسيحيين عيسى بن نسطورس وأبو العلا فهد بن إبراهيم والشافي زرعة بن نسطورس ومنصور بن مكرواه. وكان من وزراء التنفيذ المسلمين وزراء على غير مذهب الدولة مثل اليازوري الذي كان سنياً حنفياً. أما وزراء التفويض فقد كانوا كلهم مسلمين عدا بهرام الأرمني، إلا أن جلهم كانوا على غير مذهب الدولة، مع أن القضاة والدعاة كانوا نواباً عنهم. فبدر الجمالي وابنه الأفضل وحفيده أبو علي أحمد والمأمون بن البطائحي وآل رزيك كانوا إماميين مغالين في مذهبهم، ورضوان بن ولخشي وابن السلار وأسد الدين شيركوه وصلاح الدين كانوا سنيين. (الوزارة في العصر الفاطمي: ٣٨ ــ ٣٩).

(٢) السبط: ابن البنت، والختن: زوج البنت.

(٣) زيادة عن كشف الظنون وابن خلكان.

صاحب مرآة الزمان: وقال محمد بن عليّ تلميذ أبي المعالي الجُوَيْنيّ: دخلت عليه في مرضه الذي مات فيه وأسنانه تتناثر من فيه ويسقط منها الدود، لا يُستطاع شمُّ فيه؛ فقال: هذه عقوبة اشتغالي بالكلام فٱحذَروه! وكانت وفاته ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من شهر ربيع الأوّل عن تسع وخمسين سنة.

وفيها تُوفّي محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الوليد، أبو عليّ المتكلّم المعتزليّ شيخ المعتزلة والفلاسفة والداعية إلى مذهبهم. وهو من أهل الكَرْخ، وكان يُدرس هذه العلوم، فاضطرّه أهل السّنة إلى أنّه لزِم بيته خمسين سنة لا يتجاسر أن يظهر. ومات في ذي الحجة.

وفيها تُوفّي محمد بن عليّ بن محمد بن الحسن بن عبد الملك[1] بن عبد الوهّاب بن حَمُّويَه، الإمام أبو عبد الله الدَّامَغَانيّ القاصي الحنفيّ. ولـدِ بالدامَغان في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، وتفقّه ببلده، ثم قدم بغداد وتفقّه أيضاً بالصَّيْمَرِيّ والقُدُوريّ، وسَمِع منهما الحديث، وبرَع في الفقه، وخُصّ بالفضل الوافر والتواضع الزائد، وٱرتفع وشيوخه أحياء، وٱنتهت إليه رياسة المذهب في زمانه. وكان فصيح العبارة مليح الإشارة غزير العلم سهل الأخلاق معظّماً عند الخلفاء والملوك. ولي قضاء القُضَاة ببغداد سنة سبع وأربعين، وصار رأس علماء عصره في كلّ مذهب. وحسُنت سِيرته في القضاء حتّى أقام فيه ثلاثين سنة. ومات ليلة السبت الرابع والعشرين من شهر رجب. وكانت جنازته عظيمة، نزَع العلماء طَيالِسَتهم ومشَوْا فيها. وكثُر أسف الناس عليه. رحمه الله تعالى.

وفيها تُوفّي منصور بن دُبَيْس بن عليّ بن مَزْيَد، الأمير الرافضيّ أبو كامل بهاء الدولة صاحب الحِلّة. مات فيها في شهر رجب، وكانت ولايته ستّ سنين. وقام بعده ولده سيف الدولة صَدَقة. قلت: والجميع رافضة، كلّ واحد أنجس من الآخر، عاملهم الله بما يستحقّونه.

(١) في الأصل: «عبد الله». وما أثبتناه عن البداية والنهاية والمنتظم وعقد الجمان.

وفيها تُوفّي هِبة الله بن عبد الله بن أحمد، أبو الحسن السِّيبِيّ[١] البغداديّ. سمع الحديث وتفقّه، وكان أديباً شاعراً فصيحاً. مات في المحرّم. ومن شعره: [المتقارب]

رجوتُ الثمانين من خالقي لِما جاء فيها عن المصطفى
فبلَّغنيها وشكراً له وزاد ثلاثاً بها أردفا
وها أنا منتظر وعده لِيُنْجزه فهو[٢] أهل الوفا

وفيها تُوفّي يحيى بن محمد بن طَباطَبا الشريف أبو المعمر بقيّة[٣] شيوخ الطالبيين. كان هو وأخوه من نَسابيهم، وكان فاضلاً شاعراً فقيهاً في مذهب الشِّيعة. ومات في شهر رمضان. وهو آخر من بقي من أولاد طَباطَبا بالعراق ولم يُعقب.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وسبع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة يأتي ذكره؛ لأنّ النيل لم يزد في هذه السنة إلى أوّل مسرى إلا ثلثي ذراع فقط، ثم زاد في ثاني عشرين مسرى أذرعاً حتى صار في يوم النوروز على ثلاث عشرة ذراعاً وستّ عشرة إصبعاً. ثم نقص إصبعين ثم ثمانياً، ثم زاد في خامس توت ستّ أصابع؛ وخرج الناس إلى الجبل وآستسقَوْا، فزاد حتّى بلغ ثلاث عشرة ذراعاً وتسع عشرة إصبعاً، ثم نقص سبع أصابع ــ وقيل: ثمانياً ــ ثم زاد في عيد الصليب حتّى صار على أربع عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصبعاً. ونقص تسع أصابع، ثم زاد في أوّل بابة حتّى بلغ خمس عشرة ذراعاً وخمس أصابع. وكان ذلك منتهى زيادته في هذه السنة.

* * *

(١) نسبة إلى السِّيب من سواد الكوفة.

(٢) في البداية والنهاية: «فعل أهل الوفا».

(٣) في الأصل: «نقيب شيوخ الطالبيين». والتصحيح عن المنتظم.

السنة الثانية والخمسون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة تسع وسبعين وأربعمائة.

فيها صاد السلطان مَلِكْشاه أربعة آلاف غزال ــ وقيل: عشرة آلاف وبنى بقرونها منارة سَماها أمّ[1] القرون.

وفيها تُوفّي ختلغ بن كنتكين[2] الأمير أبو منصور أمير الكوفة والحاج. ذمّه محمد بن هلال الصابىء وذمّ سيرته في تاريخه، إلّا أنّه كان شجاعاً، وله وقائع مع العرب في البَرِّيّة. وكان محافظاً على الصلوات في الجماعة، ويختم القرآن في كلّ يوم، ويختصّ بالعلماء والقرّاء، وله آثار جميلة بطريق الحجاز والمشاهد والمساجد. ومكث في إمارة الحاج آثنتي عشرة سنة.

وفيها قُتِل سليمان بن قُتُلْمِش، هو آبن عمة السلطان مَلِكْشاه السّلجوقيّ. كان أميراً شجاعاً، فتح عدّة بلاد، وآخر ما فتحه أنطاكِيَة، وكان قد حاصر حلب ورجع. وقُتِل مسلم بن قريش في حربه؛ فجاءه تاج الدولة تُتُش والأمير أُرْتُق بك من دمشق، وآلتقَوْا معه وآقتتلوا فجاء سليمانَ هذا سهم في وجهه فوقع عن فرسه ميتاً، فدُفِن إلى جانب مسلم بن قريش الذي قتِل في محاربته قبل ذلك بأيام.

وفيها تُوفّي عليّ بن فَضَّال بن عليّ، أبو الحسن المغربيّ القَيْرواني. كان فاضلاً أديباً، له نظم ونثر. ومات بغَزْنة في شهر ربيع الأوّل. ومن شعره قوله: [السريع]

إن تُلْقِكَ الغُرْبَةُ في معشر   قد أجمعوا فيك على بغضهم
فـدَارِهم ما دمتَ في دارِهم   وأرْضِهم ما دمتَ في أرضهم

وفيها تُوفّي عليّ بن المقلَّد بن نصر بن مُنْقِذ بن محمد بن مالك، الأمير أبو الحسن الكِنانِيّ. كان بينه وبين آبن عمار قاضي طرابُلس وصاحبها مودّة، وكان

(١) في نهاية الأرب للنويري: ٢٦/٣٢٦ «منارة القرون».
(٢) كذا في المنتظم وعقد الجمان. وفي الأصل: «كبتكين». وفي البداية والنهاية: «الأمير جنفل قتلغ».

شجاعاً فاضلاً نحوياً لغوياً شاعراً، وكان صاحب شَيْزر وبها تُوفّي. وتولّى شيزر بعده آبنه نصر بن عليّ. وكان له ديوان شعر مشهور. ومن شعره: [البسيط]

إذا ذكرتُ أياديك التي سلفت وسوءَ فعلي وزلّاتي ومُجْتَرمي
أكاد أقتل نفسي ثم يمنعني علمي بأنّك مجبول على الكرم

وفيها توفي أبو سعيد[1] أحمد بن محمد بن دُوسْت النيسابوريّ الفقيه المحدّث الصوفيّ شيخ الشيوخ ببغداد.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستّ أذرع وتسع عشرة إصبعاً. وزاد في نصف بشنس، ثم نقص نصف ذراع، ثم زاد في أوانه حتى أوفى في ثالث أيام النسيء. وكان مبلغ الزيادة في هذه السنة سبع عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثالثة والخمسون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة ثمانين وأربعمائة.

فيها بعث تُتُش أخو السلطان ملكشاه يقول لأخيه: قد آستولى المصريّون على الساحل وضايقوا دمشق، وأسأل السلطان أن يأمر آق سُنْقُر وبوزان[2] أن يُنجداني. فكتب ملكشاه إليهما أن ينجداه. وكان الأمير بوزان بالرّهاء وآق سنقر بحلب. وسبب ذلك أنّ أمير الجيوش بدراً الجماليّ لمّا قَوِي أمره بمصر، وصار هو المتحدّث عن المستنصر صاحب الترجمة بهذه البلاد، وآسترجع كثيراً مما كان ذهب من ممالكهم، جهّز جيشاً إلى الساحل. فعظُم ذلك على تُتُش صاحب دمشق.

---

(١) في الشذرات: «أبو سعد».

(٢) كذا في ابن الأثير وذيل تاريخ دمشق. وفي أخبار الدولة السلجوقية: «أقسنقر صاحب حلب وبُزان صاحب الرها». وكانا مملوكين للسلطان ملكشاه. وفي الأصل: «قزان» وهو تحريف.

وفيها بَنَى تاج الملك أبو الغنائم ببغداد المدرسة التاجيّة بباب أَبْرَز[١] وضاهى بها النِّظَاميّة. قلت: ومن باب أبرز هذا أصل بني البَارِزِي كُتّاب سِرّ زماننا هذا. كان جدّهم مسلم يسكن في بغداد بباب أبرز المذكور، ثم خرج من بغداد في جفلة التتار إلى حلب فسمي الأبرزيّ، ثم خُفِّف فسمِّي البارزيّ. ويأتي ذكر جماعة منهم في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وفيها تُوفّي شافع بن صالح بن حاتم أبو محمد الفقيه الحنبليّ[٢]. كان إماماً عالماً، تفقّه على أبي يَعْلَى، ومات في صفر ودُفن بباب حرب، وكان صالحاً زاهداً ثقة.

وفيها تُوفّي محمد بن هلال بن المُحسِّن بن إبراهيم الصابىء، أبو الحسن الملقَّب بغرس النعمة صاحب التاريخ المسمّى بـ «عيون التواريخ» ذيّله على تاريخ أبيه، وأبوه ذيّله على تاريخ ثابت بن سِنان. وثابت ذيّل على تاريخ محمد بن جرير الطَّبَرِيّ. وكان تاريخ الطبريّ آنتهى إلى سنة آثنتين أو ثلاث وثلاثمائة. وتاريخ ثابت آنتهى إلى سنة ستين وثلاثمائة. وتاريخ هلال آنتهى إلى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة. وتاريخ غرس النعمة هذا آنتهى إلى سنة تسع وسبعين وأربعمائة. وكان غرس النعمة هذا فاضلاً أديباً مترسّلاً، وله صدقة ومعروف، محترماً عند الخلفاء والملوك والوزراء. وجدّ أبيه إبراهيم الصابىء هو صاحب «الرسائل» في أيام عضد الدولة بن بويه. وقد تقدّم ذكره في محلّه من هذا الكتاب.

وفيها تُوفّي أمير المُلَثَّمِين[٣] بمَرّاكش وغيرها من بلاد المغرب الأمير أبو

---

(١) باب أبرز وباب يبرز: كان غربي مقبرة الشيخ عمر السهروردي المعروفة بالوردية ببغداد. والمدرسة التاجية كانت قرب جامع الفضل في محلة الفضل، ولعلها كانت في موضع الجامع نفسه. (الدكتور مصطفى جواد: في التراث العربي: ١/٧٧، ١٢٤) وكان تاج الملك أبو الغنائم صاحب خزانة السلطان ملكشاه والناظر في أمر دوره وفي وزارة أولاده. وهو الذي أفسد قلب السلطان على وزيره نظام الملك. (أخبار الدولة السلجوقية: ٦٧).

(٢) في عقد الجمان والمنتظم والشذرات: «الجيلي».

(٣) في الأصل: «أمير المسلمين». وما أثبتناه عن عقد الجمان والمنتظم والبداية والنهاية. والمراد بالملثمين: المرابطون.

بكر بن عمر. أصله من ولد تاشفين. كان أميراً جليلاً مجاهداً في سبيل الله تعالى. ركب في بعض غزواته في خمسمائة ألف مقاتل من رجال الديوان والمُطَّوِّعة. وكان يخطب في بلاده للدولة العباسية، وكان يصلّي بالناس الصلوات الخمس، ويُقيم الحدود، ويلبّس الصوف، ويُنصف المظلوم، ويَعدِل في الرعيّة، وكان بين رعيّته كواحد منهم. رحمه الله تعالى.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستّ أذرع وخمس أصابع وكان الوفاء في آخر أيّام النسيء. وكان مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وسبع أصابع. ونقص في رابع بابة.

* * *

السنة الرابعة والخمسون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة إحدى وثمانين وأربعمائة.

فيها تُوفّي أحمد بن محمد بن الحسن بن الخضر، الحافظ أبو طاهر الجَوَالِيقيّ والد أبي منصور موهوب. كان شيخاً صالحاً متعبِّداً، من أهل البيوتات القديمة ببغداد؛ وكان جدّه صاحب دنيا واسعة. ومات هو فجأة في شهر رجب.

وفيها تُوفّي عبد الله بن محمد بن عليّ بن محمد بن مَتّ بن أحمد بن عليّ بن جعفر بن منصور بن مَتّ، الحافظ شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاريّ الهرويّ. هو من ولد أبي أيّوب الأنصاريّ رضي الله عنه. سمع الكثير وروى عنه جماعة. وكان إماماً حافظاً بارعاً في اللغة، إمام وقته. قال المؤتمن: وكان يدخل على الأمراء والجبابرة فما كان يبالي بهم. ومات في ذي الحجة وقد جاوز أربعاً وثمانين سنة.

وفيها تُوفّي محمد بن أحمد بن الحسن بن ماجة، أبو بكر الأبهَريّ الأصبهانيّ، الإمام العالم المشهور. مات بأصبهان عن خمس وتسعين سنة، وقد آنتهت إليه رياسة العلم بها.

وفيها تُوفّي عثمان بن محمد بن عبيد الله أبو عمرو المَحْمِيّ[١] مات في صفر وكان إماماً عالماً مفتناً.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وسبع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وأربع أصابع. فهلكت الزروع والغلات والمخازن من كثرة الماء[٢].

* * *

السنة الخامسة والخمسون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة.

فيها جهّز بدر الجماليّ أمير الجيوش عسكراً من مصر مع نصير[٣] الدولة الجيوشيّ، فنزل على صُورَ وبها القاضي عين الدولة بن أبي عقيل، فسلّمها إليه لمّا لم يكن له به طاقة. وفتح نضير الدولة صَيْدَاء وعكا[٤]. وكان لتُتُش بهذه البلاد ذخائر وأموال، فأخذها نصير الدولة المذكور، ثم نزل على بعلبكّ، وجاءه آبن مُلاعب وخطب للمستنصر صاحب الترجمة (أعني أنه دخل تحت طاعة المصريّين). وبعث تُتُش إلى آق سُنْقُر وبوزان وقال لهما: هذه البلاد كان لي فيها ذخائر وقد أُخِذت، وطلب منهما النجدة، فبعثا له عسكراً.

وفيها تُوفّي طاهر بن بركات[٥] بن إبراهيم، الحافظ أبو الفضل القرشيّ الخشوعي. كان عظيم الشأن، من أكابر شيوخ دمشق. قال آبن عساكر: سألت ولده إبراهيم بن طاهر: لم سُمِّيتم الخشوعيّين؟ فقال: لأنّ جدّنا الأعلى كان يَـؤُمّ الناس فمات بالمحراب. إنتهى. وكانت وفاة طاهر هذا بظاهر دمشق. وكان ثقة صدوقاً عالماً.

---

(١) نسبة إلى «محم» جدّ. (السمعاني).

(٢) هذا المستوى من ارتفاع ماء النيل كان يؤدي إلى ما يعرف بالاستبحار، وكان يعرف في تلك العصور باللجّة الكبرى.

(٣) في ابن ميسّر: «ناصر الدولة» وفي ابن القلانسي: «نصر الدولة».

(٤) وزاد ابن ميسّر أنه فتح جبيل. وهي على الساحل الشامي جنوبي طرابلس الشام.

(٥) في الأصل: «ركاب» وما أثبتناه عن تهذيب ابن عساكر.

وفيها[١] توفي عاصم بن الحسن بن محمد بن علي بن عاصم، أبو الحسين. كان ظريفاً أديباً شاعراً فصيحاً حافظاً للشعر.

وفيها تُوفّي عليّ بن أبي يَعْلَى بن زيد، الشيخ أبو القاسم الدَّبُوسِيّ من أهل دَبُوسِيَة، وهي بلدة بين بُخارَى وسَمَرْقَنْد. كان إماماً عالماً. أقدمه الوزير نظام الملك إلى بغداد للتدريس [في] مدرسته النظاميّة. وكان عارفاً بالفقه والجدل والمناظرة. ومات ببغداد في شعبان.

وفيها تُوفّي أحمد بن محمد بن صاعد، رئيسُ نيسابور وعالمها وقاضيها، أبو نصر النيسابوريّ الحنفيّ. كان إمام وقته ووحيد دهره علماً وزهداً وفضلاً ورياسة وعفّة. اِنتهت إليه رياسة السادة الحنفيّة في زمانه.

وفيها تُوفّي الشيخ الإمام أبو حامد أحمد بن محمد السَّرَخْسِيّ الشُّجاعيّ البَلْخيّ الفقيه العالم المشهور. كان إماماً عالماً فاضلاً؛ سمع الحديث الكثير وتفقّه وبَرع في فنون.

وفيها توفّي إبراهيم بن سعيد، الحافظ أبو إسحاق النُّعْمانيّ مولاهم الحَبّال. كان إماماً فاضلاً حافظاً؛ سمع الكثير ورحَل البلاد وحدّث وسمِع منه خلائق، ثمّ سكن مصر، وبها كانت وفاته، ومات وله تسعون سنة.[٢]

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وثماني عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ[٣] عشرة ذراعاً وتسع أصابع.

* * *

(١) في الشذرات أن وفاته سنة ٤٨٣هـ.

(٢) جعل ابن ميسّر وفاته سنة ٤٨٣هـ. قال: وهو صاحب «التاريخ». قلت: وتاريخه نشره الدكتور صلاح الدين المنجد بعنوان «وفيات المصريين في العهد الفاطمي» في مجلة معهد المخطوطات العربية، العدد ٢ سنة ١٩٥٦، ص ٢٨٦ ــ ٣٣٨.

(٣) في كنز الدرر: «١٧ ذراعاً و ١٥ إصبعاً».

السنة السادسة والخمسون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة.

فيها نزل تُتُش على حصن بَعْلَبَكّ[1] وبها ابن مُلاعب ومع تتش آق سُنْقُر وبوزان فقاتلوه مدّة، وقالوا له: أنت توجّهت إلى مصر وخطبت للمستنصر. فلمّا أخافوه طلب الأمان فأعطَوْه؛ فنزل من القلعة وتوجّه إلى مصر؛ وملك تتش بعلبكّ[1]. وأقام ابن ملاعب بمصر مدّة، وأحسن إليه المستنصر صاحب الترجمة، ثمّ عاد إلى الشام ودبّر الحيلة على حصن فامِية حتّى ملكه.

وفيها تُوفّي الشيخ الإمام عليّ بن محمد القَيْرَوانِيّ. كان فقيهاً عالماً شاعراً. ومن شعره ــ وأجاد إلى الغاية ــ: [الكامل]

ما في زمانك ماجد ... لو قد تأمّلتَ المشاهد
فاشهَدْ بصِدْق مقالتي ... أو لا فكذّبني بواحد

قلت: لله دَرّه! لقد عبّر عن زماننا هذا كأنّه قد رآه.

وفيها تُوفّي محمد بن محمد بن جَهِير، الوزير أبو نصر فخر الدولة. أصله من المَوصِل وبها وُلِد، وقدِم ميافارقين. وكتب للخليفة القائم بأمر الله العباسيّ يسأله أن يستوزره، فأجابه ثم نقم عليه ونفاه إلى الحِلّة ثم أعاده. ولما تولّى المقتدي الخلافة وزر له، ثم عُزِل ونُفِي؛ فمضى إلى السلطان مَلِكْشاه وانتمى إليه، وفتح له ديار بكر وأتحفه بالأموال. ثم تغيّر عليه السلطان؛ فاستأذن في الإقامة بالموصل فأذِن له؛ فتوجّه إليه فلم يقم به إلّا اليسير، ومرِض ومات ودُفِن بالموصل. وكان سخيّاً كريماً شجاعاً مدبِّراً عارفاً.

وفيها تُوفّي الشيخ المُسْنِد أبو الحسين[2] عاصم بن الحسن العاصميّ الكَرْخيّ. كان إماماً محدّثاً، سمِع الكثير وروَى عنه خَلْق كثير، وكان أديباً شاعراً ثقةً.

---

(١) في مرآة الزمان: «حمص» (طبعة دار الكتب، حاشية).

(٢) تقدمت وفاته في السنة الماضية. والمؤلف هنا يوافق رواية الشذرات.

وفيها تُوفّي الحافظ أبو نصر عبد العزيز بن محمد بن عليّ التِّرْيَاقِيّ(١). مات بمدينة هَرَاة وله أربع وتسعون سنة. وكان عالماً محدّثاً فقيهاً فاضلاً.

وفيها تُوفّي الشيخ الإمام العارف بالله أبو بكر محمد بن إسماعيل التِّفْلِيسيّ الصوفيّ النّيسابوريّ. مات في شوّال بنيسابور، وكان إماماً محدّثاً فقيهاً صوفيّاً معدوداً من أعيان الصوفيّة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وست وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً سواء.

* * *

السنة السابعة والخمسون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة أربع وثمانين وأربعمائة.

فيها في صفر كتب الوزير أبو شجاع إلى الخليفة يُعرّفه بآستطالة أهل الذمّة على المسلمين، وأنّ الواجب تمييزهم عنهم؛ فأمره الخليفة أن يفعل ما يراه. فألزمهم الوزير لُبْس الغِيَار والزُّنانير وتعليق الدراهم الرَّصاص في أعناقهم مكتوب على الدراهم [ذِميّ](٢)، وتجعل هذه الدراهم أيضاً في أعناق نسائهم في الحمامات ليُعرفن بها، وأن يَلْبَسْن الخفاف فرداً أسود وفرداً أحمر، وجُلْجُلاً في أرجلهنّ. فذلوا وآنقمعوا بذلك. وأسلم حينئذ أبو سعد بن المُوصَلايا(٣)، كاتب الإنشاء للخليفة، وآبن أخته(٤) أبو نصر هبة الله.

وفيها في جُمادى الأولى قدِم أبو حامد الطُّوسِيّ الغزاليّ إلى بغداد مدرّساً بالنظاميّة ومعه توقيع نظام الملك.

---

(١) نسبة إلى ترياق، من قرى هراة. (السمعاني).

(٢) زيادة عن المنتظم.

(٣) انظر ترجمته في وفيات سنة ٤٩٧هـ.

(٤) في الأصل: «ابن أخيه» وما أثبتناه عن ابن خلكان والمنتظم.

وفيها وقـع بالشام زلزلة عظيمة وواقـع ذلك تشرين الأوّل، وخرج الناس من دورهم هاربين، وآنهدم معظم أنطاكيَة ووقـع من سورها نحو من تسعين بُرْجاً.

وفيها نزل آق سُنْقُر على فامِيَة فأخذها من آبن ملاعب.

وفيها في شهر رمضان خرج توقيـع الخليفة المقتدي بالله العباسيّ بعزل الوزير أبي شجاع من الوزارة؛ وكان له أسباب، منها أنّ نظام الملك وزير السلطان ملكشاه السلجوقيّ كان يسعى عليه لابنه. فلمّا أتاه الخبر بعزله قام من الديوان ولم يتأثر؛ وأنشد: [الوافر]

تــولّاهـا وليس لـه عـدوّ وفـارقها وليس لـه صـديق

وفيها حاصر تُتُش أخو السلطان ملكشاه طَرَابُلْس ومعه آق سُنْقُر وبوزان وبها قاضيها، وهو صاحبها، وآسمه جلال الملك بن عمّار، ونصب عليها المجانيق. فآحتـجّ عليهم آبن عمّار بأن معه منشورَ السلطان ملكشاه بإقراره على طرابلْس؛ فلم يقبل منه تتش ذلك، وتوقّف آق سنقر عن قتاله. فقال له تتش: أنت تَبَـع لي، فكيف تخالفني فقال: أنا تبـع لك إلاّ في عصيان السلطان. فغِضب تاج الدولة تتش ورجـع إلى دِمَشق، ومضى آق سُنْقُر إلى حلب، ومضى بوزان إلى الرُّهاء (أعني كلّ واحد إلى بلده).

وفيها ملك يوسف بن تاشفين الأندَلُس ونفي آبن عَبّاد عنها[١].

وفيها تُوفّي محمد بن أحمد بن عليّ بن حامد، أبو نصر المَرْوَزِيّ. كان إماماً في القراءات، وصنّف فيها التصانيف، وآنتهت إليه الرياسة فيها. وكانت وفاته في ذي القعدة.

(١) في سنة ٤٨٣هـ ثارت فتنة في إشبيلية فأطفأ المعتمد نارها، فخمدت؛ ثم اتقدت، وظهر من ورائها جيش يقوده شير بن أبي بكر الأندلسي، من قواد ابن تاشفين، وحوصر المعتمد في إشبيلية، وقتل ولداه المأمون والراضي، فاستسلم المعتمد بن عباد وحمل مقيداً مع أهله على سفينة وأدخل على ابن تاشفين في مراكش، فأمر بإرساله ومن معه إلى أغمات، وهي بلدة صغيرة وراء مراكش. وبقي في أغمات إلى أن توفى سنة ٤٨٨هـ . (الأعلام: ١٨١/٦).

وفيها[١] توفّي محمد بن عليّ بن محمد، أبو عبد الله التَّنوخِيّ الحلبيّ، ويُعرف بآبن العظيميّ. كان إماماً شاعراً فصيحاً بليغاً. ومن شعره قوله: [البسيط]

يلقى العِدا بجَنَانٍ ليس يُرعِبُه خَوْضُ الحِمام ومتنٍ ليس يَنْقَصِمْ
فالبِيضُ تُكسر والأوداج دامِية والخيل تَعْرُمُ والأبطال تلتطم
والنقع غَيْم ووقع المرْهَفات به لمعُ البوارق والغيثُ المِلثُّ دم

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وآثنتان وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الثامنة والخمسون من خلافة المستنصر معد على مصر

وهي سنة خمس وثمانين وأربعمائة.

فيها ورد الأمير تاج الدولة تُتُش على السلطان مَلِكْشاه شاكياً من آق سُنْقُر فلم يلتفت السلطان إليه؛ فترك آبنه عند السلطان وعاد إلى دمشق.

وفيها في يوم الاثنين منتصف شهر ربيع الأوّل وقت الظهر، وهو السادس من نَيْسان، آقترن زُحَل والمرّيخ في برج السَّرَطان، وذكر أهل صناعة النجوم أن هذا القِران لم يحدث مثله في هذا البرج منذ بِعْث النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى هذه السنة. قال صاحب مرآة الزمان: وكان تأثير هذا القِران هلاكَ ملكشاه السلجوقيّ سيّد الملوك، ومقتل نظام الملك سيّد الوزراء. إنتهى.

وفيها في شهر رمضان توجّه السلطان ملِكشاه من أصبهان إلى بغداد بنيّةٍ غير مرضيّة في حقّ الخليفة المقتدي بالله وعزم على تغييره، وكان معه وزيره نظام

(١) الصواب أن وفاته سنة ٥٥٦هـ ومولده سنة ٤٨٣هـ. وله كتاب في التاريخ يسمى «تاريخ العظيمي» مخطوط، انتهى فيه إلى حوادث سنة ٥٣٨هـ، مرتب على السنين، ونقل عنه ابن خلكان وغيره. ونشرت مجلة «الجورنال أزياتيك» قطعة كبيرة منه نقلاً عن مخطوطة محفوظة في الاستانة كتبت سنة ٦٣٣هـ. (الأعلام: ٢٧٨/٦).

الملك، فقتل في شهر رمضان في الطريق، على ما سيأتي ذكره؛ إن شاء الله. ووصل ملكشاه إلى بغداد في ثامن عشر شهر رمضان. فأوّل ما وصل بعث يقول للخليفة: لا بدّ أن تترك لي بغداد وتذهبَ إلى أيّ بلد شئت. فآنزعج الخليفة وبعث إليه يقول: أمهلني شهراً؛ فقال: ولا ساعة. فأرسل الخليفة إلى تاج الملك أبي الغنائم، وكان السلطان مِلَكشاه آستوزره بعد قتل نظام الملك، فقال: سَله بأن يؤخّرنا عشرة أيّام. فدخل تاج الملك على السلطان وقال له: لو أنّ بعض العوامّ أراد أن ينتقل من دار إلى دار لم يقدر على النُّقْلة في أقلّ من عشرة أيام، فكيف بالخليفة! فأمر السلطان له بالمهلة عشرة أيام. ثم آشتغل بنفسه من مرض حصل له ومات منه بعد أيام.

ذكر وفاته: هو السلطان جلال الدولة أبو الفتح ملكشاه بن أَلْب أَرْسلان محمد[1] بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقمان[2] التركيّ السلجوقيّ. تسلطن بعد موت أبيه بوصية منه إليه في سنة خمس وستين وأربعمائة، وجعل وزيره نظام الملك وزيراً له ومتكلّماً في الدولة، وفرّق البلاد على أولاده وجعل مرجعهم إلى مَلِكشاه هذا. فلمّا تسلطن مَلِكشاه خرج عليه عمّه قاورد بك صاحب كِرمان؛ فواقعه فأخذه ملكشاه أسيراً. فلمّا مَثَل بين يدي ملكشاه قال: أمراؤك كاتبوني، وأظهر مكاتبات. فأخذها ملكشاه وأعطاها للوزير نظام الملك، فأخذها نظام الملك وألقاها في مَنْقَل[3] نار كان بين يدي ملكشاه فآحترقت. فسكنت قلوب الأمراء، وبذلوا الطاعة؛ وثبت مُلْكُه بهذه الفعلة. ثم خَنقَ عمّه قاورد بك المذكور بوَتَر، وتمّ له الأمر. وملك من الأقاليم ما لم يملكه أحد من السلاطين؛ فكان في مملكته جميع بلاد ما وراء النهر، وبلاد الهياطلة[4]، وباب الأبواب، وبلاد الروم والجزيرة والشام؛

---

(١) كذا أيضاً في أخبار الدولة السلجوقية ونهاية الأرب. وفي ابن خلكان وطبعة دار الكتب المصرية: ابن ألب أرسلان بن محمد بن داود. . »

(٢) كذا والأرجح أن الصواب «دقاق» كما ورد في ابن خلكان وابن القلانسي وعقد الجمان وتاريخ الإسلام للذهبي. وفي أخبار الدولة السلجوقية أن جد السلاجقة اسمه «يقاق» ويقال أيضاً: تقاق ودقاق.

(٣) كذا بالأصل. والمراد: موقد نار. والمنقل لفظ يستعمل للموقد في بلاد الشام حتى اليوم، ويقال له أيضاً: الكانون.

(٤) هي بلاد ما وراء نهر جيحون.

حتّى إنّه ملك من مدينة كاشْغَر، وهي أقصى مدينة للترك، إلى بيت المقدس طولاً، ومن القُسْطَنْطِينيّة إلى بلاد الخزر وبحر الهند عرضاً. وكان من أحسن الملوك سِيرةً، ولذلك كان يلقَّب بالسلطان العادل. وكان منصوراً في حروبه، مُغْرىً بالعمائر، حَفَر الأنهار وعمّر الأسوار والقناطر وعمرّ جامع السلطان ببغداد ولم يُتمّه، وأبطل المُكوس في جميع بلاده، وصنَع بطريق مكة مصانع الماء، غَرِم عليها أموالاً كثيرة. وكان مُغْرىً بالصيد، حتى إنّه صاد مرّة في حَلْقة واحدة عشرة آلاف صَيْد؛ وقد تقدّم ذكر ذلك. وكانت وفاته في شوّال. قيل: إنّه سُمَّ في خِلَال تخلّل به. ولم يشهَدْ [وفاته أحد من رجال][1] الدولة ولا عُمِل له عَزَاء. وحُمِل في تابوت إلى أصبهان[2] فدُفِن بها. وقام في السلطنة بعده أكبر أولاده بَركيَارُوق[3]، ولُقِّب بركن الدولة. وخالفه عمّه، ووقع له معه وقائع.

وفيها تُوفّي الوزير نظام الملك وزير السلطان ملكشاه السلجوقيّ المقدّم ذكره. وآسمه الحسن بن إسحاق بن العبّاس الوزير أبو علي الطُّوسيّ. كان من أولاد الدَّهاقين بناحية بَيْهَق[4]، وكان فقيراً مشغولاً بسماع الحديث، ثم بعد حين آتّصل بداود بن ميكائيل السلجوقيّ، فأخذه بيده وسلّمه إلى ولده أَلْب أرسلان، وقال له: يا محمد، هذا حسن الطوسيّ اتَّخِذه والداً ولا تخالفه. فلمّا وصل المُلك إلى أَلْب أرْسلان آستوزره، فدبّر ملكه عشر سنين. ومات أَلْب أرسلان، فآزدحم أولاده على الملك، فقام بأمر ملكشاه حتّى تمّ أمره وتسلطن. ولمّا دخل نظام الملك على الخليفة المقتدي أَمَره بالجلوس، وقال له: يا حسن، رضي الله عنك لرضا أمير

(١) زيادة يقتضيها السياق. وعبارة الأصل: «ولم يشهده الدولة».

(٢) كذا أيضاً في نهاية الأرب للنويري. وفي أخبار الدولة السلجوقية أنه دفن عند قبر والده بمرو.

(٣) لما مات السلطان ملكشاه كتمت زوجته تركان خاتون أمر وفاته، فأرسلت إلى الأمراء، وفرقت الأموال، واستخلفت لولدها محمود وعمره أربع سنين وشهوراً، وأرسلت إلى الخليفة المقتدي في الخطبة له، فأجابها إلى ذلك. ثم أرسلت بالقبض على برقياروق. ولما ظهر موت السلطان ملكشاه، ثارت المماليك النظامية وأخرجوا برقياروق من الحبس وملكوه... ثم كانت هزيمة تركان خاتون وأعوانها. (نهاية الأرب: ٣٣٦/٢٦) قارن أيضاً بأخبار الدولة السلجوقية: ص ٧٤ ــ ٧٥ ببعض اختلاف في التفاصيل.

(٤) من نواحي نيسابور.

المؤمنين عنك. وكان نظام الملك عالي الهمّة، وافر العقل، عارفاً بتدبير الأمور، محبّاً للعلماء والصلحاء، على ظلم وجَوْر كان عنده، على عادة الوزراء.

ولمّا خرج من أصبهان بعد مخدومه ملكشاه قاصداً بغداد نزل قرية من قُرَى نَهَاوَنْد مكان الوقعة التي كانت في زمان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقال: هذا موضع مبارك؛ قُتِل فيه جماعة من الصحابة؛ طوبى لمن كان منهم. وكان جالساً والأمراء بين يديه، وكان صائماً، فإنّه كان يوم الخميس؛ فقدّم الأكل فأكل الناس؛ ثم ركب مَحِفَّتَه إلى خَيْمة النساء، وكان به مرض النِّقْرِس، فآعترضه صبيّ ديْلَميّ في زِيّ الصوفيّة وبيده قِصّة، فدعا له وسأله أن يُناوله إياها من يده إلى يده؛ فقال: هاتِ؛ فمدّ يده ليأخذها فضربه بسكّين في فؤاده، فحُمِل إلى مضْربه ومات؛ فهرب الديلمي فعثَرَ بطُنُبِ خَيْمة فقُطِّع قطعاً[1]. وكانت وزارة نظام الملك لبني سلجوق أربعاً وثلاثين سنة ـ وقيل أربعين سنة ـ وكان عمره ستاً وسبعين سنة. ومن شعره: [البسيط]

بعد الثمانين ليس قُوّه ... لَهْفِي[2] على قوّة الصُّبُوّه
كأنني والعصا بكَفّي ... موسى ولكن بلا نبوّه

وفيها تُوفّي مالك بن أحمد، الإمام أبو عبد الله البَانْيَاسِيّ[3] ثم البغداديّ المعروف بالفرّاء في جمادى الآخرة شهيداً في الحريق. وكان معدوداً من العلماء الفضلاء.

أمر النيل في هذه السنة:

---

(١) ذكر النويري أن الذي قتله صبي ديلمي من الباطنية. وذكر رواية أخرى مفادها أن قتله كان بتدبير من السلطان ملكشاه نفسه. وهذه الرواية الثانية أورد صدر الدين الحسيني في أخبار الدولة السلجوقية رواية مشابهة لها؛ غير أنه قدّم عليها رواية أخرى تشير بوضوح إلى أن قتله كان على يد أحد رجلين أرسلهما الحسن بن الصبّاح صاحب قلعة ألموت.

(٢) في ابن خلكان: «قد ذهبت شرّة الصبوّة».

(٣) نسبة إلى بانياس، في سوريا اليوم.

الماء القديم ستّ أذرع وستّ أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وإحدى عشرة إصبعاً. وأوفى في سابع توت، ونقص فيه أيضاً.

* * *

السنة التاسعة والخمسون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة ستّ وثمانين وأربعمائة.

فيها خَطَب تاج الدولة تُتُش السلجوقيّ لنفسه بعد موت أخيه ملكشاه، وأرسل إلى الخليفة بأن يخطُب له ويُوعده؛ فما آلتفت إليه في الجواب، غير أنّه أرسل يقول له: إنما تصلح للخطبة إذا خلصت[1] الدنيا بحكمك، والخزائن التي بأصبهان معك، وتكون صاحب الشرق وخُراسان، ولم يبق من أولاد أخيك ملكشاه من يخالفك؛ وأمّا في هذا الحال فلا سبيل إلى ما آلتمسته. فلمّا وقف تتش على ذلك سار إلى الموصل وبها إبراهيم بن قُرَيْش؛ فخرج إليه في بني عقيل والتقَوْا معه فقُتل إبراهيم وقتل عليه أعيان بني عقيل. وكان عليّ بن مسلم بن قريش عند بَرْكْيَارُوق بن ملكشاه، فأخبره بمصاب عمّه، فعزّ عليه فكتب إلى تتش يلومه.

وفيها فتح عسكر مصر صُورَ وحُمِل صاحبها[2] إلى مصر ومعه أصحابه. فضرب بدر الجَمَاليّ رقاب الجميع، وقطع على أهل صور ستين ألف دينار[3] عقوبةً لهم.

وفيها بطل مسير الحاجّ من العراق خوفاً عليهم، وسار حُجّاج دمشق، ولم يُوَصِّلوا إلى أمير مكة ما يُرضيه. فلمّا رحلوا خرج ونهبهم، وعاد مَن سلِم منهم على أقبح حال، وتَخطّفهم العرب في الطريق.

وفيها تُوفّي عبد القادر بن عبد الكريم بن الحسين أبو البركات. كان شيخاً صالحاً، خطَب بدمشق لبني العباس وللمصريين؛ وأنشد لبعضهم: [الطويل]

---

(١) في طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان: «حصلت».

(٢) هو الأمير منير الدولة الجيوشي (ابن القلانسي: ١٢٤) وكان قد خرج عن طاعة الفاطميين.

(٣) في الأصل: «ستين ألفاً» وما أثبتناه عن ابن ميسّر.

يُعَدّ رفيعَ القوم من كان عاقلاً وإن لم يكن في قومه بحسيبِ
فإن حلَّ أرضاً عاش فيها بعقله وما عاقل في بلدة بغريب

وفيها تُوفّي عليّ بن أحمد بن يوسف بن جعفر بن عَرَفة، الحافظ الفقيه الهَكّارِيّ. كان يُنعت بشيخ الإسلام ــ والهَكّارِيّة: جبال فوق الموصل فيها قُرىً وبِنىً ــ وكنيته أبو الحسن. كان إماماً عالماً فقيهاً؛ سمع الحديث ورواه، وبنى أرْبِطة، وقدِم بغداد. وكان صالحاً متعبّداً شيخ بلاده في التصوّف، وكان من أهل السنة والجماعة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ست أذرع وثلاث أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وثلاث أصابع.

* * *

السنة الستون من خلافة المستنصر معدّ على مصر

وهي سنة سبع وثمانين وأربعمائة.

وهي التي مات فيها المستنصر معَدّ صاحب الترجمة حسب ما تقدّم ذكره.

وفيها أيضاً تُوفّي الخليفة المقتدي بالله العباسِيّ وبدر الجَمَالي أمير الجيوش بمصر، وآق سُنْقُر صاحب حلب قتيلاً، وبوزان بالشأم، وأمير مكة. وتسمّى هذه السنة سنة موت الخلفاء والأمراء؛ فَعَدّ الناس هذا كلَّه من القِران المقدّم ذكره في سنة خمس وثمانين وأربعمائة. ويأتي كلّ واحد من هؤلاء على حِدته في هذه السنة.

وفيها كانت زلزلة عظيمة [ببغداد](١) بين العشاءين في المحرّم.

وفيها حدث فِتَن وحروب وغلاء بسائر الأقاليم.

وفيها تُوفّي الخليفة أمير المؤمنين أبو القاسم المقتدي بالله، عبد الله ابن الأمير ذخيرة الدين أبي العباس محمد ابن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله ابن الخليفة

(١) زيادة عن المنتظم.

القادر بأمر الله أحمد ابن الأمير إسحاق ابن الخليفة جعفر المقتـدر ابن الخليفة المعتضد بالله أحمد ابن الأمير طلحة الموفّق ابن الخليفة المتوكّل على الله جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد بالله هارون ابن الخليفة المهدي بالله محمد ابن الخليفة أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي الهاشمي. بويع بالخلافة بعد موت جدّه القائم بأمر الله في ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة، وهو ابن تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر. وكان تُوفّي أبوه الذخيرة محمد، والمقتدي هذا حَمْل في بطن أمّه، وكان آسم أمّه أرجوان ــ وقيل[1] قرّة العين ــ وكانت أرمينيّة، فولدته بعد موت أبيه بستة أشهر. وكان المقتدي من رجال بني العباس له همّة عالية، وشجاعة وافرة، وظهرت في أيامه خيرات؛ وخُطِب له في الشرق بأسره وما وراء النهر والهند وغَزْنة والصين والجزيرة والشام واليمن؛ وعُمرَت في أيامه بغداد، وآسترجع المسلمون الرُّهاء وأنطاكية. ومات فجاة في ليلة السبت خامس عشر المحرّم، وكان عمره ثمانياً وثلاثين[2] سنة وثمانية أشهر ويومين. وتخلّف بعده آبنه أبو العبّاس أحمد. وكانت خلافة المقتدي تسع عشرة سنة وثمانية أشهر.

وفيها تُوفّي الشريف أمير مكة محمد بن أبي هاشم. كان ظالماً جبّاراً فاتكاً سفّاكاً للدماء مسرفاً رافضياً سبّاباً خبيثاً متلوّناً، تارة مع الخلفاء العباسيّين، وتارة مع المصريّين؛ وكان يقتل الحجّاج ويأخذ أموالهم. وهلك بمكة وقد ناهز السبعين. وفرح المسلمون وأهل مكّة بموته، وقام بعده آبنه هاشم.

وفيها تُوفّي المستنصر صاحب الترجمة العُبَيديّ خليفة مصر، وقد تقدّم ذكر وفاته في ترجمته.

وفيها تُوفّي الحسن بن أسد، أبو نصر الفَارِقيّ الشاعر المشهور. كان فصيحاً فاضلاً عارفاً باللغة والأدب؛ وهو الذي سلّم ميّافارقين إلى [منصور بن][3] مروان.

(١) في ابن الأثير أن «قرة العين» كان لقباً لها.

(٢) في الأصل: «ثمانياً وأربعين» والتصحيح عن ابن الأثير وتاريخ الخلفاء وعقد الجمان.

(٣) زيادة من طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان.

فلمّا دخلها تُتُش السلجوقيّ آختفى، ثم ظهر لمّا عاد تُتُش، ووقف بين يديه وأنشده قصيدة، منها: [البسيط]

وآستحلَبتْ حَلَب جَفْنيَّ فآنهملا وبَشَّرتني بحَرّ القتـل حَرّانُ

فقال تُتُش: مَن هذا؟ فقيل له: هذا الفارِقيّ؛ فأمر بضرب عنقه من وقته. فكان قوله:

وبـشّـرتـنـي بـحـرّ الـقـتـل حـرّان

فَألاً عليه.

ومن شعره: [المنسرح]

كم ساءني الدّهر ثم سرّ فلم يُـدم لنفسيَ همّـاً ولا فـرحـا
ألقـاه بـالصبـر ثم يَعْـركُني تحت رحاً من صروفه فـرحـا

وفيها تُوفّي الأمير آق سُنْقُر بن عبد الله قَسِيم الدولة التّركيّ. كان شجاعاً عادلاً مُنصفاً؛ وكان الملوك السلجوقيّة يحترمونه، ولم يكن له ولد غيرَ زَنْكِي. وآق سُنْقُر هذا هو جَدّ الملك العادل نور الدين محمود المعروف بالشهيد. ولمّا قتل آق سنقر آنضمّ على ولده زَنْكِي مماليك أبيه وصار معهم، وآستفحل أمره، على ما يأتي ذكره إن شاء الله في عدّة مواطن.

وفيها تُوفّي أمير الجيوش بدر الجماليّ الأرمنيّ وزير مصر للمستنصر بل صاحب أمرها وعَقْدها وحَلّها. كان أوّلاً ولي الشام والسواحل للمستنصر، ثم خالفه مدّة وأقام بعَكّا، إلى أن آستدعاه المستنصر المذكور إلى مصر بعد أن آختلّ أمرها من الغلاء والِفتن، وفوّض إليه أمور مصر والشام وجميع ممالكه؛ فآستقامت الأمور بتدبيره وسكنت الفتن، وصار الأمر كلّه له؛ وليس للخليفة المستنصر معه سوى الاسم لا غير. ومات قبل المستنصر بأشهر (١). ولمّا مات بَدْر الجَماليّ أقام المستنصر آبنه أبا القاسم شاهِنشاه، ولقّبه الأفضل؛ فأحسن الأفضل السِّيرة في

(١) كان بين موت أمير الجيوش والمستنصر ثمانية شهور، كما ذكر ابن ميسّر في أخبار مصر.

الرعيّة، لكنه عظم في الدولة أضعاف مكانة أبيه. وخلف بدر الجماليّ أموالاً كثيرة يُضرب بها المثل.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستّ أذرع وإصبعان. مبلـغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وإحدى وعشرون إصبعاً.

ذكر خلافة المستعلي بالله[١] على مصر

المستعلِي بالله خليفة مصر آسمه أحمد وكنيته أبو القاسم ابن المستنصر بالله مَعَدّ ابن الظاهر بالله عليّ ابن الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله نزار بن المعزّ لدين الله معدّ بن المنصور إسماعيل بن القائم محمد بن المهديّ عُبَيْد الله، السادس من خلفاء مصر الفاطميّين بني عُبَيد، والتاسع ممَن ولي من أجداده الخلافة بالمغرب.

بويع بالخلافة بعد موت أبيه المستنصر معدّ في يوم عيد الغَدِير، يوم ثامن عشر ذي الحجة سنة سبع وثمانين. ومولده بالقاهرة في المحرّم سنة سبع وستين[٢] وأربعمائة. ولمّا ولي الخلافة كانت سِنّه يوم ذاك نيّفت على عشرين سنة. وقال آبن خِلّكان: مولده لعشر ليالٍ بقِين من المحرّم، وذكر السنة. وكان القائم بأمره الأفضلَ شاهِنشاه بن بدر الجماليّ؛ فإنّ المستنصر كان قد أجلس بعده آبنه أبا منصور نِزاراً أكبر أولاده، وجعل إليه ولاية العهد بالخلافة. فلمّا مرِض المستنصر أراد أخذ البَيْعة له فتقاعد الأفضل شاهنشاه ودافع المستنصرَ من يوم إلى يوم حتّى مات المستنصر؛ وكان ذلك كراهةً من الأفضل في نِزار ولد المستنصر. وسببه أن

(١) انظر ترجمته وأخباره عند ابن القلانسي في ذيل تاريخ دمشق: ص ١٢٨، وابن ظافر في أخبار الدول المنقطعة: ٨٢ ـ ٨٦، وابن خلكان: ١٧٨/١ ـ ١٨٠، وابن أيبك في كنز الدرر: ٤٤٢/٦ ـ ٤٦٠، وخطط المقريزي: ٣٥٦/١ ـ ٣٥٧، والسيوطي في حسن المحاضرة: ١٩/٢، وابن إياس في بدائع الزهور: ٢٢٠/١/١ ـ ٢٢١، وابن ميسَّر في أخبار مصر: ٥٩ ـ ٧٠.

(٢) اختلف في سنة ميلاد المستعلي بن المستنصر. ففي أغلب المصادر أنها في المحرم سنة ٤٦٧هـ. وجاء تحديد ميلاد المستعلي في يوم الأحد الرابع عشر من صفر سنة ٤٥٢هـ في أحد السجلات التي بعث بها المستنصر إلى الداعي علي الصليحي. (أخبار مصر: ص ٤٨، حاشية: ١٩٤).

نِزاراً خرج ذات يوم في حياة أبيه المستنصر فإذا الأفضل راكب وقد دخل من أحد أبواب القصر، فصاح به نِزار المذكور: اِنزل يا أرمنيّ يا نجس! . فحقَدَها عليه الأفضل وصار كلٌّ منهما يكره الآخر. فآجتمع الأفضل بعد موت المستنصر بالأمراء والخواصّ وخوفهم من نِزار وأشار عليهم بولاية أخيه الصغير أبي القاسم أحمد، فرضُوا بذلك ما خلا محمود بن مَصَال اللُّكِّيّ فإنّ نِزاراً كان وعده بالوزارة والتّقدِمة على الجيوش مكان الأفضل. فلمّا عِلم آبن مَصَال الحال أعلم نِزاراً بذلك، وبادر الأفضل بإخراج أبي القاسم أحمد هذا وبايعه ونعته بالمستعلِي بالله، وذلك بكرة يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة، وأجلسه على سَرير الخلافة، وجلس الأفضل شاهنشاه على دكّة الوزارة، وحضر قاضي القضاة المؤيّد بنصر الأنام عليّ بن نافع بن الكحّال[1] والشهود معه، وأخذوا البيعة على مقدَّمي الدولة ورؤسائها وأعيانها. ثم مضى الأفضل إلى إسماعيل وعبد الله آبني المستنصر وهما بالمسجد بالقصر، والموكّلون عليهما، فقال لهما: إنّ البَيْعة تمّتْ لمولانا المستعلِي بالله، وهو يُقرئكما السلام ويقول لكما: تُبايعان أم لا؟ فقالا: السمع والطاعة؛ إنّ آلله آختاره علينا؛ وقاما وبايعاه. فكتب الأفضل بذلك سِجلاً قرأه الشريف سناء الملك محمد بن محمد الحسينيّ الكاتب بديوان الإنشاء على الأمراء.

وأمّا أمر نِزار[2] فإنّه بادر وخرج من وقته وأخذ معه أخاه عبد الله الذي بايع وآبن مَصَال اللُّكِّيّ وتوجّهوا إلى الإسكندريّة، وكان الوالي بها ناصر الدولة أَفْتِكِين التركيّ أحد مماليك أمير الجيوش بدر الجماليّ (أعني والد الأفضل هذا)، فعرّفوه الحال ووعده نِزار بالوزارة، فطمِع أَفْتِكين في ذلك، وبايع نِزاراً المذكور، وبايع أيضاً جميع أهل الإسكندرية، ولُقِّب المصطفى لدين الله. ثم وقع لنزار هذا أمور وحروب مع الأفضل نذكر منها نبذةً من أقوال جماعة من المؤرخين.

قال العّلامة شمس الدين يوسف بن قزأُوغلي في تاريخه مرآة الزمان ــ بعد

(١) في ابن ميسَّر: «قاضي القضاة المؤيد بنصر الإمام علي بن يوسف بن رافع بن الكحّال».

(٢) ذكر ابن ميسَّر في أخبار سنة ٤٧٩هـ أن الحسن بن صباح قدم إلى مصر في زيّ تاجر واجتمع بالمستنصر وسأله من الإمام من بعدك؟ فقال: ولدي نزار.

ما ساق نسبه بنحو ما ذكرناه وأقلّ ــ قال: وكان المتصرّف في دولته الأفضل ابن أمير الجيوش (يعني عن المستعلي). قال: وكان هرَب أخوه نزار بن المستنصر إلى الإسكندرية وبها أَفْتِكِين مولى أبيه. قلت: وهذا بخلاف ما ذكره غيره من أنّ أَفْتِكِين كان مولى لبدر الجماليّ والد الأفضل شاهنشاه. قال: وزعم نِزار أنّ أباه عَهِد إليه، فقام له بالأمر أَفْتِكِين ولقّبه ناصر الدولة. وأخذ له البَيْعة على أهل البلد، وساعده آبن عمار[1] قاضي الإسكندرية. فتوجّه الأفضل إلى الإسكندرية وضايقها؛ فخرج إليه أَفْتِكِين فهزمه وعاد الأفضل إلى القاهرة (يعني مهزوماً) فحشد وعاد إليها ونازلها وآفتتحها عنوةً وقَتل أعيان أهلها، وآعتقل أَفْتِكِين وآبنَ عمّار[1]. فكتب آبن عمّار إلى الأفضل ورقة من الحبس يقول فيها: [البسيط]

هل أنتَ منقذُ شِلْوِي من يَدَي زمن أضحى يقُـد أديمي قـدَّ مُنْتَهِس
دعوتُك الـدّعوة الأولى وبي رَمَق وهـذه دعـوة والـدهـر مُفْتـرِسي

فلم تصل إليه الورقة حتّى قُتِل. فلمّا وقف عليها قال: والله لو وقفت عليها قبل ذلك ما قتلته. وكان آبن عمّار المذكور من حسنات الدهر.

وقدِم الأفضل بأَفْتِكِين ونزار إلى القاهرة، وكـان أَفْتِكِين يلعَن المستعلِيَ والأفضل ابن أمير الجيوش على المنابر؛ فقتله المستعلِي بيده وبنى على أخيه نزار حائطاً فهو تحته إلى الآن. وكان للمستعلِي أخ آسمه عبد الله [فظفِر به الأفضل][2]. اِنتهى كلام صاحب مرآة الزمان باختصار.

وقال غيره[3]: ولمّا آستهلّت سنة ثمانٍ وثمانين خرج الأفضل بعساكر مصر إلى الإسكندريّة، وهناك نزار وأفْتِكِين، فكانت بينهم حرب شديدة بظاهر الإسكندريّة، آنكسر فيها الأفضل بمن معه، ورجـع إلى القاهرة منهزماً؛ فخرج نزار ونهب أكثر

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمار. وبعد مقتله ولي الأفضل عوضاً عنه أبا الحسن بن حديد (ابن ميسّر). وفي المقفّى للمقريزي أنه: القاضي مكين الدولة وأمينها أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسن بن حديد. توفي سنة ٥٢٨هـ. (المصدر السابق، حاشية: ٢٣٧).

(٢) زيادة من طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان.

(٣) ما سيأتي يوافق رواية ابن ميسّر؛ فلعله ينقل عنه.

البلاد بالوجه البحريّ. وأخذ الأفضل في التجهّز لقتال نِزار، ودسّ إلى جماعة ممّن كان مع نزار من العربان وآستمالهم عنه، ثمّ خرج بالعساكر ثانياً إلى نحو الإسكندرية، فكانت بينهم أيضاً وقعة بظاهر الإسكندرية آنكسر فيها نزار بمن معه إلى داخل الإسكندرية؛ فحاصرهم الأفضل حِصاراً شديداً إلى ذي القعدة. فلمّا رأى ذلك آبن مَصَال جمع ماله وفرّ إلى الغرب. وكان سبب فِرار آبن مصال أنّه رأى في منامه أنه راكب فرساً وسار والأفضل ماشٍ في رِكابه؛ فقال له المعبِّر: الماشي على الأرض أملكُ لها؛ فلمّا سمِع ذلك فرّ. ولما فرّ آبن مصال ضعُفت قُوَى نِزار وأَفْتِكِين وخافا وطلبا من الأفضل الأمان فأمّنهما ودخل البلد؛ ثم قبض على نزار وأَفْتكين وبعث بهما إلى مصر، وكان ذلك آخر العهد بنِزار. وكان مولد نِزار في يوم الخميس العاشر من شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وأربعمائة. وقيل: إنّ الأفضل بَنَى لنِزار حائطين وجعله بينهما إلى أن مات. وأمّا أَفْتِكِين نائب الإسكندرية فإنّه قتله بعد ذلك. ولم يزل الأفضل يؤمِّن آبن مَصَال حتّى حضر إليه بالقاهرة ولزِم داره حتّى رضِي عنه الأفضل. إنتهى ذكر نزار وكيفيّة قتله.

وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ: وفي أيّامه وهَنَت دولتهم (يعني المستعلي صاحب الترجمة). قال: وآنقطعت دعوتهم من أكثر مُدُن الشام، وآستولى عليها الأتراك والفرنج على أنطاكِيَة وحصروها ثمانية أشهر، وأخذوها في سادس عشر رجب سنة إحدى وتسعين وأربعمائة، وأخذوا المعرة سنة آثنتين وتسعين، ثم أخذوا القدس فيها أيضاً في شعبان، وآستولى الملاعين على كثير من مدن الساحل. ولم يكن للمستعلي مع الأفضل ابن أمير الجيوش حكم. وفي أيّامه هرَب أخوه نزار إلى الإسكندريّة، فأخَذَ له البَيْعة على أهل الثغر أَفْتِكِين، وساعده قاضي الثغر آبن عمّار، وأقاموا على ذلك سنة. فجاء الأفضل سنة ثمانٍ وثمانين وحاصر الثغر وخرج إليه أَفْتِكين فهزمه، ثم نازلها ثانياً وآفتتحها عَنوةً وقتَل جماعة، وأتى القاهرة بنزار وأَفْتِكِين، فذبح أفتكين صَبْراً، وبنَى المستعلي على أخيه حائطاً، فهو تحته إلى الآن: إنتهى كلام الذهبيّ. قلت: ومن حينئذ نذكر كيفيّة أخذ الفرنج للسواحل في أيام المستعلي هذا، وهو كالشرح لمقالة الذهبيّ وغيره:

كان أوّل حركة الفرنـج لأخذ السواحل وخروجهم إليهـا في سنة تسعين وأربعمائة، فساروا إليها، فأوّل ما أخذوا نِيقِيَة(١)، وهو أوّل بلد فتحوه وأخذوه من المسلمين. ثمّ فتحوا حصونَ الدروب شيئاً بعد شيء، ووصلوا إلى البَارَة وجبل السُّمَّاق وفَامِيَة وكَفَرْطَـاب(٢) ونواحيها. وفي سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ساروا إلى أنطاكِيَة ولم ينازلوها، وجاؤوا إلى المَعَرّة فنصبوا عليها السَّلالم فنزلوا إليها فقتلوا من أهلها مائة ألف إنسان، قاله أبو المظفّر سِبْط ابن الجوزِيّ؛ قال: وسبَوْا مثلها. ثمّ دخلوا كَفَرْ طَاب وفعلوا مثل ذلك، وعادوا إلى أنطاكِيَة، وكان بها الأمير شعبان، وقيل شقبان، وقيل في آسمه غير ذلك(٣) ــ وكان على الفرنـج صنجيل(٤)، فحاصرها

(١) نيقية: مدينة من أعمال استنبول على البر الشرقي. وفي ابن الأثير: «قونية».

(٢) كفرطاب: بلدة بين المعرة وحلب ـ وفامية (أفامية) مدينة في سوريا دمرتها الزلازل سنة ٥٥٢هـ، وموقعها في أسفل جبل الزاوية قريباً من وادي نهر العاصي الأوسط ـ وجبل السمّاق: جبل عظيم من أعمال حلب الغربية، يشتمل على مدن كثيرة وقرى وقلاع ــ والبارة: بليدة وكورة من نواحي حلب، وفيها حصن. (معجم البلدان ومراصد الاطلاع).

(٣) سيذكر المؤلف عن رواية ابن القلانسي أن اسمه: ياغي سيان. وفي ابن الأثير: «باغيسيان». وفي تاريـخ الزمان لابن العبري أن اسمه «جيسفان».

(٤) هو ريموند دي سان جيل، قومس تولوز Raymond de Saint-Gilles, Comte de Toulouse.
في ذلك الوقت كانت العلاقات بين أحبار رومية من البابوات وأباطرة الغرب من ملوك الألمان قد بلغت الحضيـض، بعد أن أعلنت رومية «الحرم» على الامبراطور هنري الرابـع للمرة الثانية. «والحرم» excommunication في العرف الكنسي يفرض على المؤمنين عدم التعامل مـع الشخص «المحروم».
وكان هنري الرابـع منذ توليه الحكم قد أمعن في مناهضة رومية وتحدى سلطة أحبارها. وأخذ أحبار رومية بالتالي يترقبون الفرصة للنيل من الامبراطور الخارج عن طاعتهم. وجاءت هذه الفرصة عندما توجّه ملك القسطنطينية إلى رومية بطلب النجدة من المسيحيين الفرنجة في الغرب ضد السلاجقة. فهبّ البابا أوربانوس الثاني إلى التجاوب مـع هذا الطلب، ودعا ملوك وأمراء بلاد الفرنجة إلى الإسراع في نجدة المسيحية المهدّدة في الشرق وإلى استرجاع كامل «الأراضي المقدسة» في فلسطين من المسلمين.
وكان القصد السياسي من هذه الدعوة ــ بغض النظر عن مضمونها الديني ــ وضـع كنيسة رومية على رأس حملة مسيحية عارمة ضد العالم الإسلامي توحّد صفوف الفرنجة تحت لواء الحبر الأعظم، وتقصي ملك الألمان هنري الرابـع عما كان يصبو إليه من القيادة الفعلية للغرب المسيحي. ووجه أوربانوس الثاني النداء بشكل خاص إلى وجهاء البلاد الفرنسية والنورماندية وإلى أعيان المملكة الألمانية الذين كانوا على خلاف مـع الامبراطور. فتجاوب معه فريق كبير من هؤلاء: صنجيل المذكور، «والغندفري» أو «جفري» وهو غودفروي دي بويون دوق المنطقة السفلى من اللورين، وهي من المناطق التابعة آنذاك للمملكـة الألمانية. وكان «الغندفري» في ذلك الحين على خلاف شديد مـع الامبراطور هنري الرابـع =

مدّة؛ فنافق رجل من أنطاكِيَة يقال له فيروز[١] وفتـح لهم في الليل شُبّاكاً فدخلوا منه، ووضعوا السيف، وهرب شعبان وترك أهله وأمواله وأولاده بها. فلما بَعُد عن البلد ندم على ذلك، فنزل عن فرسه فَحَثى التّراب على رأسه وبكى ولطَم، وتفرّق عنه أصحابه وبَقِي وحده؛ فمرّ به رجل أرمنيّ حَطّاب فعرفه فقتله وحَمَل رأسه إلى صنجيل ملك الفرنـج.

وقال أبو يعلى [بن] القلانِسيّ: في جمادى الأولى ورد الخبر بأنّ قوماً من أهل أنطاكِيَة عملوا عليها وواطؤوا الفرنـج على تسليمها إليهم لإساءة تقدّمت من حاكم البلد في حقّهم ومصادرته لهم، ووجدوا الفرصة في بُرْج من الأبراج التي للبلد مما يلي الجبل، فباعوهم إيّاه، وأصعدوا منه في السّحَر وصاحوا، فآنهزم ياغي سيان وخرج في خَلْق عظيم فلم يَسْلَم منهم شخص؛ فسقط الأمير عن فرسه عند مَعَرّة مَصْرِين، فحمله بعض أصحابه وأركبه فلم يثبُت على ظهر الفرس وسقط ثانياً فمات. وأمّا أنطاكِيَة فقُتِل منها وسُبـي من الرجال والنساء والأطفال ما لا يُدركه حصر، وهرب إلى القلعة قَدْر ثلاثة آلاف تحصنوا بها[٢].

وكان أخذ المَعَرّة في ذي الحجّة بعد أخذ أنطاكِيَة. ولمّا وقـع ذلك آجتمـع ملوك الإسلام بالشام، وهم رِضوان صاحب حَلَب وأخوه دُقماق وطُغْتِكِين وصاحب

= الذي كان يتهدده بالعزل. ومنهم «بغدوين» أو «البردويل» Baudouin de Bouillon وهو شقيق الغندفري، ومنهم أيضاً بيمند أو بوهيمند Bohemond وابن شقيقه «تنكريد» Tancred من الأمراء النورمانديين في جنوب إيطاليـا. وكان كل من هؤلاء يطمـح ــ لسبب أو لآخر ــ إلى إنشاء دولة مستقلة لنفسه في بلاد المشرق. وتجاوبت المدن الإيطالية وعلى الأخص جنوة وبيزا ــ مـع نداء الحبر الأعظم. وكانت هذه المدن طامحة إلى السيطرة التجارية المباشرة على أسواق المشرق، فوضعت سفنها وملاحيها على أهبة الاستعداد لنقل جيوش الفرنجة إلى بلاد الإسلام، وللمشاركة في الأعمال الحربية. (أخذنا هذا الـنصّ عن المؤرخ كمال الصليبي في كتابه: منطلق تاريـخ لبنان، ص ٨٣ ــ ٨٥. وهو نصّ طويل نسبياً، غير أنه يشير بوضوح إلى العوامل السياسية والاقتصادية والدينية التي كانت وراء الحروب الصليبية على بلادنا).

(١) في ابن القلانسي: «نيروز» وفي ابن الأثير: «روزبة» وهو زرّاد كان أحد المستحفظين للأبراج وفي ابن العبري: «رزباه الفارسي حارس البرج الذي بجانب مخاضة كشكروف».

(٢) ينقل المؤلف عن ابن القلانسي ببعض تصرّف.

اَلْموصِل وسُكمان بن ارْتُق صاحب مارِدين وأَرْسلان شاه صاحب سِنْجار[١]- ولم ينهَض الأفضل بإخراج عساكر مصر. وما أدري ما كان السبب في عدم إخراجه مع قدرته على المال والرجال[٢]ـ فآجتمع الجميع ونازلوا أنطاكِيَة وضيّقوا على الفرنج حتّى أكلوا ورق الشجر. وكان صنجيل مقدّم الفرنج عنده دهاء ومَكْر، فرتّب مع راهب حيلةً وقال: اِذهب فادفِن هذه الحْرَبة في مكان كذا، ثم قل للفرنج بعد ذلك: رأيت المسيح في منامي وهويقول: في المكان الفلانيّ حربة مدفونة

---

(١) قارن بابن الأثير وابن القلانسي، فقد وردت هذه الأسماء ببعض اختلاف عما هنا. والمؤرخون العرب عامة لا يتفقون على رسم واحد للأسماء الأعجمية من تركية وفارسية ورومية وغير ذلك، هذا بالإضافة إلى التصحيف والتحريف الذي يقع فيه غالباً النسّاخ.

(٢) أشار ابن الأثير إلى هذا التشكيك في موقف المصريين دون أن يعتمده بقوله: «وقيل إن أصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام إلى غزة ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم ودخول الأقسيس إلى مصر وحصرها فخافوا وأرسلوا إلى الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه ويكون بينهم وبين المسلمين والله أعلم».

والواقع أن العرب لم يفهموا في أول الأمر طبيعة الحركة الصليبية ولم يتبينوا غرضها، فظنوها مثل الحملات التي كان يشنها البيزنطيون بين الحين والحين، لذلك لم يهتم العرب المنقسمون على أنفسهم بالتكتل أمام هذا الخطر، بل وجد فيه كل فريق فرصة مواتية للقضاء على خصمه، كما أن الخلافات الداخلية شغلت كلًّا من الدولتين العباسية والفاطمية عن اتخاذ أي إجراء لمقاومة هذا الخطر الجديد. فوجد الصليبيون الطريق مفتوحاً أمامهم لامتلاك معظم الشام. ولم يفق المسلمون من سباتهم إلا بعد أن وطد الصليبيون أقدامهم في الشام. وقد اتهم المؤرخون الأفضل بن بدر الجمالي بمحاولة الانضمام للصليبيين والاستعانة بهم في القضاء على أعدائه من السلاجقة واعتبروا ذلك تنكراً من الأفضل لإسلامه وعروبته. ولكننا إذا حاولنا دراسة موقف الأفضل من خلال ما ذكرناه آنفاً لاستطعنا أن نتبين الدوافع التي ألجأته إلى ذلك. وكان من المألوف أن يستعين الحكام المسلمون في بعض الأحيان بالبيزنطيين ضد بعضهم البعض، أو يستنجد البيزنطيون بالأساطيل المصرية ضد منافسيهم المسيحيين بصقلية. فالأفضل على ما يبدو لم ير مانعاً من الاتصال بالصليبيين، خصوصاً وأنه كان ينظر إليهم كمجرد مرتزقة تابعين للامبراطور البيزنطي. لذلك عندما علم الأفضل بوصول الفرنج إلى أنطاكية أرسل إليهم سفارة يدعوهم منها إلى المفاوضة مقترحاً تقسيم الشام، فيكون شمال سوريا من نصيب الإفرنج وتستولي مصر على فلسطين. ولكي يجعل لاقتراحه قوة خرج إلى فلسطين واستولى على بيت المقدس في رمضان سنة ٤٩١هـ. ثم رجع إلى مصر. ولكن كل ذلك لم ينفع الأفضل؛ وكانت وجهة الصليبيين بيت المقدس، فدخلوا المدينة بعد أشهر قليلة من استيلاء الأفضل عليها. (انظر الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي: ٢٢٥ ـ ٢٢٧).

فاطلبوها، فإن وجدتموها فالظَّفَرُ لكم، وهي حربتي[١]، فصوموا ثلاثة أيّام وصَلُّوا وتصدّقوا ثم قام وهم معه إلى المكان ففتّشوه فظهرت الحربة؛ فصاحوا وصاموا وتصدقوا وخرجوا إلى المسلمين، وقاتلوهم حتى دفعوهم عن البلد؛ فثبت جماعة من المسلمين فقُتِلوا عن آخرهم، رحمهم الله تعالى. والعجب أنّ الفرنج لمّا خرجوا إلى المسلمين كانوا في غاية الضعف من الجوع وعدم القُوت حتّى إنهم أكلوا الميتة وكانت عساكر الإسلام في غاية القوّة والكثرة، فكسروا المسلمين وفرّقوا جموعهم، وآنكسر أصحاب الجُرْد السوابق، ووقع السيف في المجاهدين والمطَّوِّعين. فكتب دقماق[٢] ورِضوان والأمراء إلى الخليفة (أعني المستظهر العباسيّ) يستنصرونه؛ فأخرج الخليفة أبا نصر بن المُوصَلاَيَا إلى السلطان بَرْكْيَاروق ابن السلطان مَلِكْشاه السلجوقيّ يستنجده. كلّ ذلك وعساكر مصر لم تهيأ للخروج.

وأمّا أخذ بيت المقدس فكان في يوم الجمعة ثالث عشرين شعبان سنة آثنتين وتسعين وأربعمائة، وهو أنّ الفرنج ساروا من أنطاكِيَة ومقدَّم الفرنج كندهري[٣] في ألف ألف، منهم خمسمائة ألف مقاتل فارس، والباقون رَجّالة وفَعَلة وأرباب آلات من مجانيق وغيرها، وجعلوا طريقهم على الساحل. وكان بالقدس افتخار الدولة من قِبَل المستعلي خليفة مصر صاحب الترجمة، فأقاموا يقاتلون أربعين يوماً، وعمِلوا بُرْجين مُطِلَّين على السور؛ أحدهما بباب صِهْيَوْن، والآخر بباب العمود وباب الأسباط، وهو برج الزاوية ــ ومنه فتحها السلطان صلاحُ الدِّين بن أيوب، على ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى ــ فأحرق المسلمون البرج الذي كان بباب صِهْيَوْن وقتلوا من فيه. وأمّا الآخر فزحفوا به حتّى ألصقوه بالسور، وحكموا به على البلد،

---

(١) لم يكن للمسيح حربة. وإنما المراد بذلك الحربة التي طعن بها جنب المسيح. وكانت ــ حسب الروايات المسيحية ــ مدفونة في كنيسة القديس بطرس الرسول بالقرب من المذبح. (انظر تاريخ مختصر الدول: ١٩٦) وعبارة ابن العبري: إن فطروس السليح كان له عكازة ذات زجّ مدفونة بكنيسة القسيان.

(٢) في أكثر الروايات: «دقاق».

(٣) هو تحريف لاسم غودفروا دي بويون الذي أصبح حاكماً لمملكة بيت المقدس اللاتينية، ولقب نفسه حامي المدينة المقدسة. وقد تولى الحكم فيها سنتين، ثم جاء بعده أخوه بغدوين الأول وتوّج ملكاً على مملكة القدس مدة سبع عشرة سنة. (تاريخ الزمان: ص ١٢٥، والموسوعة الفلسطينية: ٣/٤٤٤). وكان دوق المنطقة السفلى من اللّورين: Gaudefroy de Bouillon,Duc de la Basse Lorraine.

وكشفوا مَن كان عليه من المسلمين؛ ثم رمَوْا بالمجانيق والسِّهام رَمْيَةَ رجل واحد، فانهزم المسلمون فنزلوا إلى البلد، وهرب الناس إلى الصخرة والأقصى واجتمعوا بها، فهجموا عليهم وقتلوا في الحرم مائة ألف[1] وسَبَوْا مثلهم، وقتلوا الشيوخ والعجائز وسبُوا النساء، وأخذوا من الصخرة والأقصى سبعين قنديلاً، منها عشرون ذهباً في كلّ قِنديل ألف مثقال، ومنها خمسون فِضّة في كلّ قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم بالشاميّ، وأخذوا تَنُّوراً من فِضّة زنته أربعون رطلاً بالشاميّ، وأخذوا من الأموال ما لا يُحصى. وكان بيت المقدس منه آفتتحه عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ في سنة ستّ عشرة من الهجرة، لم يزل بأيدي المسلمين إلى هذه السنة. هذا كلّه وعسكر مصر لم يحضر، غيرَ أنّ الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بَدر الجمالي صاحب أمر مصر لمّا بلغه أنّ الفرنـج ضايقوا بيت المقدس خرج في عشرين ألفاً من عساكر مصر وجدّ في السير، فوصل إلى القدس يوم ثاني فتحه ولم يعلم بذلك. فقصده الفرنـج وقاتلوه، فلم يثبت لهم ودخل عَسْقلان بعد أن قُتِل من أصحابه عدد كثير؛ فأحرق الفرنـج ما حول عسقلان وقطعوا أشجارها، ثم عادوا إلى القدس. ثم عاد الأفضل إلى مصر بعد أمور وقعت له مـع الفرنـج. وآستمرّ بيت المقدس مـع الفرنـج، فلا قوّة إلّا بالله.

وقال آبن القلانِسيّ: إنّ أخذ المَعَرّة كان في هذه السنة أيضاً، وإنه كان قبل

---

(١) يذكر المؤرخ الفرنسي فوشيه دي شارتر، الذي كان مرافقاً للحملة الأولى على بيت المقدس وأرخ لها يوماً بيوم أنه «كانت القدم تغوص حتى الكاحل في دماء المسلمين» ويعلق المؤرخ اللاتيني وليم الصوري على ذلك فيقول: «لم يكن بالإمكان التطلـع إلى هذا العدد الهائل من القتلى دون أن تصاب بفزع شديد. فكل الأرض كانت ملطخة بدماء القتلى» (الموسوعة الفلسطينية: ٤٤٤/٣). ويذكر ابن العبري أنهم وضعوا السيف في الأهالي أسبوعاً كاملاً، وقتلوا في هيكل سليمان أكثر من سبعين ألفاً من العرب. ويذكر ابن الأثير أنهم قتلوا في المسجد الأقصى سبعين ألفاً من بينهم عشرة آلاف عالم وفقيه ــ وكان مصير يهود القدس بمثل فظاعة مصير المسلمين. ففي الساعات الأولى من المعركة اشترك عدد كبير منهم في الدفاع عن حيّهم، الحيّ اليهودي القائم شمالي المدينة. ولكن عندما انهارت بقية السور المشرف على منازلهم وأخذ الفرسان الشقر يجتاحون الشوارع جنّ جنون اليهود واجتمعت الطائفة بأسرها للصلاة في الكنيس الرئيسي. وعندها سدّ الفرنـج جميـع المنافذ وكدّسوا أكوام الحطب حول المكان وأضرموا فيها النار. ولقد أجهز على الذين حاولوا الخروج إلى الأزقة المجاورة واحترق الباقون أحياء (الحروب الصليبية كما رآها العرب لأمين معلوف: ص ١٣).

أخذ بيت المقدس. قال: وزحَف الفرنج في محرم هذه السنة إلى سور المعرة من الناحية الشرقيّة والشمالية، وأسندوا البرج إلى سورها، فكان أعلى منه. ولم يزل الحرب عليها إلى وقت المغرب من اليوم الرابع عشر من المحرّم، وصعِدوا السور، وآنكشف أهل البلد بعد أن تردّدت إليهم رسل الفرنج، وأعطوهم الأمان على نفوسهم وأموالهم وألاّ يدخلوا إليهم، بل يبعثوا إليهم شِحْنة[1] فمنَعَ من ذلك الخلف بين أهلها، فملكت الفرنج البلد بعد المغرب بعد أن قُتِل من الفريقين خلق كثير، ثم أعطَوْهم الأمان. فلمّا ملكوها غدَرُوا بهم وفعلوا تلك الأفعال القبيحة وأقاموا عليها، إلى أن رحلوا عنها في آخر شهر رجب إلى القدس. وانجفل الناس بين أيديهم، فجاؤوا إلى الرملة فأخذوها عند إدراك الغَلّة، ثم آنتهوا إلى القدس. وذكر في أمر القدس نحواً مما قلناه، غير أنّه زاد فقال: ولمّا بلغهم (يعني الفرنج) خروجُ الأفضل من مصر جدّوا في القتال ونزلوا من السور وقتلوا خلقاً كثيراً، وجمعوا اليهود في الكنيسة وأحرقوها عليهم، وهدموا المشاهد وقبر الخليل ـ عليه السلام ـ وتسلّموا مِحراب داود بالأمان. ووصل الأفضل بالعساكر وقد فات الأمر، فنزل عسقلان في يوم رابع عشر شهر رمضان ينتظر الأسطول في البحر والعرب؛ فنهض إليه مقدّم الفرنج في خلق عظيم، فآنهزم العسكر المصريّ إلى ناحية عسقلان؛ ودخل الأفضل عسقلان، ولعِبت سيوف الفرنج في العسكر والرجال والمطّوِّعة وأهل البلد، وكانوا زُهاء عن عشرة آلاف نفس، ومضى الأفضل. وقرّر الفرنج على أهل البلد عشرين ألف دينار تُحمل إليهم، وشرعوا في جبايتها من أهل البلد؛ فآختلف المقدّمون فرحلوا ولم يقبِضوا من المال شيئاً. ثم قال: وحكي أنّه قتِل من أهل عسقلان من شهودها وتجارها وأحداثها سوى أجنادها ألفان وسبعمائة نفس.

ولما تمّت هذه الحادثة خرج المستنفِرون من دِمَشق مع قاضيها زين الدين أبي سعد الهَرَوِيّ، فوصلوا بغداد وحضروا في الديوان وقطّعوا شعورهم وآستغاثوا وبكَوْا، وقام القاضي في الديوان وأورد كلاماً أبكى الحاضرين؛ وندب من الديوان

(١) راجع ص ٧٤ من هذا الجزء، حاشية (١).

من يمضي إلى العسكر السلطانيّ ويعرّفهم بهذه المصيبة؛ فوقع التقاعد لأمر يريده الله. فقال القاضي الهَرَوِيّ ــ وقيل: هي لأبي المظفّر الأَبِيوَرْدِيّ ــ القصيدة التي أوّلها: [1] [الطويل]

مَزَجْنَا دماءً بالدموع السواجم ... فلم يبقَ منا عُرْضَةٌ للمراجم[2]

ومنها:

وكيف تنام العين مِلءَ جفونها ... على هَفَوات أيقظت كلَّ نائم

وإخوانكم بالشام يُضحِي مَقِيلُهمْ ... ظهورَ المَذَاكِي[3] أو بطونَ القَشَاعم[4]

ومنها:

وكاد لهنّ المستجنّ بطَيبةٍ ... ينادي بأعلى الصوت يا آل هاشم

أرى أمتي لا يشْرعون إلى العِدا ... رماحهمُ والدينُ واهي الدعائم

ومنها:

وليتهمُ إذ لم يذودوا حَمِيّةً ... عن الدين ضَنُّوا غيْرةً بالمحارم

وإذ زَهِدوا في الأجر إذ حَمِيَ الوغى ... فهلّا أتَوْه رغبةً في الغنائم

وقال آخر: [الوافر]

أحلّ الكفر بالإسلام ضَيمْاً ... يطولُ عليه للدين النَّحِيب

فحقٌّ ضائعٌ وحِمىً مُباحٌ ... وسيفٌ قاطعٌ ودمٌ صَبِيب

وكم من مسلم أمسى سَلِيباً ... ومسلمةٍ لها حَرَمٌ سليب

وكم من مسجدٍ جعلوه دَيراً ... على محرابه نُصِب الصليب

دمُ الخنزير فيه لهم خَلُوقٌ ... وتحريقُ المصاحف فيه طِيب

(١) أورد منها ابن كثير في البداية والنهاية خمسة عشر بيتاً، وأورد ابن الأثير اثنين وعشرين بيتاً. وفيهما اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) المراجم: القبيح من الكلام.

(٣) المذاكي: الخيل التي تمّ سنها وكملت قوتها.

(٤) القشاعم: المسنّة من النسور.

أمـورٌ لـو تـأملهنّ طفـلٌ لطفّل[1] في عوارضه المَشِيب
أتُسْبى المسلماتُ بكلّ ثَغْر وعيشُ المسلمين إذاً يـطيـبُ
أمَـا لله والإسـلام حـقٌّ يُـدافِعُ عنـه شُبَّـانٌ وشِيب
فقل لذوي البصائر حيث كانوا أجيبـوا الله ويحكمُ أجيبـوا

وقال الناس في هذا المعنى عدّة مَراثٍ. والمقصود أنّ القاضي ورفقته عادوا من بغداد إلى الشام بغير نجدة. ولا قوة إلّا بالله!. ثم إنّ الأفضل ابن أمير الجيوش جهز من مصر جيشاً كثيفاً وعليه سعد الدولة القوّاسيّ في سنة ثلاث[2] وتسعين وأربعمائة، فخرج سعد الدولة المذكور من مصر بعسكره فـآلتقى مـع الفرنـج بعَسْقلان؛ ووقف سعد الدولة في القلب، فقاتل قتالاً شديداً، فكبا به فرسُه فقُتِل. وثبت المسلمون بعد قتله وحملوا على الفرنـج فهزموهم إلى قَيْسارِيّة[3]. فيقال: إنّهم قتلوا من الفرنـج ثلاثمائة ألف، ولم يُقتل من المسلمين سوى مقدّم عسكرهم سعد الدولة القواسيّ المذكور ونفر يسير. قاله صاحب مرآة الزمان. وقال الذهبـيّ في تاريخه: هذه مجازفة عظيمة (يعني كونه قال قتل ثلاثمائة ألف من الفرنـج). انتهى. قلت: ومن يومئذ بدأت الفرنـج في أخذ السواحل حتى آستولَوْا على الساحل الشامي بأجمعه إلى أن آستولت الدولة الأيوبيّة والتركيّة[4] واسترجعوها شيئاً بعد شيء، حسب ما يأتي ذكره إن شاء الله في هذا الكتاب.

ومات المستعلِي صاحب الترجمة في يوم الثلاثاء تاسـع صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة، وقيل: في ثالث عشر صفر، والأوّل أشهر. ومات وله سبـع وعشرون سنة، وكانت خلافته سبـع سنين وشهرين وأياماً. وتولّى الخلافة بعده ابنه الآمر بأحكام الله منصور. وكان المتصرّف في دولته وزيرَه الأفضلَ سيفَ الإسلام شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجَماليّ. فانتظمت أحوال مصر بتدبيره؛ وآشتغل بها

(١) طفّل: أقبل وأظل وغطّى.
(٢) ذكر ابن ميسّر ذلك في سنة ٤٩٤هـ.
(٣) في ابن ميسّر وابن القلانسي: «إلى يافا».
(٤) المراد دولة المماليك.

عن السواحل الشاميّة حتى آستولت الفرنج على غالبها؛ وندِم على ذلك حين لا ينفع الندم.

وكان المستعلي حسن الطريقة في الرعيّة، جميل السيرة في كافّة الأجناد، ملازماً لقصره كعادة أبيه، مكتفياً بالأفضل فيما يريده، إلا أنّه كان مع تقاعده عن الجِهاد وتهاونه في أخذ البلاد متغالياً في الرَّفْض والتشيّع؛ كان يقع منه الأمور الشنيعة في مأتم عاشوراء، ويبالغ في النَّوْح والمأتم، ويأمر الناس بلبس المُسُوح وغلق الحوانيت واللطم والبكاء زيادة عما كان يفعله آباؤه، مع أنّ الجميع رافضة، ولكنّ التفاوت نوع آخر.

وأما الذي كان يفعله آباؤه وأجداده من النَّوْح في يوم عاشوراء والحزن وترتيبه، فإذا كان يوم العاشر من المحرم آحتجب الخليفة عن الناس، فإذا علا النهار رِكِب قاضي القضاة والشهود وقد غيروا زِيّهم ولبِسوا قماش الحزن، ثم صاروا إلى المشهد الحسينيّ بالقاهرة ــ وكان قبل ذلك يُعمل المأتم بالجامع الأزهر ــ فإذا جلسوا فيه بمن معهم من الأمراء والأعيان وقرّاء الحضرة والمتصدّرين في الجوامع، جاء الوزير فجلس صَدْراً، والقاضي وداعي الدُّعاة من جانبيه، والقرّاء يقرؤون نَوْبةً بنوبة، ثم ينِشد قوم من الشعراء غير شعراء الخليفة أشعاراً يرثون بها الحسن والحسين وأهل البيت، وَتصيح الناس بالضجيج والبكاء والعَويل ــ فإن كان الوزير رافضياً على مذهب القوم تغالَوْا في ذلك وأمعنوا، وإن كان الوزير سُنّيّاً آقتصروا ــ ولا يزالون كذلك حتّى تمضي ثلاث ساعات، فيُسْتَدْعَوْن إلى القصر عند الخليفة بنقباء الرسائل؛ فيركب الوزير وهو بمنديل صغير إلى داره، ويدخل قاضي القضاة والداعي ومَن معهما إلى باب الذهب (أحد أبواب القصر) فيجدون الدّهاليز قد فُرِشت مَساطبها بالحصر والبُسط[1]، وينُصب في الأماكن الخالية الدكك لتُلحقَ بالمساطب وتفرش؛ ويجدون صاحب الباب جالساً هناك، فيجلس القاضي والداعي إلى جانبه والناس على اختلاف طبقاتهم؛ فيقرأ القُرّاء ويُنشد المنشدون أيضاً. ثم يفُرش وسط

(١) في خطَط المقريزي: ١/٤٣١ «بالحصر بدل البسط».

القاعة بالحصر المقلوبة (ليس على وجوهها، وإنما تخالف مفارشها)؛ ثمّ يُفرش عليها سِمَاطُ الحزن مقدار ألف زبدية من العدس والملوحات والمخلّلات والأجبان والألبان الساذَجَة والأعسال النّحْل والفَطِير والخُبز المغيَّر لونُه بالقصد لأجل الحزن. فإذا قرب الظهر وقف صاحب الباب وصاحب المائدة (يعني الحاجب والمشدّ) وأُدخِل الناس للأكل من السِّماط، فيدخل القاضي والداعي ويجلس صاحب الباب ببابه؛ ومن الناس من لا يدخل من شدّة الحزن، فلا يُلزم أحد بالدخول. فإذا فرغ القوم آنفصلوا إلى مكانهم ركباناً بذلك [الزيّ][1] الذي ظهروا فيه من قماش الحزن. وطاف النُّوّاح بالقاهرة في ذلك اليوم، وأغلق البيّاعون حوانيتهم إلى بعد العصر، والنَّوْح قائم بجميع شوارع القاهرة وأزِقّتها. فإذا فات العصر يفتح الناس دكاكينهم ويتصرّفون في بيعهم وشرائهم؛ فكان [ذلك][1] دأب الخلفاء الفاطميّين من أولهم المعزّ لدين الله مَعَدّ إلى آخرهم العاضد عبد الله. إنتهت ترجمة المستعلِي. ويأتي بعض أخباره أيضاً في السنين المتعلّقة به على سبيل الاختصار، كما هو عادة هذا الكتاب.

* * *

السنة الأولى من خلافة المستعلي أحمد على مصر

وهي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة.

فيها آصطلح أهل السُّنة والرافضة ببغداد وعملوا الدعوات ودخل بعضهم إلى بعض.

وفيها قُتِل تاج الدولة تُتُش بن أَلْب أَرْسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دُقماق أبو سعيد السلجوقيّ أخو السلطان مَلِكشاه. كان أوّلاً في المشرق، فاستنجده أَتْسِز الخُوَارَزْمِيّ صاحب الشام فقدم دِمَشق، وقَتَل أَتْسِز

---

(١) زيادة عن المقريزي.

والملاحظ هنا أن أبا المحاسن ينقل حرفياً عما نقله المقريزي عن ابن الطوير في وصف ما كان يعمل في يوم عاشوراء أيام الفاطميين.

المذكور وآستولى على الشام، وآمتدّت أيّامه. وهو الذي قَتَل آق سُنْقُر وبوزان، ثمّ خالف على آبن أخيه بركياروُق بن ملِكشاه، ووقع بينهما أمور آخرها في هذه السنة؛ كانت بينهما وقعة هائلة على الرَّيّ. وكان لمّا قَتَل آق وبوزان أخذ جماعة من أمرائهما فقتلتهم بين يديه؛ وكان بكَجْوُر من أكابر الأمراء، فقتل أولاده بين يديه صَبْراً، وهرَب بكجور إلى بَرْكْيَارُوق. فلمّا آنتصر على الرّيّ جاء بكجور إلى السلطان بركياروق وهو يبكي، فقال: قد قَتَل عمُّك أولادي وأنا قاتله بأولادي؛ فقال: آفعل. وكان تتش قد وقف بالقلب مقابل آبن أخيه السلطان بَرْكياروق، فقصده الأمير بَكْجُور المذكور وطعنه فألقاه عن فرسه؛ فنزل سُنْقُرْجه ــ وكان أيضاً صاحبَ ثأر ــ فحزّ رأسه، وقيل؛ رماه مملوك بوزان بسهم في ظهره فوقع منه، وآنهزم أصحابه؛ وطيف برأسه. وأُسِر وزيره فخر الملك عليّ بن نظام الملك، فعفا عنه السلطان بركياروق، وفخر الملك وزير تُتُش، وهما آبنا نظام الملك. ثم وقع أيضاً لأولاد تاج الدولة تُتُش هذا أمور وفِتن بعد موت أبيهم؛ وهم رِضوان وإخوته، على ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى[1].

وفيها تُوفّي عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بُنْدَار، أبو يوسف القَزْوِينيّ شيخ المعتزلة. كان إماماً في فنون، فسّر القرآن في سبعمائة مجلّد ــ وقيل في أربعمائة، وقيل ثلاثمائة ــ وكان الكتاب وَقْفاً في مشهد أبـي حنيفة رضي الله عنه. وكان رَحَل إلى مصر وأقام بها أربعين سنة. وكان محترماً في الدول، ظريفاً، حسنَ العِشرة، صاحب نادرة. قيل: إنّه دخل على نظام الملك الوزير وكان عنده أبو محمد التميميّ ورجل آخر أشعريّ، فقال له القَزْوِينيّ: أيّها الصدر قد آجتمع عندك رؤوس أهل النار. قال نظام الملك وكيف ذلك؟ قال: أنا معتزليّ، وهذا مُشبِّه (يعني التميميّ) وذلك أشعريّ، وبعضنا يكفِّر بعضاً؛ فضحِك النظام. وقيل: إنّه آجتمع مع آبن البراج[2] متكَلِّم الشِّيعة، فقال له آبن البراج: ما تقول في الشيخين؟ فقال: سَفِلَتين ساقطين. قال: من تعني؟ قال: أنا وأنت. وكانت وفاة القَزْوِينيّ هذا في ذي

(١) انظر نهاية الأرب للنويري: ٢٦/٣٣٨ ــ ٣٤١، وأخبار الدولة السلجوقية: ٧٢ ــ ٧٦.

(٢) هو القاضي سعد الدين، عز المؤمنين، أبو الضيغم، عبد العزيز بن البرّاج. (أعيان الشيعة: ٨/١٨).

القعدة، وقد بلغ ستاً وتسعين سنة، ودفن بمقابر الخَيْزُران عند أبي حنيفة، رضي الله عنه.

وفيها تُوفّي محمد بن فتوح بن عبد الله بن حُمَيْد، أبو عبد الله بن أبي نصر الحُمَيْدي الأندلسيّ. كان من جزيرة مَيُورْقَة[1]. وُلِد قُبَيْل الأربعمائة، وسمع الكثير ورحل إلى الأقطار ثم آستوطن بغداد. وكان مختصّاً بصحبة آبن حزم الظاهريّ، وحَمَل عنه أكثر كتبه. قال آبن ماكولا: «صديقنا أبو عبد الله الحُمَيْدي من أهل العلم والفضل، ورد بغداد رسمع أصحاب الدارقطْنِيّ وآبن شاهين وغيرهم، وسمع منه خلق كثير، وصنّف «تاريخ الأندلس»، ولم أرَ مثله في عفّته ونزاهته».

وفيها تُوفّي منصور بن نصر[2] الدولة بن مروان صاحب مَيّافارِقين، وكان آستولى على الجزيرة فمات بها، فحمِل إلى آمِد فدفِن بقُبَّة بَنَتْها له زوجته ستّ الناس بنت عَميد[3] الأمّة. وأوّل ولاية بني مروان لديار بكر في سنة ثمانين وثلاثمائة، وآستولى الوزير آبن جهير على بلادهم سنة تسع وسبعين وأربعمائة، ومات منصور في هذه السنة. فكانت ولايتهم نيّفاً ومائة سنة. وأعيان ملوكهم أوّلهم باد الكرديّ، وبعده مروان وهو جَدّهم، ثم بعده ولده أحمد، ثم بعده ولده نظام الدين ثم ولداه سعيد ومنصور هذا.

وفيها تُوفّي محمد بن عبّاد بن محمد بن إسماعيل بن قريش السلطان المعتِمد على الله أبو القاسم ابن السلطان المعتضِد بالله أبي عمرو ابن الفقيه قاضي إشْبيلية ثم سلطانها الظافر ابن المؤيد بالله أبي العباس بن أبي الوليد اللّخميّ، من ولد النُّعمان بن المنذر صاحب الحيرة. كان المعتمد هذا صاحب إشبيلية وقرطبة.

(١) ميورقة: جزيرة في البحر الزقاقي، قسامتها من القبلة بجاية من بر العدوة. وشرقي ميورقة هذه جزيرة سردانية. (الروض المعطار: ٥٦٧).

(٢) في ابن الأثير وتاريخ الفارقي: «ناصر الدولة منصور بن نظام الدين بن نصر الدولة».

(٣) في تاريخ الفارقي: «بنت عمه الأمير سعيد بن نصر الدولة».

وأصلهم من بلد العَريش[1] التي كانت في أوّل رمل مصر. وكان المعتمِد عالماً ذكياً شاعراً عادلاً في الرعيّة؛ كان من محاسن الدنيا.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وست أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وآثنتا عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثانية من خلافة المستعلي أحمد على مصر

وهي سنة تسع وثمانين وأربعمائة.

فيها حكم المنجِّمون بأن يكون طوفان مثل طوفان نوح عليه السلام. فسأل الخليفة آبن عَيْسون المنجّم، فقال: أخطأ المنجِّمون، طوفان نوح قد آجتمع في برج الحوت الطوالعُ السبعة، والآن قد آجتمع فيه ستة، زحل لم يجتمع معها؛ ولكنّي أقول: إنّ بقعة من البِقاع يجتمع بها عالم من بلاد كثيرة فَيَغْرَقون. فقيل: ما ثَمّ أكبر من بغداد، ويجتمع فيها ما لا يجتمع في غيرها، وربّما كانت هي؛ فقال آبن عَيْسون: لا أدري غير ما قلت. فأمر الخليفة بإحكام المُسَنَّيَات[2] وسدّ الفروج، وكان الناس يتوقّعون الغَرق؛ فوصل الخبر بأن الحاجّ نزلوا في وادٍ عند نخلة[3]، فأتاهم سيل عظيم وأخذ الجميع بالجمال والرجال، وما نجا منهم إلّا من تعلّق برؤوس الجبال. فخلع الخليفة على آبن عَيْسون وأجرى له الجراية وأمِن الناس.

وفيها ورد كتاب المستعلي صاحب مصر وكتاب وزيره الأفضل أمير الجيوش إلى رِضوان بن تُتُش السلْجوقيّ بالدخول في الطاعة. فأجاب وخطب للمستعلي صاحب الترجمة.

(١) العريش: مدينة مصرية قديمة، تقع على شاطىء البحر الشامي (المتوسط) بقرب نهاية الحد الشرقي للأراضي المصرية.

(٢) هي سدود تبنى لحبس الماء.

(٣) المراد بها «نخلة محمود». وهو موضع بالحجاز، قريب من مكة. وهي المرحلة الأولى للصادر عن مكة. (معجم البلدان).

وفيها خرج العسكر المصري إلى الساحل ونزل على صُور وفتحوها عَنوةً، وأخذوا منها أموالاً عظيمة، وكان بها رجل يُعرف بالكُتيلة[١]، فأُسِر وحُمِل إلى مصر.

وفيها سار الأفضل أمير الجيوش المذكور من مصر بالعساكر إلى القدس، وكان به سَكْمان بن أُرْتُق وأخوه إيلغازي؛ فحصر البلد ونصب عليها المجانيق وقاتلهم أربعين يوماً؛ وأرسل أهل القدس فواطؤوه على فتح الباب، وطلبوا منه الأمان فأمّنهم وفتحوا له الباب، وخرج سَكمان من باب آخر ومضى إلى الرُّها، ومضى أخوه إيلغازي إلى بغداد. وهما أول ملوك الارْتُقيّة ظهوراً.

وفيها تواترت الأخبار بخروج ملك الروم من بلاد الروم بقصد البلاد الشاميّة.

وفيها قُتِل رِضوان ابن تاج الدولة تُتُش السلجوقيّ وقُتِل ولده ونُهِبت داره. وكان ظالماً فاتكاً. كان استوزر أبا الفضل بن الموصلي مشير الدين.

وفيها تُوفّي عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله، أبو حكيم الخَبْرِيّ ــ وخَبْر: إحدى بلاد فارس ــ وهو جدّ [أبي][٢] الفضل بن ناصر لأبيه[٣]. تفقّه على أبي إسحاق الشيرازيّ وبرَع في الفرائض، وله فيها مصنّف. وكان فقيهاً صالحاً حسن الطريقة.

وفيها تُوفّي عبد الرزّاق بن عبد الله بن المُحَسِّن، أبو غانم التَّنُوخيّ المَعَرّيّ. كان فاضلاً شاعراً. ومن شعره في كوز فُقّاع[٤]: [الوافر]

ومحبوس بلا ذنب جناه ... له سجنٌ بباب من رَصاص
يُضَيّق بابه خوفاً[٥] [عليه] ... ويُوثَق بعد ذلك بالعِفاص[٦]

---

(١) في ابن الأثير: «كتيلة». وكان أظهر العصيان على المستعلي وخرج عن طاعته. وقد حمل إلى مصر فقتله الأفضل (ابن ميسَّر). وهذا الخبر والذي قبله أوردهما ابن ميسّر في حوادث سنة ٤٩٠هـ.

(٢) زيادة عن المنتظم.

(٣) في عقد الجمان: «لأمه».

(٤) الفقاع: شراب مسكر يتخذ من الشعير.

(٥) زيادة من طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان.

(٦) العفاص: غلاف يغطى به رأس القارورة.

إذا أطلقتَه خرج آرتقاصا وقبل فاك من فرح الخَلاص

وفيها توفّي منصور بن محمد بن عبد الجبّار، الشيخ أبو المظفّر السمعانيّ، جدّ أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور صاحب «الذيل»[1]. وكان أبو المظفّر هذا من أهل مَرْو، وتفقّه على مذهب أبي حنيفة حتى برَع، ثمّ ورد بغداد وآنتقل لمذهب الشافعيّ لمعنى من المعاني، ورجع إلى بلده فلم يقبلوه وقام عليه العوامّ، فخرج إلى طُوس، ثم قصد نيسابور. وصنّف «التفسير» و«البرهان» و«الاصطلام»[2] و«القواطع في أصول الفقه» وغير ذلك. ومات في شهر ربيع الأول بمرو.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القدّيم أربع أذرع وسبع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ثلاث[3] عشرة ذراعاً وسبع عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثالثة من خلافة المستعلي أحمد على مصر

وهي سنة تسعين وأربعمائة.

فيها أخذت الفرنج نِيقِيَة وهي أوّل بلد أخذوه، ثم [فتحوا حصون الدورب][4] شَيئاً بعد شيء، كما ذكرناه مفصّلاً في أوّل ترجمة المستعلي هذا.

وفيها توفّي المعمَّر[5] بن محمد بن المعمَّر بن أحمد بن محمد، أبو الغنائم الحسينيّ[6] الطاهر ذو المناقب نقيب الطالبيّين. مات بالكَرْخ، فحمِل إلى مقابر

---

(١) هو ذيل على تاريخ بغداد للخطيب. وهو أيضاً صاحب كتاب الأنساب.

(٢) «الاصطلام» في الردّ على أبي زيد الدبّوسي. وأبو زيد الدبوسي هو عبد الله بن عمر بن عيسى المتوفى سنة ٤٣٠هـ ، وهو أول من وضع علم الخلاف وأبرزه إلى الوجود.

(٣) من المعروف أن هذا المنسوب المنخفض لماء النيل يؤدي إلى القحط ويرافقه عادة الغلاء والجوع، وقد أشار إلى ذلك ابن ميسّر في بداية أخبار سنة ٤٩٠هـ .

(٤) زيادة من طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان.

(٥) كذا أيضاً في المنتظم وعقد الجمان. وفي ابن الأثير: «النقيب الطاهر أبو الغنائم محمد بن عبد الله». وفي أعيان الشيعة: «عز الشرف أبو الغنائم معمر بن عدنان بن عبد الله بن المختار الحسيني الكوفي النقيب».

(٦) في الأصل «الحسني». والتصحيح عن المنتظم وعقد الجمان وأعيان الشيعة.

قريش فدفن بها. وكان من كِبار الشيعة. وولي النقابة بعده ولدُه أبو الفتوح حيدرة، ولقّب بالرضيّ ذي الفخرين.

وفيها تُوفّي نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم، أبو الفتح الفقيه القدسيّ الشافعيّ. أصله من نابُلس، وأقام بالقدس مدّة ودرس بها. وكان فقيهاً عابداً زاهداً ورِعاً. مات في المحرّم من هذه السنة.

وفيها تُوفّي يحيى بن أحمد السِّيبيّ[1]. مات في شهر ربيع الآخر وعاش مائة وثلاثاً وخمسين سنة وثلاثة أشهر وأياماً؛ وكان صحيح الحواسّ، يُقرأ عليه القرآن، ويُسمع الحديث، ورحل الناس إليه. وكان ثقة صالحاً صدوقاً.

وفيها قُتِل الملك أرسلان أَرْغون[2] ابن السلطان أَلْب أرْسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقماق السلجوقيّ بمرو؛ كان قد حكم على خُراسان. وسبب قتله أنه كان مؤذياً لغِلمانه جبّاراً عليهم؛ فوثب عليه رجل منهم فقتله بسكّين. وكان قد ملك مَرْو ونيسابور وبَلْخ وتِرْمذ، وأساء السيرة وخرّب أسوار مدن خُراسان، وصادر وزيره عِماد الملك ابن نظام الملك، وأخذ منه ثلاثمائة ألف دينار ثم قتله.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وإحدى عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع[3] عشرة ذراعاً وإصبع واحدة.

* * *

(١) نسبة إلى السِّيب، من سواد العراق. (أنساب السمعاني. وفيه أنه ولد سنة ٣٨٨هـ ومات في هذه السنة فيكون قد عاش حوالى مائة وستين) وفي شذرات الذهب: «السبتي» وفيه أيضاً أنه عاش مائة وستين.

(٢) في نهاية الأرب: «أرغو» وكذلك في أصول أخبار الدولة السلجوقية.

(٣) في كنز الدرر لابن أيبك: «١٦ ذراعاً و ٢١ إصبعاً».

السنة الرابعة من خلافة المستعلي أحمد على مصر

وهي سنة إحدى وتسعين وأربعمائة.

فيها تواترت الشِّكايات من الفرنج، وكتب السلطان بَرْكْيَارُوق السلجوقيّ إلى العساكر يأمرهم بالخروج مع عميد الدولة[١] للجهاد، وتجهّز سيف الدولة صَدَقة[٢]، وبعث مقدّماته إلى الأنبار. ثمّ وردت الأخبار إلى بغداد بأنّ الفرنج ملكوا أنطاكِيَة وساروا إلى مَعَرّة النعمان في ألف ألف إنسان، فقتلوا وسَبَوْا، حسب ما ذكرنا في أول ترجمة المستعلِي هذا.

وفيها عزل السلطان بَرْكْياروق وزيرَه مؤيّد[٣] الملك بن نظام الملك عن وزارته، واستوزر أخاه فخر الملك. وكان مؤيّد الملك في غاية من العقل والفضل وحسن التدبير؛ وفخر الملك بعكس ذلك كلّه. فلحق مؤيّد الملك بأخي بركياروق محمد بن ملكشاه، وأطمعه في الملك. وكان عزل مؤيد الملك بإشارة [مجد الملك][٤] القُمِّي المستوفي.

وفيها خرج محمد بن ملكشاه المذكور على أخيه بركياروق. وكان لملكشاه عدّة أولاد، منهم بركياروق السلطان بعده وأمّه زبيدة، ومحمود وأمه خاتون، ومحمد شاه هذا الذي خرج، وسنجر؛ ومحمد وسنجر هما أخوان لأب وأم. وكان محمد هذا رباه أخوه بركياروق وأقطعه كَنْجَة[٥] وأعمالها، ورتّب معه شخصاً كالأتابك،

---

(١) في الأصل «عميد الملك». وما أثبتناه من طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان. وهو محمد بن محمد بن محمد بن جهير المتوفى سنة ٤٩٢هـ.

(٢) هو أبو الحسن صدقة بن بهاء الدولة منصور بن دبيس. كان يقال له ملك العرب. وكان ذا بأس وسطوة وهيبة. قتل سنة ٥٠١هـ عند النعمانية في مواجهة مع السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي. (وفيات الأعيان: ٢/٤٩٠ وأخبار الدولة السلجوقية: ٨٠ ــ ٨١).

(٣) هو عبيد الله بن نظام الملك، كما في أخبار الدولة السلجوقية.

(٤) زيادة من طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان.

(٥) كنجة: مدينة عظيمة، وهي قصبة بلاد أرّان. ويقال لها أيضاً «جنزة». وهي بين خوزستان وأصبهان. (معجم البلدان).

وآسمه أيضاً محمد[١]؛ فوثب عليه محمد شاه وقتله لكونه كان يحجُز عليه، ولا يبتّ أمراً حتى يراجع بركياروق. ووافق ذلك مجيء مؤيّد الملك بن نظام الملك إليه، فجرت له مع أخيه بركِياروق حروب ووقائع.

وفيها توفّي طَرّاد بن محمد بن عليّ أبو الفوارس الزينبيّ العباسيّ الهاشميّ. هو من ولد زينب بنت سليمان بن عليّ بن عبد الله بن عباس. وُلد سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، وسمع الكثير، ورُحل الناس إليه من الأقطار، وأملى بجامع المنصور، وحج سنة تسع وثمانين وأربعمائة، وأملى بمكة والمدينة، وولي نقابة العباسيّين بالبصرة، وكانت له رياسة وجلالة. ومات في شوّال وقد جاوز تسعين سنة.

وفيها توفّي نصر بن عليّ بن المُقلَّد بن نصر بن مُنْقذ، أبو المرهف الكِنانِيّ، عزّ الدولة. ملَكَ شَيْزَر بعد أبيه، وقام بتربية إخوته أحسن قيام. وفيه يقول أبوه عليّ بن المقلّد من قصيدة: [الطويل]

جزى الله نصراً خير مَا جُزِيتْ به ... رجال قَضَوْا فرضَ العُلاَ وتَنَفَّلُوا

ومنها:

سألقاكَ يوم الحشرِ أبيضَ واضحاً ... وأشكر عند الله ما كنتَ تفعل

ومنها:

إلى الله أشكو من فِراقك لَوْعةً ... تَوَقَّدُ في الأحشاء ثم تَرَحَّلُ

ومن شعر نصر هذا: [الخفيف]

كنت أستعمل البياض من الأمـ ... ـشاط عُجْباً بِلمَّتِي وشبابي
فآتّخذت السواد في حالة الشّيْـ ... ـب سُلُوًّا عن الصِّبا بالتَّصابي

وفيها تُوفي الحافظ أبو العباس أحمد بن بِشْرَوَيْه الأصبهانيّ الإمام المحدّث.

(١) في نهاية الأرب للنويري: ٣٤١/٢٦ أن اسمه «فيلغ تكين».

مات وله ست وتسعون سنة. وكان إماماً حافظاً؛ سمع الحديث وروى عنه غير واحد؛ وكان من أئمة المحدثين. رحمه الله تعالى.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وثماني عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وست عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الخامسة من خلافة المستعلي أحمد على مصر

وهي سنة آثنتين وتسعين وأربعمائة.

فيها آستولى الفرنج على بيت المقدس في يوم الجمعة ثالث عشر شعبان، حسب ما ذكرناه في ترجمة المستعلي هذا.

وفيها تُوفّي السلطان إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكِين صاحب غزْنَة وغيرها من بلاد الهند. كان ملِكاً عادلاً مُنصفاً منقاداً إلى الخير كثير الصدقات؛ كان لا يَبْنِي لنفسه مكاناً حتى يَبْنِي لله مسجداً أو مدرسة. قال الفقيه أبو الحسن الطَّبَرِيّ: أرسلني إليه بَركيَاروق في رسالة، فرأيت في مملكته ما لا يتأتّى وصفه. ومات في شهر رجب وقد جاوز السبعين. وأقام ملِكاً نيّفاً وأربعين سنة.

وفيها تُوفّي الشيخ عبد الباقي بن يوسف بن عليّ بن صالح، أبو تراب المَرَاغيّ، الفقيه الشافعيّ. كان إماماً فقيهاً زاهداً مدرّساً. مات في ذي القعدة عن آثنتين وتسعين سنة، وقد آنتهت إليه رياسة العلم بنيسْابور.

وفيها تُوفّي عليّ بن الحسن بن الحسين بن محمد، القاضي أبو الحسن المَوْصليّ الأصل المصريّ الفقيه الشافعيّ المعروف بالخِلْعِيّ. وُلد بمصر في أوّل سنة خمس وأربعمائة، وسمع الحديث الكثير ورواه، وكان مسْنِد الديار المصريّة في وقته. ومات في ذي الحجة.

وفيها توفّي الحافظ أبو القاسم مَكيّ بن عبد السلام الرُّمَيْليِّ ببيت المقدس

شهيداً حين أخذته الفرنـج في شعبان؛ وٱسْتُشْهِد به عالَم لا يحصى. وكان إماماً محدّثاً حافظاً.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ست أذرع وٱثنتان وعشرون إصبعاً. مبلـغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وأربـع عشرة إصبعاً.

* * *

السنة السادسة من خلافة المستعلي أحمد على مصر

وهي سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة.

فيها عادت الخطبة ببغداد باسم بَرْكْيَاروق بعد الخليفة، وكان بَطَل ٱسمه وخُطب لأخيه محمد شاه؛ وهذا بعد أن وقـع بينهما حروب إلى أن ملك بركياروق وأخرج أعوان محمد شاه من بغداد.

وفيهـا تُوفّي عبـد الله بن أحمد بن عليّ بن صابـر، أبـو القـاسم السلميّ الدمشقيّ، ويعرف بابن سيده. وُلِد سنة ٱثنتين وخمسين وأربعمائة، ومات في شهر ربيـع الآخر بدمشق. وأنشد: [الوافر]

صبـراً لحكمـك أيّهـا الـدهـرُ لـك أن تجـور ومنّيَ الصبُـر
آليتُ لا أشكـوك مجتهـداً حـتى يَـرُدَّك مَن لـه الأمـرُ

وفيها[١] تُوفّي محمـد بن سلطان بن محمد بن حيُّـوس، أبو الفتيـان الأمير الشاعر.

وُلِد سنة إحدى[٢] وأربعمائة، وهو من بيت الفضل والعلم والرياسة. ومات في شهر رجب وقد جاوز تسعين سنة. ومن شعره من قصيدة أوّلها: [الطويل]

---

(١) في الأعلام: ٦/١٤٧ أن وفاته سنة ٤٧٣هـ. ومصادره: وفيات الأعيان، والاعلام لابن قاضي شهبة، وسير النبلاء، والوافي بالوفيات، ومعاهد التنصيص، والكتبخانة، وديوان ابن حيّوس.

(٢) في ابن خلكان: «سنة ٣٩٤هـ».

لكم أن تجوروا مُعرضين وتَغْضَبوا وعادتُكم أن تَزْهَدوا حين تغضبوا
جنيتُم علينا وآعتذرنا إليكمُ ولولا الهوى لم يسأل الصَّفْحَ مذنبُ

وفيها تُوفّي الوزير محمد بن محمد [بن محمد](١) بن جَهِير، الصاحب شرف الدين عِمَيد الدولة. كان حسن التدبير، كافياً في المَهَام، شجاعاً جواداً عظيماً في الدول. وزر للخليفة القائم، ثم من بعده للمقتفي فعزله بأبي شجاع(٢)، ثم أعاده المستظهر فدبّر أموره ثماني سنين وأحد عشر شهراً وأربعة أيام. وكان له ترسّل بديع، وتوقيعات وجيزة وأشعار رقيقة. ومدحه شعراء عصره؛ وفيه يقول أبو منصور عليّ بن الحسن المعروف بصَرَّدُرّ الشاعر قصيدته العينية المشهورة التي أوّلها(٣): [الكامل]

قد بان عذرك والخليط مودِّع وهوى النفوس مع الهوادج يَرْفعُ

وفيها توفّي يحيى بن عيسى بن جَزَلَة، أبو عليّ المتطبِّب صاحب «المِنهاج»(٤) في الطب. كان نَصرانيّا يقرأ على أبي عليّ بن الوليد المعتزليّ، فلم يزل يدعوه إلى الإسلام حتى أسلم وحسن إسلامه. وآستخدمه أبو الحسن(٥) قاضي القضاة في كتب السِّجِلّات. وكان يَطُبّ أهل محلّته بغير عِوَض، ويعود الفقراء ويُحسِن إليهم. ووقف كتبه على مشهد أبي حنيفة ــ رضي الله عنه.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم عشر أذرع وستّ عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ثماني(٦) عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصبعاً.

* * *

(١) زيادة عن المنتظم وعقد الجمان والفخري وشذرات الذهب.

(٢) هو أبو شجاع، ظهير الدين، محمد بن الحسين الهمذاني. توفي سنة ٥١٣هـ. (الفخري: ٢٩٩).

(٣) ديوانه: ص ٦٧، وابن خلكان: ١٣٣/٥.

(٤) هو «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان» من الأدوية المفردة والمركبة. (كشف الظنون: ١٨٧٠/٢؛ وعلماء النصرانية في الإسلام: ٦٣).

(٥) في علماء النصرانية (عن تاريخ الحكماء للقفطي) والمنتظم وعقد الجمان والبداية والنهاية: «أبو عبد الله الدامغاني».

(٦) في كنز الدرر: «١٥ ذراعاً و١٥ إصبعاً».

السنة السابعة من خلافة المستعلي أحمد على مصر

وهي سنة أربع وتسعين وأربعمائة.

فيها قَتل السلطان بركياروق خلقاً من الباطنية[١]، وكانوا ثلاثمائة ونيّفاً، وكتب إلى الخليفة بالقبض على من آتّهم أنّه منهم.

وفيها آلتقى بَرْكْيَارُوق مع أخيه محمد شاه، وكان مع محمد شاه خمسة عشر ألفاً، ومع بركياروق خمسة وعشرون[٢] ألفاً؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً، قُتِل من الفريقين عدّة كبيرة؛ فانهزم محمد شاه وهرب وزيره مؤيّد الملك بن نظام الملك، فتبِعه غلمان بركياروق وأخذوه وجاؤوا به إلى بركياروق، فقام وضرب عُنُقَه بيده. ومضى محمد شاه وآستجار بأخيه سنجر شاه؛ فأرسل سنجر شاه إلى بركياروق يسأله فيه؛ فقال بركياروق: لا بدّ أن يطأ بساطي. ثم وقع أمور؛ وآنتصر سنجر شاه لأخيه محمد شاه، ولا زال حتّى دخل محمد بغداد وخُطب له بها، وتوجّه بركياروق إلى واسط[٣].

وفيها أخذ الفرنج جَبَلَة من بلاد الساحل وأَرْسُوف[٤] وقَيْسارِيّة بالسيف.

---

(١) المراد بهم الإسماعيلية. انظر ابتداء أمرهم وما استولوا عليه من القلاع في ذلك الوقت في نهاية الأرب: للنويري: ٢٦/٣٥١ ـ ٣٥٥.

(٢) في نهاية الأرب: «وكان مع كل واحد منهما خمسة عشر ألف فارس».

(٣) استمرت المواجهات العسكرية متقطعة بين بركياروق وأخويه محمد وسنجر من سنة ٤٩٢هـ إلى سنة ٤٩٧هـ حيث مات بركياروق. وهذه المواجهات شغلت بركياروق طوال مدة سلطنته. وعلى حد قول النويري «وشغله حرب عمّه وإخوته عن حروب أعدائه، ولم يفعل شيئاً غير قتله للباطنية». وكان من الأفضل إيراد تلك المواجهات في سياق واحد؛ غير أن مقتضيات السَّرد الحولي تجعل الأخبار متقطعة السياق، وهو من سيئات هذا المنهج.

(٤) أرسوف: بلدة على ساحل البحر المتوسط شمالي قرية الحرم التي تقع على بعد سبعة كيلومترات شمالي يافا. وهي واحدة من المدن التي شادها العرب الكنعانيون على الساحل. ويحتمل أنهم اشتقوا اسمها من الإله «رشف» الذي كانوا يعبدونه. (الموسوعة الفلسطينية: ١/١٦٨) وقد جاء في الموسوعة الفلسطينية أن أرسوف صمدت في هذه السنة في وجه الحملة التي وجهها غودفري دي بويون ملك بيت المقدس، وردّت الصليبيين على أعقابهم. بل إن ارتداد الصليبيين عنها في هذه السنة شجع أهل أرسوف على شنّ الغارات على الفرنجة. وقد سقطت أرسوف في يد الصليبيين سنة ٤٩٥هـ في أيام بغدوين الأول الذي نصب خلفاً لغودفري دي بويون على بيت المقدس.

وفيها تُوفِّي محمد بن منصور، أبو سعد، شرف الملك المستوفي الخُوَارَزْمِيّ. كان جليل القدر فاضلاً نبيلاً متعصِّباً لأصحاب أبي حنيفة ــ رضي الله عنه ــ وهو الذي بَنَى على أبي حنيفة القُبّة والمدرسة الكبيرة بباب الطّاق ــ وقد قدّمنا ذكره في وفاة أبي حنيفة في هذا الكتاب ــ وبنى أيضاً مدرسة بمرو، ووقف فيها كتباً نفيسة، وبنى الرِّباطات في المفاوز، وعمل خيرات كثيرة. ثم انقطع في آخر عمره. وبذل لملكشاه مائة ألف دينار حتى أعفاه من الخدمة. ومات بأصبهان في جُمادى الآخرة.

وفيها قُتِل أبو المحاسن[١] وزير بركياروق. كان قد نَقَم على أبي سعد[٢] فركب بعد ذلك وسار على باب أصبهان، فوثب عليه غلام أبي سعيد الحدّاد فقتله وأخذ بثأر أستاذه. فأمر بركياروق بسلخ الغلام فَسُلِخ وعُلِّق.

وفيها تُوفِّي الشيخ أبو الحسن عليّ بن أحمد بن الأخرم[٣] المَدِينيّ المؤذِّن. كان أماماً محدّثاً فاضلاً. مات في المحرّم وله تسع وثمانون سنة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ست أذرع وثماني عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وسبع أصابع.

* * *

السنة التي حكم في أوّلها المستعلي أحمد ثم الآمر ولده.

وهي سنة خمس وتسعين وأربعمائة.

فيها جلس الخليفة المستظهر بالله أحمد العباسيّ لمحمد شاه وسنجر شاه آبني ملكشاه جلوساً عامّاً ودخلا عليه وقبلا الأرض له، فأدناهما وأفاض عليهما الخلع،

---

(١) في ابن الأثير هو أبوالمحاسن عبد الجليل بن علي بن محمد الداهستاني (حوادث سنة ٤٩٣هـ) وفي نهاية الأرب: ٣٤٤/٢٦ هو أبو المحاسن بن عبد الجليل بن علي الدهشاني.

(٢) في ابن الأثير: «أبو سعيد».

(٣) في شذرات الذهب: «علي بن أحمد بن الأحزم» بالحاء المهملة والزاي المعجمة.

وتوجهما وطوّقهما وسوّرهما، وقرأ الخليفة: ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللهِ جَمِيعاً...﴾ الآية. ثم خرجا إلى قتال أخيهما بَرْكيارُوق؛ فوقع بينهما وقائع وحروب أسفرت عن نُصرة بركياروق وانهزام محمد شاه.

وفيها قبض بركياروق على الكِيا الهرّاسيّ[1] الفقيه الشافعيّ، لأنه بلغه عنه أنه باطنيّ شِيعيّ؛ فكتب الخليفة إليه ببراءة ساحته وحسن عقيدته ودينه، فأطلقه.

وفيها كانت وفاة صاحب الترجمة المستعلِي بالله أحمد، كما تقدّم ذكره في ترجمته.

وفيها توفّي حسين بنُ ملاعب، جَنَاح الدولة صاحب حِمْص. كان أميراً مجاهداً شجاعاً يباشر الحروب بنفسه. دخل جامع حِمْص يوم الجمعة فصلّى الجمعة، فوثب عليه ثلاثة من الباطنيّة فقتلوه. وكان سبب قتله أنه كان عند رِضوان بن تُتُش ملك حلب منجِّم باطنيّ، وهو أوّل من أظهر مذهب الباطنيّة بالشام، فندب لقتل جنَاح الدولة هذا أولئك النفر. ثم قُتِل المنجم بحلب بعد ذلك بأربعة عشر يوماً.

وفيها تُوفّي الشيخ أبو العلاء صاعد بن سَيّار الكِنانِيّ الهَرَوِي الفقيه العالم المشهور. كان إماماً فقيهاً مُفْتياً مدرّساً صالحاً ثقة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وثماني أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وثلاث عشرة إصبعاً.

(١) هو علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، المعروف بالكيا الهرّاسي ــ انظر ترجمته في وفيات سنة ٥٠٤هـ من هذا الجزء.

ذكر خلافة الآمر[1] بأحكام الله على مصر

الآمر آسمه منصور، وكنيته أبو عليّ، ولقبه الآمرُ بأحكام الله بن المستعلي بالله أبي القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبي تميم مَعَدّ بن الظاهر بالله عليّ بن الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله نِزار بن المعزّ لدين الله معدّ بن المنصور إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن المهديّ عُبَيْد الله العُبَيْديّ الفاطميّ، السابع من خلفاء مصر من بني عبيد والعاشر منهم ممن ملك بالمغرب.

قال الحافظ أبو عبد الله شمس الدِّين محمد الذهبيّ في تاريخ الإسلام:

«كان رافضيّاً كآبائه فاسقاً ظالماً جبّاراً متظاهراً بالمنكَر واللّهو، ذا كِبْر وجبروت؛ وكان مدبِّر سلطانه الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش. ولي الآمر وهو صبيّ فلما كبِر قتل الأفضل وأقام في الوزارة المأمون أبا عبد الله محمد بن مختار بن فاتك البطائحِيّ، فظلم وأساء السِّيرة إلى أن قَبَض عليه الآمر سنة تسع عشرة وخمسمائة، وصادره ثم قتله في سنة آثنتين وعشرين وصلبه، وقتل معه خمسة من إخوته. وفي أيّام الآمر أخذ الفرنج عكّا سنة سبع وتسعين وأربعمائة، وأخذوا طرابُلس[2] في سنة آثنتين وخمسمائة، فقتلوا وسَبَوْا، وجاءتها نجدة المصريّين بعد فوات المصلحة؛

(١) أخبار الآمر بأحكام الله في: أخبار الدول المنقطعة لابن ظافر الأزدي: ص٨٧ ــ ٩٣؛ وخطط المقريزي: ٣٥٧/١ و٢٩٠/٢؛ وابن خلكان: ٢٩٩/٥ ــ ٣٠٢؛ ومجموعة الوثائق الفاطمية لجمال الدين الشيال: ٤١ ــ ٩٧ و١٩٣ ــ ٢٣٠؛ وأخبار مصر لابن ميسَّر: ٧٠ ــ ١١٢؛ وحسن المحاضرة: ١٩/٢؛ وأخبار مصر لابن المأمون: ٣ ــ ٨٠ (منتقى من المقريزي والنويري).

(٢) في الذهبي: «وأخذوا طرابلس والشام». ولعل الصواب «أخذوا طرابلس الشام» تمييزاً لها عن طرابلس الغرب.

وأخذوا عِرْقَة[١] وبانْيَاس. وتسلّموا في سنة إحدى عشرة وخمسمائة تِبْنِين[٢] وتسلّموا صُور سنة ثماني عشرة، وأخذوا بيروت بالسيف في سنة ثلاث وخمسمائة، وأخذوا صَيْداء[٣] سنة أربع وخمسمائة. ثم قصد الملِك بردويل الإفرنجيّ مصر ليأخذها، ودخل الفَرَما[٤] وأحرق جامعها ومساجدها؛ فأهلكه الله قبل أن يصل إلى العريش[٥]. فشقّ أصحابه بطنه وصبَّروه، ورمَوْا حُشْوَته[٧] هناك؛ فهي تُرْجَم إلى اليوم بالسبخة[٨]، ودفنوه بُقمامَة[٨]. وهو الذي أخذ بيت المقدس وعكا وعدّة

(١) عرقة أو عرقا: من أعمال عكار في منطقة لبنان الشمالي.

(٢) تبنين: قرية في جبل عاملة (جنوبي لبنان اليوم). وقد بنى الصليبيون فيها قلعة حصينة سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م لتكون منطلقاً لهم لحصار مدينة صور.

(٣) صيداء: مدينة قديمة على الساحل اللبناني، شمالي مدينة صور، في منتصف الطريق الساحلي بينها وبين بيروت.

(٤) الفرما: كانت مدينة من حصون مصر القديمة واقعة في الجهة الشرقية من بحيرة المنزلة بالقرب من شاطىء البحر الأبيض المتوسط. وبعد حفر قناة السويس أصبحت الفرما واقعة في الجهة الشرقية منه وعلى بعد ٣٥ كيلومتراً من مدينة بورسعيد. وكانت الفرما حصناً من حصون مصر القديمة أكثر مما هي مدينة وكان بها على الدوام من عهد الفراعنة قوة عسكرية للمحافظة على حدود مصر الشرقية وفي أثناء الحرب الصليبية نزل الفرنج على الفرما في سنة ١١٥٠م ونهبوا أهلها ثم أحرقوها وفي سنة ١١٦٣م أكمل حرقها الوزير أبو شجاع شاور بن مجير السعدي وزير العاضد عبد الله بن يوسف الفاطمي بسبب النزاع الذي وقع بينه وبين أبي الأشبال ضرغام بن سوار اللخمي الذي كان مزاحماً له في الوزارة. ومن تلك السنة أصبحت الفرما خراباً لم تعمر بعد ذلك وأطلالها قائمة شرقي محطة الطينة (احدى محطات سكة الحديد بين بور سعيد والقنطرة) وعلى بعد ٣٥ كيلومتراً منها. (محمد رمزي).

(٥) العريش: مدينة قديمة واقعة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط قرب نهاية الحدّ الشرقي لأرض مصر الذي ينتهي من الجهة الشمالية بقرب رفح الواقعة على رأس الحدّ الفاصل بين مصر وفلسطين. وبين العريش ورفح ٤٥ كيلومتراً. وكانت العريش من ثغور مصر ثم جعلت محافظة وبها من قديم قوّة عسكرية لوقوعها قرب حدود مصر الشرقية. وبسبب الحرب الأوروبية العامة التي وقعت بين سنتي ١٩١٤ و١٩١٨ أنشأت الحكومة في أول سنة ١٩١٧ مصلحة لأقسام الحدود المصرية فكان من محافظاتها محافظة سينا وجعل مركزها العريش، ولم تزل محل إقامة المحافظ إلى اليوم. ويقيم بها فرقة من فرق الجيش المصري. (محمد رمزي).

(٦) الحشوة (بالكسر والضم): الأمعاء.

(٧) هي سبخة بردويل، ويقال لها بحيرة البردويل واقعة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط شرقي بور سعيد وعلى بعد ٩٠ كيلومتراً منها. وهي لم تزل موجودة إلى اليوم، وتمتدّ في المنطقة الواقعة شمالي سكة حديد القنطرة والعريش بين محطتي بئر العبد والمزار. (محمد رمزي).

(٨) أي كنيسة القيامة في بيت المقدس.

حصون من السواحل. وهذا كله بتخلّف هذا المشؤوم الطلعة. وفي أيامه ظهر آبن تُومَرت بالغرب.

ووُلِد الآمر في أوّل سنة تسعين وأربعمائة، وآستخلف وله خمس سنين،[١] وبقي في الملك تسعاً وعشرين سنة وتسعة أشهر، إلى أن خرج من القاهرة يوماً في ذى القعدة وعدّى على الجسر[٢] إلى الجزيرة؛[٣] فكَمَن له قوم بالسلاح. فلما عَبرَ

---

(١) وكتب ابن الصيرفي الكاتب السجلّ بانتقال المستعلي وولاية الآمر، وقرىء على رؤوس كافة الأجناد والأمراء. (انظر نصّ هذا السجلّ الطويل في حسن المحاضرة: ٢/١٩ ــ ٢٢).

(٢) الجسر: المقصود به هنا القنطرة التي يعبر عليها الناس والدواب. قال المقريزي عند الكلام على الجسور (ص ١٧٠ ج ٢ من خططه): كان فيما بين ساحل مصر وبين جزيرة الروضة جسر من خشب، وكذلك فيما بين الروضة وبر الجيزة جسر آخر من خشب، وكان هذان الجسران من مراكب مصطفة بعضها بحذاء بعض وهي موثقة، ومن فوقها أخشاب ممتدّة فوقها تراب، وكان عرض الجسر ثلاث قصبات وذلك لمرور الناس والدواب من مصر إلى الروضة ومن الروضة إلى الجيزة. ثم قال: وكان رأس هذا الجسر حيث المدرسة الخروبية البدرية التي أنشأها بدر الدين محمد بن محمد الخروبي التاجر على ساحل مصر قبلي خط دار النحاس (دير النحاس). وأقول: وقد عرفت هذه المدرسة فيما بعد باسم جامع القبوة لأنه كان معلقاً على قبو في مدخل شارع القبوة الحالي بمصر القديمة. وقد زال هذا الجامع ولم يبق من آثاره إلا أحد حائطي القبو من يمين الداخل من شارع القبوة. ومن هذا الوصف يتبين أن رأس الجسر المذكور من الجهة الشرقية كان واقعاً على ساحل النيل بمصر القديمة تجاه شارع القبوة. وفي وقتنا الحاضر قد حل محل هذا الجسر كُبري الملك الصالح وكبري عباس الثاني في مكان آخر شمال مكان الجسر المذكور. (محمد رمزي).

(٣) الجزيرة: المراد بها جزيرة الروضة، وهذه الجزيرة واقعة في مجرى النيل بين مصر القديمة ومنطقة القصر العالي من الجهة الشرقية للنيل وبين بندر الجيزة وشاطىء النيل الغربي من الجهة الغربية. وقد عرفت في أول الاسلام بالجزيرة لوقوعها في مجرى النيل، وبجزيرة مصر، وبجزيرة الفسطاط لوقوعها تجاه مدينة مصر (الفسطاط). ثم قيل لها جزيرة المقياس حيث يوجد بها مقياس النيل الذي أنشأه أسامة بن يزيد التنوخي العامل على خراج مصر بأمر الخليفة سليمان بن عبد الملك الأموي سنة ٩٧هـ. ويقع المقياس في نهاية الجزيرة من الجهة الجنوبية تجاه جامع البربري بمصر القديمة، وعرفت أيضاً باسم جزيرة الحصن حيث كان بها الحصن الذي بناه الأمير أحمد بن طولون سنة ٢٦٣هـ، ثم عرفت أيضاً بعد ذلك باسم جزيرة الروضة نسبة إلى البستان الذي أنشأه في نهايتها البحرية الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي في سنة ٤٩٠هـ وسماه «الروضة». ومن ذاك الوقت إلى اليوم صارت الجزيرة تعرف كلها باسم جزيرة الروضة. وهي اليوم من توابع مدينة القاهرة وقد أقيم في نهايتها البحرية، محل بستان الروضة، مستشفى فؤاد الأول، وبها بلدة منيل الروضة، وكانت أراضيها من عهد قريب مخصصة للزراعة إلا أنه قد تحول جزء عظيم من تلك الأراضي إلى أرض للبناء أقيم عليها كثير من الدور والقصور وبعد قليل =

نزلوا عليه بأسيافهم، وكان في طائفة يسيرة، فردّوه[١] إلى القصر وهو مُثْخَن بالجِراح، فهلَكَ من غير عقب. وهو العاشر من أولاد المهديّ عُبَيد الله الخارج بسِجِلْماسَة. وبايعوا بالآمر آبن عمه الحافظ أبا الميمون عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بالله. وكان الآمر رَبْعَةً، شديد الأدمة، جاحظ العينين، حسن الخط، جيّد العقل والمعرفة. وقد آبتُهج بقتله لِفِسْقه وسَفْكه للدماء وكثرة مصادرته وآستحسانه الفواحش. وعاش خمساً وثلاثين سنة. وبنى وزيره المأمون بالقاهرة الجامع الأقمر[٢]». اِنتهى كلام الذهبيّ برمّته. ونذكر إن شاء الله قتله وأحواله بأوسع مما قاله الذهبيّ من أقوال جماعة من المؤرّخين أيضاً.

وقال العلّامة أبو المظفّر من مرآة الزمان:

«لما كان يوم الثلاثاء ثالث ذي القعدة خرج من القاهرة (يعني الآمر) وأتى الجزيرة وعَبَر بعض الجسر، فوثب عليه قوم فلعَبوا عليه بالسيوف ــ وقيل: كانوا غِلمان الأفضل[٣] ــ فُحمِل في مركَب إلى القصر فمات في ليلته، وعمره أربع وثلاثون سنة ــ وزاد غيره فقال: وتسعة أشهر وعشرون يوماً ــ وكانت أيامه أربعاً وعشرين سنة وشهراً.

قلت: وهِمَ صاحب مرآة الزمان في قوله: «وكانت مدّته أربعاً وعشرين سنة وشهراً». والصواب ما قاله الذهبيّ، فإنّه وافق في ذلك جمهور المؤرخين. ولعل الوهم يكون من الناسخ. وما آفة الأخبار إلاّ رُواتها.

قال (أعني صاحب مرآة الزمان): ومولده سنة تسعين وأربعمائة. قلت: وزاد

= من الزمن تصبح كلها مباني. وبها مقياس النيل المستعمل الآن لمقاس ارتفاع مياه النيل، وقسمت أراضيها إلى جملة شوارع أطولها شارع النيل الذي يخترقها من الشمال إلى الجنوب وشارع الروضة الذي يقطعها من الشرق إلى الغرب بين كُبري الملك الصالح وكُبري عباس الثاني. (محمد رمزي).

(١) في الأصل: «فردوا به إلى القصر» وقد أثبتنا ما ورد في تاريخ الاسلام للذهبي.

(٢) الجامع الأقمر: هذا الجامع أنشأه الآمر بأحكام الله سنة ٥١٩هـ. ولم يزل هذا الجامع قائم الشعائر إلى اليوم سنة ١٣٥٣هـ بشارع النحاسين بقسم الجمالية بالقاهرة. (محمد رمزي).

(٣) ذكر ابن ميسّر أن الذين وثبوا عليه بالسيوف كانوا جماعة من النزارية. (أخبار مصر: ص ١١٠).

غيره وقال: في يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرّم. قال: وكانت سِيرته قد ساءت بالظلم والعسْف والمصادرة. قال: ولمّا قُتِل الآمر وثب غلام له أرمنيّ فآستولى[1] على القاهرة، وفرّق الأموال في العساكر، وأراد أن يتآمر على الناس؛ فخالفه جماعة ومضوا إلى أحمد بن الأفضل (يعني الوزير) فعاهدوه وجاؤوا به إلى القاهرة، فخرج الغلام الأرمنيّ فقتلوه، وولّوا أبا الميمون عبد المجيد بن محمد بن المستنصر، وولي الخلافة، ولقّبوه بالحافظ؛ ووزر له أبو عليّ أحمد بن الأفضل بن أمير الجيوش، وسمّاه أمير الجيوش. فأحسن إلى الناس، وأعاد إليهم ما صادرهم به الآمر وأسقطه؛ فأحبّه الناس؛ فحسده مقدّمو الدولة فآغتالوه. وقيل: إنّ الآمر لم يخلّف ولداً وترك آمرأة حاملاً؛ فماج أهل مصر وقالوا: لا يموت أحد من أهل هذا البيت إلّا ويخلّف ولداً ذَكَراً، منصوصة عليه الإمامة؛ وكان قد نصَّ على الحَمْل قبل موته، فوضعت الحامل بنتاً، فعدَلوا إلى الحافظ؛ وآنقطع[2] النّسل من الآمر وأولاده. وهذا مذهب طائفة من شِيعة المصريّين؛ فإنّ الإمامة عندهم من المستنصر إلى نِزار. وكان نقش خاتم الآمر هذا «الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين». وآبتهج الناس بقتله. انتهى كلام صاحب مرآة الزمان أيضاً برمّته.

قلت: ونذكر إن شاء الله قِتْلَةَ الآمر هذا بأوسع من هذا في آخر ترجمته بعد أن نذكر أقوال المؤرّخين في أمره.

---

(١) ذكر السيوطي في حسن المحاضرة: ٢٢/٢ أن هذا الغلام الأرمني استحوذ على الأمور ثلاثة أيام.

(٢) ذكر ابن ميسّر أنه في ربيع الأول سنة ٥٢٤هـ ولد للآمر ولد فسمّاه أبا القاسم الطيّب وجعله وليّ عهده. (أخبار مصر: ١٠٩) ويعد ابن ميسّر المصدر المصري الوحيد الذي ذكر ميلاد ولي عهد للآمر في حياته. ونقل عنه المقريزي في اتعاظ الحنفا والمقفى الكبير. ويؤيد الوجود التاريخي للإمام الطيب السجلّ الذي أرسله الخليفة الآمر إلى السيدة الحرّة الصليحية في اليمن يبشرها فيه بميلاد ابنه الطيب. واهتمت المصادر اليمنية الإسماعيلية بذكر تفصيل هذا الخبر فنقل عماد الدين إدريس نص هذا السجل عن عمارة اليمني في كتابه عيون الأخبار. وقد أدت هذه الحادثة إلى انقسام الدعوة الفاطمية للمرة الثانية إلى طيبية وحافظية بعد أن انقسمت عقب وفاة المستنصر إلى مستعلية ونزارية. (انظر مناقشة ذلك عند الشيّال: مجموعة الوثائق الفاطمية ٧٤ ــ ٧٦، وأيمن فؤاد السيد في تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن: ١٥٥ ــ ١٧٦).

وقال قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن خلّكان ــ رحمه الله ــ:

وكان الآمر سيِّـىء الرأي جائر السِّيرة مستهتراً متظاهراً باللّهو واللّعب. وفي أيّامه أخذت الفرنـج مدينة عكّا ــ ثم ذكر آبن خلّكان نحواً ممّا ذكره الذهبيّ من أخذ الفرنـج للبلاد الشامية. إلى أن قال: ــ خرج من القاهرة (يعني الآمر) صبيحة يوم الثلاثاء ثالث عشر[١] ذي القعدة سنة أربـع وعشرين وخمسمائة، ونزل إلى مصر وعدّى على الجسر إلى الجزيرة التي قُبالة مصر (يعني الرَّوْضَة)؛ فكَمَن له قوم بالأسلحة وتواعدوا على قتله في السكة التي يمرّ فيها [إلى فرن هناك][٢]. فلمّا مرّ بها وثبوا عليه ولَعِبوا عليه بالسيوف، وكان قد جاوز الجسر وحدَه في عدّة قليلة من غِلمانه وبِطانته وخاصّته وشِيعته، فحُمِل في زَوْرَق في النيل ولم يَمُت، وأُدِخل القاهرة وهو حيٌّ، وجيء به إلى القصر فمات من ليلته، ولم يُعقب. وكان قبيـح السِّيرة، ظَلَم الناس وأخذ أموالهم، وسَفَك الدمـاء، وآرتكب المحظورات[٣]، وآستحسن القبائـح، وآبتهـج الناس بقتله». اِنتهى كلام آبن خلّكان.

وقيل: إنّ الآمر كان فيه هَوَج عند طلوعه المِنْبَر في خطبته في الجُمَـع والأعياد، فآستحيا وزيره المأمون بن البطائحيّ أن يشافهه بما يقـع له من الهَوَج؛ وأراد أن يُفهمها له من غير مشافهة، فقال له: «يا مولانا، قد مضى من الشهر أيّام ولم يبق إلا الرّكوب إلى الجمعة الأولى (قلت: وقد تقدّم في ترجمة المعزّ لدين الله ترتيب خروج الخلفاء الفاطميّين إلى صلاة الجمعة. ويُصَلّوا بالناس ثلاث جُمَـع، والجمعة الأولى[٤] من كلّ شهر يُصَلّي بالناس الخطيب، وتسمىَ تلك الجمعة جمعة الراحة ــ أعني يستريـح فيها الخليفة ــ. ونستطرد في هذه الترجمة أيضاً لذكر شيء من ذلك مما لم نذكره في ترجمة المعزّ.

---

(١) في وفيات الأعيان: «ثالث ذي القعدة».

(٢) في الأصل: «التي يمر بها». والتصحيـح والزيادة عن ابن خلكان.

(٣) عبارة ابن خلكان: «وارتكب المحذورات، واستحسن القبائـح المحظورات».

(٤) في الأصل: «الأخيرة» والصواب ما أثبتناه. والسياق فيما يأتي يؤكد ذلك. راجـع أيضاً الجزء الرابـع من هذا الكتاب، ص ١٠٢.

قال الوزير: يا مولانا، وبعد غد جمعة الراحة، فإن حَسُنَ في الرأي أن يخرج مولانا بحاشيته خاصّة من باب النوبة[١] إلى القصر النافعيّ فما فيه سوى عجائز وقرائب وألزام، ويجلس مولانا على القُبّة التي على المحراب قُبالة الخطيب ليشاهد نائبه في الخَطَابة كيف يخطُب، فإنّه رجل شريف فصيح اللّسان حافظ القرآن». فأجابه الخليفة الآمر إلى ذلك. ولمّا حضر الجامع وجاس في القُبّة وفُتِح الرَّوْشَنُ وقام الخطيب فخطب، فهو في الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلّم في الخطبة الثانية وإذا بالهوى قد فَتَح الطاقَ فرفع الخطيب رأسه فوقع وجهه في وجه الخليفة فعرفه فأرْتج عليه وآرتاع ولم يَدْرِ ما يقول، حتّى فُتِحَ عليه فقال: معاشرَ المسلمين، نفعكم الله وإيّايَ بما سمعتم، وعن الضلال عصمكم. قال الله تعالى في كتابة العزيز: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾[٢]. ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَالإِحْسانِ...﴾[٣]. إلى آخر الآية، وصلّى بالناس. فلما آنفصل المجلس تكلم الآمر مع وزيره المذكور بما وقع للخطيب. فآنفتح الكلام للوزير وتكلّم فيما كان بصدده، فرجع الآمر عن الخَطَابة وآستناب وزيرَه المذكور؛ فصار الوزير يخطُب بجامع القاهرة وجامع آبن طولون وجامع مصر.

وقال آبن أبي المنصور في تاريخه[٤]: إنّ آبتداء خطبة الوزير المأمون كانت في شهر رمضان سنة خمس وثمانين؛ وترك الآمر الخطَابة مع ما كان له في ذلك من الرغبة الزائدة، حتّى إنّه كان اقترح أشياء أُخرى في خروجه إلى الجامع زيادة على ما كانت آباؤه تفعله، غيرَ أنّه كان يخطُب في الأعياد بعد ما آستناب وزيره المأمون آبن البطائحيّ في خطبة الجمع. فكان الآمر إذا خرج في خطبة العيد خرج إلى

---

(١) ليس بالقصر باب يسمى باب النوبة. ولعله يريد باب تربة الزعفران، وهو أقرب باب إلى القصر النافعي. (النجوم: ١٧٥/٥، طبعة دار الكتب، حاشية (٢)). وعن القصر النافعي راجع ص ٤٨ من الجزء الرابع.

(٢) سورة طه، الآية: ١١٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٤) لا ندري من هو المؤرخ ابن أبي منصور هذا. وقد لاحظنا أن ما ينقله أبو المحاسن فيما يأتي يتّفق تماماً مع ما نقله المقريزي عن ابن المأمون، فلعله هو.

المصلّى، ويخرجون قبله، على العادة السابقة المذكورة في ترجمة المعزّ، بالفرش والآلات، وعُلّق بالمحاريب الشروب المُذهبة، وفُرش فيه ثلاث سجّادات متراكبة وبأعلاها السجادة اللطيفة التي كانت عندهم معظّمة، وهي قطعة من حَصِير، ذُكِر أنّها كانت من حصير لجعفر الصادق ــ رضي الله عنه ــ [يصلّي عليها][1] وكانت مما أخذه الحاكم بأمر الله عند فتح دار جعفر الصادق. ثم تغلق الأبواب الثلاثة التي بجنب القبّة التي في صدرها المحراب. ــ قلت: والذي ذكرناه في ترجمة المعزّ لدين الله كانت صلاته بالجامع الأزهر، والآمر هذا كانت صلاته في الجمعة بالجامع الحاكميّ، وفي العيد بالمصلّى.. ونذكر أيضاً هيئة خروج الآمر إلى الجامع بنحو ما ذكرناه هناك وزيادة أخرى لم نذكرها؛ فبهذا المقتضى يكون للإعادة نتيجة ــ قال: ثمّ تفرش أرض القبّة المذكورة جميعاً بالحصر المحاريب المبطّنة، ثم تُعلّق الستور بالمحراب وجانبي المِنْبر، ويُفرش دَرَجُه، ويُنصب اللواءان ويُعلّقان عليه، ويقف متولّي[2] ذلك والقاضي تحت المِنبر، ويُطلق البَخُور، ويتقدم الوزير بألّا يفتح الباب أحد، وهو الباب الذي يدخل الخليفة منه ويقف عليه، ويقعد الداعي في الدِّهليز، ويقرأ المقرئون بين يديه، ويدخل الأمراء والأشراف والشهود والشيوخ، ولا يدخل غيرهم إلّا بضمان من الداعي[2]. فإذا آستحقّت الصلاة أقبل الخليفة في زِيه الذي ذكرناه في ترجمة المعزّ لِدين الله وقَضِيبُ الملك بيده، وجميع إخوته وبنو عمّه في رِكابه. فعند ذلك يتلقّاه المقرئون ويرجع مَن كان حوله من بني عمه وإخوته [وأستاذوه][3]. ويخرج من باب المُلك إلى أن يصل إلى باب العيد، فتُنشر المِظلّة عليه ــ وقد ذكرنا أيضاً زِيّ المِظَلّة في ترجمة المعزّ ــ ويترتّب المَوْكِب في دَعَة لا يتقدّم أحد ولا يتأخر عن مكانه، وكذلك

---

(١) زيادة عن أخبار مصر لابن المأمون.

(٢) في ابن المأمون: «.. وقعد تحت القبّة خاصة الدولة ريحان والقاضي، وأطلق البخور، ولم يفتح من أبوابه إلا باب واحد وهو الذي يدخل منه الخليفة، ويقعد الداعي في الدهليز ونقباء المؤمنين بين يديه وكذلك الأمراء والأشراف والشيوخ والشهود ومن سواهم من أرباب الحرف، ولا يمكّن من الدخول إلا من يعرفه الداعي ويكون في ضمانه...».

(٣) زيادة عن ابن المأمون.

وراء المَوْكِب العَمَارِيات ــ هم عوض المِحَفّات ــ والزَّرافات والفِيَلة والأسود[١] عليها الأسِرّة مزيّنة بالأسلحة. ولا يدخل من باب المصلّى أحد راكباً إلا الوزير خاصة، ثم يدخل الباب الثاني فيترجّل الوزير ويتسلّم شَكِيمة فرس الخليفة حتّى ينزل الخليفةَ ويمشي إلى المحراب، والقاضي والداعي عن يمينه ويساره يوصِّلان التكبير لجماعة المؤذّنين. وكاتب الدَّست وجماعة الكُتّاب يصلّون تحت عقد المِنبر، لا يُمكَّن غيرهم أن يكون معهم. ويُكبِّر في الأولى سبعاً وفي الثانية خمساً على سُنّة القوم ثم يطلع الوزير ثمّ يسلّم الدعو[٢] القاضي، فيستدعي من جرت عادته بطلوع المِنبر، وكلٌّ لا يتعدّى مكانه. ثم ينزل الخليفة بعد الخطبة ويعود في أحسن زيّ على هيئة خروجه من رَحْبة باب العِيد حتّى يأكل الناس السِّماط. وقد ذكرنا كيفيّة السِّماط وزِيّ لبس الخليفة والمِظلّة وصفة ركوبه وطلوعه إلى المِنبر ونزوله، في ترجمة المعزّ لدين الله أوّل خلفائهم، فينظر هناك من هذا الكتاب.

قلت: وكان الآمر يتناهى في العظمة ويتقاعد عن الجِهاد. وما قاله الذهبيّ في ترجمته فبحقّ؛ فإنّه مع تلك المساوي التي ذُكِرت عنه كان فيه تهاونٌ في أمر الغَزْو والجِهاد حتّى آستولت الفرنج على غالب السواحل وحصونها في أيّامه، وإن كان وقع لأبيه المستعلي أيضاً ذلك وأُخِذ القدس في أيامه فإنّه آهتمّ لقتال الفرنج وأرسل [الأفضل بن][٣] بدر الجماليّ أمير الجيوش بالعساكر، فوصلوا بعد فوات المصلحة بيوم. فكان له في الجملة مندوحة، بخلاف الآمر هذا، فإنّه لم ينهض لقتال الفرنج البتّة، وإن كان أرسل مع الأسطول عسكراً فهو كلا شيء. وسنبيِّن ذلك عند آستيلاء الفرنج على طرابُلس وغيرها على سبيل الاختصار في هذا المحلّ، فنقول:

---

(١) عبارة «والأسود عليها الأسرّة مزيّنة بالسلاح» فيها نظر. إذ لم يرد في المواكب أن الأسود كانت تستعمل لنقل الأسرّة. وعبارة ابن المأمون أوضح في المقام وهي: «.. وقد شدَّ على الفيلة بالأسرّة مملوءة رجالاً مشبكة بالسلاح لا يتبين منهم إلا الأحداق».

(٢) المراد «بالدعو» الخطبة المكتوبة. وفيها ذكر العيد وسنته والدعاء للدولة. وهذا واضح فيما نقله المقريزي عن ابن المأمون.

(٣) زيادة ضرورية. ذلك أن بدراً الجمالي توفي في عهد المستنصر. وسبق للمؤلف أن ذكر في ترجمة المستعلي أن الذي خرج لقتال الفرنج هو الأفضل ابن أمير الجيوش.

أوّل ما وقع في أيّامه من طمع الفرنج في البلاد فإنّهم خرجوا في أوّل سنة سبع وتسعين وأربعمائة من الرُّهاء، وٱنقسموا قسمين، قسم قصد حَرّان، وقسم قصد الرّقّة. فالذي توجّه إلى الرّقّة خرج لهم سكمان بن أُرْتُق صاحب مارِدين، وكان سالم بن بدر العُقَيْليّ في بني عُقَيل، وقد نزلوا على رأس العَيْن، فخرج بهم سكمان المذكور، وٱلتقوا مع الفرنج وٱقتتلوا قتالاً شديداً أُسِر فيه سالم بن بدر المذكور، ثم كانت الدائرة على الفرنج، فٱنهزموا وقُتِل منهم خلق كثير. والقسم الآخر من الفرنج الذي قصد حَرّان والبلاد الشاميّة لم ينهَض لقتالهم وصالحهم ٱبن عمّار قاضي طرابُلس وصاحبها وهادنهم، على أن يكون لصنجيل ملك الفرنج ظاهر البلد، وألّا يقطع المِيرة عنها وأن يكون داخل البلد لابن عمّار. وهلك في أثناء ذلك صنجيل المذكور ملِك الروم. ولم ينهَض أحد من المصريّين لقتال المذكورين. فعَلِمت الفرنج ضعف مَن بمصر. ثم بعد ذلك في سنة ٱثنتين وخمسمائة قصد الفرنج طرابُلس وأخذوها، بعد أن ٱجتمع عليها ملوك الفرنج مع بلترام[1] بن صنجيل المقدّم ذكره في ستين مركباً في البحر مشحونة بالمقاتِلة؛ وطنكري[2] الفرنجيّ صاحب أنطاكِيَة، وبغدوين الفرنجيّ صاحب القدس بمن معهم، جاؤوا من البرّ وشرعوا في قتالها وضايقوها من أوّل شعبان إلى حادي عشر ذي الحجّة، وأسندوا أبراجهم إلى سور البلد. فلمّا رأى أهل طرابُلس ذلك أيقنوا بالهلاك مع تأخّر أُسطول مصر عنهم. ثم حضر أُسطول مصر من البحر. وصار كلّما سار نحو البلد ردّه الفرنج إلى نحو مصر.

قلت: ومن هذا يظهر عدم ٱكتراث أهل مصر بالفرنج من كلّ وجه. الأوّل: من تقاعدهم عن المَسير في هذه المدّة الطويلة. والثاني: لضعف العسكر الذي أرسلوه مع أُسطول مصر، ولو كان لعسكر الأُسطول قوّة لدفع الفرنج من البحر عن

(١) في الأصل «ريمن». وفي ابن الأثير وابن القلانسي: «رعند». وما أثبتناه عن منطلق تاريخ لبنان لكمال الصليبي: ص ٨٧. والواقع أن «رعند» أو «ريمن» هو اسم «صنجيل» نفسه، فهو Raymond de Saint-Gilles. وابن صنجيل «بلترام» هذا هو Bertrand.

(٢) هو «تنكريد» Tancred ابن شقيق «بيمند» أو «بوهيمند» Bohemond.

البلد على حسب الحال. والثالث: لم لا خرج (١) الوزير الأفضل بن أمير الجيوش بالعساكر المصرية كما كان فعل والده بدر الجماليّ في أوائل الأمر. هذا مع قوّتهم من العساكر والأموال والأسلحة. فلله الأمر من قبلُ ومن بعدُ. ولله درّ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب فيما فعله في أمر الجِهاد وفتح البلاد، كما يأتي ذلك كلّه إن شاء الله مفصّلاً في وقته وساعته في ترجمة السلطان صلاح الدين ــ رحمه الله ــ.

ثمّ إنّ الفرنج لما علموا بحال أهل طرابلس وتحقّقوا أمرهم حَمَلوا حملةَ رجل واحد في يوم الاثنين حادي عشر ذي الحجة وهجموا على طرابلس، فأخذوها ونهبوها وأسروا رجالها وسَبَوْا نساءهم وأخذوا أموالها وذخائرها؛ وكان فيها ما لا يُحصى ولا يُحصر وآقتسموها بينهم(٢). وطَمِعوا في الغنائم، فساروا إلى جَبَلة وبها فخر الملك بن عمّار الذي كان صاحب طرابلس وقاضيها، وتسلّموها منه بالأمان في ثاني عشر ذي الحجّة في يوم واحد، وخرج منها آبنُ عمّار سالماً. ثم وصل بعد ذلك الأُسطول المصريّ بالعساكر، فوجدوا البلاد قد أُخِذت فعادوا كما

---

(١) تقدّم أن الذي خرج هو الأفضل نفسه. والأرجح أن الأفضل لم يخرج بنفسه لنجدة طرابلس، بل أرسل سفناً تحمل المؤن، ومعها حاكم لتولي شؤون البلد مهمته الأولى وضع اليد على أسرة فخر الملك بن عمار وأنصاره وأمواله وإرسال كل ذلك بالبحر إلى مصر. (انظر أمين معلوف: الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص ١١٠).

(٢) سقطت طرابلس بيد الصليبيين لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٥٠٢هـ الموافق للثاني عشر من تموز ١١٠٩م بعد ألفي يوم من المقاومة. وقد خربت مدينة المصوغات والمكتبات والبحّارة البواسل والقضاة والمثقفين على يد محاربي الغرب. ونهبت «دار العلم» التي كانت تحوي مائة ألف مجلد، ثم أحرقت تلك المجلدات باعتبارها كتب ملحدة. وبحسب مؤرخ دمشق في تلك الفترة ابن القلانسي فإنه «تقرّر بين الإفرنج والجنويين على أن يكون للجنويين الثلث من البلد وما نهب منه، والثلثان لابن صنجيل، وأفردوا للملك بغدوين من الوسط ما رضي به». أما معظم أهالي طرابلس فقد بيعوا عبيداً ونهبت أملاك الآخرين وطردوا. وذهب كثير منهم إلى ثغر صور، وقضى فخر الملك بن عمار بقية أيامه في نواحي دمشق. أما الأسطول المصري، فيقول ابن القلانسي إنه «وصل إلى صور في يوم الثامن من فتح طرابلس، وقد فات الأمر فيها للقضاء النازل بأهلها». وبسقوط طرابلس تمّ إنشاء الدولة الفرنجية الرابعة في الشام، بعد قومسية الرها، وإمارة أنطاكية، ومملكة أورشليم. وأطلق على هذه الدولة الجديدة اسم «قومسية طرابلس» Comté de Tripoli. (انظر: الحروب الصليبية كما رآها العرب: ص ٨٧ ــ ١١٤؛ وذيل تاريخ دمشق: ١٣٨ ــ ١٧١؛ ومنطلق تاريخ لبنان: ٨٧ ــ ٨٨).

هم إلى مصر. وسار آبن عمّار إلى شَيْزَر، فأكرمه صاحبها سلطان بن عليّ بن مُنقِذ وآحترمه وعرَض عليه المُقام عنده فأبى، وتوجّه إلى الأمير طُغْتِكِين صاحب دمشق، فأكرمه طغتكين وأنزله وأقطعه الزَّبَدانِيَّ وأعماله.

ثم وقع بين بغدوين صاحب القدس وبين طُغْتِكِين المذكور أمور، حتّى وقع الاتفاق بينهما على أن يكون السَّواد وجبل عوف مثلّثة، الثُّلُث للفرنج والباقي للمسلمين. ثم آنقضى ذلك في سنة خمس وخمسمائة.

وقصد بغدوين[1] الفرنجيّ المذكور صُور؛ فكتب واليها وأهلها إلى طُغْتِكِين يسألونه أنهم يسلّمونها إليه قبل مجيء الفرنج لأنّهم يئسوا من نُصرة مصر؛ فأبى وبعث إليهم الفُرسان والرجّالة، وجاءهم هو من جبل عاملة ثمّ عاد. ثمّ سار إليهم بغدوين في الخامس والعشرين من جُمادى الأولى سنة خمس وخمسمائة فقطع أشجارها وقاتلها أياماً، وهو يعود خاسراً. وخرج طُغْتِكِين وخيّم ببانياس وجهّز الخيّالة والرّجالة إلى صُور نجدةً، فلم يقدروا على الدخول إليها من الفرنج. ثمّ رحلت الفرنج عنها، ونزلوا على الحَبِيس[2] (وهو حصن عظيم) وحاصروه حتى فتحوه عَنْوةً؛ وقتلوا كلّ من كان فيه، ثم عاد بغدوين إلى صور وشرع في عمل الأبراج، وأخذ في قتالها والزحف في كلّ يوم. فلمّا بلغ ذلك طُغْتِكِين زحف عليهم ليشغلهم، فخندق عليهم وهجم الشتاء فلم يبالِ الفرنج به لأنّهم كانوا في أرض رملة، والمِيرةُ تصل إليهم من صَيْدا في المراكب. ثمّ ركب طُغْتِكِين البحر وسار إلى نحو صيداء، وقتل جماعة من الفرنج وغرّق مراكبهم وأوصل مكاتبته إلى أهل صُور، فقوّى قلوبهم. ثم عمِل الفرنج بُرْجين عظيمين، طول الكبير منهما زيادة على خمسين ذراعاً، وطول الصغير زيادة على أربعين ذراعاً، وزحفوا بهما أوّل شهر رمضان، وخرج أهل صور بالنِّفْط والقَطِران ورموا النار، فهبّت الريح فآحترق البرج الصغير بعد المحاربة العظيمة، ونُهِب منه زرديات وطوارق وغير ذلك؛ ولعِبت النار في البرج الكبير أيضاً فأطفأها الفرنج. ثم إنّ الفرنج طَمُّوا الخَنْدق، وواتروا

(١) هو بغدوين الثاني، ابن أخت بغدوين الأول، الذي خلفه على عرش أورشليم عام ١١١٨م.

(٢) قلعة بالسواد من أعمال دمشق. يقال لها: حبيس جلدك. (معجم البلدان).

الزَّحف طول شهر رمضان، وأشرف أهل البلد على الهلاك. فتحيَّل واحد من المسلمين له خِبرة بالحرب، فعمل كِباشاً من أخشاب تدفع البرج الذي يُلْصِقونه بالسور. ثم تحيَّل في حريق البرج الكبير حتّى أحرقه، وخرج المسلمون فأخذوا منه آلات وسلاحاً. فحينئذ يئس الفرنج من أخذها، ورحلوا عنها بعد ما أحرقوا جميع ما كان لهم من المراكب على الساحل والأخشاب والعمائر والعلوفات وغيرها. وجاءهم طُغْتِكِين فما سلّموا إليه البلد؛ فقال طُغْتِكِين: أنا ما فعلت الذي فعلته إلّا لله تعالى لا لرغبة في حِصن ولا مال، ومتى دهمكم عدوّكم جئتكم بنفسي وبرجالي، ثمّ رحل عنهم ـ فلله دَرّه من ملك ـ كلّ ذلك ولم تأت نجدة المصريّين. ودام الأمر بين أهل صور والفرنج، تارةً بالقتال وتارةً بالمهادنة، إلى أن طال على أهل صور الأمر ويئسوا من نُصرة مصر، فسلّموها للفرنج بالأمان في سنة ثماني عشرة وخمسمائة.

قلت: وما أبقى أهل صور ـ رحمهم الله تعالى ـ ممكناً في قتالهم مع الفرنج وثباتهم في هذه السنين الطويلة مع عدم المنجد لهم من مصر. وقيل في أخذ صور وجهٌ آخر.

قال آبن القلانسيّ: وفي سنة تسع عشرة وخمسمائة، ملك الفرنج صُور بالأمان. وسببه خروج سيف الدولة مسعود[1] منها، وكان قد حُمِل إلى مصر، وأقام الوالي الذي بها في البلد. قلت: وهذه زيادة في النِّكاية للمسلمين من صاحب مصر؛ فإنّ سيف الدولة المذكور كان قائماً بمصالح المسلمين، وفَعَل ما فعل مع الفرنج من قتالهم وحفظ سور المدينة هذه المدّة الطويلة، فأخذوه منها غصباً وخلّوا

(١) كانت مدينة صور تابعة للفاطميين، وعليها والٍ من قبلهم يلقب عز الملك. وفي سنة ٥٠٦هـ أرسل أهل صور إلى طغتكين صاحب دمشق أن يرسل إليهم والياً من قبله يحميهم من غارات الفرنجة وتكون البلد له. فسيّر إليهم عسكراً ووالياً اسمه مسعود. ولم يغيّر أهل صور الخطبة للآمر ولا السكّة. وكتب طغتكين إلى الأفضل يعرفه بصورة الحال ويقول: متى وصل إليها من مصر من يتولاها ويذبّ عنها سلمتها إليه. وطلب مدداً من الأسطول الفاطمي. وفي سنة ٥١٦هـ بعد قتل الأفضل، سيّر الآمر إلى صور أسطولاً، وأمر المقدّم على الأسطول أن يلقي القبض على مسعود الوالي ويتسلم البلد منه، فقبض على مسعود وأرسله إلى مصر. (انظر ابن الأثير: حوادث سنة ٥١٨هـ).

البلد مع من لا قِبَل له بمحاربة الفرنج. فكان حال المصريّين في أوّل الأمر أنّهم تقاعدوا عن نُصرة المسلمين، والآن بأخذهم سيف الدولة من صور صاروا نجدةً للفرنج. وهذا ما فعله إلا الآمر هذا صاحب الترجمة بنفسه بعد أن قبض على الأفضل ابن أمير الجيوش وقتله، وقتل غيره أيضاً معه.

ونعود إلى كلام آبن القلانسيّ قال: وعرف الفرنج (يعني بخروج سيف الدولة) فتأهّبوا للنزول عليها، وعرف الوالي أنه لا قِبَل له بهم لِقلّة النجدة والمِيرة بها؛ فكتب إلى صاحب مصر يُخبره. فكتب إليه: قد رددنا أمرها إلى ظهير الدين ـ أظنه يعني بظهير الدين طُغْتِكِين المقدّم ذكره أمير دمشق ـ قال: ليتولّى حمايتها والذبّ عنها، وبعث منشوراً له بها. ونزل الفرنج عليها وضايقوها بالحِصار والقتال حتّى خفّت الأقوات، وجاء طُغْتِكِين فنزل ببانياس، وتواترت المكاتبات إلى مصر باستدعاء المؤن، فتمادت الأيّام إلى أن أشرف أهلها على الهلاك. ولم يكن للأتَابَك طُغْتِكِين قدرةٌ على دفع الفرنج، ويئس من مصر؛ فراسل أهلُها الفرنج وطلبوا الأمان على نفوسهم وأهاليهم وأموالهم، ومن أراد الخروج خرج ومن أراد الإقامة أقام. وجاء الاتَابَك بعسكره فوقف بإزاء الفرنج، وركبت الفرنج ووقفوا بإزائه وصاروا صَفَّيْن؛ وخرج أهل البلد يمرّون بين الصّفَّين ولم يَعْرِض لهم أحد، وحملوا ما أطاقوه، ومن ضَعُف منهم أقام. فمضى بعضهم إلى دمشق، وبعضهم إلى غَزّة، وتفرّقوا في البلاد، وعاد الأتَابَك إلى دمشق. ودخل الفرنج صُور وملكوها سنين إلى حين فُتِحت ثانياً، حسب ما سيأتي ذكره في ترجمة السلطان الذي يتولّى فتحها. قلت: وهذا الذي ذكرناه هو كالشرح لكلام الذهبيّ وغيره من المؤرخين فيما ذكروه عن الآمر هذا. ونعود إلى ترجمة الآمر.

وكان للآمر نَظْمٌ ونظر في الأدب. ومما نُسِب إليه من الشعر قوله: [السريع]

أصبحتُ لا أرجو ولا أتّقي إلّا إلهي وله الفضلُ
جَدّي نبي وإمامي أبي ومذهبي التوحيدُ والعدل

وقد نُسِب هذا الشعر لغيره[١] من الفاطميّين أيضاً. وكان الآمر يحفظ القرآن، آنفرد بذلك دون جميع خلفاء مصر من الفاطميين، وكان ضعيف[٢] الخطّ. وأمّا ما وعدنا به من ذكر قتله فنقول: كان الآمر صاحب الترجمة مطلوباً من جماعة من أعوان عمه نِزار المقتول بيد أبيه بعد واقعة الإسكندريّة المقدّم ذكرها؛ لأنّ الآمر وأباه المستعلي غصبا الخلافة، وأن النّص كان على نِزار. وقد ذكرنا ذلك كلّه في أوّل ترجمة المستعلي. فاتّصل بالآمر أنّ جماعة من النِّزارية حصلوا بالقاهرة ومصر يريدون قتله، فآحترز الآمر على نفسه وتحيّل في قبضهم، فلم يُقدَّر له ذلك لِمَا أراده الله. وفشا أمر النِّزارية وكانوا عشرة، فخافوا أن يقع عليهم الآمر فيقتلَهم قبل قتله، فاجتمعوا في بيت وقال بعضهم لبعض: قد فشا أمرنا ولا نأمن أن يظفَر بنا فيقتلَنا، ومن المصلحة والرأي أن نقتل واحداً منّا ونُلْقي رأسه بين القصرين، وحلانا[٣] عندهم؛ فإن عرفوه فلا مُقام لنا عندهم، وإن لم يعرفوه تمّ لنا ما نريد، لأنّ القوم في غفلة. فقالوا للذي أشار عليهم: ما يتّسع لنا قتل واحد منّا، ينقص عددنا وما يتمّ بذلك أمرنا، فقال الرجل: أليس هذا من مصلحتنا ومصلحة من تلزمنا طاعته؟ فقالوا نعم. فقال: وما دللتكم إلّا على نفسي، وشرع في قتل نفسه بيده بسكّين في جوفه فمات من وقته. فأخذوا رأسه فرمَوْه في الليل بين القصرين، وأصبحوا متفرّقين ينظرون ما يجري في البلد بسبب الرأس. فلمّا وُجِد الرأس آجتمع عليه الناس وأبصروه، فلم يقل أحد منهم أنا أعرفه. فحُمِل إلى الوالي، فأحضره الوالي عُرفاء الأسواق وأرباب المعايش فلم يعرف؛ فأحضر أيضاً أصحاب الأرباع والحارات فلم يعرف؛ ففرح التسعة بذلك ووَثِقوا بالمُقام بالقاهرة لقضاء مرادهم. وآتّفق للخليفة الآمر أن يمضي إلى الرُّوضة ــ حسب ما ذُكِر في أوّل ترجمته ــ وأنّه يجوز على الجسر الذي من مصر إلى جزيرة الرَّوْضة للمقام بها أياماً للفُرْجة. وكان من شأن الخلفاء أنهم يُشيعون الركوب في أرباب خِدْمتهم حيثما

(١) نسب هذان البيتان للمستنصر الفاطمي. (راجع حوادث سنة ٤٦٠هـ) وروى ابن ميسّر للآمر شيئاً من الشعر غير هذه الأبيات (انظر أخبار مصر لابن ميسّر: ١١١، ١١٢).

(٢) كذا أيضاً في المقريزي. وقد سبق للمؤلف في أول ترجمة الآمر أن ذكر أنّ الآمر كان حسن الخطّ.

(٣) كذا بالأصل.

قصدوا حتّى لا يتفرّقوا عنه، وأيضاً لا يتخلّف أحد عن الركوب؛ فعلم النِّزارية التسعة بركوبه فجاؤوا إلى الجزيرة، ووجدوا قُبالة الطالع من الجسر فُرْناً، فدخلوا فيه قبل مجيء الخليفة الآمر، ودفعوا إلى الفَرّان دراهم وافرةً ليعمل لهم بها فَطِيراً بسمن وعسل؛ ففرِح الفَرّان بها وعمِل لهم الفطِيرَ؛ فما هو بأكثر ممّا أكلوه، ولم يُتموا أكلهم إذ طلع الخليفة الآمر من آخر الجسر، وقد تفلّل عنه الرِّكابيّة ومن يصونه لحَرَج الجَوَاز على الجسر لضيقه، فلمّا قابلوه وثبوا عليه وَثْبَةَ رجل واحد وضربوه بالسكاكين حتى إنّ واحداً منهم ركب وراءه وضربه عدّة ضَرَبات؛ وأدركهم الناس فقُتِل التسعة. وحُمِل الآمر في عشاريّ[1] إلى قصر اللؤلؤة، وكان ذلك في أيام النيل، ففاضت نفس الآمر قبل وصوله إلى اللؤلؤة. وقد تقدّم عمر الآمر ومدّة خلافته في أوّل ترجمته، فلا حاجة لذكر ذلك ثانياً. وقيل: إنّ بعض مُنَجِّميه كان عرّفه أنّه يموت مقتولاً بالسكاكين، فكان الآمر كثيراً ما يَلْهَج بقوله: الآمر مسكين، المقتول بالسكين.

* * *

السنة الأولى من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة ستّ وتسعين وأربعمائة.

فيها أُعيدت الخطبة ببغداد إلى السلطان بَرْكْيَارُوق السلْجوقي بعد أن آلتقى مع أخيه محمد شاه وهزمه بركياروق. فتوجّه محمد شاه إلى أرمينية وأخلاط، ثم عاد إلى تِبْريز في جمادى الآخرة، ومضى بركياروق إلى زَنْجان. ووقع بينهما في الآخر الاتفاق على شيء فعلوه.

وفيها آستوزر الخليفة المستظهر بالله العبّاسيّ زعيمَ الرؤساء أبا القاسم عليّ بن

---

(١) العشاري: وتجمع على عشاريّات، وهي المراكب التي تسير في النيل. وهذه التسمية من العصر الفاطمي. وكانت تستخدم في حمل غلات الدولة وغيرها. وقد كان لبعض الأمراء عشاريات يركبونها في نزهتهم في النيل، وخاصة عند الاحتفال بكسر الخليج. (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى: ص ٢٤٥).

محمد [بن محمد][١] بن جَهير على كره منه، عزل وزيره سَدِيد الملك أبا الفضل[٢] بن عبد الرزّاق. فكانت ولايته عشرة أشهر.

وفيها تُوفّي أردشير بن منصور، أبو الحسين العَبّاديّ الواعظ الأستاذ كان أصله من أهل مَرْو، وكان يُخاطب بالأمير قطب الدين. قدِم بغداد وجلس في النِّظاميّة، وحضر أبو حامد الغزاليّ مجلس وعظه؛ وكان يحضر مجلسه من الرجال والنساء ثلاثون ألفاً. وكان صَمْته أكثرَ من نطقه، وإذا تكلّم هابته الناس؛ وبوعظه حَلَق أكثرُ الصِّبيان رؤوسهم، ولَزِموا المساجد وبدّدوا الخمور وكسروا الملاهي. ولمّا قدِم بغداد ووعظ بها، وكان البرهان الغَزْنَوِيّ يعِظ بها قبله فآنكسر سوقه. فقال الدّهان الشاعر المشهور في ذلك: [السريع]

لله قطبُ الدِّين من عالمٍ منفرد بالعلم والباس
قد ظهرتْ حُجَّتُه للورَى قام بها البرهان للناس

ومات قطب الدين في غُرّة جمادى الآخرة. رحمه الله.

وفيها تُوفّي الشيخ أبو المعالي الزاهد الصالح البغداديّ. كان مقيماً بمسجد باب الطاق ببغداد؛ فحضر مجلس آبن أبي عِمامة فوقع كلامه في قلبه فتزهّد وكان لا ينام إلّا جالساً ولا يَلْبَس إلّا ثوباً واحداً شتاء وصيفاً. وكان منقطعاً إلى العبادة، ويُقْصَد للزيارة.

وفيها تُوفّي الشيخ أبو طاهر أحمد بن عليّ بن عُبَيْد[٣] الله بن عمر بن سِوَار المقرىء المجوِّد. كان إماماً عارفاً بالقراءات، وسمع الحديث وآشتغل في القراءات سنين.

وفيها تُوفّي الشيخ أبو داود سليمان بن نَجَاح المؤيدي[٤] المقرىء الإمام. مات

(١) زيادة عن الفخري.

(٢) في ابن الأثير: «سديد الملك أبو المعالي... إلخ».

(٣) في الأصل: «عبد الله». وما أثبتناه عن شذرات الذهب والأعلام.

(٤) هذه النسبة إلى المؤيّد بالله هشام بن الحكم، صاحب الأندلس. وكان والد أبي داود مولى للمؤيد بالله المذكور. (الأعلام: ٣/١٣٧).

في شهر رمضان وله ثلاث وثمانون سنة، وقد آنتهت إليه رياسة القرّاء في زمانه.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وثماني أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وإصبع واحدة.

* * *

السنة الثانية من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة سبع وتسعين وأربعمائة.

فيها وقع الصلح بين الإخوة أولاد السلطان ملكشاه السلجوقيّ، وهم السلطان بَرْكْيَارُوق ومحمد شاه وسنجر شاه، على أن يكون آسم السلطنة لبركياروق وضَرْب النُّوبة (أعني الطبلخانات) في أوقات الصلوات الخمس على بابه، وأن يكون لمحمد شاه أرمِينِيَة وأَذْرَبِيجَان وديار بكر والجزيرة والمَوْصِل[1]، وأن يكون لسنجر شاه خُراسان على حاله أولاً، وأن يكون لبركياروق الجَبل وهمَذَان وأصبهان والرَّيّ وبغداد وأعمالها والخطبةُ ببغداد، وأن محمد شاه وسنجر شاه يخطُبان لنفسيهما.

وفيها نزل الأمير سُكْمان بن أُرْتُق صاحب مَارِدِين، وجكرمش صاحب الموصل على رأس العَيْن عازمَيْن على لقاء الفرنج؛ وكان خرج ريمند وطنكري صاحب أنطاكية بعساكر الفرنج إلى الرّهاء، فآلتقوا فنصر الله المسلمين وقتلوا منهم عشرة آلاف، وآنهزم ريمند وطنكري في نفر يسير من الفرنج.

وفيها نزل بغدوين صاحب القدس الفرنجيّ على عَكّا في البرّ والبحر في نيّف وتسعين مَرْكَباً فحصروها من جميع الجهات، وكان واليها زَهْرُ الدولة الجيوشِيّ، فقاتل حتّى عجز، فطلب الأمان له وللمسلمين فلم يُعطوه لَمّا علموا (الفرنج) من أهل مصر أنهم لم يُنجدوه، ثم أخذوها بالسيف في شهر رمضان. وقد قدّمنا ذكر ذلك في ترجمة الآمر هذا بأكثر من هذا القول.

---

(١) قارن بنهاية الأرب للنويري: ٢٦/٣٥٠.

وفيها حاصر صنجيل الفرنجيّ طرابلس وبنى عليها حِصْناً؛ فخرج القاضي آبن عمّار صاحب طرابلس بعسكره في ذي الحجة، وهدم الحصن وقتل مَن فيه من الفرنج ونهبه، وكان فيه شيء كثير.

وفيها تُوفّي أحمد بن الحسين بن حَيْدَرة الأديب أبو الحسين، ويُعرف بآبن خُراسان الطرابُلْسِيّ الشاعر المشهور. وكان شاعراً مُجيداً؛ هجا فخر الملك ابن عمّار قاضي طرابلس وصاحبها وأخاه؛ فأمر به قاضي طرابلس المذكور فضُرِب حتّى مات. ومن شعره من قصيدة: [الطويل]

خرجنا على أنّا نقيم ثلاثةً فطاب لنا حتّى أقمنا به عشرا

وفيها تُوفّي إسماعيل بن عليّ بن الحسن بن عليّ، الشيخ أبو عليّ الجَاجَرْمِيّ[١] الأَصَمّ النَّيسابوريّ. وُلِد سنة ستّ وأربعمائة، ورحل في طلب العلم، وطاف البلاد وعاد إلى نيسابور فمات بها في المحرّم. وكان فقيهاً واعظاً زاهداً وَرِعاً صدوقاً ثقة حسن الطريقة.

وفيها تُوفّي دُقماق بن تُتُش الأمير أبو نصر شمس الملوك السلجوقيّ صاحب دمشق. وسمّاه الذهبيّ وصاحب مرآة الزمان دقاقاً بلا ميم. ولعلّ الذي قلناه هو الصواب؛ فإننا لم نسمع بآسم قبل ذلك يقال له دقاق، وأيضاً فإنّ جدّ السلْجوقيّين الأعلى آسمه دقماق[٢]، وهذا من أكبر الأدلّة على أنّ آسمه دقماق. ولي دِمَشق بعد قتل أبيه تاج الدولة تُتُش بن ألب أَرْسلان؛ وقام بأمره الأتَابَك ظَهير الدِّين طُغْتِكِين، وتزوّج طُغْتِكِين والدته. فأقام في مملكة دمشق حتّى مات. وملك دمشق بعده آبنه تُتُش وهو حدَث السن، وأوصى أن يكون طُغْتِكِين أيضاً القائمَ بدولته؛ فوقع ذلك، وقام طُغْتِكِين بالأمر أحسن قيام.

---

(١) في الأصل: «الحاجري». والتصحيح عن شذرات الذهب والمنتظم. والجاجرمي: نسبة إلى جاجرم، بين نيسابور وجرجان.

(٢) ورد في أخبار الدولة السلجوقية، ص ١ ــ ٢، أن جدّ السلاجقة يقال له: يقاق، وتقاق، ودقاق. وورد اسمه «دقاق بن تتش» في معجم زامباور. راجع أيضاً ص ١٣٢ من هذا الجزء، حاشية (٢).

وفيها تُوفّي العَلاء بن الحسن بن وهب بن المُوصَلاَيَا أبو سعد الكاتب الفاضل. كتب في الإنشاء للخلفاء خمساً وستّين سنة. وكان نَصْرانيّاً، فأسلم في سنة أربع وثمانين وأربعمائة على يد الخليفة المقتدي بالله العَبّاسيّ. ومات فُجاءةً. وكان طاهرَ اللِّسان كريم الأخلاق شاعراً مجيداً مترسِّلاً. ومن شعره: [الوافر]

يا خليليَّ خَليّاني ووجدي ... فملامُ[1] العَذُول ما ليس يُجْدِي
ودعاني فقد دعاني إلى الحُكْـ ... ـم غريمُ الغَرَامة الَّتِ[2] عندي
فعساه يَرِقُّ إذْ ملك الرِّ ... قَّ بنَقْدٍ من وصله أو بوعد

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وآثنتا عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وثلاث عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثالثة من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة ثمان وتسعين وأربعمائة.

فيها هلك صنجيل عظيم الفرنج وصاحب أنطاكية.

وفيها بعث ضِياء الدِّين محمد وزير ميّافارقين إلى قلج أَرْسلان بن سليمان بن قُتُلمْش وهو بَمَلَطْيَة يستدعيه إلى ميّافارقين؛ فتوجّه إليه قلج أَرْسلان وملَك ميّافارقين. وكان مبدأ قلج أرسلان هذا أنّه خَدَم ملكشاه السلجوقيّ، فأرسله على جيش لغزو الرّوم؛ فسار وآفتتح مَلَطْيَة وقَيْساريّة وأَقْصَرَى[3] وقوُنِيَة وسِيوَاس وجميع ممالك الروم؛ فأقرّه مَلِكشاه بها، فأقام بها وعُدَّ من الملوك؛ إلى أن قدِم ميّافارقين وآستولى عليها، وولّاها لمملوك والده خمرتاش السليمانيّ. وآستوزر قلج أَرْسلان

(١) كذا في معجم الأدباء لياقوت. وفي الأصل: «فكلام العذول».

(٢) أي «التي عندي» وقد حذفت الياء تخفيفاً لمقتضى الوزن. وفي معجم الأدباء: «غريم الغرام للدين عندي».

(٣) في الأصل: «أقصراي». وما أثبتناه عن معجم البلدان وتقويم البلدان.

ضِياء الدِّين المذكور، وأخذه معه وولّاه أَبُلُسْتَيْن[1]. ثمّ وقع بين قلج أرسلان هذا وبين جاولي مملوك السلطان محمد شاه بن ملكشاه وتقاتلا، فآنكسر قلج أرسلان. فلمّا رأى الهزيمة عليه ألقى نفسه في الخابور فغَرِق، فأُخْرِج وحُمِل تابوته إلى ميّافارقين ودُفِن بها.

وفيها بعث يوسف بن تاشفين صاحب المغرب إلى الخليفة المستظهر بالله العبّاسيّ يُخبِره أنّه خَطَب له على منابر ممالكه، وأرسل يطلب منه الخِلَع والتقليد؛ فبعث إليه بما طلب.

وفيها تُوفّي السلطان ركن الدولة بَرْكْيَارُوق ابن السلطان مَلِكشاه ابن السلطان أَلْب أَرْسلان بن داود بن سلجوق بن دقماق السلجوقيّ أبو المظفّر. مات في شهر ربيع الأوّل وهو آبن أربع وعشرين سنة. وكانت سلطنته آثنتي عشرة سنة. وعَهِد لولده ملكشاه، وأوصى به الأمير آياز؛ فتوجّه آياز بالصبيّ إلى بغداد ونزل به دار المملكة، وعمره أربع سنين وعشرة أيام، وأجلسه على تخت الملك مكان أبيه بَرْكْيَارُوق؛ وخطب له ببغداد في جمادى الأولى. فلم يتمّ أمر الصبيّ، وملك عمّه محمد شاه الذي كان ينازع أخاه بركياروق، وقتل آياز المذكور. وبركياروق: بفتح الباء الموحدة وسكون الراء والكاف وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف راء مضمومة وبعد الراء واو وقاف.

وفيها تُوفّي محمد بن عليّ بن الحسن بن أبي الصقر، أبو الحسن الواسطيّ. تفقّه على أبي إسحاق الشّيرازيّ، وسمع الحديث الكثير. وكان أديباً عالماً. ومن شعره لمّا كَبِر سِنّه وصار لا يستطيع القيام لأصحابه: [الوافر]

عِلّةٌ سُمِّيت ثمانين عاماً   منعتني للأصدقاء القياما
فإذا عُمِّروا تمهّد عذري   عندهم بالذي ذكرتُ وقاما

---

(١) أبلستين: هي ما كان يطلق عليها أرابيسوس. موقعها في الشرق من قيصرية. وتعد من مدن الثغور في أيام الروم. (بلدان الخلافة الشرقية: ١٧٨). (انظر أيضاً معجم البلدان: ١/٧٥).

وفيها تُوفّي الحافظ أبو عليّ الحسين بن محمد الغَسّانيّ الجَيَّانيّ عن إحدى وتسعين سنة. كان إماماً حافظاً؛ سمع الكثير وحدّث وكتب وصنّف.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وخمس أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً واثنتا عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الرابعة من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة تسع وتسعين وأربعمائة.

فيها ظهر رجل من نواحي نَهَاوَنْد وآدّعى النبوّة، وكان مُمَخْرِقاً[1] بالسِّحر والنجوم فتبعه خلق كثير وحملوا إليه أموالهم. وكان يُعطي جميع ما عنده لمن يقصده، وسمّى أصحابه بأسماء الصحابة الخلفاء، رضوان الله عليهم. وكان خرج أيضاً في هذه السنة بنهاوند رجل من ولد ألْب أَرْسلان السلجوقيّ يطلب الملك؛ فخرج إليهما العساكر، وأخذوا الرجل المدّعي النبوّة، والذي طلب الملك معاً وقتِلا.

وفيها كان بين الفرنج وبين طُغْتِكِين واقعة عظيمة على سَوَاد طَبَرِيّة.

وفيها ملكت الإسماعيليّة حِصْنَ فَامِيَة، وقتلوا خلف بن مُلاعب صاحب الحصن بأمر أبي طاهر الصائغ العَجَمِيّ المقيم بحلب. وهذا الصائغ هو الذي أظهر مذهب الباطنية الرافضة، وقتلته الفرنج، وأراح الله المسلمين منه.

وفيها تُوفّي عمر بن المبارك بن عُمرَ، أبو الفوارس البغداديّ. وُلد سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، وبَرَع في علم القرآن، وقرأ الناس عليه سنين كثيرة، وسمع الحديث الكثير، وكان من الصالحين.

---

(١) مَخْرَق: أظهر الخَرَق، أي الحمق، توصلاً إلى حيلة. وموّه. وأصلها من المخراق: وهو المتصرّف بالأمور الذي لا يقع في أمر إلا خرج منه. والعامة تقول: فلان متخرّق في الأمور، أي يحسن التصرّف بها. (معجم متن اللغة، مادة: خرق ومخرق).

وفيها تُوفّي مُهارش البدَوِيّ بن مجلّي، الأمير أبو الحارث صاحب الحديثة، الذي خدَم الخليفة القائم بأمر الله، فيما تقدّم ذكره لمّا حصل عنده بالحديثة. وكان مُهارش هذا كثير الصلاة والصوم والصدقة صالحاً محباً لأهل العلم. وعاش نيّفاً وثمانين سنة. رحمه الله.

وفيها تُوفّي الشيخ الإمام المقرىء أبو البركات محمد بن عبد الله بن يحيى بن الوكيل، المقرىء المحدّث؛ مات وله ثلاث وتسعون سنة. وكان عالماً بفنون كثيرة، عارفاً بعلوم القرآن.

وفيها تُوفّي الشيخ الإمام أبو البقاء المُعَمَّر بن محمد بن عليّ الكوفيّ الحَبَّال؛ ومات وله ستّ وثمانون سنة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثماني أذرع سواء. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وآثنتا عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الخامسة من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة خمسمائة.

فيها ولّى الخليفة المستظهر بالله أبا جعفر عبد الله الدَّامَغَانِيّ أخا قاضي القضاة حِجْبة الباب؛ فرمى الطَّيْلسان وتزيّا بزِيّ الحَجَبة، فشقّ ذلك على أخيه.

وفيها بعث السلطان محمد شاه برأس أحمد بن عبد الملك بن عطّاش مقدّم الباطنّية، ورأسِ ولده. وكان آبن عطّاش هذا في قلعة[1] عظيمة بأصبهان.

وفيها تُوفّي جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد، الشيخ أبو محمد السَّراج القارىء البغداديّ. وُلِد سنة ستّ عشرة وأربعمائة. وقرأ بالروايات وأقرأ سنين،

(١) اسم هذه القلعة: «شاه دِزْ» و«دِزْ» فارسية معناها حصن. وقد قتل مع ابن عطاش ولده، وحملت رأساهما إلى بغداد. (انظر تفاصيل ذلك في نهاية الأرب: ٢٦/٣٦١ ــ ٣٦٣).

وسافر إلى مصر والشام، وسمع الحديث وصنّف المصنّفات الحِسان، منها كتاب «مصارع العُشّاق» وغيره. وكان فاضلاً شاعراً لطيفاً. نظم «كتاب التنبيه» وغيره. ولم يمرض في عمره سوى مرض الموت. ومن شعره: [السريع]

يا ساكني الدَّيْر[١] حُلُولاً به يُطربهم فيه النواقيسُ
قيسوا لنا القُرْبَ وكم بينه وبين أيام النَّوَى قِيسوا

وفيها قَتَل السلطان محمد شاه بن مَلِكشاه بن أَلْب أَرْسلان السلجوقيّ وزيرَه سعد الملك، سعد بن محمد أبا المحاسن[٢]، وآستوزر عِوَضَه أبا نصر أحمد بن نِظام الملك. وكان سبب قتله أنه بلغه أنّه دبّر عليه هو وجماعة، وكاتب أخاه سنجر شاه، فقبَض عليه وصلبه وأصحابه[٣].

وفيها قُتِل أيضاً الوزير فخر الملك عليّ بن الوزير نظام الملك حسن، وكنيته أبو المظفَّر. كان آستوزره بَرْكْيَارُوق، ثم توجّه إلى نيسابور، فوزر إلى سنجر شاه. وثب عليه شخص في زِيّ الصوفية من الباطنيّة وناوله قِصّة ثم ضربه بسكّين فقتله. قلت: وهكذا أيضاً وقع لأبيه نظام الملك. حسب ما ذكرناه في محلّه. فأُخِذ الباطنيّ وفُصِّل على قبر فخر الملك عُضْواً عضواً.

وفيها تُوفّي محمد بن إبراهيم، أبو عبد الله الأسديُّ. وُلِد بمكّة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة، وسافر البلاد ولقِي العلماء. وكان إماماً فاضلاً شاعراً. ومن شعره: [الخفيف]

[قلتُ[٤] ثقّلتُ إذ أتيتُ مراراً قال ثَقَّلتَ كاهلي بالأيادي
قلتُ طَوّلتُ قال لا بل تَطَـ ـوّلتَ وأبرمتُ قال حبلَ ودادي]

---

(١) في الأصل: «يا ساكني الدهر» وما أثبتناه عن طبعة دار الكتب المصرية.

(٢) في الأصل «أبو المعالي» وما أثبتناه عن المنتظم وابن الأثير ونهاية الأرب.

(٣) قال النويري في نهاية الأرب: «فأما الوزير فنسب إلى خيانة السلطان. وأما أصحابه الأربعة فنسبوا إلى اعتقاد مذهب الباطنية».

(٤) ما أثبتناه هنا عن طبعة دار الكتب برواية معاهد التنصيص ومرآة الزمان. وفي الأصل:

قال: ثقّلتُ إذ أتيتُ مراراً قلتُ: ثقّلتَ كاهلي بالأيادي
قال: طوّلتُ، قلتُ: أوليت طولاً قال: أبرمتُ قلت: حبل ودادي.

ورأيت هذين البيتين في شرح البديعيّة لابن حَجّة[١] في القول بالموجب، ونسبهما لابن حجّاج[٢]. والله أعلم.

وفيها تُوفّي الحافظ أبو الفتح أحمد بن محمد بن أحمد الحدّاد، الإمام العالم المحدّث. مات في ذي القعدة بأصبهان وله آثنتان وتسعون سنة.

وفيها تُوفّي الشيخ الإمام أبو غالب محمد بن الحسن الكَرْخيّ البَاقِلّانيّ العالم المشهور. مات وله ثمانون سنة.

وفيها تُوفّي أبو الكرم[٣] المبارك بن فاخر النحويّ البغداديّ. كان إماماً عالماً بالنحو واللغة والعربيّة، وله مصنَّفات حِسان. وتُوفّي ببغداد.

وفيها تُوفّي سلطان المسلمين بالمغرب يوسف بن تَاشْفِين اللَّمْتُونيّ[٤] صاحب المغرب، كان من عظماء ملوك الغرب.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثماني أذرع وتسع أصابع. مبلغ الزيادة تسع عشرة ذراعاً وإصبع واحدة.

* * *

السنة السادسة من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة إحدى وخمسمائة.

فيها ظهرت ببغداد صَبيّة عمياء تتكلّم عن أسرار الناس؛ فكانت تُسأل عن نقوش الخواتم وما عليها، وألوان الفصوص، إلى غير ذلك.

---

(١) هو ابن حَجَّة الحموي؛ تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي المتوفى سنة ٨٣٧هـ. كان إمام أهل الأدب في عصره. وشرح البديعية هو كتابه المعروف بـ «خزانة الأدب». (الأعلام: ٢/ ٦٧).

(٢) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد، الكاتب الشاعر المشهور، ذو المجون والخلاعة. توفي سنة ٣٩١هـ. (ابن خلكان: ٢/ ١٦٨).

(٣) في الأصل: «أبو المكارم» وما أثبتناه عن الأعلام (٥/ ٢٧١).

(٤) نسبة إلى لمتونة، بطن من صنهاجة. كان سلطان المغرب الأقصى، وباني مدينة مراكش، وأول من دعي بأمير المسلمين. (انظر الأعلام: ٨/ ٢٢٢ وفيه مصادر ترجمته).

وفيها حاصر بغدوين الفرنجيّ صاحبُ القدس صَيْداء وضايقها. حسب ما ذكرناه في أوّل هذه الترجمة.

وفيها تُوفّي الحسين بن أحمد بن النَّقّار الشيخ أبو طاهر. ولِد بالكوفة ونشأ ببغداد. وكان أديباً شاعراً فاضلاً. ومن شعره: [السريع]

وزائر زار على غفلةٍ وقد أماط الصبح ثوبَ الظلام
راح وقد سهّلت الراحُ من أخلاقه ما كان صعبَ المرام

وفيها قُتِل صَدَقة بن منصور بن دُبَيْس بن مَزْيَد، الأمير أبو الحسن سيف الدولة صاحب الحِلّة. كان كريماً عفيفاً عن الفواحش، وكانت داره ببغداد حَرَماً للخائفين. لم يتزوّج غير آمرأة واحدة في عمره، ولا تَسرى قَطُّ. قُتِل في واقعة كانت بينه وبين عسكر السلطان محمد شاه.

قلت: وكانت سِيرته مشكورة، وخصاله محمودة وإن [لم يسلم](1) من مذهب أهل الحِلَّة، فإنَّ أباه كان من كبار الرافضة.

وفيها توفّي عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد، الشيخ الإمام أبو المحاسن الرُّويانِيّ الطَّبَريّ فخر الإسلام. وُلِد في ذي الحجّة سنة خمس عشرة وأربعمائة، وتفقّه ببخارى مدة؛ وبَرَع في مذهب الشافعيّ ــ رضي الله عنه ــ وله مصنّفات في مذهبه منها كتاب «بحر المذهب» وهو أطول كتب الشافعيّة، وكتاب «مناصيص الشافعيّ» وكتاب «الكافي» وصنّف في الأصول والخلاف. وكان قاضي طَبَرِسْتان؛ فقتله الملاحدة في يوم الجمعة حادي عشر المحرّم ــ ورُويان: بلدة بنواحي طَبَرِستان ــ وقيل: إنّه مات في سنة آثنتين وخمسمائة.

وفيها تُوفّي يحيى بن عليّ بن محمد بن الحسن بن بَسْطَام، أبو زكرياء الشَّيْباني التِّبْريزيّ الخطيب اللغويّ. كان إماماً في علم اللّسان. رحل إلى الشام،

---

(١) في الأصل: «وإن سلم من مذهب أهل الحلّة» والمراد بمذهب أهل الحلّة: التشيّع. وعبارة ابن الأثير: «وإنما كان مذهبه التشيّع».

وقرأ اللغة على أبي العَلاء المَعَرِّيّ، وسمع الحديث وحدّث؛ وأقرأ اللغة. ومات في جُمادى الآخرة، وله إحدى وثمانون سنة.

وفيها تُوفّي الملك تميم بن المُعزّ بن باديس صاحب إفريقية وما والاها من بلاد المغرب. آمتدّت أيامه وكان من أجلّ ملوك المغرب؛ أقام هو وأبوه المعزّ نحواً من مائة سنة وأكثر؛ ومات وله تسع وسبعون سنة. والصحيح أنه مات في القابلة. حسب ما يأتي ذكره. وقد أثبت الذهبيّ وفاته في هذه السنة.

وفيها تُوفّي الشيخ المُسَلِّك أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الدُّونيّ[1] الصوفيّ، أحد كِبار مشايخ الصوفيّة في شهر رجب. وكان له قَدَم في علم التصوّف.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وخمس أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وثماني عشرة إصبعاً.

* * *

السنة السابعة من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة آثنتين وخمسمائة.

فيها تُوفّي إسماعيل بن إبراهيم بن العَبّاس بن الحسن، الشريف أبو الفضل الحسينيّ الدمشقيّ المعروف بآبن أبي الجِنّ. كان فقيهاً فاضلاً ثقة. ولي قضاء دمَشق مدّة، وبها تُوفّي.

وفيها تُوفّي ملك المغرب تميم بن المعزّ بن باديس أبو يحيى صاحب إفريقيّة، وينتهي نسبه إلى يَعْرُب بن قَحْطان، قاله السمعانيّ. وُلِد سنة آثنتين وعشرين وأربعمائة، وعاش ثمانين سنة، وأقام في الإمرة ستاً[2] وأربعين سنة، وخلّف مائة

(١) الدوني: نسبة إلى «دون» قرية من أعمال دينور. (معجم البلدان).

(٢) في الحلة السيراء لابن الأبار: «سبعاً وأربعين سنة إلا أربعين يوماً».

ولد لصُلْبه، قاله صاحب مرآة الزمان؛ قال: لأنّه كان مُغرىً بالجواري مع آهتمامه بالملك؛ وقيل: إنّه مات وله خمسون ولداً. وكان مُقامه بالمهديّة. وكان عظيم القدر شاعراً جَوَاداً ممدّحاً. وله ديوان شعر. ومن شعره: [الكامل]

ما بان عُذْري فيه حتّى عَذَّرا[1] ومشى الدُّجى في خدّه فتحيَّرا
همَّتْ تُقبِّله عقاربُ صُدْغِه فأسلَّ ناظرُه عليها خِنْجَرا
والله لولا أن يقال تغنى[2] وصَباً و إن كان التَّصابي أجدرا
لأعدتُ تُفّاح الخدود بَنَفْسَجاً لَثْماً وكافورَ الترائب عَنْبَرا

وله أيضاً: [الطويل]

أما والذي لا يعلم السِّرَّ غيره ومَنْ هو بالسرِّ المُكَتَّم أعلمُ
لئن كان كِتمانُ المصائبِ مُؤلماً لإِعلامُها عِندي أشدُّ وآلَمُ

وفيها تُوفّي الحسن العَلَويّ، أبو هاشم رئيس هَمَذَان. كان جَوَاداً ممدَّحاً مُمَوَّلاً شجاعاً صاحب صدقات وصلوات. صادره السلطان محمد شاه السلجوقيّ على تسعمائة ألف دينار، أدّاها في نيّف وعشرين يوماً، ولم يبع فيها عَقَاراً.

وفيها توفّي الشيخ أبو القاسم عليّ بن الحسين الربعيّ البغداديّ الفقيه المحدّث. مات في شهر رجب.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستّ أذرع وثماني عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وستّ عشرة إصبعاً.

* * *

(١) عذَّر الغلام: بنت عذراه.

(٢) كذا في الأصل. وفي هامش طبعة دار الكتب اقتراح بأن يكون اللفظ «تعشّقاً» فبه يستقيم اللفظ والمعنى.

السنة الثامنة من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة ثلاث وخمسمائة.

فيها كاتب السلطان محمد شاه السلْجوقيّ الأميرَ سُكْمان بن أُرْتُق صاحب أرمِينِيَة وأخلاط وميّافارقين، والأميرَ شرفَ الدِّين مودوداً صاحب الموَصْل، ونجم الدين إيلغازي صاحب ماردين بالاجتماع على جِهاد الفرنـج؛ فاجتمعوا وبدؤوا بالرُّهاء. وبلـغ الفرنـج، فاجتمـع طنكري صاحب أنطاكِيَة، وآبن صنجيل صاحب طرابلس، وبغدوين صاحب القدس، وتحالفوا هم أيضاً على قتال المسلمين، وساروا؛ فكانت وقعة عظيمة نصر الله المسلمين فيها وغنموا منهم شيئاً كثيراً.

وفيها تُوفّي [عمر بن][1] عبد الكريم بن سَعْدويـه، الحافظ ابـو الفِتيان[2] الدِّهِسْتانيّ. كان إماماً حافظاً محدّثاً، رحل البلاد وسمـع الكثير، وروى عنه أبو بكر الخطيب وغيره، وآتّفقوا على صدقه وثقته ودِينه. ومات في شهر ربيـع الأول.

وفيها تُوفّي وجيه[3] بن عبد الله بن نصر الأديب الفاضل أبو المِقدام التنوخِيّ. كان شاعراً فصيحاً. ولمّا أخربت الفرنـج المَعَرّة، أنشد في المعنى لمحمود بن عليّ: [الخفيف]

هذه صاحِ[4] بلدةٌ قد قضى اللّـ ـه عليها كما ترى بالخرابِ
وقِفِ العِيسَ وقفةً وآبك من كا ن بهـا من شيوخهـا والشَّبَابِ
وآعتبـر إن دخلتَ يومـاً إليهـا فهي كـانـت منـازلَ الأحبـابِ

وفيها تُوفّي الشيخ الإمام أبوسعيد محمد بن محمد بن محمد الأصبهانيّ المعروف بالمطرّز. مات في شوّال.

أمر النيل في هذه السنة:

(١) زيادة عن شذرات الذهب والبداية والنهاية والمنتظم وعقد الجمان ومعجم البلدان.
(٢) ويقال أبو حفص، كما في معجم البلدان.
(٣) في الأصل: «دحية بن عبد الله». وما أثبتناه من طبعة دار الكتب، عن مرآة الزمان وعقد الجمان.
(٤) في الأصل: «هذه بلدة يا صاح قضى الله عليها...» والتصحيح عن طبعة دار الكتب.

الماء القديم ستّ أذرع وثماني عشرة إصبعاً. مبلـغ الزيادة سبـع عشرة ذراعاً وخمس أصابـع.

* * *

السنة التاسعة من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة أربـع وخمسمائة.

فيها بنى الخليفة المستظهر بالله العباسيّ على الخاتون بنت مَلِكشاه السلْجوقي أخت السلطان محمد شاه.

وفيها أيضاً جهّز السلطان محمد شاه المذكور العساكر إلى الشام لقتـال الفرنـج، ونَدَب جمـاعة من الملوك معهم، منهـم شـرف الدِّين مـودود صاحب الموصل، وقطب الدين سُكْمان بن أُرْتُق صاحب ديار بكر فآجتمعوا ونزلوا على تَلّ[1] باشر ينتظرون البُرْسُقيّ صاحب هَمَذَان، فوصل إليهم وهو مريض، فآختلفت آراؤهم لأمور وقعت، ورجـع كلّ واحد إلى بلاده.

وفيها تُوفّي الأمير قطب الدِّين سكمان بن أُرْتُق ــ المقدّم ذكره ــ صاحب ديار بكر. عاد من الرُّهَاء مريضاً في مِحَفّة حتّى وصل ميّـافارقين فمات بها. وحُمِل تابوته من ميّـافارقين إلى أخلاط فدُفِن به. وكان ملكاً عادلاً مجاهداً. وأبوه أُرْتُق مات بالقدس. ونجم الدِّين إيلغازي بن أُرْتُق أخو سكمان المذكور هو الذي ولي بعده. توجّه إيلغازي المذكور إلى السلطان محمد شاه السلْجوقيّ، فولاه شِحْنكيَّة[2] العراق

(١) تلّ باشر: قلعة حصينة، وكورة واسعة في شمالي حلب. بينها وبين حلب يومان. وأهلها نصارى أرمن (معجم البلدان: ٢/ ٤٠)

(٢) في الأعلاق الخطيرة لابن شداد: «شحنكية بغداد». وهي وظيفة إدارية ذات شأن. وتضارع مهام صاحب هذه الوظيفة مهام محافظ المدينة أومهام رئاسة الشرطة في أيامنا. وعمل متوليها الإشراف على الشؤون الإدارية والحراسة وحفظ الأمن في المدينة. (انظر صبح الأعشى: ٥/٣٦٢). وكان نائب السلاجقة العظام أو ممثلهم لدى الخليفة يتخذ لقب «شحنة» وهو لقب فارسي. ولما كان هذا النائب إذ ذاك صاحب الشحنة الفعلية في العاصمة أصبح هذا الاسم فيا بعد يطلق على حاكم الإقليم أو الوالي وما إلى ذلك (معجم زامباور: ٣٣٧) وقد تولى إيلغازي المذكور شحنكية بغداد في المحرم من سنة ٤٩٥هـ، كما جاء في معجم زامباور.

عوضاً عن أخيه سكمان، ثم أَخَذَ منه ماردين في سنة ثمان وخمسمائة، وميّافارقين في سنة آثنتي[١] عشرة وخمسمائة، ثم أخذ منه حلب أيضاً. ولسكمان هذا وقائع مع الفرنج[٢] كثيرة ومواقف. رحمه الله.

وفيها تُوفّي عليّ بن محمد بن عليّ، الشيخ الإمام العلاّمة الفقيه العالم المشهور بالِكيَا الهَرَّاسِيّ الشافعيّ العَجَمِيّ. لَقَبُه عِمَاد الدِّين. كان من أهل طَبَرستان وخرج إلى نيسابور، وتفقّه على أبي المعالي الجُوَيْنِيّ، وقدم بغداد ودرس بالنظاميّة ووعظ وذكر مذهب الأشعريّ، فَرُجِم وثارت الفِتن، وآتُّهم بمذهب الباطنيّة. فأراد السلطان قتله، فمنعه الخليفة المستظهر بالله وشَهِد له بالبراءة. وكانت وفاته في يوم الخميس غُرّة المحرم، ودُفِن عند الشيخ أبي إسحاق الشيرازيّ، وحضر لدفنه الشيخ أبو طالب الزَّينبيّ وقاضي القضاة أبو الحسن الدامغانيّ ـ وكانا مقدّمي طائفة السادة الحنفية ـ فوقف أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الدَّامغانيّ متمثلاً بهذا البيت: [الوافر]

وما تُغْنِي النوادب والبواكي وقد أصبحتَ مثل حديث أمسِ

وأنشد الزّينبيّ أيضاً متمثّلاً بهذا البيت: [الكامل]

عُقِم النساء فما يلِدْنَ شبيهه إنّ النساء بمثله عُقْمُ

---

(١) سوف يذكر أبو المحاسن وفاة السلطان محمد شاه السلجوقي في حوادث سنة ٥١١هـ. وهو تناقض كان عليه التّنبّه له. والمؤرخون مختلفون في تحديد سنة وفاة محمد شاه (سوف نشير إلى الروايات المختلفة بهذا الشأن في حوادث سنة ٥١١هـ). ويوضح ابن شداد في الأعلاق الخطيرة (ج ٣، ص ٤٢٨) أن السلطان محمد شاه السلجوقي قد ولى إيلغازي ميافارقين في سنة ٥١٢هـ، «وكتب إلى متوليها السابق الرزبيكي أن يسلمها إليه؛ وتسلمها إيلغازي في ١٤ جمادى الآخرة من السنة فدخلها وملكها. وخرج الرزبيكي فنزل على الروابي ثلاثة أيام. فلما كان اليوم الرابع وصله رسول من السلطان محمد يأمره ألا يسلّمها، فوجد الأمر قد فات». ورواية ابن شداد تقطع بعدم خروج ميافارقين من يد إيلغازي في هذه السنة وحتى وفاته سنة ٥١٦هـ.

(٢) لعلّ أشهرها وقعة «البلاط» سنة ٥١٣هـ. وقد وصف ابن القلانسي هذه الوقعة وصفاً حياً في تاريخه في وقائع سنة ٥١٣هـ. وذكرها ابن العديم في زبدة الحلب: ١٨٨/٢، وجاء في الاعتبار لأسامة بن منقذ: ص ٤٤ «فإن نجم الدين إيلغازي ـ رحمه الله ـ كسر الإفرنج على البلاط وذلك يوم الجمعة خامس جمادى الأولى سنة ٥١٣هـ وأفناهم، وقتل صاحب أنطاكية روجار وجميع فرسانه».

ولمّا مات رثاه أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان الغَزِّيّ الشاعر المشهور آرتجالاً بقصيدة أوّلها: [البسيط]

هي الحوادث لا تُبْقي ولا تَذَرُ ما للبريّة من محتومها وَزَرُ
لو كان يُنجي عُلُوٌّ من بوائقها لم تُكْسَفِ الشمس بل لم يُخْسَفِ القمرُ

والكِيَا: بكسر الكاف وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها ألف. والهَرّاسِيّ معروف[1]. والكيا بلغة الأعجام: الكبير القدر.

وفيها تُوفّي أبو يَعْلَى حمزة بن محمد الزَّينبيّ أخو الإمام العالم طَرّاد. مات في شهر رجب وله سبع وتسعون سنة.

وفيها تُوفّي الشيخ الإمام المقرىء أبو الحسين يحيى بن عليّ بن الفَرَج الخَشّاب بمصر. كان عالم مصر ومقرئها.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم ستّ أذرع وثلاث أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وأربع أصابع.

* * *

السنة العاشرة من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة خمس وخمسمائة.

فيها عزل السلطان محمد شاه بن مَلِكشاه السلْجوقيّ وزيرَه أحمد بن نظام الملك، وكانت وزارته أربع سنين وأحد عشر شهراً.

وفيها تُوفّي الشيخ الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغَزاليّ الطُّوسِيّ الفقيه الشافعيّ. كان إمام عصره. تفقّه على أبي المعالي الجُوَيْنيّ حتى بَرَع في عدّة علوم كثيرة، ودرس وأفتى، وصنّف التصانيف المفيدة في الأصول

(١) في الأعلام: ٤/٣٢٩ أن لفظة «الهرّاسي» فارسية بمعنى: الذعر.

والفروع، ودرّس بالنِّظاميّة، ثم ترك ذلك كلَّه ولبِس الخام الغليظ، ولازم الصوم وحجّ وعاد؛ ثم قدِم إلى القدس، وأخذ في تصنيف كتابه «الإحياء» وتمّمه بدمشق. وله من المصنفات «البسيط» «والوسيط» «والوجيز» وله غير ذلك. وذكره آبن السمعانيّ في الذيل فقال: ومن شعره: [الكامل]

حلّت عقارب صُدغه في خدّه قمراً يجِلّ بها عن التشبيه
ولقد عهِدناه يَحُلّ بِبُرجْها ومن العجائب كيف حلّت فيه

وفيها توفّي محمود بن عليّ بن المهنأ بن أبي المكارم. الفضل بن عبد القاهر، أبو سلامة المعرّيّ القائل في حق المعرّة لما آستولى عليها الفرنج الأبيات التي مرّت في ترجمة وجيه بن عبد الله في سنة ثلاث وخمسمائة التي أوّلها: [الخفيف]

هذه صاحِ بلدةٌ قد قضى اللّـ ـه عليها كما ترى بالخراب

وجد والد محمود هذا الفضل بن عبد القاهر هو القائل: [البسيط]

لَيلِي وليلَى نفى نومي آختلافُهما بالطُّول والطَّوْل يا طُوبَى لو آعتدلا
يجود بالطُّول ليلِي كلّما بخلتْ بالطَّوْل ليلى وإن جادتْ به بخلا

وفيها تُوفّي مقاتل بن عطيّة بن مقاتل، الأمير شِبل الدولة، أبو الهيجاء البكريّ، من ولد أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه. قال العِماد الكاتب: «كان شِبل الدولة من أولاد العرب، وقع بينه وبين إخوته خشونة ففارقهم، وسار إلى خُراسان وغَزْنة ومدح أعيانها، وآختصّ بنظام الملك الوزير». إنتهى كلام العِماد. قلت وهو الذي رَثَى نظام الملك بقوله: [البسيط]

كان الوزير نظام الملك لؤلؤةً نفيسةً صاغها الرحمن من شَرفَ
أضحت ولا تعرف الأيّام قيمتَها فردّها غيرةً منه إلى الصَّدَف

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وثلاث أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وأربع أصابع.

* * *

السنة الحادية عشرة من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة ست وخمسمائة.

فيها تُوفّي محمد بن موسى بن عبد الله اللاّمِشِيّ[١] التركيّ الإمام الفقيه الحنفيّ، مصنّف «أصول الفقه» على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه. كان إماماً عالماً فقيهاً مفتناً. ولي قضاء بيت المقدس مدّة. وكانت وفاته بدمشق في يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الآخرة. وسمّاه الذهبيّ البَلاساغُونِيّ[٢] الحنفيّ قاضي دمشق عدوّ الشافعيّة.

وفيها تُوفّي قاضي القضاة أبو العلاء صاعد بن منصور النيسابوريّ الواعظ. كان إماماً فقيهاً عالماً واعظاً، كان له لسان حُلْو في الوعظ.

وفيها تُوفّي الشيخ أبو سعد المعمّر بن عليّ [[بن المُعَمّر][٣] بن أبي عِمامة الحنبليّ الفقيه الواعظ؛ كان فقيه بغداد وواعظها.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثماني أذرع وخمس عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وإصبعان.

* * *

السنة الثانية عشرة من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة سبع وخمسمائة.

فيها تُوفّي إسماعيل بن أحمد بن الحسين بن عليّ بن موسى، أبو عليّ البَيْهَقِيّ

---

(١) نسبة إلى «لامش» من قرى فرغانة.

(٢) نسبة إلى «بلاساغون» بلدة من ثغور الترك وراء نهر سيحون قرب كاشغر. ويعرف «بالترك» كما في أنساب السمعاني.

(٣) زيادة عن الذهبي وشذرات الذهب.

ولد[١] أبي بكر أحمد صاحب التصانيف. رحَل البلاد، ولَقِي الشيوخ، وسكن خُوارَزْم ودرس بها، ثم عاد إلى بَيْهق فتوفّي بها. وكان إماماً فاضلاً صدوقاً ثقةً.

وفيها تُوفّي الأمير رِضوان ابن الأمير تاج الدولة تُتُش بن أَلْب أَرْسلان بن داود ابن ميكائيل بن سَلجوق بن دقماق السلجوقيّ المنعوت بفخر الملك صاحب حلب. ملكها بعد قتل أبيه تُتُش في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة. وكان غير مشكور السِّيرة. قتل أخويه أبا طالب وبَهْرَام؛ وقتل خواصّ أبيه. وهو أوّل من بَنَى بحلب دار الدعوة. وكان ظالماً بخيلاً شحيحاً قبيح السِّيرة، ليس في قلبه رأفة ولا شفقة على المسلمين. وكانت الفرنج تغاوِر وتسبي وتأخذ من باب حلب ولا يخرج إليهم. ومرِض أمراضاً مزمنة، ورأى العِبرَ في نفسه، حتّى مات في ثامن عشر جمادى الآخرة، وملك بعده آبنه ألب أرسلان وعمره ستّ عشرة سنة، وقام بكفالته لؤلؤ الخادم.

وفيها تُوفّي محمد بن أحمد بن الحسين، أبو بكر الشّاشيّ الفقيه الشافعيّ. ولد سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وكان يعرف بالمستظهريّ؛ تفقّه بجماعة وقرأ على آبن الصّبّاغ كتاب «الشامل» ودرس بالنظاميّة. ومات في شوّال، ودفن عند أبي إسحاق الشّيرازيّ. وكان كثيراً ما يُنْشِد: [الوافر]

تَعَلّمْ يا فتى والعودُ رَطْبٌ وطِينُك ليِّن والطبعُ قابِل
فحسبُك يا فتى شَرفاً وفخراً سكوتُ الحاضرين وأنت قائل

وفيها تُوفّي محمد بن أحمد بن محمد، الإمام العلامة أبو المظفّر الأَبِيوَرْدِيّ؛ وهو من ولد معاوية بن محمد بن عثمان بن عتبة بن عنبسة بن أبي سفيان صَخْر بن حرب. كان عالماً بالأنساب وفنون اللغة والآداب، وسمع الحديث ورواه، وصنّف

(١) في الأصل: «والد أبي بكر». والتصحيح عن الذهبي والبداية والنهاية والمنتظم. ووالده أبو بكر البيهقي صاحب: السنن الكبرى، والسنن الصغرى، والمعارف، والأسماء والصفات، ودلائل النبوة وغيرها الكثير. توفي سنة ٤٥٨هـ.

لأبِيوَرْد تاريخاً،[١] وصنّف «المختلف والمؤتلف» في أنساب العرب. وكان له الشعر الرائق. وكان فيه كِبْر وتيه بحيث إنّه كان إذا صلّى يقول: اللهم ملّكني مشارق الأرض ومغاربها. وكتب قصّة للخليفة وعلى رأسها «الخادم المعاوِيّ» (يريد بذلك نسبه إلى معاوية). فأمر الخليفة بكشط الميم وردّ القصة؛ فبقِيت «الخادم العاوي». وكانت وفاته بأصبهان. ومن شعره وأجاد إلى الغايةِ: [الطويل]

تنكّر لي دهري ولم يدرِ أنني أَعِزُّ وأحداث الزمانِ تهونُ
وظلّ يُريني الخطْبَ كيف آعتداؤه وبِتُّ أريه الصبر كيف يكون

وفيها تُوفّي الأمير مودود صاحب الموصل. كان قدِم الشام لمساعدة الأتَابَك ظهير الدين طُغْتِكِين وكسر الفرنج. وكان مودود هذا يدخل كلّ جمعة فيصلي بجامع دِمشق ويتبرّك بمصحف عثمان رضي الله عنه. فدخل على عادته ومعه الأتابك طُغْتِكِين يمشي في خدمته والغِلمان حوله بالسيوف مسلّلة؛ فلمّا صار في صحن الجامع وثب عليه رجل لا يُؤبه له، وقرب من مودود هذا كأنّه يدعو له، وضربه بخَنْجَر أسفل سرّته ضربتين، إحداهما نفذت إلى خاصرته، والأخرى إلى فخذه، والسيوف تأخذه من كلّ ناحية؛ وقُطِع رأسه ليُعرف شخصه فما عُرف. ومات مودود من يومه[٢]، وكان صائماً فلم يُفطر، وقال: والله ما ألقى الله إلّا صائماً. وكان من خِيار الملوك دِيناً وشجاعة وخيراً. ولّما بلغ السلطانَ محمداً شاه السلْجوقّي موتُه أقطع المَوْصِل والجزيرة لآق سُنْقُر البُرْسُقِيّ، وأمره بتقديم عِماد الدين زَنْكِي والرجوع إلى إشارته. وزَنْكِي هذا هو والد الملك العادل نور الدين محمود المعروف بالشهيد، المنشىء[٣] لدولة بني أيوب.

---

(١) سمّاه حاجي خليفة في كشف الظنون: «تاريخ أبيورد ونَسا».

(٢) ذكر ابن الأثير أن الذي قتله رجل من الباطنية. قال: وقيل بل خافه طغتكين فوضع عليه من قتله. وذكر ابن الأثير برواية عن والده أن ملك الفرنج كتب إلى طغتكين بعد قتل مودود كتاباً من فضوله: «إن أمةً قتلت عميدها، يوم عيدها، في بيت معبودها، لحقيق على الله أن يبيدها».

(٣) في الأصل: «الناشىء».

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثماني أذرع وخمس عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وإصبعان.

* * *

السنة الثالثة عشرة من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة ثمان وخمسمائة.

فيها واطأ لؤلؤ خادم رِضوان على قتل آبن أستاذه ألب أرسلان، ففتكوا به في قلعة حلب.

وفيها نزل الأمير نجم الدين إيلغازي بن أُرْتُق على حِمص، وفيها خيرخان[1] بن قراجا. وكان عادة نجم الدين إذا شرب الخمر وتمكّن منه أقام أياماً مخموراً لا يُفِيق لتدبيره، ولا يستأمر في أمور. وعرف منه خيرخان هذه العادة فتركه حتّى سَكِر، فهجم عليه برجاله وهو في خَيْمته، فقبض عليه وحمله إلى قلعة حِمص وسجنه بها أيّاماً، حتى أرسل إليه طُغْتِكِين يوبخه ويلومه فأطلقه.

وفيها هلك بغدوين الفرنجيّ صاحب القدس من جُرح أصابه في وقعة طَبَريّة، وأراح الله المسلمين منه، ومصيره إلى سَقَر.

وفيها قتِل الأمير أحمديل[2] الرَّوَّادِي صاحب مراغة؛ قتله باطنيّ ضربه بسكِّين في دار السلطان محمد شاه ببغداد. وكان شجاعاً جِوَاداً؛ وكان يركب في خمسة آلاف فارس. وكان إقطاعه أربعمائة ألف دينار في السنة.

وفيها تُوفّي عليّ بن محمد بن محمد بن محمد بن جهير، الصاحب أبو القاسم الوزير ابن الوزير؛ وزَر لجماعة من الخلفاء غير مرّة. ومات في سابع عشرين شهر ربيع الأوّل. وكان وزيراً عاقلاً حليماً سديد الرأي، حسن التدبير والثبات، من بيت رياسة ووزارة.

(١) كذا في ابن الأثير وابن القلانسي. وفي الأصل «جرجان».

(٢) هو أحمديل بن وهسوذان، الأمير الروّادي الكردي، كما في ابن الأثير وذيل تاريخ دمشق.

وفيها تُوفّي الشريف الحسيب النسيب أبو القاسم عليّ بن إبراهيم الحسينيّ خطيب دِمشق في شهر ربيع الآخر. وكان فاضلاً فصيحاً خطيباً.

فيها تُوفّي الحافظ الفقيه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله، الخَوْلانِيّ القُرْطُبيّ؛ كان عالم بلاده ومفتيها.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وأربع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وعشر أصابع.

* * *

السنة الرابعة عشرة من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة تسع وخمسمائة.

فيها صالح الأفضل أمير الجيوش مدبر مملكة الآمر صاحب الترجمة بردويل الفرنجيّ صاحب القدس. وكان بردويل قد أخذ قافلة عظيمة من المسلمين بالسبخة المعروفة الآن بسبخة[1] بردويل. فرأى الأفضل مهادنته لعجزه عنه، وأمر الناس بذلك، وساروا إلى الشام وغيره.

وفيها تُوفّي عليّ بن جعفر بن القَطّاع[2]، أبو القاسم السعديّ الصقِلّي، من أولاد كِبار علماء صِقِلّية. وقدِم مصر ومدح الأفضل أمير الجيوش. وكان شاعراً بارعاً. ومن شعره: [الطويل]

ألا فليوطِّنْ نفسَه كلُّ عاشقٍ ... على سبعةٍ محفوفة بغرام
رقيبٍ وواشٍ كاشحٍ ومُفَنِّدٍ ... مُلِح ودَمْعٍ واكفٍ وسَقام[3]

---

(١) راجع ص ١٦٩. حاشية (٧) من هذا الجزء.

(٢) في تاريخ وفاته خلاف. قيل سنة ٥١٥هـ، وقيل سنة ٥٠٨هـ، وقيل سنة ٥١٤هـ ــ انظر شذرات الذهب وابن خلكان والذهبي والأعلام والبداية والنهاية.

(٣) في الأصل: «وغرام» وما أثبتناه من طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان.

وفيها تُوفّي محمد بن عليّ ــ وقيل محمد بن محمد ــ بن صالح الشيخ الأديب أبو يَعْلَى العَبّاسيّ المعروف بآبن آلهَبَّاريّة الشاعر البغداديّ. كان فيه إقدام بالهجو على أرباب المناصب. وقدِم أصبهان وبها السلطان ملكشاه السلجوقيّ ووزيره نظام الملك حسن الطُّوسيّ، فدخل على النظام المذكور ومعه رُقعتان، رقعة فيها هجوه والأخرى فيها مدحه؛ فأعطاه التي فيها الهجو يظنّ أنها التي فيها المدح. وكان الهجو: [الكامل]

لا غَـرْوَ أنْ مـلك آبن إســ ـحـاق وسـاعـده الـقـدَرْ
وصـفـا لـدولـتـه وخَـ ـص أبا المحاسن بـالكَدَر
فـالـدهـر كـالـدُّولاب لـيـ ـس يـدور إلّا بـالـبـقـر

ــ وأبو المحاسن الذي أشار إليه كان صهر نظام الملك، وكان بينهما عداوة ــ فكتب نظام الملك: يُصرف لهذا القوّاد رسمه مضاعفاً. ثم هجاه بعد ذلك فأهدر دمه. قال العِماد الكاتب: كان آبن الهَبّارِيّة من شعراء نظام الملك، غلب على شعره الهجاء والهزل والسّخف، وسلك في قالب آبن حَجّاج وفاقه في الخلاعة والمجون. ومن شعره أيضاً: [الكامل]

وإذا البَيَادِقُ في الدُّسوت تَفَرْزنتْ[1] فـالـرأيُ أن يتبيـدق الفِـرْزانُ
وإذا النفوسُ مـع الدنوّ تباعـدت فـالحزمُ أن تتبـاعـد الأبـدانُ
خُـذ جملةَ البلوى ودَعْ تفصيلَها مـا في البـريّـة كلِّهـا إنســان

قلت: وآبن الهَبّاريّة هذا هو صاحب «الصادح والباغم»[2].

وفيها تُوفّي الحافظ البارع أبو شجاع شِيرويه بن شهردار[3] بن شِيرويه الديلميّ

(١) تفرزن البيدق أي صار فرزاناً. وهو مثل يضرب لمن يتعاظم وهو حقير. (معجم متن اللغة).
(٢) الصادح والباغم: منظومة على أسلوب كليلة ودمنة في ألفي بيت. لبث في نظمها عشر سنين. وقد نظمها للأمير سيف الدولة أبي الحسن صدقة بن دبيس، وأولها:
الحـمـد لله الـذي حـبـاني بـالأصـغـريـن الـقـلـب والـلـسـان.
(كشف الظنون: ٢/١٠٦٩).
(٣) في الأصل: «شهرزاد» والتصحيح عن تذكرة الحفاظ وشذرات الذهب.

الهَمَذاني بهمذان. كان إماماً حافظاً، سمع الكثير ورحل البلاد وحدّث؛ وكان من أوعية العلم.

وفيها تُوفّي ــ في قول الذهبيّ ــ الأمير يحيى بن تميم بن المعزّ بن باديس صاحب بلاد المغرب. وقد تقدّم ذكر أبيه وجدّه في هذا الكتاب. كان مَلَك بعد أبيه تميم في سنة آثنتين وخمسمائة إلى أن مات في هذه السنة رحمه الله.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم سبع أذرع وسبع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً سواء.

* * *

السنة الخامسة عشرة من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة عشر وخمسمائة.

فيها قُتِل الأمير لؤلؤ الذي كان قَتَل آبن أستاذه ألب أرسلان. والصحيح أنه قتل في الآتية.

وفيها حجّ بالناس أمير الجيوش الجيوشي الحبشيّ المستظهري العباسيّ، ودخل مكّة وعلى رأسه الأعلام وخلفه الكوسات[1] والبوقات والسيوف في ركابه، وقصد بذلك إذلال[2] أمير مكة والسودان؛ فوقع له بمكة أمور، ولم يقاومه أحد.

وفيها تُوفّي محمد بن عليّ بن ميمون، الحافظ أبو الغنائم بن النَّرْسِيّ الكوفيّ؛ محدّث مشهور ويعرف بأُبَيّ[3] لأنّه كان جيّد القراءة، وسمِع الحديث الكثير وسافر البلاد، وخُتم به علم الحديث بالكوفة. قال محمد بن ناصر: ما رأيت مثل

---

(١) الكوسات: صنوج من نحاس شبه الترس الصغير يدق بأحدها على الأخر بإيقاع مخصوص. ويتولى ذلك الكوسيّ. (انظر صبح الأعشى: ٤/٩، ١٣ وزبدة كشف الممالك لخليل بن شاهين الظاهري: ١١٣).

(٢) في الأصل: «إزالة» والتصحيح عن المنتظم وعقد الجمان.

(٣) تشبيهاً له بأُبيّ بن كعب بن قيس، سيّد القراء دون منازع.

أبي الغنائم في ثقته وحفظه؛ ما كان أحد يقدر أن يُدخِل في حديثه ما ليس منه. وعاش ستاً وثمانين سنة.

وفيها تُوفيّ محفوظ بن أحمد بن الحسن أبو الخطّاب الكَلْوَاذانِيّ الفقيه الحنبليّ. تفقّه على القاضي أبي يَعْلَى، وسمع الحديث وأفتى ودرّس، وصنّف «الهداية» وغيرها، وشهد عند قاضي القضاة أبي عبد الله الدَّامغانِيّ الحنفيّ. وكان فاضلاً شاعراً. وله قصيدة من جنس العقيدة؛ أولها: [الكامل]

دع عنك تَذْكارَ الخليط المُنجدِ والشَّوقَ نحو الآنسات الخُرَّدِ
والنوحَ في أطلال سُعْدَى إنّما تذكارُ سُعْدَى شغلُ من لم يسعَدِ

وله أيضاً من غير هذه القصيدة: [الوافر]

لئن جار الزمان عليّ حتّى رماني منه في ضَنْك وضِيق
فإنّي قد خَبَرتُ له صروفاً عَرَفتُ بها عدوّي من صديقي

ومات وله ثمان وسبعون سنة.

وفيها توفي المُسْنِد المعمَّر أبو بكر عبد الغفّار بن محمد الشِّيرُوِيي[1]، مُسْنِد نَيْسَابور في ذي الحجة، وله ستّ وتسعون سنة، ورحل إليه الناس من الأقطار.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وتسع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وست أصابع.

* * *

السنة السادسة عشرة من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة إحدى عشرة وخمسمائة.

فيها زُلْزِلت بغدادُ يوم عَرَفة زلزلةً عظيمة آرتجّت لها الدنيا؛ فكانت الحِيطان

(١) الشِّيروِييّ: بياثين في الآخر. نسبة إلى «شيرويه» أحد أجداده (السمعاني).

تذهب وتجيء، ووقع الدُّور على أهلها فمات تحتها خلقٌ كثير. ثم كان عقبَها موت السلطان محمد[1] شاه السَّلْجوقي، ثم موت الخليفة المُسْتَظْهِر العباسيّ في السنة الآتية؛ وحارب دُبَيس بن مَزْيَد الخليفةَ المسترشد بالله، وغلت الأسعار حتى بلغ الكُرّ القمح أو الدقيق ثلاثمائة دينار، وفُقِد أصلاً، ومات الناس جوعاً، وأكلوا الكلاب والسنانير. ثم جاء سيل عظيم فأخرب سِنْجار. قال ذلك صاحب مرآة الزمان.

وفيها نزل آق سُنْقُر البُرْسُقي على حلب وبها يارقتاش الخادم بعد لؤلؤ، فحاصرها فلم يظفَر منه بطائل، وعاد إلى الموصل.

وفيها توفّي محمد بن سعيد بن إبراهيم بن نَبْهَان، أبو عليّ الكاتب سِبْط هلال ابن المُحَسِّن الصابىء المقدّم ذكره؛ مات في شوّال ودُفِن بداره بالكَرْخ. وكان فاضلاً فصيحاً شاعراً، إلاّ أنّه كان شيعيّاً رافضيّاً. ومن شعره: [السريع]

لي أجَلٌ قدَّره خالقي نَعَمْ ورِزْقٌ أتَوَفّاهُ
حتّى إذا آستوفيتُ منه الذي قُدِّر لي لم أتَعَدّاهُ

وفيها توفّي السلطان محمد شاه آبن السلطان أَلْب أرْسلان بن داود بن ميكائيل بن سَلْجوق بن دُقْماق، أبو شُجاع غِياث الدين السَّلْجوقيّ. كان ملكاً عادلاً مَهِيباً شجاعاً كريماً. خرج في السنة الماضية إلى أصبهان، فمرِض بها مرضاً طال به إلى أن مات في حادي عشر ذي الحجّة، وعمره سبع وثلاثون سنة، ومدّة ملكه بعد وفاة أخيه بَرْكْيَارُوق آثنتا عشرة سنة. وخلّف خمسة أولاد: مسعوداً ومحموداً وطُغْرِل وسليمان وسَلْجوق. وولي السلطنة من بعده ولده محمود.

وفيها توفّي يُمْن بن عبد الله، الخادم أبو الخير الحبشي، خادم المستظهر العباسيّ. كان مَهِيباً جَواداً حسنَ التدبير ذا رأي وفطنة، مات بأصبهان.

(١) في تاريخ وفاته خلاف. ذكره ابن خلكان في وفيات سنة ٥١٧هـ. وجاءت وفاته في تاريخ الفارقي سنة ٥١٢هـ. وفي عبر الذهبي وابن خلكان والوافي بالوفيات وأخبار الدولة السلجوقية ونهاية الأرب سنة ٥١١هـ.

وفيها توفّي المحدّث الفاضل أبو طاهر عبد الرحمن بن أحمد بن عبد القادر بن يوسف راوي سنن الدّارَقُطْنيّ. كان من كبار المحدّثين.

وفيها توفّي الشيخ الإمام الفقيه الواعظ الحافظ أبو زكرياء يحيى بن عبد الوهاب بن مَنْدَه بأصبهان. سمع الكثير ورحل البلاد وبرع في فنون وحدّث، وروى عنه غير واحد.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وآثنتا عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وتسع عشرة إصبعاً.

* * *

السنة السابعة عشرة من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة آثنتي عشرة وخمسمائة.

فيها في يوم الجمعة ثالث عشرين المحرّم خُطِب ببغداد لمحمود بن محمد شاه السلجوقيّ، بعد موت أبيه، على المنابر.

وفيها توفّي الخليفة أمير المؤمنين المستظهر بالله أبو العبّاس أحمد ابن الخليفة المقتدي بالله أبي القاسم عبد الله آبن الأمير محمد الذخيرة آبن الخليفة القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله آبن الخليفة القادر بالله أحمد آبن الأمير إسحاق آبن الخليفة المقتدر بالله جعفر آبن الخليفة المعتضد بالله أبي العباس أحمد ابن الأمير الموفّق طلحة ابن الخليفة المتوكّل على الله جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد بالله هارون بن الخليفة المهديّ بالله محمد ابن الخليفة أبي جعفر المنصور بن محمد بن عليّ ابن عبد الله بن عبّاس العبّاسيّ الهاشميّ البغداديّ. وأمّه أمّ ولد تركيّة تسمّى الطن[1]. بويع بالخلافة بعد موت أبيه المقتدي بالله في ثامن عشر المحرّم سنة تسع وثمانين وأربعمائة، وعمره سبع عشرة سنة وشهران. وكان

(١) في عقد الجمان: «أمه أم ولد أرمينية اسمها حرام».

ميمونَ الطَّلْعة حميد الأيّام. قال ابن الأثير: كان ليِّن الجانب، كريم الأخلاق، يُسارع في أعمال البِرّ، وكانت أيّامه أيّام سرور للرعيّة، فكأنّها من حسنها أعياد. وكان حسن الخطّ جيّد التوقيعات لا يقاربه فيها أحد، تدلّ على فضل غزير وعلم واسع. ومات بعلّة التَّرَاقِي وهي دُمَّل يطلع في الحَلْق. ومن شعره: [البسيط]

أذاب حرُّ الهوى في القلب ما جَمَدَا   يومَ[1] مَدَدتُ إلى رَسْم الوَدَاع يدا
وكيف أسلُك[2] نَهْجَ الاصطبار وقد   أرى طرائق في مَهْوَى الهوى قِدَدَا

وكانت خلافته خمساً وعشرين سنة وأيّاماً. ولم تصفُ له الخلافة، بل كانت أيّامه مضطربة كثيرة الحروب. وتولّى الخلافة من بعده آبنه المسترشد.

وفيها خرجت والدة السلطان محمود بن محمد شاه من أصبهان إلى السلطان سِنْجَر شاه، فلقِيها ببَلْخ فأكرمها. فقالت له: أدرك آبن أخيك وإلاّ تَلِف، فإنّ الأموال قد تمزّقت، والبلاد قد أشرفت على الأخذ، وهو صبيّ وحوله من يلعب بالملك. فقال لها: سمعاً وطاعة. وكان وزيرَ محمود ومدبر مملكته أبو القاسم، وكان سيىء التدبير ظالماً، وكان يخاف من مجيء سنجر شاه المذكور إلى البلاد؛ فأنفق ما في خزائن محمد شاه في أربعة أشهر، وباع الجواهر [والأثاث] وأنفقه في العساكر فلم يفده ذلك، على ما سيأتي ذكره.

وفيها توفّي بكر بن محمد بن عليّ بن الفضل بن الحسن بن أحمد بن إبراهيم، الإمام الفقيه الحافظ المحدّث أبو الفضل الأنصاريّ الزَّرَنْجَرِيّ ــ وزَرَنْجَر: قرية على خمسة فراسخ من بُخَارَى ــ سمع الحديث الكثير من جماعة كثيرة، وتفرّد بالرواية عن جماعة منهم، لم يحدّث عنهم غيرُه. وكان بارعاً في الفقه يضرب به المثل، ويقولون: هو أبو حنيفة الصغير. وكان إذا طلب منه أحد من المتفقهة الدرس ألقى عليه من أيّ موضع أراد من غير مطالعة ولا نظر في كتاب، وكان إذا أشكل على الفقهاء شيء رجعوا إلى قوله ونقله.

(١) في ابن الأثير وتاريخ الخلفاء للسيوطي: «لما مددت».
(٢) في الأصل: «وكيف أملك». وما أثبتناه عن ابن الأثير وتاريخ الخلفاء وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبي.

وفيها توفِّي الحسين بن محمد بن عليّ بن الحسن، الإمام العلّامة أبو طالب الزينبيّ الحنفيّ فريدُ عصره. وُلِد سنة عشرين وأربعمائة، وقرأ القرآن وسمع الحديث وبرع في الفقه وأفتى ودرّس. اِنتهت إليه رياسة السادة الحنفيّة في زمانه ببغداد، ولقّب بنور الهدى. وترسّل إلى ملوك الأطراف من قِبَل الخليفة، وولي نقابة الطالبيّين والعباسيّين. وكان شريف النفس والحسب، كثير العلم جليل القدر. ومات يوم الاثنين حادي عشر صفر، وصلّى عليه آبنه القاسم، وحُمِل إلى قُبّة أبي حنيفة فدفِن داخل القبّة، وله آثنتان وتسعون سنة. وكان سمع من غَيْلان وغيره، وآنفرد ببغداد بروايته صحيح البخاريّ عن كَرِيمة بنت أحمد.

وفيها توفِّي محمد بن عتيق بن محمد التميميّ القَيْرَوَانِيّ. قدم الشام مجتازاً إلى العراق. وكان يقرىء علم الكلام بالنِّظاميّة، وكان يحفظ كتاب سيبويه. وسمع يوماً قائلاً يُنشِد أبيات أبي العلاء المَعَرِّي: [الطويل]

ضحَكنا وكان الضِّحْك منّا سفاهةً وحقٌّ لسكّان البسيطة أن يبكوا
وتَحْطِمنا الأيّام حتّى كأنّنا زُجاج ولكن لا يُعاد لنا سَبْكُ

فقال مجيباً: [الطويل]

كذبتَ، وبيتِ اللهِ، حِلْفَة صادقٍ سَيَسْبِكُنا بعد النَّوَى مَنْ له المُلْكُ
ونرجع أجساماً صِحاحاً سليمةً تَعَارَفُ في الفردوس ما عندنا شكّ

وفيها توفّي أبو الفضل[1] بن الخازن الشاعر المشهور. كان دَيِّناً فاضلاً شاعراً.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع سواء. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وأربع أصابع.

* * *

(١) وفاته في شذرات الذهب ووفيات الأعيان: سنة ٥١٨هـ. والذي ذكر وفاته سنة ٥١٢هـ هو صاحب مرآة الزمان. (انظر الأعلام: ١/٢١٤) وهو أبو الفضل أحمد بن محمد بن الفضل.

السنة الثامنة عشرة من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة.

فيها قَدِم السلطان سِنْجر شاه السلجوقيّ الريّ وملكها؛ وآصطلح مع آبن أخيه محمود بن محمد شاه بعد حروب، وزوّجه آبنته، وأقرّه على ملكه.

وفيها وقعت المباينة بين الآمر خليفة مصر (أعني صاحب الترجمة) وبين مدبّر مملكته الأفضل ابن أمير الجيوش؛ وآحتجب الآمر عنه وتعلّل بمرض. وآجتهد الأفضل أن يغتاله بالسمّ فلم يقدِر، ودسّ إليه السمّ مراراً فلم يصل إليه. وكان للآمر قَهْرَمانةٌ كاتبة فاضلة تَعْرِف أنواع العلوم: الطب والنجوم والموسيقى، حتّى كانت تعمل التحويلات وتحكم على الحوادث، فآحترزت على الآمر؛ ولم تزل تدبّر على الأفضل ابن أمير الجيوش حتى قُتِل، حسب ما يأتي ذكره.

قال آبن القلانسيّ: وفيها ظهرت صور الأنبياء عليهم السلام: الخليل وولديه إسحاق ويعقوب[1] ــ صلوات الله عليهم ــ وهم مجتمعون في مَغَارةٍ بأرض بيت المقدس، وكأنهم أحياء لم يَبْلَ لهم جسد ولا رمّ لهم عظم، وعليهم قناديلُ من ذهب وفضّة معلّقة، فسدّوا باب المغارة وأبقوا على حالهم.

وفيها توفّي عليّ بن محمد بن عليّ بن محمد بن الحسن بن عبد الملك بن حَمّويه، قاضي القضاة أبو الحسن الدامغانيّ الحنفيّ. وُلِد في رجب سنة تسع وأربعين وأربعمائة، وقُلِّد القضاء وهو آبن ستّ عشرة سنة بعد موت أبيه؛ وولي القضاء لأربعة خلفاء. وهذا لم يقع لغيره إلّا للقاضي شُرَيْح. وأمّا القاضي أبو طاهر محمد بن أحمد الكوفيّ فذاك ولي لخمسة خلفاء.

قلت: الشيء بالشيء يذكر؛ وهذا قاضي قُضاة زماننا، جلال الدين عبد الرحمن بن عمر البُلْقِينيّ، ولي القضاء لستة سلاطين: الناصر فَرَج، والمنصور عبد العزيز آبني الظاهر برقوق، والخليفة المستعين بالله العباسي، والمؤيّد شيخ،

---

(١) كذا في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي. وفي الأصل: «وولديه إسحاق وإسماعيل ويعقوب».

وآبنه المظفّر أحمد، والظاهر طَطَر. ووقـع مثّل هذا كثير في آخر الزمان؛ والمقصود غير ذلك. وكان الدامَغانيّ إماماً عالماً عفيفاً ديِّناً معظّماً عند الخلفاء والملوك. وناب عن الوزارة، وآنفرد بأخذ البَيعة للخليفة المسترشد. وكان ذا مروءة وصـدقات وإحسان، ومعرفة بصناعتي القضاء والشروط. ومات ليلة رابـع عشر المحرّم، ودفِن في مشهد أبـي حنيفة ــ رضي الله عنه ــ وعاش ثلاثاً وستين سنة وأشهراً. ولي القضاء منها تسعاً وعشرين سنـة وخمسة أيّـام. وسمـع الحديث من القـاضي أبـي يَعْلَى الفرّاء والخطيب وغيرهما؛ وكان صدوقاً ثقة.

وفيها توفّي الإمام العلاّمة أبو الوفاء عليّ بن عقِيل بن محمد بن عَقيل البغداديّ الحنبلي شيـخ الحنابلة في عصره. كان إماماً عالماً صالحاً مفتنّاً؛ ومات ببغداد وله آثنتان وثمانون سنة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ست أذرع وآثنتان وعشرون إصبعاً. مبلـغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وسبـع أصابـع.

* * *

السنة التاسعة عشرة من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة أربـع عشرة وخمسمائة.

فيها خُطِب ببغداد لسِنْجَر شاه السلجوقيّ ولابن أخيه محمود بن محمد شاه جميعاً في المحرّم، ولقب سنجر شاه بالسلطان عضد الدولة، ومحمـود بجلال الدولة.

وفيهـا توفِّي الحسين[1] بن عليّ بن محمـد، الإمام العـلاّمة مؤيّـد الدين الطُّغْرَائيّ الكاتب وزير السلطان محمود بن محمد شاه السلجوقيّ، المقدّم ذكره؛ والطغرائيّ هذا جدّ محمد بن الحسين وزير الظاهر غازي آبن السلطان صلاح الدين

(١) في الأصل: «الحسن». وما أثبتناه عن ابن خلكان وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبـي.

يوسف بن أيوب. وكان السلطان محمود نسب خروج أخيه مسعود عليه إلى الطُّغْرائِيّ فقتله. وقال الذهبيّ: وزير السلطان مسعود قُتِل في المَصاف بين مسعود وأخيه محمود. وكان أفصح الفصحاء، وأفضل الفضلاء، وأمثل العلماء؛ وهو صاحب «لاميّة العجم»[١]، وديوانه مشهور بأيدي الناس. ومن شعره يمدح الوزير نظام الملك على قافيتين[٢]: [مجزوء الكامل]

يا أيّها المولى الذي اصــ ـطَنَع الورَى، شَرْقاً وغَرْبا

والقصيدة كلها على هذا المنوال.

ومن شعره أيضاً: [السريع]

قُومُوا إلى لذّاتكم يا نيامْ وَنبهوا العُودَ وصَفّوا المُدامْ
هذا هلال الفطر قد جاءنا بِمِنْجَلٍ يحصُد شهر الصيام

وفيها توفي الحافظ أبو منصور محمود بن إسماعيل الأشقر الأصبهانيّ عالم أصبهان ومحدّثها؛ مات في ذي القعدة.

وفيها توفيّ الشيخ الإمام المقرىء أبو الحسن عبد العزيز بن عبد الملك بن شفيع الأندلسيّ المَرِيّ[٣] المقرىء المجوّد. كان رأساً في علوم القرآن، وأفاد وأقرأ سنين.

---

(١) وهي القصيدة المشهورة التي أولها:

أصالة الرأي صانتني عن الخَطَل وحِلية الفضل زانتني لدى العَطَل
مجدي أخيراً ومجدي أولاً شَرَعٌ والشمس رأدَ الضحى كالشمس في الطَّفَل

وهي تنيف على ستين بيتاً. يصف فيها حاله ويشكو زمانه. ــ وعن القصائد اللاميّات المشهورة أنظر كشف الظنون: ٢/١٥٣٦ ــ ١٥٤٠.

(٢) القافية الأولى كلمة «الورى» في البيت، والقافية الثانية آخر البيت. وبعد هذا:

والمستعان على الزما ن إذا اعترى، وأجدّ جدبا
اقسمت بالبزل النوا فخ في البرى، قوداً وقبّا.

وللحريري صاحب المقامات المعاصر للطغرائي مثل هذا الشعر. انظر النجوم. طبعة دار الكتب: ٥/٢٢٠ حاشية: ٢).

(٣) في الأصل: «المغربي». وما أثبتناه عن شذرات الذهب.

وفيها توفيّ الشيخ أبو الحسن عليّ بن الحسن بن المَوَازِينِيّ، العالم المحدِّث المشهور.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم تسع أذرع وآثنتا عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وإصبع واحدة.

* * *

السنة العشرون من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة خمس عشرة وخمسمائة.

فيها كتب الخليفة المسترشد بالله العباسيّ والسلطان محمود بن محمد شاه السلجوقيّ إلى إيلغازي يأمرانه بإبعاد دُبَيْس بن صدقة، وفسخ الكتاب الذي عقده له على آبنته.

وفيها تُوُفِّي عبد الرزّاق بن عبد الله بن عليّ بن إسحاق الطوسيّ، ابن أخي نظام الملك. كان فاضلاً؛ تفقّه على أبي المعالي الجُوَينيّ، وأفتى وناظر، ووزر للسلطان سِنْجَر شاه السلجوقيّ. ومات بنيسابور.

وفيها توفّي محمد بن محمد بن عبد العزيز أبو عليّ بن المهتدي الخطيب. كان فاضلاً؛ شهد عند القاضي أبي عبد الله الدامَغانيّ الحنفيّ؛ وكان ظريفاً صالحاً ديّناً. ومات في شوّال، ودفن بباب حرب من بغداد.

وفيها قُتل الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش أبو القاسم بن أمير الجيوش بدر الجماليّ الأرمنيّ وزير مصر ومدبّر ممالكها. ولي مملكة مصر بعد[1] موت أبيه بدر

---

(١) من الثابت أن الأفضل اشترك في الوزارة مع أبيه، وإن كان هناك خلاف كبير بين المراجع في ذلك. فابن ميسَّر والمقريزي لم يذكرا ذلك، في حين أن ابن الصيرفي يذكر ما يلي: «انتقل النظر إليه حين اشتد مرض والده في شهر ربيع الأول من سنة ٤٨٧هـ» ويستطرد في أن سبب تولية الأفضل في حياة أبيه هو طمع أحد رجال بدر الجمالي ويدعى لاوون في الوزارة عندما رأى مرض سيّده، ولكنه لم ينجح في مسعاه وأسندت الوزارة إلى الأفضل. والثابت من السجلات المستنصرية أن الأفضل اشترك مع أبيه في تدبير الأمور منذ السابع من المحرم سنة ٤٧٩هـ. (محمد حمدي المناوي: الوزارة في العصر الفاطمي، ص ٢٧١).

الجماليّ في أيّام المستعلي إلى أن مات المستعلي؛ فأقام الأفضل هذا ولدَه مكانه في الخلافة، ولقّبه بالآمر (أعني صاحب الترجمة) ودبّر دولته وحَجَر عليه. وكان الخليفة المستنصر جدّ الآمر هذا وولده المستعلي والد الآمر كلاهما أيضاً تحت حجر بدر الجمالي والد الأفضل هذا. فلمّا ملك الأفضل سار على سيرة أبيه مع الخلفاء من الحَجْر والتضييق عليهم. وزاد الأفضل هذا في حقّ الآمر صاحب الترجمة حتى إنّه منعه من شهواته، وأراد قتله بالسمّ. فحمله ذلك على قتله، وآتّفق الآمر مع جماعة، وكان الأفضل يسكن بمصر؛ فلمّا ركب في غير موكب وثبوا عليه وقتلوه في سلخ شهر رمضان بعد أمور وقعت. وخلّف الأفضل من الأموال والنقود والقماش والمواشي ما يُسْتحيا من ذكره كثرةً. وقد ذكرنا ذلك في «كتاب الوزراء» وهو محلّ الإطناب في الوزراء، وليس لذكره هنا محلّ. والمقصود في هذا الكتاب تراجم ملوك مصر لا غير، وما عدا ذلك يكون على سبيل الاستطراد. قال آبن الأثير: كانت ولايته (يعني الأفضل) ثمانياً وعشرين سنة، وكان حسن السيرة عادلاً. ثم أخذ في تعداد أمواله.

وفيها تُوفّي الإمام الحافظ المحدّث أبو محمد الحسين بن مسعود البَغَويّ المعروف بابن الفرّاء. كان إماماً حافظاً؛ رحل إلى البلاد وسمع الكثير وحدّث وألّف وصنّف. وكان يقال له محيي السنة. ومات في شوّال.

وفيها تُوفّي الحافظ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عمر[1] السَّمَرْقَنْدِيّ الإمام الحافظ المشهور. سمع الكثير وروى عنه غير واحد، وكان صدوقاً ثقة ديّناً.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وأربع أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وعشر أصابع، وقيل: خمس أصابع.

* * *

(١) في الأصل: «ابن عمران». وما أثبتناه عن المنتظم وشذرات الذهب.

السنة الحادية والعشرون من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة ست عشرة وخمسمائة.

فيها كانت وقعة عظيمة بين الأمير إيلغازي بن أُرْتُق صاحب مارِدين وبين الكفّار على تَفْليس، فعاد مريضاً فمات بعد أيّام.

ذكر وفاته ــ هو نجم الدين إيلغازي بن أُرْتُق صاحب ماردين ودياربكر وحلب؛ وهو ثالث من ظهر أمره من ملوك بني أُرتق الأعيان. وكان ملكاً شجاعاً جواداً، له غزوات ومواقف مشهورة مع الفْرنج. وكانت وفاته في هذه السنة عند عوده من تفليس بميافارقين في شهر رمضان. وذكر الذهبيّ وفاته في الخالية؛ والأصحّ ما قلناه؛ فإنّه عاد إلى ميّافارقين مريضاً، فنزل بظاهرها ومعه زوجته الخاتون بنت الأمير ظهير الدين طُغْتِكِين صاحب دمشق؛ فمات يوم الخميس سابع عشر شهر رمضان في قرية تُعْرَف بالفحول؛ فحمل تابوته إلى ميّافارقين. وكان عنده آبنه شمس الدولة سليمان فآستولى على ميّافارقين؛ وآستولى آبنه الآخر حُسَام الدين تمرتاش[1] على ماردين.

وفيها توفّي عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان، أبو محمد والد أبـي اليُسْر شاكر التنوخيّ المعرّيّ. ولد بالمعرّة، وقرأ الأدب، وقال الشعر. ومن شعره: [الكامل]

يا من تنكّب قَوْسَه وسِهامَه ... وله من اللّحظ السقيم سُيوف
يُغْنِيك عن حمل السلاح إلى العِدا ... أجفانُك المرضَى وهنّ حُتوف

وفيها توفي عبد الله بن يحيى بن البهلول الأندلسيّ. كان أصله من مدينة سَرَقُسْطَة من الغرب؛ وكان فاضلاً أديباً شاعراً. ومن شعره قوله: [الطويل]

ولستُ بمن يبْغِي على الشعر رِشوةً ... أبَى ذاك لي جَد كريمٌ ووالدُ
وإنّيَ من قومٍ قديماً ومُحْدَثاً ... تُباع عليهم بالألوف القصائدُ

(١) في الأصل: «حسام الدولة تمرداش». وما أثبتناه عن ابن الأثير وابن القلانسي والأعلاق الخطيرة. وفي معجم زامباور: «تيمورتاش».

وفيها توفّي الحسين بن مسعود بن محمد، الشيخ الإمام العلّامة أبو محمد البَغَوِيّ الشافعيّ المعروف بابن الفرّاء، الفقيه المحدّث المفسر. وقد تقدّم ذكر وفاته في الماضية. والصحيح أنّه مات في هذه السنة. وهو مصنّف «شرح السنّة» و«معالم التنزيل» و«المصابيح» وكتاب «التهذيب في الفقه» «والجمع بين الصحيحين». وكان أبوه يعمل الفِرَاء ويبيعها. ومات بمرو الرُّوذ في شوّال.

وفيها توفّي عبد الرحمن بن أبي بكر عتيق بن خلف، أبو القاسم الصِّقِلِّي المقرىء المجوِّد المعروف بابن الفحّام، مصنّف «التجريد»[١] في القراءات السبع. كان من كبار شيوخ القرّاء، سكن الإسكندريّة، وقصده الناس من النواحي لعلوّ إسناده وإتقانه.

وفيها توفّي القاسم بن عليّ بن محمد بن عثمان، الشيخ العلّامة الأديب اللغويّ النحويّ أبو محمد البصريّ الحراميّ الحريريّ، مصنّف «المقامات». كان يسكن «بني حرام» أحد محالّ البصرة مما يلي الشطّ. مولده ومرباه بقرية «المَشان» من أعمال البَصْرة في حدود سنة ستّ وأربعين وأربعمائة؛ وكان أحد أئمة عصره في الأدب والبلاغة والفصاحة، وله مصنّفات كثيرة، منها كتاب «المقامات» الذي لا نظير له في معناه، وقد سلك فيه منوال بديع الزمان صاحب المقامات الذي عملها قبل الحريريّ؛ وقد تقدّم ذكره في هذا الكتاب في محلّه. وفي مقامات الحريري هذا يقول إمام الدنيا محمود الزمخشريّ: [السريع]

أُقسم بالله وآياته ... ومعشرِ الحجّ وميقاتِهِ
إنّ الحريري حريٌّ بأن ... نكتبَ بالتِّبر مقاماتِهِ

ومن شعر الحريريّ: [البسيط]

لا تخطونَّ إلى خِطْء[٢] ولا خَطَأ ... من بعد ما الشيبُ في فَوْدَيْك قد وَخَطا
وأيّ عُذْرٍ لمن شابت ذوائبه ... إذا سعى في ميادين الصِّبا وخطا

---

(١) في الأصل: «التجويد» والتصحيح عن شذرات الذهب وغاية النهاية وطبقات القراء.
(٢) الخِطْء: الذَّنب، أو ما تعمّد منه. وفي التنزيل العزيز: ﴿إن قَتْلَهم كان خِطئاً كبيراً﴾.

وقد أرّخ الذهبيّ وفاته في السنة الماضية. والله أعلم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ست أذرع وست وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وثلاث أصابع.

* * *

السنة الثانية والعشرون من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة سبع عشرة وخمسمائة.

فيها قَبَض السلطان محمود السلجوقيّ على وزيره عثمان بن نظام الملك، وبعث الخليفة بعزل أخيه أحمد عن وزارته. فبلغ أحمد فانقطع عن الديوان.

وفيها سار الأمير نور الدولة بلك [بن بهرام][1] بن أُرْتُق إلى غزو مدينة الرُّهاء في شهر رجب.

وفيها توفّي الأمير الحاجب فيروز شِحْنة دمشق. وكان أميراً صالحاً ديّناً، وله آثار جميلة بدمشق وغيرها.

وفيها توفّي أحمد بن محمد بن عليّ، أبو عبد الله بن الخيّاط التغلِبيّ الدمشقيّ الكاتب الشاعر المجيد؛ طاف البلاد ومدح الأكابر والملوك؛ قيل: إنّه دخل حلب في حداثة سنّه، فقصد دار أبي الفِتْيان بن حَيُّوس الشاعر وقد أسنّ، قال: فدخلت عليه؛ فقال: من أين أنت؟ فقلت: من دمشق. فقال: ما صناعتك؟ قلت: الشعر. قال: فأنشدني من شعرك. فأنشدته قولي: [الكامل]

لم يبقَ عندي ما يباع بحَبّةٍ وكفاك شاهد مَنْظَري عن مَخْبري
إلّا صُبابة ماء وجهٍ صنتها من أن تُباع وأين أين المشتري

(١) زيادة عن ابن الأثير وابن القلانسي ومعجم زامباور. وهو فيه: بليق بن بهرام.

قال: نَعَيتَ إليّ نفسي. قلت: ولِم؟ قال: لأنّ الشام لا تخلو من شاعر مجيد، ولا يجتمع فيها شاعران، وأنت مُوازني في هذه الصناعة. ثم أعطاني دنانير وكسوة. ومن شعره أيضاً قوله في جواب كتاب: [البسيط]

وافى كتابك أسنَى ما يعود به وفدُ المَسَرّة منّي إذ يُوافيني
فظِلتُ أَطْويه من شوقٍ وأنشُرهُ والشوقُ ينشُرني فيه ويَطْويني

وفيها قُتل الوزير عثمان بن نظام الملك. كان آستوزره السلطان محمود بن محمد شاه السلجوقيّ؛ فبعث عمّه سِنْجَر شاه السلجوقيّ يطلبه. فقال أبو نصر المستوفي: متى بعثتَ به حياً إلى عمّك سنجر شاه لم تأمنه، أُقتله وآبعث إليه برأسه. فبعث عنبراً الخادم إليه ليقتله. فعرف عثمان وقال: أمْهِلني حتّى أصَلّيَ ركعتين؛ فقام وصلّى وقال لعنبر: أرني سيفك ما أراه إياه، سيفي أمضى منه، فلا تقتلني إلاّ به؛ وناوله إيّاه فقتله به. فلما كان بعد قليل بعث السلطان محمود إلى أبي نصر المستوفي مَنْ فعل به كذلك، وذبحه ذبح الشاة. قلت: الجزاء من جنس العمل.

وفيها توفّي عبد المنعم بن حفاظ بن أحمد بن خلف، المحدّثُ أبو البركات الأنصاريّ الدمشقيّ، ويعرف بآبن البقليّ. كان جواداً فاضلاً، سمع الكثير؛ وآستوزره خيرخان بن قراجا صاحب حِمْص؛ ثم بلغه أنه كاتب طُغْتِكِين صاحب دمشق، فقبض عليه وكحله، فرجع إلى دمشق أعمى، فأقام بها حتّى مات.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثماني أذرع وعشر أصابع. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وعشر أصابع.

* * *

السنة الثالثة والعشرون من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة ثماني عشرة وخمسمائة.

فيها عزم دُبَيس على قصد بغداد؛ وكان دُبَيس قد ٱلتجأ إلى طُغْرِل بن محمد شاه السلْجوقيّ. فتأهّب الخليفة المسترشد بالله للقائهما، وجمع الجيوش من كلّ جانب؛ ثم ترك دُبَيس المجيء في هذه السنة لأمر مّا.

وفيها كاتب أهلُ حَلَب آق سُنْقُر صاحب الموصل: فسار إلى حلب فسلمها إليه أهلها، وهرب منها الأمير سُكْمان بن أُرْتُق؛ فساق آق سنقر البُرْسُقِيّ خلفه، فلحقه بمَنْبِج فقتله.

وفيها ٱستولت الفرنج على صُور بالأمان بعد أمور وحروب ذكرناها في أوّل ترجمة الآمر هذا.

وفيها تُوفّي عبد الله بن محمد بن عليّ بن محمد، القاضي أبو جعفر الدّامغَانيّ الحنفيّ؛ شهد عند أبيه، ثم ولي قضاء الكَرْخ من قِبَل أخيه، ثم ترك ذلك ورمى الطيلسَان وولي حِجبة باب النوبيّ للخليفة؛ وعظُم على أخيه. وكان فاضلاً كريم الأخلاق حسن العشرة خليقاً بالرياسة.

وفيها توفّي محمد بن نصر بن منصور، أبو سعد القاضي الهَرَوِيّ. كان في بداءة أمره فقيراً حتّى ٱتّصل بالخليفة، وصار سفيراً بينه وبين الملوك. وٱستشهد هو وولده بهمذان، وكانت له اليد الباسطة في النظم والنثر. ومن شعره: [الوافر]

أُوَدِّعكم وأُودعكُمْ جَناني وأنثُر دمعتي نَثْرَ الجُمانِ
وإنّي لا أريد لكم فراقاً ولكن هكذا حُكْمُ الزمانِ

وفيها توفّي الفقيه أبو الفتح سلطان بن إبراهيم المَقْدِسيّ الشافعيّ بمصر؛ قاله الذهبيّ. كان فقيهاً عالماً بارعاً في فنون.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وأربع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وأربع عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الرابعة والعشرون من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة تسع عشرة وخمسمائة.

فيها جَسَّر دُبَيس بن صَدَقة طُغْرِلَ بن محمد شاه السلجوقّي على قصد بغداد وأن يطلب السلطنة لنفسه، فسار؛ وآستعدّ له الخليفة المسترشد، ووقع له معهما حروب آلت إلى أنّ دُبَيساً تَوَجّه بعد هزيمته إلى سِنجَرشاه السلجوقيّ مستجيراً به، فأجاره ثم قبض عليه.

وفيها قبض الآمر صاحب الترجمة على وزيره المأمون أبي عبد الله بن البطائحيّ وعلى أخيه[1] أحمد المؤتمن، وآستولى على أموالهما وذخائرهما ثم قتلهما، وكانا قد دبّرا في القبض عليه. والمأمون هذا هو باني جامع الأقمر بالقاهرة. وكان الآمر آستوزره بعد قتل الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن الفضل أبو الفضل الكاتب الأديب الفاضل الشاعر المشهور، المعروف بآبن الخازن، وقد تقدّم ذكر وفاته فيما مضى[2]. والله أعلم.

وفيها قُتل الأمير آق سنقر البُرْسقِيّ صاحب المَوْصل. كان أميراً شجاعاً جواداً عادلاً في الرعيّة، وكان الخلفاء والملوك يحترمونه، وكان قد آحترز من الباطنيّة بالرجال والسلاح والجانداريّة[3]. فدخل يوم الجمعة لجامع المَوْصِل، فجاء إلى

(١) في أخبار مصر لابن ميسَّر: «وعلى إخوته الخمسة مع ثلاثين رجلاً من خواصه وأهله، واعتقله وصلبه مع إخوته في سنة ٥٢٢هـ» وكان المأمون البطائحي قد ولي الوزارة للآمر سنة ٥١٥هـ. وفي سبب قتله أقوال مختلفة (انظر الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي: ص ٢٧٢ ــ ٢٧٥). وبعد قتل المأمون البطائحي بقي الآمر دون وزراء من رمضان سنة ٥١٩هـ إلى ذي القعدة سنة ٥٢٤هـ.

(٢) تقدمت وفاته في وفيات سنة ٥١٢هـ.

(٣) الجاندارية: جمع جاندار. وهي كلمة فارسية مركبة من كلمتين «جان» بمعنى روح و«دار» بمعنى حافظ. والجاندار: حافظ الروح؛ وهم الحرس أو العسس. (النجوم الزاهرة، طبعة دار الكتب، ٥/٢٣٠، حاشية) ويبدو أن مفهوم هذا المصطلح قد تطوّر في الدولة الأيوبية والدولة المملوكية فأصبح يعني فئة من مماليك السلطان أو الأمير. ووظيفة أمير جاندار أن صاحبها يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان ويقدّم البريد مع الدوادار وكاتب السرّ. وصاحب هذه الوظيفة يدور أيضاً حول =

المقصورة وفيها جماعة من الصوفيّة لهم عادة يصلّون فيها، فاستراب بهم ودخل في الصلاة وتأخّر عنه أصحابه؛ فوثب عليه ثلاثة في زِيّ الصوفيّة فضربوه بالسكاكين، فلم تعمل في جسده للدرع الذي كان عليه؛ فصاحوا: رأسَه وجهَه، فضربوه حتّى قتلوه، وقُتِل الثلاثة. وحزِن الناس عليه، وأقاموا ابنه مسعوداً مقامه.

وفيها توفّي الأمير سليمان بن إيلغازي بن أُرْتُق صاحب مَيّافارقين. كان عادلاً شجاعاً جَوَاداً؛ مات في شهر رمضان ودُفِن عند أبيه. وجاء أخوه تمرتاش من ماردين، فملك ميّافارقين وأحسن إلى أهلها.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم تسع أذرع وثلاث أصابع. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وأربع عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الخامسة والعشرون من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة عشرين وخمسمائة.

فيها توفّي أحمد بن محمد بن محمد الشيخ، أبو الفتوح[1] الغزاليّ الطوسيّ، أخو أبي حامد الغزاليّ المقدّم ذكره. كان متصوّفاً متزهّداً في أوّل عمره ثم وعظ، وكان مفوّهاً. قال ابن الجَوْزِيّ: ولمّا وعظ قبّله العوامّ. وجلس في دار السلطان محمود فأعطاه ألف دينار، فلمّا خرج وفرسُ الوزير في الدهليز بمركب ذهب وقلائد وطَوْق ذهب، فركبه ومضى. وبلغ الوزير فقال: لا يتبعه أحد ولا يُعاد الفرس.

= السلطان في سفره. (انظر صبح الأعشى: ٤/٢٠ طبعة دار الكتب العلمية، ومسالك الأبصار للعمري، قسم دولة المماليك الأولى، تحقيق دوروتيا كرافولسكي، ص١١٧، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى: ص ٨٢ وفيه تأصيل مختلف عما ورد أعلاه من طبعة دار الكتب عن القاموس الفارسي الإنكليزي. قال في مصطلحات الصبح: «جان» بمعنى سلاح، و«دار» بمعنى ممسك).

(١) كذا في ابن خلكان وشذرات الذهب والبداية والنهاية. وفي الأصل: «أبو الفتح».

وفيها توفّي عبد الله[1] بن القاسم بن المظفّر بن عليّ، القاضي أبو محمد المرتضى الشَّهْرُزُورِيّ والد قاضي القضاة كمال الدين. كان أحد الفضلاء الشَّهْرُزُورِيّين والعلماء المذكورين، وكان له النظم والنثر. ومن شعره: [الطويل]

وبانُوا فكم دمعٍ من الأَسْرِ أطلقوا نجيعاً وكم قَلْبٍ أعادوا إلى الأَسْرِ
فلا تُنْكِروا خَلْعي عذَارِي تأسُّفا عليهم فقد أوضحتُ عندكم عُذْري

وفيها توفّي محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيّوب، الشيخ الإمام الفقيه الصوفيّ المالكيّ أبو بكر الطُّرْطُوشِيّ الأندلسيّ العالم المشهور، نزيل الإسكندرية ــ وطُرْطُوشة آخر بلاد المسلمين من الأندلس، وقد عادت الآن للفرنج ــ وكان يعرف بآبن أبي رَنْدَقَة. حجّ ودخل العراق وسمع الكثير؛ وكان عالماً زاهداً وَرِعاً ديِّناً متواضعاً متقشّفاً متقلّلاً من الدنيا راضياً باليسير. وقال آبن خلِّكان: إنّه دخل على الأفضل بن أمير الجيوش بمصر فبسط تحته مِئزره، وكان إلى جانب الأفضل نصرانيّ، فوعظ الأفضل حتى أبكاه، ثم أنشد: [السريع]

ياذا الذي طاعتُه قُرْبةٌ وحقُّه مفترضٌ واجبُ
إنّ الذي شُرِّفتُ من أجله يزعُم هذا أنّه كاذب

وأشار إلى النصرانيّ. فأقام الأفضل النصرانيّ من موضعه وأبعده. وقد صنّف الشيخ أبو بكر كتاب «سراج الملوك» للمأمون[2] الذي وِلي وزارة مصر بعد الأفضل، وقد تقدّم ذكره في الماضية؛ وله تصانيف أخرى، وفضله مشهور لا يحتاج إلى بيان.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثماني أذرع وثلاث أصابع. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وإصبع واحدة.

* * *

(١) في ابن خلكان وشذرات الذهب والبداية والنهاية أن وفاته سنة ٥١١هـ.

(٢) في وفيات الأعيان: «وصنّف له كتاب سراج الهدى، وهو حسن في بابه. وله من التصانيف سراج الملوك وغيره» وعن محتوى «سراج الملوك» انظر كشف الظنون: ٢/٩٨٤.

السنة السادسة والعشرون من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة إحدى وعشرين وخمسمائة.

فيها قَتل الباطنيّة وزير[١] السلطان سِنْجَر شاه السلجوقيّ. وكان قد أفنى منهم آثني عشر ألفاً. فبعثوا إليه سائساً يخدُم في إصطبله مدّة إلى أن وجد الفرصة؛ فدخل الوزير يوماً يفتقد خيله، فوثب عليه المذكور فقتله، وقُتِل بعده.

وفيها قُتِل الأمير مسعود بن آق سُنْقُر البُرْسُقِيّ بالرّحْبة؛ وكان عزمه أخذ دمشق فعوجل. وكان ولي بعد موت أبيه آق سُنْقُر في الخالية، فلم تَطُلْ مدّته.

وفيها توفّي أحمد [بن أحمد][٢] بن عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن المتوكّل على الله، الإمام المحدّث أبو السعادات. سمع الحديث الكثير ورحل البلاد. مات متردّياً من سطحه في شهر رمضان ببغداد. وكان صحيح السماع ثقة.

وفيها توفّي هبة الله بن عليّ بن إبراهيم، أبو المعالي الشيرازيّ. كان من أعيان الفضلاء، وله شعر جيّد.

وفيها توفّي العبد الصالح الزاهد أبو الحسن عليّ بن المبارك بن الفاعوس، زاهد بغداد. كان كبير القَدْر، أحد أعيان الصوفيّة، وله أحوال وكرامات. مات ببغداد وكان له مشهد عظيم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثماني أذرع وسبع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً، وأصابع لم تحرّر[٣].

* * *

(١) هو معين الدين الملك أبو نصر أحمد بن الفضل، كما في ابن الأثير وعقد الجمان. وفي نهاية الأرب للنويري: معين الدين مختصّ القاشاني.

(٢) زيادة عن الذهبي والمنتظم وعقد الجمان والشذرات.

(٣) حسب جدول كارتمير: ١٧ ذراعاً سواء. وفي كنز الدرر: ١٦ ذراعاً و ١٥ إصبعاً.

السنة السابعة والعشرون من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة آثنتين وعشرين وخمسمائة.

فيها توفّي الحسن بن عليّ بن صدقة، الوزير أبو عليّ جلال الدين[١]، وزير الخليفة المسترشد بالله العباسيّ. كان فاضلاً ديّناً رئيساً عاقلاً حسن السِّيرة محمود الطريقة محبوباً للخاصّة والعامّة جواداً ممدّحاً؛ مات ببغداد وحزِن عليه الخليفة. وتطاول بعد موته للوزارة جماعة، منهم عِزّ الدولة بن المطلب، وآبن الأنباريّ، وأحمد آبن نظام الملك وغيرُهم؛ فلم يستوزر الخليفة أحداً منهم، وآستناب نقيبَ النقباء عليّ بن طَرّاد الزينبيّ[٢] الحنفيّ.

وفيها تُوُفّي الحسين بن عليّ بن أبي القاسم الفقيه العلامة أبو عليّ اللاَّمِشِيّ السَّمَرْقَنْدِيّ الحنفيّ. كان إماماً مفتناً يُضرب به المثل في النظر[٣]؛ وسمع الحديث ورواه، وكان صالحاً ديناً على طريق السلف مُطَّرِحاً للكلفة. ومات بسَمَرْقَنْد.

وفيها توفّي الأمير ظهير الدين أبو المنصور طُغْتِكِين بن عبد الله الأتابكَ صاحب الشام مملوك تاج الدولة تُتُش بن أَلْب أَرْسلان السلْجوقيّ. كان طغتكين مقدّماً عند أستاذه تُتُش المذكور، وزوّجه أم آبنه دقماق، ونصّ عليه في أتابكية آبنه دقماق المذكور. فقام بتدبير ملكه أحسن قيام، وغزا الفرنج غير مرّة، وله في الجهاد اليد البيضاء. وقد ذكرنا بعض وقائعه في أوّل ترجمة الآمر هذا مع الفرنج على سبيل الاختصار، نُعَرِّف من ذلك همّته وشجاعته. وكان عادلاً في الرعيّة. ولمّا آحتُضر أوصى بالملك إلى ولده تاج الملوك بوري؛ فسار في الناس أيضاً أحسن سِيرة. ومات طغتكين في صفر بعد أن حكم دمشق سنين كثيرة. رحمه الله تعالى.

---

(١) لقبه المسترشد: جلال الدين، سيّد الوزراء، صدر الشرق والغرب، ظهير أمير المؤمنين (الفخري: ٣٠٤).

(٢) انظر نسبه كاملاً في الفخري. وعرفوا بالزينبيين نسبة إلى أمهم زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس.

(٣) في الأصل: «النظم». وما أثبتناه عن الذهبي وعقد الجمان.

وفيها توفي عبد الله بن طاهر بن محمد بن كاكُو، أبو محمد الواعظ. ولد بصُور ونشأ بالشام. قال أنشدني أبو إسحاق الشيرازيّ لنفسه: [البسيط]

لما أتاني كتاب منك مبتسماً عن كلّ معنىً ولفظٍ غير محدودِ
حكتْ معانيه في أثناء أسطُره أفعالك البِيضَ في أحواليَ السُّود

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وثماني أصابع. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وثلاث عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثامنة والعشرون من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة.

فيها ضمِن زَنْكِي بن آق سُنْقُر للسلطان مائة ألف دينار على ألّا يعزِله عن الموصل؛ وضمِن الخليفة للسلطان أيضاً مثل ذلك، ولا يولّي دُبَيساً ولاية ــ وكان الخليفة يكره دبيساً ــ فقبِل السلطان ذلك.

وفيها توفّي طاهر بن سعد، الصاحب الوزير أبو عليّ المَزْدَقَانِيّ. كان شجاعاً جواداً، بنى المسجد على الشرف[1] شمالي دمشق، ويسمّى مسجد الوزير؛ وكان قد عاداه وجيه الدولة بن الصوفّي، فانتمى إلى الإسماعيليّة خوفاً منه، فقُتل هناك.

وفيها توفّي هبة الله بن أحمد بن محمد، الحافظ المحدّث أبو محمد الأنصاريّ المعروف بآبن الأكفانيّ. سمع الكثير ولقي الشيوخ، وسمع جدّه لأمّه أبا الحسن بن صصري وغيره.

وفيها توفّي الحافظ أبو الفضل جعفر بن عبد الواحد الثقفي، الفقيه العالم المشهور؛ مات وله تسع وثمانون سنة.

وفيها تُوُفّي أبو الحسن عبيد الله بن محمد ابن الإمام أبي بكر البَيْهقيّ ببغداد

* * *

(١) يقال له شرف البعل؛ وهو صقع بالشام. وقيل: جبل في طريق الحاج من الشام. (معجم البلدان).

في جمادى الأولى؛ وكان فاضلاً فقيهاً؛ سمع الحديث.

وفيها توفِّي الفقيه المحدِّث أبو الحجّاج يوسف بن عبد العزيز المَيُورْقِيّ الأصل ثمّ الإسكندري، وبها توفّي. كان إماماً فقيهاً عالماً بارعاً مفتناً في كثير من العلوم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وست وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وخمس أصابع.

* * *

السنة التاسعة والعشرون من خلافة الآمر منصور على مصر

وهي سنة أربع وعشرين وخمسمائة.

وهي السنة التي قُتل فيها الآمر صاحب الترجمة، حسب ما ذكرناه مفصّلاً في ترجمته أوّلاً.

وفيها (أعني سنة أربع وعشرين) آستَوْزَرَ بُورِي بن طُغْتِكين صاحب دمشق المفرّجَ بن الصوفي.

وفيها وصل زنكي بن آق سُنْقُر إلى حلب من الموصل، وقد أظهر أنّه على عزم الجهاد؛ وراسل بوري يلتمس منه المعونة على محاربة الفرنج. فأرسل إليه بوري مَن آستحلفه الأيمان المغلّظة، وآستوثق منه لنفسه ولصاحب حِمْص وحَمَاة.

وفيها ظهرت بالعراق عقارب طيارة لها أجنحة، وهي ذات شوكتين؛ فقتلت من الأطفال خلقاً كثيراً. قاله صاحب مرآة الزمان؛ والعهدة عليه فيما نقلناه عنه[1].

وفيها توفِّي إبراهيم بن عثمان بن محمد، أبو إسحاق العَزِّيّ الكلبيّ الشاعر. مولده بغزّة. كان أحد فضلاء الدهر، رحل إلى البلاد وآمتدح جماعةً من الرؤساء. ومن شعره وأجاد إلى الغاية: [الكامل]

(١) ذكره أيضاً ابن الأثير وصاحب الشذرات عن العبر.

قالوا هجرتَ الشعرَ قلتُ ضرورة ... بـابُ البَـوَاعِـثِ والـدَّواعي مغلقُ
خَلَتِ البـلادُ فـلا كـريمٌ يُرْتَجَى ... منـه النـوالُ ولا مـليحٌ يُعْشَقُ
ومن العجـائب أنّـه لا يُشتَـرَى ... ويُخـان فيه مـع الكسـاد ويُسْرَق

وفيها توفّي الحسين بن محمد بن عبد الوهّاب، الإمام البارع أبـو عبد الله النحوي؛ وهو أخو أبـي الكرم[1] بن فاخر النحويّ لأمّه. قرأ بالروايات، وسمـع الحديث الكثير، وآشتغل باللغة والأدب، وقال الشعر الرائق.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبـع أذرع وأربـع أصابـع. مبلـغ الزيادة سبـع عشرة ذراعاً وأربـع أصابـع.

(١) في الأصل: «أبو المكارم» وما أثبتناه عن شذرات الذهب وعقد الجمان.

ذكر خلافة الحافظ[1] لدين الله على مصر

الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد آبن الأمير أبي القاسم محمد آبن الخليفة المستنصر بالله مَعَدّ ابن الظاهر بالله علي ابن الحاكم بأمر الله منصور ابن العزيز بالله نِزار ابن المعزّ لدين الله معدّ ابن المنصور إسماعيل ابن القائم محمد ابن المهديّ عبيد الله، العبيديّ الفاطميّ المصريّ، الثامن من خلفاء مصر من بني عبيد، والحادي عشر منهم ممن ولي من آبائه بالمغرب، وهم ثلاثة: المهديّ والقائم والمنصور. وأوّل من ولي من آبائه بالقاهرة المعزّ لدين الله؛ فلهذا قلنا: هو الثامن من خلفاء مصر، والحادي عشر منهم ممن ولي بالمغرب.

وولي الحافظ الخلافة بمصر بعد قتل آبن عمه الآمر أبي عليّ منصور، على ما يأتي بيانه من أقوال كثيرة. ولم يكن من خلفاء مصر مَنْ أبوه غير خليفة سواه والعاضد الآتي ذكره. ولَقبوه الحافظ لدين الله، ووزر له أبو علي أحمد بن الأفضل ولُقِّب أمير الجيوش، فأحسن إلى الناس وعاملهم بالخير وأعاد لهم مصادراتهم. وكان قبل ولاية الحافظ هذا آضطرب أمر الديار المصرية؛ لأنّ الآمر قُتل ولم يُخلف ولداً ذكراً، وترك آمرأة حاملاً، فماج أهل مصر وقالوا: لا يموت أحد من أهل هذا البيت إلّا ويُخلّف ولداً ذكراً منصوصاً عليه الإمامة. وكان الآمر قد نص على الحمل قبل موته؛ فوضعت الحامل بنتاً، فعدلوا إلى الحافظ هذا، وآنقطع النسل من الآمر وأولاده. وهذا مذهب طائفة من الشِّيعة المصريّين؛ فإنّ الإمامة عندهم من المستنصر إلى نزار الذي قُتل بعد واقعة الإسكندريّة.

(١) أخبار الحافظ لدين الله في ابن خلكان: ٣/٢٣٥ ــ ٢٣٦؛ وخطط المقريزي: ١/٣٥٧؛ وأخبار مصر لابن ميسَّر: ١١٣ ــ ١٤١؛ وحسن المحاضره: ٢/٢٢؛ وابن الأثير: ٩/٣٦١، واتعاظ الحنفا: ٣/١٣٧ ــ ١٤٠؛ والشذرات: ٤/١٣٨ وكتب التاريخ العام.

وقال صاحب مرآة الزمان: ولمّا آستمر الحافظ في خلافة مصر، ضَعُف أمره مـع وزيره أبـي عليّ أحمد بن الأفضل أمير الجيوش وقوي شوكةُ الوزير المذكور، وخطب للمنتظر[١] المهديّ، وأسقط من الأذان «حيّ على خير العمل» ودعا الوزير المذكور لنفسه على المنابر «بناصر إمام الحق، هادي العصاة إلى آتباع الحق؛ مولى الأمم؛ ومالك فضيلتي السيف والقلم».[٢] فلم يزل كذلك حتى قُتل الـوزير المذكور، على ما يأتي ذكره.

وقال آبن خلّكان: «وهذا الحافظ كان كثير المرض بعلة القُولَنْـج، فعَمِل له

---

(١) يوجد في مجموعة الوثائق المحفوظة في دير سانت كاترين سجلّ صادر في شهر ذي القعدة سنة ٥٢٤هـ إلى رهبـان جبـل سيناء عن «ولي عهد المسلمين.. وكافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبي علي أحمد بن السيد الأجل الأفضل أمير الجيوش» ولا يظهر في السجل اسم ولي العهد لأنه مبتور أوله، وهو إما أن يكون أبا الميمون عبد المجيد وأن أبا علي الأفضل وزيره يدبران المملكة للإمام الطيّب بن الآمر الذي كانت تقام له الخطبة في اليمن. وإما أنه الإمام المنتظر الذي دعا إليه أبو علي الأفضل طوال فترة وزارته وضرب سكة باسمه. وفي كلتا الحالتين فلا بد أن يكون تاريـخ صدور السجلّ في النصف الثاني من ذي القعدة لأن أبا علي تولى الوزارة في ١٦ ذي القعدة سنة ٥٢٤هـ. وقد نشر صمويل شتيرن نص هذا السجل لأول مرة سنة ١٩٦٤م.

وقد ضرب الوزير أبو علي أحمد ابن الأفضل دراهم باسم الإمام المنتظر ونقش عليها: «الله الصمد ــ الإمام محمد. وقد وصلت إلينا من آثار الإمام المنتظر الذي دعا له أبو علي الأفضل تسعة دنانير، منها ثلاثة في لندن وواحد في باريس وآخر في القاهرة، وأربعة ذكرها P Balog وثلاثة دراهم أحدها ذكره Soret والآخر ذكره Bergmann، والثالث في مجموعة هنري أمين عوض، بالإضافة إلى عشرة أشكال زجاجية مدورة (موازين) وكلها ضرب في الفترة بين عامي ٥٢٥هـ وأول ٥٢٦هـ. (أخبار مصر لابن ميسَّر، تحقيق أيمن فؤاد السيّد،) ص ١١٤، ١١٥ حاشية رقم: ٣٩٠. وقد أحال لمزيد من التفاصيل على كتابه: تاريـخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن).

(٢) نصّ الدعاء هنا مجتزأ وغير دقيق. وقد أورده ابن ميسَّر في أخبار مصر، ص ١١٦ على النحو التالي: «السيِّد الأجلّ الأفضل، مالك أصحاب الدول، والمحامي عن حوزة الدين، وناشر جناح العدل على المسلمين الأقربين والأبعدين، ناصر إمام الحق في حالتي غيبته وحضوره، والقائم بنصرته بماضي سيفه وصائب رأيه وتدبيره، أمين الله على عباده، وهادي القضاة إلى اتباع شرع الحق واعتماده، ومرشد دعاة المؤمنين بواضـح بيانه وإرشاده، مُولي النعم، ورافـع الجور عن الأمم، مالك فضيلتي السيف والقلم، أبو علي أحمد بن السيد الأجلّ الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش». قارن أيضاً بابن الأثير: ٢٦١/٩، والوزارة في العصر الفاطمي: ١٣٩، وأخبار الدول المنقطعة: ٩٤، وحسن المحاضرة: ١٥٥/٢ والنصّ فيه يوافق ما أورده أبو المحاسن هنا، ولعلهما ينقلان عن مصدر واحد، أو لعل السيوطي أخذ عن أبي المحاسن.

شيرماه الديلمي [وقيل موسى النصراني][١] طَبْل القولنج الذي كان في خزائنهم. ولمّا ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب مصر كُسر في أيّامه، وقصته مشهورة. [و][١] أخبرني حفيد شيرماه المذكور أن جَدّه ركّب هذا الطبل من المعادن السبعة، والكواكبُ السبعةُ في إشرافها، وكل واحد منها في وقته. وكان من خاصّته إذا ضربه أحد خرج الريح من مخرجه. ولهذه الخاصيّة كان ينفع من القولنج». اِنتهى كلام آبن خلكان. قلت: ونذكر سبب كسر هذا الطبل في ترجمة السلطان صلاح الدين عند آستقلاله بمملكة مصر.

ولما عظُم أمر الحافظ بعد قتل الوزير المقدّم ذكره، جدد له ألقابٌ لم يُسْبَق إليها، وخُطِب له بها على المنابر؛ وكان الخطيب يقول: «أصْلِحْ من شيّدت به الدِّين بعد دُثُوره، وأعززت به الإسلام بأن جعلته سبباً لظهوره؛ مولانا وسيّدنا إمام العصر والزمان، أبا الميمون عبد المجيد الحافظ لدين الله صلّى الله عليه وسلّم وعلى آبائه الطاهرين، حُجَج الله على العالمين». ولمّا قتل الوزير أبو عليّ أحمد المذكور ــ على ما يأتي ذكره ــ وزر للحافظ جماعة، فأساؤوا التدبير، منهم أبو الفتح يانس أمير الجيوش ومات، فوزر له آبنه الحسن، ثم وزر له بهرام، ثم تولّى الحافظ الأمر بنفسه إلى أن مات.

وكان أمره مع الوزير أبي عليّ أحمد بن الأفضل أنّه لمّا قُتِل الخليفةُ الآمر كان الحافظ هذا محبوساً، فأخرجوه وأشغلوا الوقت به إلى أن يولد حمل الآمر، فإن كان صبيّاً يلي الخلافة ويخلع الحافظ. وتولّى أحمد المذكور الوزارة وجعلوا الأمور إليه، وليس للحافظ إلّا مجرّد الاسم في الخلافة. وكان الوزير المذكور شهماً شجاعاً عالي الهمة كأبيه الأفضل وجدّه بدر الجمالي السابق ذكرهما، فآستولى على الديار المصريّة. وولدت الحامل بنتاً، فآستمرّ الحافظ في الخلافة تحت الحجر، وصار الأمر كلّه للوزير؛ فضيّق على الحافظ وحجر عليه ومنعه من الظهور وأودعه في خزانة لا يدخل إليه أحد إلّا بأمر الأكمل (أعني الوزير المذكور) فإنّه كان لُقِّب بالأكمل في أيام وزارته. وطلع الوزير إلى القصر وأخذ جميع ما فيه، وقال: هذا

---

(١) زيادة عن ابن خلكان.

كله مال أبـي وجدّي؛ ثم أهمل خلفاء بني عُبَيد والدعاء لهم، فإنّه كان[١] سنيّاً كأبيه، وأظهر التمسّك بالإمام المنتظر في آخر الزمان، فجعل الدعاء في الخطبة له، وغير قواعد الرافضة[٢]. فأبغضه الأمراء والدعاة؛ لأنّ غالبهم كان رافضيّاً بل الجميع. ثم أمر الوزير الخطباء بأن يدعوا له بألقاب آختصّها لنفسه. فلمّا كرهه الشيعة المصريّون صمموا على قتله. فخرج في العشرين من المحرّم إلى لعب الكرة، فكمن له جماعة وحمل عليه مملوك إفرنجي للحافظ فطعنه وقتله وقطعوا رأسه، وأخرجوا الحافظ وبايعوه ثانياً، ونهبت دار الوزير المذكور.

وركب الحافظ إلى دار الخلافة وآستولى على الخزائن، وآستوزر مملوكه أبا الفتح يانس الحافظيّ. ولقب أمير الجيوش أيضاً وهو صاحب حارة اليانسية[٣]، فظهر هو أيضاً شيطاناً ماكراً بعيد الغور حتى خاف منه أستاذه الحافظ، فتحيّل عليه بكل ممكن وعجز حتى واطأه فرّاشه بأن جعل له في الطهارة ماء مسموماً، فآستنجى به فعمِّل عليه سُفْله ودوّد؛ فكان يعالـج بأن يلصق عليه اللحم الطريّ فيتعلق به الدود إلى أن مات[٤].

وقال صاحب كتاب «المقلتين في أخبار الدولتين»[٥]: «كان الأمر قد آصطفى

---

(١) هذا خطأ. فالمعروف أن الوزير أحمد بـن الأفضل ووالده وجدّه بدر الجمالي كانوا من الشيعة الإمامية الاثني عشرية.

(٢) وهذا خطأ آخر معطوف على سابقه. فالشيعة الإمامية هم أيضاً رافضة في مصطلـح جمهرة مؤرخي السنّة. ولو أنه قال «وغير قواعد الفاطمية» أو«وغيّر قواعد الفاطمية الرافضة» لاستقام كلامه في سياق منطق عامة أهل السنّة.

(٣) حارة اليآنسية: قال المقريزي إن هذه الحارة كانت واقعة خارج باب زويلة. وقال محمد رمزي: محلها اليوم مجموعة المساكن التي يخترقها درب الإنسية، المحرّف عن اليانسية؛ وحارة اليانسية بقسم الدرب الأحمر بالقرب من باب زويلة. ومدخل هذه الحارة من شارع الدرب الأحمر تجاه جامـع قجماس الإسحاقي المعروف بجامـع أبي حريبة، ولها مدخل آخر بشارع المغربلين.

(٤) قارن بأخبار مصر لابن ميسَّر: ١١٧ ــ ١١٨؛ وأخبار الدول المنقطعة لابن ظافر: ٩٨ وخطط المقريزي: ١٧/٢؛ والوزارة في العصر الفاطمي للمناوي: ٢٧٧ ــ ٢٧٨.

(٥) هو كتاب «نزهة المقلتين في أخبار الدولتين الفاطمية والصلاحية» لابن الطوير القيسراني المتوفى سنة ٦١٤هـ. وهو من المصادر القليلة التي اختصت بذكر النظم والرسوم ومقارنتها. فقد كان هدف مؤلفه عقد مقارنة بين نظم ورسوم الفاطميين ونظم ورسوم دولة صلاح الدين وإن كان ما وصل إلينا عن هذا =

مملوكين، يقال لأحدهما هِزَبْر الملوك، وآسمه برغوارد[١]؛ والآخر برغش، وينعت بالعادل. وهو صاحب المسجد[٢] قبالة الروضة من بر مصر. وكان الآمر يُؤثر هذا الأصغر لرشاقته. فلما قُتل الآمر، وما ثمَّ من يُدَبر الأمر، آعتمدا على الأمير أبـي الميمون عبد المجيد، وكان أكبر الجماعة سناً، فتحيلا بأن قالا: إنّ الخليفة المنتقِل (يعنون الآمر) كان قبل وفاته بأسبوع أشار إلى شيء من ذلك، وإنّه كان يقول عن نفسه: المسكين المقتول بالسكين، وأنّه قال: إنّ الجهة الفلانية حامل منه، وإنّه رأى رؤيا تدّل على أنّها ستلد ولداً ذكراً، وهو الخليفة من بعده؛ وإنّ كفالته للأمير عبد المجيد أبـي الميمون. فجلس عبد المجيد المذكور كفيلاً، ونُعت بالحافظ لدين الله، وأن يكون هِزَبْر الملوك وزيراً، وأن يكون الأمير الأجل السعيد يانس متولّي الباب وإسْفَهْسَالار. وكان أصله من غلمان الأفضل بن أمير الجيوش (يعني من مماليكه)؛ وكان من أعيان الأمراء بمصر، وقرىء بهذا التقرير سجلّ بالإيوان، والحافظ في الشبّاك جالس، قرأه قاضي القضاة على مِنْبر نُصب له أمام الشبّاك بحضور أرباب الدولة. وآستمرّ الحافظ، وآنفشّ ورم الحُبلى، ووزر له هذا المذكور وأميران بعده، وهما: بهرام الأرمنيّ، ورِضوان بن ولخشي.

قلت: ولم يَذكر هذا المؤرّخ أمر أحمد الوزير، ولا ما وقـع له مـع الحافظ، وهو أجدر بأخبار الفاطميّين من غيره[٣]. ولعلّه حذف ذلك لكونه كان في أوّل الأمر والله أعلم.

قال: إستمرّ الحافظ خليفة من سنة أربـع وعشرين وخمسمائة إلى جمادى الآخرة سنة أربـع وأربعين وخمسمائة. وكان له من الأولاد عدّة: سليمان وهو أكبرهم

= الكتاب ونقله ابن الفرات والمقريزي والقلقشندي وأبو المحاسن يخص نظم ورسوم الفاطميين فقط، حتى قال عنه أبو المحاسن (انظر بعد قليل): «وهو أجدر بأخبار الفاطميـين من غيره». (أخبـار مصر لابن المأمون، مقدمة ص: ك).

(١) في المقريزي وابن خلكان: «هزار الملوك جوامرد».

(٢) مسجد برغش: هذا المسجد لا أثر له اليوم، ولم يذكر في الخطط المقريزية، مما يدل على أنه زال من قديم. وإنما من وصفه يستنبط أنه كان واقعاً بشارع مصر القديمة فيما بين فم الخليج المصري وكوبري الملك الصالح. (من تعليقات المرحوم محمد رمزي.).

(٣) راجـع الصفحة السابقة، حاشية (٥).

وأحبّهم إليه، وحسن وكان عاقّاً لـه، ويوسف وجبـريل، هؤلاء قبـل خلافتـه. ووُلد له في خلافته أبو منصور إسماعيل، وخلّف بعد موته. ولما ولّى العهـد لسليمان[1] أكبر أولاده في حياته جعله يسدّ مكان الوزير، ويستريـح من مقاساة الوزراء الذين يَحِيفون عليه ويُضايقونه في أمره ونهيه. فمات سليمان بعد ولايته العهد بشهرين، فحزِن عليه شهوراً. وترشّـح حسن ثانيه في العمر لولاية العهد، فلم يستصلحه أبوه الحافظ لذلك ولا أجابه إليه. فعظُم ذلك على حسن المذكور، ودعا لنفسه وكاتب الأمراء وعوّل على آعتقال أبيه ليستبدّ هو بالأمر، وأطمـع الناسَ فيما يواصلهم به إذا تمّ له الأمر؛ فآمتدّت إليه الأعناق، وكاتب الأمراء وكاتبوه. ثم عاودتهم عقولهم بأنّ هذا لا يتمّ مـع وجود الخليفة. وكاتبوا أباه بخلاف ذلك. فسيّر أبوه تلك الكتب إليه؛ قال: لا تعتقد أن معك أحداً. فأوقـع بعدّة من الأمراء، وأخذ ما في آدُرهم. أبوه الحافظ إضعافه وصرفه عن جرأته بغير فتك، ففسد أمره وآفتقر إلى أبيه. وكان حسن المذكور سيّر بهرام الأرمني المقدّم ذكره حاشداً له ليصل إليه بالأرمن، وكان هذا (بهرام) أميرهم وكبيرهم. فلمّا لجأ حسن إلى أبيه الحافظ آحتفظ به أبوه وحرص عليه. فلما علِم مَنْ بقي من الأمراء، وهم على تخوّف منه، آجتمعوا على طلبه من أبيه ليقتلوه ويأمنوا أمره؛ فوقفوا ببين القصرين في عشرة آلاف. فراسلهم الخليفة. الحافظ بلين الكلام وتقبيـح مرادهم من قتل ولده، وأنه قد أزال عنهم أمره، وأنّ ضمانه عليه في ألّا يتصرّف أبداً؛ ووعدهم بالزيادة في الأرزاق والإقطاعات. فلم يقبلوا شيئاً من ذلك بوجه؛ وقالوا: إما نحن وإمّا هو؛ وإن لم نتحقّق الراحة الأبديّة منه وإلّا فلا حاجة لنا بك أيضاً ونخلـع طاعتك. وأحضروا الأحطاب والنيران لتحريق القصر، وبالغوا في الإقدام عليه. فلم يجد الخليفة عليهم؛ لأنّهم أنصاره وجنده الذين يستطيل بهم على غيرهم. فألجأته الضرورة أنّه آستبصرهم ثلاثة أيّام ليتـروّى فيما يعمـل في حق ولده؛ فـرأى أنّه لا ينفـك من هذه المنازلة العظيمة التي لم ير مثلها إلّا أن يقتله مستوراً ويحسم مادّته ويأمن

---

(١) يوجد نقش في سوهاج باسم «ولي عهد أمير المؤمنين... سليمان ابن الإمام الحافظ لدين الله أمير المؤمنين...» مؤرخ في المحرم سنة ٥٢٩هـ. (أخبار مصر لابن ميسّر، ص١١٩، حاشية رقم ٤١٠).

مباينة عسكره، وأنّه لا يأمن هو على نفسه، وأنّه لا بدّ من التصرف بهم وفيهم، وأنّهم لا ينفكّون من المقام ببين القصرين على هذا الأمر إلّا بعد إنجازه. وكان لخاصته طبيبان يهوديّان يقال لأحدهما أبو منصور، وللآخر آبن قِرقة[١]. وكان آبن قِرقة خبيراً بالاستعمالات ذكيّاً. فحضر إليه أبو منصور قبل آبن قِرقة، ففاوضه الخليفة في عمل السقية القاتلة لولده؛ فتحرّج من ذلك وأنكر معرفته، وحلف برأس الخليفة وبالتوراة أنّه لا يعرف شيئاً من هذا فتركه. ثم حضر آبن قِرقة ففاوضه في السقية فقال: الساعة، ولا يتقطّع الجسد بل تفيض النفس لا غير، فأحضرها في يومه؛ وألزم الخليفةُ ولدَه حسناً على شربها فشرِبها ومات[٢]، وقيل للقوم سرّاً: قد كان ما أردتم، فآمضوا إلى دوركم. فلم يثِقوا بذلك بل قالوا: يشاهد منّا من نثِق به. فأحضروا أميراً معروفاً بالجرأة يقال له المعظّم جلال الدين محمد جلب راغب[٣]؛ فدخل المذكور إلى المكان الذي فيه القتيل، فوجده مُسَجًّى وعليه ملاءة، فكشف عن وجهه وأخرج من وسطه بارشيناً[٤]، فغرزه بها في مواضع خطرة من جسده حتى تحقّق موته، وعاد إلى القوم فأخبرهم فوثِقوا منه وتفرّقوا. ولما نسّاهم الحافظ أمر آبنه قبض على آبن قرقة صاحب السقية فرماه في خزانة البنود، وأمر بآرتجاع جميع أملاكه وموجوده إلى الديوان. وكانت داره[٥] بالزقاق الذي كان يسكنه فرّوخ شاه بن

---

(١) كان ابن قرقة يتولى الاستعمالات بدار الديباج وخزائن السلاح. وكان ماهراً في علم الطب والهندسة ونحو ذلك من علوم الأوائل (الخطط المقريزية: ٦٣/٢).

(٢) عبارة ابن ميسّر: «واستدعى الحافظ ابنه حسن وما زال به حتى شربها كرهاً من طائفة من الصقالبة جبروه على شربها فمات».

(٣) في الأصل «جلب غالب». وما أثبتناه عن ابن ميسّر والمقريزي.

(٤) في المقريزي: «وأخرج من وسطه آلة من حديد» وفي ابن ميسّر: «وأخرج من وسطه سكيناً».

(٥) «دار ابن قرقة» قال أبو المحاسن: إن هذه الدار تطلّ على الخليج قبالة الغزالة. وقال المقريزي نقلاً عن ابن عبد الظاهر: إنها كانت بأول حارة زويلة من جهة باب الخوخة على يسرة السالك إلى داخل الحارة وإلى جانبها حمام ابن قرقة. ثم قال: إن هذه الدار والحمام قد هدمتا وصار موضع الدار الجامع المعروف بابن المغربي.

وقال المرحوم محمد رمزي: إن هذا الجامع بعد أن تخرّب وعمل محله طاحونة أمر الملك أبو سعيد جقمق بإعادته مسجداً كما كان فأعيد، وهو الآن خرب؛ ومحله أرض فضاء يتوصل إليها إما من باب المنزل رقم (٧) بشارع بين السورين وإما من عطفة باباني التي بشارع مكسر الخشب الموصل إلى حارة زويلة. ومدخل هذا الشارع في أول الميدان الفاصل بين شارع الموسكي وشارع السكة الجديدة.

أيوب، تُطِلُّ على الخليج قُبالة الغزالة[١] وما فيه من الدور والحمّام؛ وهذا الدرب يعرف بدرب آبن قرقة قريب باب[٢] الخوخة. ثم أنعم الخليفة على رفيقه أبـي منصور وجعله رئيس اليهود، وحصلت له نعمة ضخمة[٣].

قال: وكان الحافظ في كلّ ستة أشهر يجرّد عسكراً إلى عَسْقَلان بما يتحقّقه من عَزَمات الفرنج في القلّة والكثرة مع من هو فيها مقيم من المركزية والكنانيّة وغيرهم؛ فكان القلّة من الفرسان من ثلاثمائة إلى أربعمائة (يعني الذين يُسَيِّرهم في التجريدة)، والكثرة من أربعمائة إلى ستمائة؛ ويقدّم على كلّ مائة فارس أميراً، ويسلّم للأمير الخريطة[٤]؛ وهذا آسم لحمل أوراق العرض من الديوان ليتّفق مع

---

(١) هي منظرة الغزالة بجوار منظرة اللؤلؤة على شاطىء الخليج تقابل حمام ابن قرقة. (محمد رمزي).

(٢) باب الخوخة: اختلف المؤرخون في تحديد موضع هذا الباب وتاريخ بنائه. والمتفق عليه أنه أحد أبواب القاهرة في سورها الغربي المطلّ على الخليج.
(انظر خطط المقريزي: ٣٦٢/١، ٣٨٠ و٤٥/٢، ٤٧، ١٠٩، ١٤٧، ٣٠٦؛ والخطط التوفيقية لعلي مبارك: ٧٥/٣) والخوخة: باب صغير في بوابة كبيرة لسور أو حصن يجعل للاستعمال اليومي، فلا تكون حاجة إلى فتح البوابة الكبيرة إلا عند الضرورة. (السلوك للمقريزي: ٢١٥/١/٢).

(٣) ما رواه أبو المحاسن عن ابن الطوير من أمر الأمير حسن ابن الحافظ ذكره ابن ميسَّر دون أن يسنده إلى ابن الطوير. وذكر ابن ميسَّر قبل هذه الرواية رواية أخرى مفادها أن الحافظ كان قد جعل ابنه حيدرة (أبا تراب) وليَّ العهد من بعده، فلم يرض حسن بذلك. وقامت حرب بين الاثنين سنة ٥٢٨هـ افترق فيها العسكر فرقتين: فرقة مع أبـي تراب وفرقة مع حسن، وهما الريحانية والجيوشية. وكانت بينهم حروب بين القصرين قتل فيها من الطائفتين نحو عشرة آلاف نفس. واستظهر حسن على أخيه، والتجأ حيدرة إلى والده. واضطر الحافظ أن يولي ابنه حسن ولاية العهد من بعده. واشتدّ أمر حسن واستقلّ بتدبير الدولة؛ غير أنه ما لبث أن قبض على جماعة من الأمراء وقتلهم بسبب قيامهم مع أبـي علي كتيفات (يعني الوزير السابق أحمد بن الأفضل) فخافه من بقي من الأمراء وعزموا على خلع الحافظ من الخلافة وخلع ولده حسن. قال ابن ميسَّر: وقيل إن الحافظ دسَّ إلى الأمراء والأجناد أن يثبوا على ابنه حسن. (أخبار مصر لابن ميسَّر: ص ١١٩ ــ ١٢١) وانظر نصّ سجل تولية حيدرة ابن الحافظ عند القلقشندي في صبح الأعشى: ٣٧٧/٩ ــ ٣٧٩. وعن ولاية العهد للحسن ابن الحافظ انظر اتعاظ الحنفا للمقريزي: ١٥٠/٣.

(٤) الخريطة: كيس أو وعاء من جلد يشرج على ما فيه. وقد استعمل اللفظ في العصر الفاطمي بمعنى كيس المال يوزّع على المستحقين (انظر أخبار مصر لابن المأمون، ص ٩٨) وبمعنى كيس يحتوي على قصص المظالم وما شابهها (انظر القلقشندي، صبح الأعشى: ٤٨٧/٣) وهو هنا بمعنى حافظة من جلد تحوي لوائح بمستحقات الجند المشاركين في التجريدة. وهي أشبه بما نسميه اليوم «بالدوسيه». (انظر معجم متن اللغة: خرط).

والي عسقلان على عرضهم. ثم يُسَلِّم إليه مبلغاً من المال يُنفقه فيمن فاتته النفقة. وكانت النفقة للأمراء مائة دينار، وللأجناد ثلاثين ديناراً. فآتّفق أنّ والي عسقلان أرسل كتاباً يعرّف الخليفة أنّ عند الفرنج حركة؛ فجرّد الخليفة في تلك المرة العُدّة الكبيرة، وفيهم جلال الدين جلب راغب الأمير الذي كشف صحة موت حسن آبن الخليفة بسقية السمّ؛ فسيّر إليه الخليفة مائة دينار، وهي علامة التجريد والاهتمام؛ فتجهّز المذكور للسفر في جملة الناس، وفي نفسه تلك الجناية التي قدّمها عند الخليفة في ولده حتى قتله. فلمّا كان السفر جلس الخليفة ليخدموه بالوداع ويدعو لهم بالنصر والسلامة؛ فدخلوا إليه ومثلوا بين يديه لذلك وآنصرفوا إلّا جلال الدين جلب راغب المذكور. فقال الخليفة: قولوا للأمير: ما وقوفك دون أصحابك! ألك حاجة؟ فقال: يأمرني مولانا بالكلام. فقال له: قل. قال: يا مولانا ليس على وجه الأرض خليفة ابن بنت رسول الله غيرك. وقد كان الشيطان آستنزلّني فأذنبت ذنباً عظيماً، عفو مولانا أوسع منه. فقال له: قل ما تريد غير هذا، فإنّا غير مؤاخذيك به. فقال: يا مولانا، قد توهّمت بل تحقّقت أنّي ماضٍ في حالة السخط منك، وقد آليت على نفسي أن أبذلها في الجهاد، فلعلّي أموتُ شهيداً فيُضيع ذلك سخطُ مولانا عليّ. فقال له الخليفة: أنت غنيٌّ عن هذا الكلام، وقد قلنا لك: إنّا ما واخذناك[1]، فأيّ شيء تقصد؟ قال: لا يسيّرني مولانا تبعاً لغيري، فقد سرت مراراً كثيرة مقدّماً، وأخشى أن يُظَنّ هذا التأخير للذنب الذي أنا معترف به. قال: لا، بل مقدّماً وصاحب الخريطة. وأمر بنقل الحال عن المقدّم الذي كان تقرّر للتقدّمة والخريطة. فسُرَّ جلال الدين جلب راغب بذلك. ثم أعطاه الخليفة أيضاً مائتي دينار، وقال له: اِتّسع بهذه.

قال: وكان الأغلب على أخلاق الحافظ الحلم. ومرِض الخليفة مرضته التي تُوُفّي فيها، فحُمل إلى اللؤلؤة[2] خارج القصر فأثخن في المرض فمات بها. وظهر

---

(١) في الأصل: «وخذناك». وفي العامية يستعمل لفظ «واخذه بذنبه» بمعنى «آخذه» وقد رواها الأخفش بهذا المعنى. (انظر معجم متن اللغة: أخذ؛ ولسان العرب: نفس المادة).

(٢) المراد منظرة اللؤلؤة. انظر خطط المقريزي: ٣٦٧/١، والخطط التوفيقية: ٧٠/٣. وراجع الجزء الرابع من هذا الكتاب، ص ، ٢٥٤، ٢٥٥.

من وصيّته أنّ ولده أبا منصور إسماعيل، وهو أصغر أولاده، هو الخليفة من بعده، مـع وجود ولدين كاملين، هما أبو الحجّاج يوسف وهو أبو الخليفة العاضد الآتي ذكره، وأبو الأمانة جبريل. فعُقدت عليه الخلافة من بعده، ونُعت بالظافر بأمر الله، وأن يستوزر له الأمير نجم الدين[1] بن مَصَال». إنتهى كلام صاحب المقلتين.

وقال آبن القلانسيّ: «وفي سنة أربـع وأربعين وخمسمائة ورد الخبر من مصر بوفاة الحافظ بأمر الله، وولي الوزارة أمير الجيوش أبو الفتـح بن مَصَال المغربـيّ؛ فأحسن السيرة وأجمل السياسة، فآستقامت الأحوال. ثم حدث بعد ذلـك من آضطراب الأمور والخلف بين السودان والعساكر[2] بحيث قُتل بين الفريقين العدد الكثير وسكنت الفتنة». إنتهى كلام آبن القلانسيّ.

وكانت ولاية الحافظ على مصر تسـع[3] عشرة سنة وسبعة أشهر؛ وتولّى الخلافة بعده أصغر أولاده، حسب ما ذكرناه عن كلام صاحب المقلتين.

* * *

السنة الأولى من خلافة الحافظ عبد المجيد على مصر

وهي سنة خمس وعشرين وخمسمائة.

فيها توفّي حمّاد بن مسلم الرَّحْبـيّ الشيـخ الإمام الصالـح المسلك، أستاذ الشيـخ عبد القادر في التصوّف وشيخه. سمـع الحديث. وكان على طريق التصوّف يشير[4] إلى المعرفة والمكاشفة وعلوم الباطن. وكان يعطي كلّ من تُصيبه حمّى لوزةً

---

(١) هو نجم الدين أبو الفتـح سليم (وقيل سليمان) محمد بن مصال اللكّي المغربي. نسبته إلى «لكّ» بضم اللام وتشديد الكاف. وهي بلدة عند برقة من أعمالها. (ابن خلكان: ٣/٤١٦) وكان اعتباراً من سنة ٥٣٩هـ ناظراً في الأمور (المصالـح) من غير أن يطلق عليه اسم الوزارة (كنز الدرر: ٦/٥٢١، ٥٤٠) وانظر أيضاً خطط المقريزي: ٢/٣٠.

(٢) قال ابن ميسّر: «فيها ــ أي سنة ٥٤٤هـ ــ وقـع الاختلاف بين الطائفة الجيوشية والطائفـة السودانية الريحانية، فكانت بينهما حروب شديدة قتل فيها عدة من الطائفـتين، وامتنـع الناس من المضي للقاهرة والطلوع إلى مصر. وانهزمت الريحانية إلى الجيزة» وانظر ذيل تاريـخ دمشق لابن القلانسي: ص ٣٠٨.

(٣) في ابن ميسّر والمقريزي: «ثماني عشرة سنة وأربعة أشهر وتسعة عشر يوماً».

(٤) كذا في الأصل. وفي المنتظم وعقد الجمان: «يدعي المعرفة...».

وزبيبةً فيأكلهما فيبرأ، وصار الناس يتردّدون إليه وينذرون إليه النذور، فيقبل الأموال ويفرّقها على أصحابه، ثم كره أخذ النذور، حتّى مات في شهر رمضان ببغداد، ودُفن بالشُّونيزِيّة[١]. وكان من الأبدال الصالحين. ويعرف بحمّاد الدَّبّاس. رحمة الله عليه.

وفيها توفّي السلطان محمود ابن السلطان محمد شاه ابن السلطان ملكشاه ابن السلطان ألب أرْسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دُقماق، عضد الدولة السلجوقيّ. كان ملكاً شجاعاً. وكان قد عزم على إفساد الأمور على الخليفة المسترشد العباسيّ، فعاجله الموت بَهَمذان في يوم الخميس خامس عشر شوّال؛ وعمره ثمان وعشرون سنة؛ ومدّة مملكته أربع عشرة سنة. وكان قد عَهِد إلى آبنه داود وهو صغير في حجر زوج أمّه أحمديلي[٢] صاحب أذْرَبيجان. فجدّد أبو القاسم وزير محمود على الأمراء العهود، وكتب إلى أحمديلي بذلك. وكان مسعود أخو محمود المتوفّى ببلاد أرمينية، فتحرّك لطلب السلطنة، فكتب إلى الخليفة ولم يكتب لعمّه سنْجَر شاه السلجوقيّ، فمشى سنجر شاه ووَلِي السلطنة لابن أخيه طُغْرِل (أعني لعمّ الصبيّ داود) ورتّب لداود ما يكفيه إلى أن يكبَر. ووقع بعد ذلك أمور.

وفيها توفّي محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد أبو عبد الله الرازيّ[٣] ثم المصريّ المعدّل الشاهد، ويعرف بآبن الخطّاب[٤]، مسند الديار المصريّة وشيخ الإسكندريّة، مات في سادس جمادى الأولى وله إحدى وتسعون سنة.

وفيها توفّي هبة[٥] الله بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن العبّاس بن

(١) راجع الجزء الرابع، ص ١٦٧.
(٢) في الأصل: «أحمديل». وما أثبتناه عن ابن الأثير وابن القلانسي.
(٣) في الأصل: «الداري». وما أثبتناه عن الشذرات والذهبي وحسن المحاضرة.
(٤) كذا أيضاً في حسن المحاضرة بالخاء المعجمة. وفي الشذرات والذهبي وتبصير المنتبه لابن حجر: «ابن الحطاب» بالحاء المهملة.
(٥) في الأصل: «عبد الله» والتصحيح عن الشذرات والذهبي وابن الأثير والمنتظم.

الحُصَيْن أبو القاسم الشيبانيّ الهَمَذانيّ الكاتب البغداديّ مسند العراق. ولد سنة آثنتين وثلاثين وأربعمائة، وسمع الكثير وحدّث وروى عنه غير واحد.

وفيها قُتِل الوزير أبو عليّ أحمد بن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجماليّ الأرمنيّ ثم المصريّ وزير الحافظ العُبَيديّ. قال الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ: «صاحب مصر وسلطانها الملك الأكمل أبو عليّ وآبن صاحبها ووزيرها» (يعني الأفضل). قلت: والحقّ ما نعته به الذهبيّ؛ فإن أحمد هذا ووالده وجدّه هم كانوا أصحاب مصر، والخلفاء معهم كانوا تحت الحجر والضيق. وتصديق. [ذلك][(١)] ما خلفه الأفضل شاهنشاه أبو صاحب الترجمة من الأموال والمواشي وغير ذلك. وإنما[(٢)] كان يطلق عليهم بالوزراء إلّا لكون العادة كانت جرت بأن الملك للخليفة لا وهم بلا مدافعة انهم كانوا أعظم من سلاطين زماننا هذا[(٢)].

ولمّا قُتِل أبوه الأفضل في سنة خمس عشرة وخمسمائة في خلافة الآمر وأخذ الآمر أمواله، سجن آبنه أحمد هذا إلى أن مات. فلمّا مات الآمر أُخرج من السجن وجُعل أمر مصر إليه، ووزر وآستولى على الديار المصريّة. وحجر على الحافظ الخليفة ومنعه من الظهور، حسب ما ذكرناه في ترجمة الحافظ، من أمر قتلته وكيف قتل، فلا يحتاج للتكرار هنا. وبموته صفا الوقت للحافظ وآستولى على الملك، وسكن القصر على عادة الخلفاء إلى أن مات[(٣)].

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وإصبعان. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وثماني عشرة إصبعاً.

* * *

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢ ــ ٢) هكذا وردت العبارة، وهي مضطربة التركيب. ولعل صوابها: «وإنما كان يطلق عليهم الوزراء لكون العادة كانت جرت بأن الملك للخليفة لا لغيره، وهم بلا مدافعة كانوا أعظم من سلاطين زماننا هذا».

(٣) تولى أحمد بن الأفضل الوزارة من ١٦ المحرم سنة ٥٢٦هـ حتى ٢٦ من ذي الحجة من السنة نفسها. وتعتبر هذه السنة فترة انقطاع للدولة الفاطمية والدعوة الإسماعيلية، وقيام دولة شيعية إمامية. (المناوي: الوزارة في العصر الفاطمي، ص ١٣٩).

السنة الثانية من خلافة الحافظ عبد المجيد على مصر

وهي سنة ست وعشرين وخمسمائة.

فيها توفّي أحمد بن حامد بن محمد أبو نصر المستوفي المعروف بالعزيز عمّ العماد الكاتب. قَبَض عليه الأنساباذيّ وزير طُغْرِل وسلّمه إلى بِهْرُوز الخادم، فحمله إلى تَكْرِيت فقتل بها. وكان من رؤساء الأعاجم، ولد بأصبهان، وهو من بيت كتابة وفضل.

وفيها توفّي الملك تاج الملوك بُوري بن ظهير الدين طُغْتِكِين صاحب دمشق. وَلِي أمر دمشق بعد موت أبيه الأتَابَك طغتكين في سنة آثنتين وعشرين وخمسمائة. وكان حليماً شجاعاً شهماً. قتل أبا عليّ المَزْدَقَانِيّ وجماعة كثيرة من الإسماعيلية. قال آبن عساكر: بعث إليه الإسماعيليّة برجلين فضرباه بالسكاكين، وهو قد خرج من الحمام، فأثّر فيه بعض الأثر، وأقام ينتَقِض عليه الجرح تارة ويندمل تارة إلى أن مات في شهر رجب بعد سنين. ولما آحْتُضِر أوصى إلى ولده شمس الملوك إسماعيل فولي بعده. وكانت ولاية بوري على دمشق ثلاث سنين وشهوراً.

وفيها توفّي عبد الكريم بن حمزة بن الخِضر المحدّث الفاضل آبن محمد السلميّ الدمشقيّ؛ سمع الكثير، وتوفّي بدمشق. وأنشد لأبي القاسم العجليّ قوله: [البسيط]

الضيف مرتحلٌ والمال عاريَةٌ ... وإنّما الناسُ في الدنيا أحاديثُ
فلا تغرنّك الدنيا وزَهْرَتُها ... فإنّها بعد أيّامٍ مواريثُ
وآعمَلْ لنفسك خيراً تَلْقَ نائله ... فالخير والشر بعد الموت مبثوثُ

وفيها توفّي عليّ بن عبد الله بن[1] نصر بن عبيد الله بن سهل، الإمام أبو الحسن آبن الزاغونيّ شيخ الحنابلة ببغداد. سمع الكثير بنفسه ونسخ بخطّه. وولد سنة خمس وخمسين وأربعمائة. وكان إماماً فقيهاً متبحّراً في الأصول والفروع متقناً واعظاً شاعراً.

(١) كذا في الأصل. وفي شذرات الذهب والبداية والنهاية ومعجم البلدان «عبيد الله».

وفيها توفّي أحمد بن عبيد[١] الله بن كادِش، الإمام المحدّث أبو العز[٢] العُكْبَرِيّ، مات في جمادى الأولى وله تسعون سنة.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم أربع أذرع وسبع أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وعشر أصابع.

* * *

السنة الثالثة من خلافة الحافظ عبد المجيد على مصر

وهي سنة سبع وعشرين وخمسمائة.

فيها خُطب لمسعود بن محمد شاه بن ملكشاه السلجوقيّ ببغداد، ومن بعده لابن أخيه داود، وخُلِع عليهما وعلى [آق][٣] سنقر الأحمديلي.

وفيها أخذ[٤] شمس الملوك بن تاج الملوك بُورِي بن الأتَابَك طُغْتِكِين صاحب دمشق بَانْيَاس من يد الفرنج.

وفيها توفّي أحمد بن عمّار أبو عبد الله الحسينيّ، العالم الفاضل الفصيح الكوفيّ. قدِم بغداد ومدح الوزير آبن صَدَقة. ومن شعره: [السريع]

وشادنٍ في الشّربِ قد أُشربتْ ... وجنتُه ما مَجّ رَاوُوقُهُ
ما شُبِّهتْ يوماً أبَارِيقُهُ ... بريقه إلّا أبى ريقُهُ

قلت: وهذا يشبه قول القائل موالياً، ولم أدر من السابقُ لهذا المعنى:

قم آسقني ما تبقّى في أباريق ... أمَا ترى الصبح قد لاحت أباريق
مع شادنٍ قد روّق سقاريق ... يسقي المدام وإن عَزّتْ سقا ريق

(١) في الأصل: «أحمد بن عبد الله» وما أثبتناه عن الشذرات وابن الأثير والمنتظم.
(٢) في ياقوت: «العزيز».
(٣) زيادة عن ابن القلانسي.
(٤) في الأصل: «فتح». وما أثبتناه يناسب السياق.

وقريب من هذا لشخص كان بخدمتي، يُسمّى بدر الدين حسن الزركشيّ رحمه الله:

أفـدي مهفهف وقد روّق دواريق بالسقم داوى لقلبـي من دوا ريق

دا ساحر اللحظ قد صفّت نماريق مزج المدام بخضـرا من نماريق

وفيهـا تُوفّي محمـد بن أحمد بن محمـد بن صاعـد، القاضي أبـو سعيد النيسابوريّ. وُلد بنَيْسابور وقدِم بغداد، وكان رئيس نيسابور وقاضيها، وله دنيا واسعة ومنزلة تامّة عند الخاص والعامّ. ومات في ذي الحجة بنيسابور. وكان فقيهاً نبيلاً ثقة..

وفيهـا تُوفّي محمـد بن الحسين[1] بن عليّ بن إبراهيم، الإمـام المحدّث الفَرَضِيّ أبو بكر المَزْرَفِيّ[2]، سمـع الكثير وآنفرد بعلم الفرائض في عصره. ومات في سجوده في المحرّم. وكان ثقة صالحاً.

وفيها تُوفّي أبو خازم محمد ابن القاضي أبـي يعلى بن الفرّاء الحنبليّ الفقيه الصالـح. مات في صفر وهو من بيت علم وفضل.

وفيها تُوفّي الفقيه العلاّمة أسعد بن أبـي نصر المَيْهَنِيّ شيـخ الشافعيّة في عصره وعالمهم، مات في هذه السنة في قول الذهبـيّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وخمس وعشرون إصبعاً. مبلـغ الزيادة سبـع عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصبعاً.

* * *

(١) في ياقوت: «الحسن».

(٢) في الأصل: «الميورقي» والتصحيـح عن معجم البلدان والمنتظم. نسبة إلى «المزرفة» قرية كبيرة فوق بغداد على دجلة.

السنة الرابعة من خلافة الحافظ عبد المجيد على مصر

وهي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة.

فيها عاد طُغْرل إلى هَمَذان[1] ومالت العسكر إليه وآنحلّ أمر أخيه مسعود. طغرل كلاهما ولد محمد شاه بن ملكشاه السلْجوقيّ.

وفيها خرج شمس الملوك صاحب دمشق يتصيّد، وآنفرد من عسكره؛ فوثب عليه أحد مماليك جدّه طُغْتِكِين يعرف بإيلبا. وضربه بالسيف ضربةً هائلة، فانقلب السيف من يده، فرمى بنفسه إلى الأرض؛ وضربه أخرى فوقعت في عنق الفرس، وحال بينهما الفرس فآنهزم إيلبا. وعاد شمس الملوك إلى دمشق سالماً، ورتّب الغلمان في طلب إيلبا حتى ظَفِروا به. فلمّا جاؤوا به إليه، قال: ما الذي حملك على قتلي؟ قال: لم أفعله إلّا تَقَرُّباً إلى الله لظلمك الناس. ثم قرّره فأقرّ على جماعة؛ فجمع شمس الملوك الجميع وقتلهم صَبْراً بين يديه. ولم يكفه قتلهم حتّى آتّهم أخاه سونج فجعله في بيت، وسدّ عليه الباب حتّى مات. ثم بعد ذلك بالغ في سفك الدماء والظلم والأفعال القبيحة إلى أن أخذه الله، حسب ما يأتي ذكره.

وفيها أيضاً وقع الخلف بين ولدي الخليفة صاحب الترجمة، وهما أبو عليّ الحسن المقتول بالسمّ المقدّم ذكره في ترجمة أبيه، وهو كان وليّ العهد بعد سليمان، وبين أخيه أبي تراب حيدرة، وكان ذلك بحضرة والدهم الحافظ بمصر. وآنقسم العسكر فرقتين، أحدهما على مذهب السنّة، والثاني على مذهب الرافضة، ووقع بينهم القتال، فكان النصر لوليّ العهد؛ وأباد الحسن من تَبِع أخاه من السودان والأمراء بالقتل. وبعد هذا كان ركوب الأمراء بين القصرين على الحافظ لطلب حسن هذا حتّى قتله أبوه الحافظ بالسمّ الذي صنعه آبن قِرقة اليهوديّ، وقد تبيّن ذكر ذلك كلّه مفصّلاً في ترجمة الحافظ.

وفيها توفّي أحمد بن إبراهيم، الشيخ الإمام أبو الوفاء الفثروزأباذيّ ــ وفِيروزاباذ: أحد بلاد فارس ــ وقد تقدّم الكلام على أنّ كل آسم بلد فيها «باذ»

(١) في ابن الأثير والمنتظم: «إلى بغداد».

فهو بالتفخيم ـ كان إماماً محدِّثاً، سمع الكثير، وخدم مشايخ الصوفيّة، وكان حافظاً لسِيرهم وأشعارهم، وكان يسمع الغناء، ويقول لعبد الوهّاب الأنماطيّ: إني لأدعو لك وقت السماع. وكان الأنماطيّ يتعجّب ويقول: أليس هذا يعتقد أن ذلك وقت إجابة! وكانت وفاته في صفر، وحضر جنازته خلق كثير، وكان صالحاً ديّناً.

وفيها توفّي عبد الله بن محمد بن أبي بكر الشاشيّ؛ كان فقيهاً مُفْتياً مناظراً ظريف الشمائل حسن العبارة، ويعظ وينشىء الكلام المطابق المجانس. ومن شعره: [الدوبيت]

الدمع دماً يسيل من أجفاني ... إن عشت مع الفراق[1] ما أجفاني
سِجْني شَجَني وحالتي[2] سجّاني ... والعاذلُ بالملام قد سجّاني
والذكر لهم يزيد في أشجاني ... والنوح مع الحمام قد أشجاني
ضاقت ببعادِ مُنيَتي أعطاني ... والبين به[3] الهموم قد أعطاني

وفيها توفّي عليّ بن محمد، الأديب أبو الحسن العنبريّ، ويقال له: آبن دوّاس القَنّاء. كان شاعراً فصيحاً. أصله من البصرة وسكن واسطاً وبها مات. ومن شعره من أوّل قصيدة: [البسيط]

هل أنتِ مُنْجزةٌ بالوصلِ مِيعادي ... أم أنتِ مُشْمِتةٌ بالهجر حُسّادي

وفيها توفّي محمد بن عبد الله بن تُومَرْت، الأمير أبو عبد الله المنعوت بالمهديّ الهَرْغِيّ[4] صاحب دعوة عبد المؤمن بن عليّ. كان آبن تومرت هذا ينسب إلى الحسن بن عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ وأصله من جبل السوس من أقصى بلاد المغرب، ونشأ هناك، ثم رحل في شبيبته إلى العراق وغيره، وسمع الحديث وتنسّك وهجر لذّات الدنيا؛ ثم عاد إلى المغرب وآنتهى إلى بِجَايَة، فكسّر

---

(١) في ابن الأثير: «مع البكا فما أجفاني».
(٢) في ابن الأثير: «وهمني».
(٣) في ابن الأثير: «يد».
(٤) الهرغي: نسبة إلى هرغة، قبيلة من المصامدة في جبل السوس في أقصى المغرب. (ابن خلكان).

بها آلات اللهو وأهرق الخمور. ثمّ خرج منها إلى قرية يقال لها مَلَّالة، فرأى بها عبد المؤمن بن عليّ فتفرّس فيه النجابة، وسأله عن نسبه حتى عرّفه عبد المؤمن. فقال له: أنت بغيتي. وقال آبن تُومَرْت هذا لأصحابه: هذا الذي بشّر به النبيّ صلى الله عليه وسلّم فقال: «إنّ الله تعالى ينصُرُ هذا الدينَ برجل من قَيْس سُلَيم» وآستبشر به آبن تُومَرْت هذا. ثمّ وقع له مع ملوك المغرب وقائع وأمور يطول شرحُها حتّى ملك عدّة بلاد. وكان آبتداء أمره في سنة آثنتي عشرة وخمسمائة ـ وقيل: سنة أربع عشرة وخمسمائة ـ ومولده في يوم عاشوراء سنة خمس وثمانين وأربعمائة. ومات في هذه السنة، وقال آبن خلّكان: في سنة أربع[1] وعشرين. والله أعلم. ومن شعره: [المتقارب]

أخذتَ بأعضادهم إذ نأَوْا وخلّفك القومُ إذ ودّعوا
فكم أنتَ تنهَى ولا تنتهي وتُسمِع وعظاً ولا تسمع
فيا حجر الشَّحْذ حتّى متى تَسُنّ الحديدَ ولا تقطع

وكان كثيراً ما يتمثّل بهذا البيت: [الطويل]

تجرّد من الدنيا فإنك إنّما سقطت[2] على الدنيا وأنت مجرّد

وكان يتمثّل أيضاً بقول المتنبي: [الوافر]

إذا غامرتَ في شرف مَرُوم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعمُ الموتِ في أمرٍ حقيرٍ كطعم الموت في أمرٍ عظيمِ

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وخمس عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصبعاً.

* * *

(١) وفي المؤرخين من أرّخ ولادته سنة ٤٨٦هـ وقيامه بالدعوة سنة ٥١٥هـ ووفاته سنة ٥٢٢هـ. وفي نسبه أيضاً خلاف. (الأعلام: ٦/٢٢٨، وفيه مصادر أخباره وترجمته والروايات المختلفة في ذلك).

(٢) في ابن خلكان: «خرجت إلى الدنيا».

السنة الخامسة من خلافة الحافظ على مصر

وهي سنة تسع وعشرين وخمسمائة.

فيها تُوفِّي شمس الملوك إسماعيل بن تاج الملوك بُورِي ابن الأتَابَك ظهير الدين طُغتكين صاحب دمشق. كانت ساءت سِيرته وصادر الناس وأخذ أموالهم وسفك الدماء، وظهر منه شحّ زائد، وقتل مماليك أبيه وجدّه. وقد ذكرنا من أخباره في السنة الماضية تبيين ذلك. وزاد ظلمه حتى كتب أهل دمشق إلى زَنْكِي بن آق سُنْقُر بالمسير إليهم. فقيل: إنه مات قبل وصول زَنْكِي إلى الشام، وآستراح أهل دمشق منه.

وفيها توفِّي دُبَيْس بن صدقة بن منصور بن دُبَيْس بن عليّ بن مَزْيَد، الأمير أبو الأغرّ الأسديّ. أصله من بني أسد ــ وقيل: من بني خَفَاجة ــ وأوّل من ظهر من بيته جَدُّه الأكبر مَزْيَد في أيّام بني بُوَيه؛ ومات مزيد فقام عليّ ولده مقامه؛ وكان عائثاً، ما وقعت عينه على شيء إلّا هلكَ. ثم قام بعده آبنه دُبَيس، ثمّ منصور؛ فجرى من منصور في الخليفة القائم بأمر الله ما جرى. ثم مات منصور وخلّف آبنه صدَقة، فخدم ملكشاه السلْجوقيّ ثم خالف آبنه بَرْكْيَاروق فقتله بَرْكْياروق. وقام بعده آبنه دُبَيس صاحب الترجمة؛ وكان شرّ أهل بيته، يرتكب الكبائر ويفعل العظائم، ولقي منه الخليفة والمسلمون شروراً كثيرة، وأبطل الحجّ، وأباح الفروج في شهر رمضان. وكانت أيّامه سبعاً وستين سنة إلى أن قتله السلطان مسعود السلْجوقيّ صبراً في ذي الحجّة. وكان دبيس المذكور كثيراً ما يُنشد: [الكامل]

إنّ الليالِيَ للأنام مناهلٌ تُطْوَى وتُبْسَطُ بينها الأعمارُ
فقِصارُهنّ مع الهموم طويلةٌ وطِوَالُهنّ مع السرور قِصارُ

وكان قتله بالمَرَاغة.

وفيها توفِّي الخليفة أمير المؤمنين المسترشد بالله أبو منصور الفضل آبن الخليفة المستظهر بالله أحمد ابن الخليفة المقتدي بالله عبد الله ابن الأمير محمد الذخيرة ابن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله العباسيّ الهاشمي البغداديّ. بويع

بالخلافة بعد موت أبيه في شهر ربيع الآخر سنة آثنتي عشرة وخمسمائة. ومولده في حدود سنة خمس وثمانين وأربعمائة. وأمّه أمّ ولد تسمّى لُبَابة. وكان شهماً شجاعاً ذا همّة ومعرفة وعقل؛ وكان مشتغلاً بالعبادة، سالكاً في الخلافة سِيرة القادر. قرأ القرآن وسمع الحديث وقال الشعر، ومن شعره: [الطويل]

أنا الأشقرُ الموعودُ[١] بي في المَلاحم ... ومَنْ يَمْلِكُ الدنيا بغير مُزَاحِم

ومات قتيلاً. وكان سبب ذلك أنّه خرج لقتال مسعود بن محمد شاه بن ملكشاه السلجوقيّ فخالف عليه عسكره فآنكسر وأُسِر. فراسل سِنْجَر شاه عمّ مسعود يلوم مسعوداً[٢]؛ فرجع مسعود عن قتاله وضرب له السُّرادق، فنزل المسترشد هذا فيه. ثمّ وصل رسول سنجر شاه إلى الخليفة ومعه سبعة عشر نفراً من الباطنيّة؛ فركب مسعود لتلقّي رسول عمّه سنجر شاه ومعه العسكر، فسبقت الباطنيّة في زِيّ الغِلمان ودخلوا على الخليفة وضربوه بالسكاكين حتّى قتلوه وقتلوا مَن كان عنده؛ وعادت العساكر فأحدقت بالسرادق، وخرج الباطنيّة والسكاكين بأيديهم فيها الدم؛ فمالت العساكر عليهم فقتلوهم وأحرقوهم. وغُطِّي الخليفة بسندسة خضراء لفّوه فيها، ودُفن على حاله بباب مَرَاغة. وكان قتله في سابع[٣] عشر ذي القعدة، وعمره خمس وأربعون سنة، وخلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وأيام. وبويع بالخلافة بعده آبنه أبو جعفر منصور، ولقب بالراشد، وكان ببغداد.

أمر النيل في هذه السنة:

---

(١) في تاريخ الخلفاء للسيوطي: «المدعوّ بي» وبعد هذا البيت:

ستبلغ أرضَ الروم خيلي وتنتضى ... بأقصى بلاد الصين بيضُ صوارمي

(٢) ونقل السيوطي عن ابن الجوزي نصّ رسالة سجر إلى مسعود، وهي: «ساعة وقوف الولد غياث الدنيا والدين على هذا المكتوب يدخل على أمير المؤمنين، ويقبّل الأرض بين يديه، ويسأله العفو والصفح، ويتنصّل غاية التنصّل؛ فقد ظهر عندنا من الآيات السماوية والأرضية ما لاطاقة لنا بسماع مثلها، فضلاً عن المشاهدة: من العواصف والبروق والزلازل، ودام ذلك عشرين يوماً، وتشويش العساكر، وانقلاب البلدان. ولقد خفت على نفسي من جانب الله، وظهور آياته، وامتناع الناس من الصلاة في الجوامع، ومنع الخطباء، ما لاطاقة لي بحمله. فالله الله تتلافى أمرك، وتعيد أمير المؤمنين إلى مقرّ عزّه، وتحمل الغاشية بين يديه كما جرت عادتنا وعادة آبائنا.»

(٣) في تاريخ الخلفاء: «يوم الخميس سادس عشر ذي القعدة».

الماء القديم خمس أذرع وأربع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وثلاث أصابع.

* * *

السنة السادسة من خلافة الحافظ عبد المجيد على مصر

وهي سنة ثلاثين وخمسمائة.

فيها خُلِع الخليفة الراشد بالله أبو جعفر منصور بن المسترشد المقدّم ذكره، لأمور وقعت بينه وبين السلطان سِنْجَر شاه وآبن أخيه السلطان مسعود وقطع خطبته. وكاتب الخليفةُ زَنْكِي بنَ آق سُنْقُر وأطمعه في الملك، وقال: يكون السلطان أَلْب أَرْسلان بن محمود بن محمد شاه بن ملكشاه، وأنت تكون أتابكَه؛ فكان هذا أوّل سبب الفتنة، وخرج الخليفة من بغداد، ووقع له أمور آلت إلى خلعه.

قال صدقة[1] الحدّاد الحنبليّ في تاريخه: إن الوزير أبا القاسم بن طَرّاد صدّر مَحْضَراً على الراشد فيه أنواع من الكبائر آرتكبها من الفسق والفجور ونكاح أمّهات أولاد أبيه وأخذ أموال الناس وسفك الدماء، وأنّه فعل أشياء لا يجوز أن يكون معها إماماً. فتوقّف الشهود؛ فهدّدهم آبن طَرّاد وقال: علمتم صحّة هذا، فما المانع من إقامة الشهادة! فشهدوا. وكان السلطان مسعود قد جمع القُضاة والشهود والأعيان وأخرج لهم نسخة يمين كانت بينه وبين الراشد، أخذها عليه بخطّه: «متى حشدتُ[2] أو حاذيتُ وجذبتُ سيفاً في وجه مسعود فقد خلعتُ نفسي من هذا الأمر»، وفيها خطوط القضاة والشهود بذلك. فحكم القضاة حينئذ بخلعه؛ فخُلِع في يوم الاثنين ثامن عشر ذي القعدة. وولّوا المقتفي محمد آبن المستظهر أخ

(١) هو أبو الفرج صدقة بن الحسين بن الحسن بن بختيار بن الحداد البغدادي، المتوفى سنة ٥٧٣هـ. وتاريخه هو «ذيل على تاريخ ابن الزاغوني». أرّخ فيه من سنة ٥٢٧هـ إلى قريب وفاته. (الأعلام: ٢٠٢/٣) وابن الزاغوني هو علي بن عبيد الله بن نصر المتوفى سنة ٥٢٧هـ. وتاريخه على السنين من أول ولاية المسترشد إلى حين وفاة المؤلف. (الأعلام: ٣١٠/٤).

(٢) نصّ اليمين في ابن الأثير (حوادث سنة ٥٣٠هـ): «إني متى جنّدت أو خرجت أو لقيت أحداً من أصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسي من الأمر.»

المسترشد عمّ الراشد هذا، وحُبِس الراشد إلى أن مات، حسب ما يأتي ذكره إن شاء الله في محله.

وفيها تُوفّي القاسم بن عبد الله بن القاسم، القاضي شمس الدين الشَّهْرُزُورِيّ أخو القاضي كمال الدّين الشهرزوريّ؛ ولي قضاء الموصل، وكان يعظ وله قبول حسن، وللناس فيه آعتقاد.

وفيها تُوفِّي يوسف بن فَيْروز حاجب شمس الملوك إسماعيل. كان مماليك طُغْتِكِين حَقَدوا عليه لأنّه هو الذي أشار على شمس الملوك بقتل إيلبا الذي ضرب شمس الملوك بالسيف، حسب ما ذكرناه؛ فآتّفقوا على قتله؛ فآلتقاه بُزواش[1] الأتابكيّ عند المسجد الجديد فضربه بالسيف على وجهه فقتله في جمادى الآخرة.

وفيها تُوفِّي الإمام العلامة أبو الحسن عليّ بن أحمد بن منصور بن قيس الغسّانيّ المالكيّ النحويّ. كان إماماً فقيهاً عالماً نحويّاً؛ حلّق ودرّس سنين وأقرأ النحو وقصده الناس وآنتفع به خلق كثير.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ست أذرع وثماني أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وسبع أصابع.

* * *

السنة السابعة من خلافة الحافظ على مصر

وهي سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة.

فيها أرسل السلطان مسعود طالبَ الخليفة المقتفي لأمر الله العبّاسيّ وحواشيَه بمائة ألف دينار. فبعث إليه المقتفي يقول: «ما رأيت أعجب من أمرك! أنت تعلم أنّ أخي المسترشد سار من بغداد إليك بأمواله، فوصل الكلّ إليك ورجع أصحابه بعد قتله عُراةً، ووَلِي آبن أخي الراشد فَفَعل ما فعل، ثمّ رحل وأبقى[2] أمواله

(١) في ابن الأثير وعقد الجمان: «بُزَاوِش».

(٢) في المنتظم لابن الجوزي: «... ثم رحل وأخذ ما بقي من الأموال، ولم يبق في الدار سوى الأثاث فأخذته جميعه وتصرفت في دار الضرب ودار الذهب...»

وخزائنه في الدار، فأخذتَ الجميع. وأمّا الناس فإنّي عاهدت الله أنّي لا آخذ لأحد شيئاً، وقد أخذتَ أنت أيضاً الجوالي[1] والتركات[2]؛ فمن أيّ وجه أُقيم لك هذا المال!».

وفيها تتبّع المقتفي القوم الذين أفتَوْا بفسق الراشد وكتبوا المحضر، وعاقب من آستحقّ العقوبة، وعزل من يستحقّ العزل، ونَكَب الوزيرَ شرف الدّين عليّ بن طَرّاد. وقال المقتفي: إذا فعلوا هذا مع غيري فهم يفعلونه معي؛ وآستصفى أموال الزينبي، وآستوزر عوضه سديد الدولة بن الأنباريّ، وكان كاتب الإنشاء.

وفيها تُوفي مرشد بن عليّ بن المقلد بن نصر بن مُنْقِذ الأمير أبو سلامة صاحب شَيزَر. كان عارفاً بفنون العلوم والآداب، صالحاً كثير العبادة والتلاوة. وكان أخوه نصر ولّاه شيزر فتركها وقال: لا أدخل في الدنيا! وولّاها أخاه سلطان بن عليّ. وسافر البلاد، وكان له يد طُولى في العربيّة والمكاتبة والشعرِ. كان كثير الصوم شديد البأس والنجدة في الحرب حسن الخط، كتب بخطّه سبعين ختمة، وكان له شعر.

وفيها تُوفِّي بدران بن صَدَقة بن منصور، وهو من بني مَزْيَد، ولقبه شمس الدولة. ولمّا فعل أخوه دُبَيْس ما فعل بالعراق وتغيّرت أحواله، خرج إلى مصر، فأكرمه صاحبها الحافظ صاحب الترجمة. وكان أديباً فاضلاً، مات في هذه السنة.

وفيها تُوفِّي إسماعيل بن أبي القاسم بن أبي بكر النيسابوريّ الإمام القارىء؛ مات في شهر رمضان. وكان رأساً في علم القرآن وغيره.

وفيها توفي الحافظ أبو جعفر محمد بن أبي عليّ الهمذانيّ، الحافظ المحدّث المشهور؛ سمع الكثير وكتب وصنّف وحدّث، وروى عنه غير واحد.

---

(١) الجوالي: ما يؤخذ من أهل الذمة من الجزية المقررة على رقابهم في كل سنة. والجوالي جمع جالية، وتطلق على أهل الذمة. وقد قيل لهم ذلك لأن عمر بن الخطاب أجلاهم عن جزيرة العرب. ثم لزم هذا الاسم كل من لزمته الجزية من أهل الذمة وإن لم يجلوا عن أوطانهم. (انظر صبح الأعشى: ٤٦٢/٣–٤٦٣).

(٢) في الأصل: «التركمان» والتصحيح عن المنتظم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستّ أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وستّ عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثامنة من خلافة الحافظ عبد المجيد على مصر

وهي سنة آثنتين وثلاثين وخمسمائة.

فيها تُوفِّي أحمد بن محمد بن أحمد[1] الشيخ أبو بكر الدِّينَوَرِيّ الحنبليّ. تفقّه على أبي الخَطّاب الكلوذانيّ، وبرع في الفقه والمناظرة. ومات في جمادى الأولى، ودفن قريباً من الإمام أحمد بن محمد بن حنبل. رضي الله عنه.

وفيها تُوفِّي الوزير أنوشَرْوَان بن خالد[2] بن محمد، أبو نصر القاشانّي القَيْنِيّ (وقَيْن: قرية من قرى قاشان) وزر للمسترشد الخليفة وللسلطان مسعود[3] السلجوقيّ. وكان مَهِيباً عاقلاً فاضلاً. وهو كان السبب في عمل الحريريّ المقامات التي أنشأها. حُكِي أنّ الحريريّ كان جالساً بمسجد بني حَرَام، وهي محلّة من محال البصرة، إذ دخل شيخ ذو طِمْرَين عليه أُهْبة السفر رثّ الثياب. فاستنطقه الحريريّ فإذا هو فصيح اللّهجة حسن العبارة. فسأله من أين الشيخ؟ فقال: من سَرُوج. قال: فما كنيته؟ قال: أبو زيد. فعمل الحريريّ المقامة الحَرَامِيّة بعد قيامه من ذلك المجلس[4]. هكذا قال صاحب مرآة الزمان.

قلت: ولعلّ الحريريّ كان سمع به قبل ذلك وما آجتمع به[5]؛ فإنّ الذهبيّ

---

(١) في الأصل: «أحمد بن محمد بن محمد..» وما أثبتناه عن المنتظم والشذرات وعقد الجمان والبداية والنهاية.

(٢) كذا أيضاً في الشذرات وأخبار الدولة السلجوقية. وفي ابن خلكان: «أنو شروان بن محمد بن خالد..»

(٣) في الشذرات والبداية والنهاية: «وللسلطان محمود» وفي المنتظم وعقد الجمان: «وللسلطان محمد» وفي أخبار الدولة السلجوقية لصدر الدين الحسيني أن السلطان مسعود استوزر أنو شروان هذا سنة ٥٢٧هـ.

(٤) وأبو زيد السَّروجي هو المطهَّر بن سلار السروجي المتوفى نحو ٥٤٠هـ.

(٥) جاء في الأعلام: ٢٥٣/٧ (انظر مصادره) أنه كان تلميذاً للحريري في البصرة وتخرّج به.

قال عن أبي زيد السَّرُوجّي: إنّه رجل مُكْد لَحوح فصيح العبارة يسمّى المطهّر[١] ابن سلّار. وكان الوزير أنو شَرْوَان كريماً جَوَاداً ذا همّة عالية وإقدام. ومات في شهر رمضان. رحمه الله.

وفيها تُوفّي المسنِد بدر بن عبد الله أبو النجم؛ سمع الحديث الكثير، ومات في شهر رمضان عن ثمانين سنة ببغداد. وكان سليم الباطن. طلب منه أصحاب الحديث إجازة، فقال: كم تستجيزون! ما بقي عندي إجازة.

وفيها تُوفّي الأمير البُقش السِّلاحّي. كان أميراً كبيراً، ناب عن السلطان في ممالك؛ ثم توهّم السلطان منه وقبض عليه وحبسه بقلعة تَكْرِيت، ثم أمر بقتله، فغرّق نفسه في دِجلة، فأُخرج من الماء وقُطع رأسه وحمل إلى السلطان.

وفيها تُوفّي الحسين بن تلمش بن يزدمر أبو الفوارس التركيّ الصوفيّ البغداديّ. كان شاعراً. ومن شعره: [الخفيف]

أتَمَنّى أنّي أكون مريضاً عَلّها أن تعودَ في العوّاد
فتراها عيني فيذهبَ عنّي ما أُقاسيه من جوىً في فؤادي

وفيها تُوفّي محمد بن عبد الملك بن محمد الشيخ أبو الحسن الكَرَجِيّ. كان محدّثاً فقيهاً شاعراً شافعيّ المذهب، وصنّف في مذهبه. وكان كريماً جواداً. ومن شعره: [الوافر]

تناءت دارُهُ عنّي ولكن خيال جماله في القلب ساكن
إذا آمتلأ الفؤاد به فماذا يضرّ إذا خلت منه المساكن

وفيها تُوفّي الخليفة الراشد بالله أبو جعفر منصور آبن الخليفة المسترشد بالله أبي منصور الفضل ابن الخليفة المستظهر بالله أحمد ابن الخليفة المقتدي بأمر الله عبد الله ابن الأمير ذخيرة الدين محمد ابن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله، العباسيّ الهاشمي. بُويع بالخلافة بعد قتل أبيه المسترشد في ذي القعدة سنة تسع وعشرين

(١) في الأصل: «المظفر» وهو خطأ.

وخمسمائة. ومولده في سنة آثنتين وخمسمائة. وخرج بعد خلافته بمدّة إلى الموصل لقتال مسعود وغيره، فخذله أصحابه؛ فقبَض السلطان مسعود عليه، وخلعه من الخلافة، حسب ما ذكرناه في سنة ثلاثين وخمسمائة، وحبسه إلى أن قتله في هذه السنة. وأمه أمّ ولد حبشية يقال لها [أمّ السادة][1]. ويقال: إنّ الراشد هذا وُلِد مسدوداً، فأحضر أبوه المسترشد الأطبّاء، فأشاروا أن يُفتح له مخرج بآلة من ذهب، ففعل به ذلك فنفع. وحكي عن الراشد هذا أيضاً أن والده أعطى له عدّة جوار وعمره أقّل من تسع سنين، وأمرهنّ أن يلاعبْنه؛ وكانت فيهنّ جارية حبشية فحملت من الراشد فلمّا ظهر الحَمْل وبلغ المسترشدَ أنكره لصغر سنّ ولده الراشد؛ وسألها فقالت: والله ما تقدّم إليّ غيره، وإنّه آحتلم. فسأل باقي الجواري فقلن كذلك. ووضعت الجارية صبيّاً وسمّي أمير الجيش. وقيل لأبيه: إنّ صبيان تِهامةَ يحتلمون لتسع، وكذلك نساؤهم. وكانت قَتْلة الراشد هذا في شهر رمضان من هذه السنة بظاهر أصبهان. وقال الذهبيّ: إنّ قتلته كانت في الجالية. والله أعلم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وإصبع واحدة. مبلغ الزيادة ثماني[2] عشرة ذراعاً وآثنتا عشرة إصبعاً.

* * *

السنة التاسعة من خلافة الحافظ عبد المجيد على مصر

وهي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة.

فيها كانت زَلْزلة عظيمة أهلكت مائتي ألف وثلاثين ألف إنسان، قاله صاحب مرآة الزمان. وقال آبن القَلَانِسيّ: إنّها كانت بالدنيا كلّها، وإنما كانت بحلب أعظم، جاءت ثمانين مرّة، ورمت أسوار البلد وأبراج القلعة، وهرب أهل البلد إلى ظاهرها.

---

(١) زيادة عن عقد الجمان. وفي الأصل بياض.

(٢) في كنز الدرر: «سبع عشرة ذراعاً وثلاث أصابع».

وفيها توفي إسماعيل بن محمد بن أحمد، الشيخ الأديب أبو طاهر الرُّناني[١]. كان شاعراً فصيحاً مترسّلاً.

وفيها تُوفِّي عليّ[٢] بن أفلح، الرئيس أبو القاسم الكاتب البغداديّ. كان عالماً فاضلاً كاتباً شاعراً. تقدّم عند الخليفة المسترشد حتّى إنّه لقّبه جمال الملك وأعطاه الذهب ورتّب له الرواتب. ثمّ بلغه عنه أنّه كاتب دُبَيْساً، فأراد القبض عليه، فهرب إلى تَكْرِيت وآستجار ببِهْرُوز الخادم؛ فشفع فيه فعفا عنه الخليفة. ومن شعره: [البسيط]

دَعِ الهوى لأُناسٍ يُعْرَفون به ... قد مارسوا الحبّ حتّى لان أصْعَبُهُ
بلوتَ نفسَك فيما لستَ تَخْبُرهُ ... والشيء صعبٌ على مَنْ لا يُجرّبُه

وفيها تُوفِّي الأمير محمود بن تاج الملوك بُوري بن الأتابك ظهير الدين طُغْتِكِين، الملك شهاب الدين صاحب دِمَشق. وَلِي دمشق مكان أبيه ـ قلت: ولعلّه وَلِي بعد أخيه[٣] شمس الملوك إسماعيل. والله أعلم ـ ولمّا ولي إمْرة دمشق ساءت سيرته، فآستوحش منه جماعة من أمرائه وآتّفقوا على قتله مع يوسف الخادم والبُقش الأرمني. وكانا ينامان حول سريره وساعدهما عَنْبَر الفرّاش الخَرْكَاوِيّ على ذلك. فلمّا كان ليلة الجمعة ثالث عشرين شوّال ذبحوه على فراشه وخرجوا هاربين؛ فظَفِروا بهم وأخذوا يوسف وعنبراً فصُلِبا، وهرب البُقش. وكتب الأمراء إلى أخي محمود هذا، وهو محمد بن بُوري بن طُغْتِكِين وكان ببعلبكّ، وكان صبيّاً لم يبلغ الحُلُم، فجاء مسرعاً ودخل دمشق، فملّكوه ولقّبوه جمال الدين. وآنتهى الخبر إلى خاتون صفوة الملك والدة محمود المقتول؛ فراسلت الأمير عماد الدين زَنْكِي بن آق

---

(١) كذا في طبعة كاليفورنيا. وفي معجم البلدان: «أبو نصر الرُّناني» نسبة إلى «رُنَان» بضم أوله وتخفيف ثانيه. قرية من قرى أصبهان. وجعل وفاته سنة ٥٣١هـ. وفي الذهبي وأنساب السمعاني: «الوثّابي» نسبة إلى «وثّاب» جدّ.

(٢) وفاته في ابن خلكان سنة ٥٣٥ أو ٥٣٦ أو ٥٣٧هـ. وفي ابن الأثير ٥٣٦ أو ٥٣٧هـ.

(٣) أثبتهم زامباور في معجمه على التوالي: طغتكين سنة ٤٩٧هـ ثم تاج الملوك بوري سنة ٥٢٢هـ ثم شمس الملوك إسماعيل سنة ٥٢٦هـ.

سُنْقُر تعرّفه الحال وتطلب منه أخذ الثأر؛ فجاء إلى دمشق وملكها بالأمان، ثم غَدَر بهم وأمر بقتلهم وصلبهم.

قلت: وعماد الدين زَنْكِي هذا هو والد السلطان نور الدين محمود بن زنكي المعروف بالشهيد.

وفيها توفّي الشيخ الإمام المقرىء أبو العباس أحمد بن عبد الملك بن أبي جَمْرة[1]. كان عالماً فاضلاً سمع الحديث وروى عنه غير واحد، وهو آخر من روى بالإجازة عن أبي عمرو الداني[2].

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وخمس أصابع.

* * *

السنة العاشرة من خلافة الحافظ على مصر

وهي سنة أربع وثلاثين وخمسمائة.

فيها قُتِل الأمير جوهر خادم السلطان سِنْجَر شاه بن ملكشاه السلجوقيّ. كان خادماً حبشياً حاكماً في الدُّوَل. قتله باطنيّ جاءه في صورة آمرأة فآستغاث به؛ فوقف له جوهر لأخذ ظُلاَمته؛ فرمى الإزار ووثب عليه وقتله؛ فقتلته خدم جوهر في الوقت. وعزّ على سِنْجَر شاه قتله وحزِن عليه.

وفيها تُوفّي يحيى بن عليّ بن عبد العزيز، القاضي الزّكي أبو الفضل قاضي دمشق، وهو جدّ آبن عساكر لأمّه. تفقّه على أبي بكر الشاشيّ ببغداد، وتفقّه بدمشق على القاضي المَرْوَزِيّ، ومات بدمشق في هذه السنة. وقال الذهبيّ: في الآتية، وكان إماماً فاضلاً عالماً. رحمه الله.

---

(١) في الأصل: «حمزة». وما أثبتناه عن الشذرات والذهبي.

(٢) راجع وفيات سنة ٤٤٤هـ.

وفيها[١] تُوفّي الأمير جمال الدين محمد آبن الأمير تاج الملوك بُورِي آبن الأتَابَك ظَهير الدين طُغْتِكِين صاحب دمشق. كان مَلَك دمشق بعد قتل أخيه محمود، فلم تَطُل مدّته، وحضر الأميرُ زَنْكِي بن آق سُنْقُر وأخذ دمشق منه وآستولى عليها، حسب ما ذكرناه. ومات في شعبان ولم أدر مات قتيلاً أم حتف أنفه.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ست أذرع وثماني عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وسبع عشرة إصبعاً، وشَرِقت البلاد.

* * *

السنة الحادية عشرة من خلافة الحافظ على مصر

وهي سنة خمس وثلاثين وخمسمائة.

فيها نَقَل الخليفة المقتفي لأمر الله العبّاسيّ المظفَّر بن محمد بن جَهِير من الأُستاداريّة[٢] إلى الوَزَر. قلت: وهذا أوّل ما سمعنا بوظيفة الأُستاداريّة في الدُّول.

وفيها تُوفّي محمد[٣] بن عبد الباقي الشيخ الإمام أبو بكر الأنصاريّ. هو من ولد كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين خُلِّفوا. كان إماماً عالماً. وكان إذا سئل عن مولده يقول: أقبلوا على شأنكم، لا ينبغي لأحد أن يخبر [عن] مولده؛ إن كان صغيراً يستحقرونه، وإن كان كبيراً يستهرمونه. وكان يُنشد: [الكامل]

---

(١) في معجم زامباور أنه توفي سنة ٥٣٤هـ.

(٢) الأستاداريّة هي وظيفة الأستادار. وهو المشرف على الواردات الخاصة بالسلطان، ويشرف على كل من بالقصر من خدم المطبخ والشرابخاناه والغلمان. وهو الذي يسلمهم رواتبهم وكل ما يحتاجون إليه لعملهم أو لأنفسهم. ويدخل الجاشنكير في جملة هؤلاء. والأستادار مسؤول عن فتح باب القصر وإغلاقه. واللفظ فارسي مركب. (تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل للدكتور أحمد السعيد سليمان) قارن أيضاً بالقلقشندي في صبح الأعشى: ٢٠/٤ و٤٥٧/٥؛ وبين المرجعين المذكورين خلاف في تأصيل الكلمة.

(٣) في ابن الأثير: «أبو بكر بن محمد بن عبد الباقي».

لـي مُـدّةٌ لا بـدّ أَبلغُـهـا   فـإذا آنقضتْ وتَصَرَّمَتْ مُتُّ
لـو عـانـدتني الأُسْدُ ضاريـةً   ما ضرّ بي مـا لم يجى الوقتُ

وفيها تُوفِّي الشيخ الإمام حافظ عصره أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الطَّلْحِيّ الأصبهاني التيمي[١]. وُلِد سنة تسع وخمسين وأربعمائة، وسافر البلاد وسمع الكثير وبرع في فنون؛ وكان إماماً في التفسير والحديث والفقه واللغة، وهو أحد الحّفاظ المتقنين. ومات بأصبهان في يوم عيد النحر.

وفيهـا تُوفِّي الشيخ الإمـام الفقيه المحـدّث أبو الحسن رَزين بن معـاوية العَبْدَرِي[٢] السَّرَقُسْطِيّ، مات بمكّة في المحرّم.

وفيها تُوفِّي القـدوة الصالـح الواعظ أبو يعقوب يوسف بن أيّوب الهَمَذانيّ الواعظ المفسّر. كان إماماً فاضلاً، وله لسان حلو في الوعظ، وللناس فيه محبّة وعليه القبول.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستّ أذرع سواء. مبلـغ الزيادة سبـع عشرة ذراعاً وآثنتا عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثانية عشرة من خلافة الحافظ عبد المجيد على مصر

وهي سنة ست وثلاثين وخمسمائة.

فيها تُوفِّي شيـخ الإسلام الحُسامُ عمر بن عبد العزيز بن مازة[٣]، إمام الحنفيّة ببُخارى وصدر الإسلام. كان علاّمة عصره، وكانت له الحرمة العظيمة، والنعمة الجليلة، والتصانيف المشهورة؛ وكان الملوك يصدرون عن رأيه. ولمّا عزم سِنْجَر

---

(١) في ياقوت وطبقات الحفاظ: «التميمي».

(٢) نسبة إلى عبد الدار.

(٣) في الأصل: «مارة» بالراء المهملة. وما أثبتناه عن ابن الأثير والذهبي وعقد الجمان.

شاه بن ملكشاه على لقاء الخطا[1]، أخرجه معه، وفي صحبته من الفقهاء والخطباء والوعّاظ والمُطَّوِّعة ما يزيد على عشرة آلاف نفر، فقتلوا في المصافّ عن آخرهم، وأُسِرَ الحُسام هذا وأعيانُ الفقهاء. فلمّا فَرَغ المصافّ أحضرهم ملك الخَطَا وقال: ما الذي دعاكم إلى قتال من لم يقاتلكم والإضرار بمن لم يضرّكم؟ وضرب أعناق الجميع. وآنهزم سِنْجر شاه في ستّ أنفس، وأُسِرت زوجته وأولاده وأمّه وهُتِك حريمه، وقُتِل عامّة أُمرائه. قال صاحب مرآة الزمان: وقُتِل مع سِنْجر شاه آثنا عشر ألف صاحب عمامة كلّهم رؤساء، وكان يوماً عظيماً لم يُرَ مثلهُ في جاهليّة ولا إسلام، وكانت قَتْلَة آبن مازة المذكور في صفر.

وفيها تُوفّي الشيخ الإمام أبو سعد[2] أحمد بن محمد بن الشيخ عليّ بن محمود الزَّوْزَنِيّ[3] الصوفي. كان إماماً عالماً فاضلاً رأساً في علم التصوّف. مات ببغداد في شعبانَ.

وفيها تُوفّي الشيخ العارف بالله أبو العبّاس أحمد [بن محمد][4] بن موسى الصِّنهاجيّ الأندلسيّ المالكيّ العالم الصوفّي. كان ممن جمع بين علمي الشريعة والحقيقة.

وفيها تُوفِّي الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث السَّمَرْقَنْدِيّ، مات ببغداد في ذي القعدة. وكان حافظاً مفتناً؛ سمع الكثير وسافر البلاد وكتب وحصّل وحدّث؛ روى عنه غير واحد.

وفيها توفِّي شرف الإسلام عبد الوهّاب آبن الشيخ أبي الفرج عبد الواحد بن

---

(١) بلاد الخطا: بكسر الخاء المعجمة وفتح الطاء المهملة وألف في الآخر. وهم جنس من الترك، بلادهم في متاخمة بلاد الصين. وقاعدة مملكة بلاد الخطا هي مدينة جالق بالق. (صبح الأعشى: ٤٨١/٤ طبعة دار الكتب العلمية) وعن تلك الوقعة انظر ابن الأثير وتاريخ الإسلام للذهبي وأخبار الدولة السلجوقية.

(٢) في الأصل: «أبو سعيد». وما أثبتناه عن الشذرات والمنتظم والذهبي.

(٣) في الأصل: «المروزي». والتصحيح عما سبق.

(٤) زيادة عن الذهبي وشذرات الذهب.

محمد الشِّيرازيّ الفقيه الحنبليّ الواعظ. كان رأساً في الوعظ مشاركاً في فنون كثيرة. ومات بدمشق.

وفيها تُوفِّي الحافظ أبو عبد الله محمد بن عليّ المازِرِيّ[1] المالكيّ الحافظ المحدّث المشهور؛ مات في شهر ربيع الأوّل وله ثلاث وثمانون سنة. وكان إماماً حافظاً متقناً عارفاً بعلوم الحديث؛ وسمع الكثير وسافر البلاد وكتب الكثير.

وفيها توفِّي إمام جامع دمشق أبو محمد هبة الله بن أحمد بن عبد الله بن عليّ بن طاوس. كان رجلاً فقيهاً صالحاً وَرِعاً حسن القراءة؛ أمّ سنين بجامع دمشق، ومات بها.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو سعد أحمد بن محمد آبن الشيخ علي بن محمود الزَّوْزَنيّ الصوفي ببغداد في شعبان. وأبو العبّاس أحمد بن محمد بن موسى [بن عطاء الله][2] بن العريف الصنهاجيّ الأندلسي العارف. والحافظ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث السَّمَرْقَنْدِيّ ببغداد في ذي القعدة. والفقيه أبو محمد عبد الجبّار بن محمد بن أحمد الخُوَارِيّ[3] البيهقِيّ في شعبان. وأبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال، وقد تغيّر. وشرف الإسلام عبد الوهاب آبن الشيخ أبي الفرج عبد الواحد بن محمد الشِّيرازيّ الحنبلي الواعظ بدِمَشق. وأبو حفص عمر بن العزيز بن مازَة شيخ الحنفيّة بما وراء النهر، قُتِل صَبْراً في صفر. وأبو عبد الله محمد بن عليّ المازَريّ المالكيّ الحافظ في شهر ربيع الأوّل، وله ثلاث وثمانون سنة. وأبو الكرم نصر الله بن محمد بن محمد بن مخلد بن الجلخت[4] بواسط في ذي الحجّة. وإمام جامع دمشق أبو محمد هبة الله بن أحمد بن عبد الله بن عليّ بن طاوس. وأبو محمد يحيى بن عليّ بن الطرّاح المديني في رمضان.

---

(١) المازري: نسبة إلى مازر (بفتح الزاي وكسرها) وهي بلدة بجزيرة صقلية. (ابن خلكان والشذرات).

(٢) زيادة عن الذهبي.

(٣) نسبة إلى خُوار، بلدة بالريّ. (السمعاني).

(٤) في الأصل: «ابن الحلحت». بحائين مهملتين. وما أثبتناه عن الذهبي.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وخمس أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وإحدى عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثالثة عشرة من خلافة الحافظ على مصر

وهي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة.

فيها ملك الأمير زَنْكِي بن آق سُنقُر التركيّ والد بني زَنْكِي قلعة الحَديثة التي على الفرات، ونَقَل من كان بها من آل مُهارِش إلى الموصل، ورتّب فيها نُوابه.

وفيها تُوفِّي الحسن بن محمد بن عليّ بن أبي الضوء، الشريف أبو محمد الحسيني البغداديّ، نقيب مشهد موسى[1] بن جعفر ببغداد. كان إماماً فاضلاً فصيحاً شاعراً، إلّا أنّه كان على مذهب القوم، متغالياً في التشيّع، فشان سُؤدَده بذلك. ومن شعره قوله في المرثية التي عملها في الشريف النقيب طاهر، وأظنّها من جملة أبيات: [الخفيف]

قَرِّباني إن لم يكن لكما عَقْـ ـرٌ إلى جنب قبره فاْعقِراني

واْنْضَحا من دمي عليه فقد كا ن دمي من نداه لو تعلمان

قلت: لله دَرُّه! لقد أحسن وأبدع فيما قال. وقد ساق آبن خلّكان هذه الأبيات في ترجمة خالد[2] الكاتب، وساق له حكاية ظريفة، وذكر الأبيات في ضمنها فلتنظر هناك.

---

(١) في ابن خلكان: «نقيب مشهد باب التبن ببغداد».

(٢) هو خالد بن يزيد بن الهيثم التميمي. كان أحد كتاب الجيش ببغداد (ابن خلكان: ٢/٢٣٢) توفي سنة ٢٦٢هـ، وقيل غير ذلك. (الأعلام: ٢/٣٠١). وقد أورد ابن خلكان الأبيات في ترجمة خالد: ٢/٢٣٦؛ ثم ذكرهما في ترجمة المهلب بن أبي صفرة: ٥/٣٥٦ ونسبهما إلى الشريف أبي محمد الحسيني نقلاً عن العماد الكاتب في الخريدة. ثم قال إنه وجدهما في معجم الشعراء للمرزباني منسوبين لأحمد بن محمد الخثعمي.

وفيها تُوفّي السلطان داود آبن السلطان محمود شاه آبن السلطان محمد شاه ابن السلطان ملكشاه آبن السلطان أَلْب أَرْسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ابن دقماق السلجوقيّ، صاحب أذربيجان وغيرها، الذي كسره السلطان مسعود وجرى له معه وقائع وحروب ــ تقدّم ذكر بعضها ــ حتّى آستولى على تلك النواحي. وكان سبب موته أنّه ركب يوماً في سوق تِبْرِيز، فوثب عليه قوم من الباطنيّة فقتلوه غِيلةً، وقتلوا معه جماعة من خواصّه، ودُفن بِتبْرِيز. وكان ملكاً شجاعاً جَوَاداً عادلاً في الرعيّة يباشر الحروب بنفسه.

وفيها تُوفّي العلامة قاضي القضاة عبد المجيد بن إسماعيل بن محمد، أبو سعيد الهَرَوِيّ الحنفيّ قاضي بلاد الروم. كان إماماً فقيهاً متبحّراً مصنّفاً، وله مصنّفات كثيرة في الأصول والفروع، وخُطَبٌ ورسائل، وأدّب وأفتى ودرّس سنين عديدة. ومات بمدينة قَيْساريّة في شهر رجب من السنة المذكورة. ومن شعره: [الكامل]

وإذا مَتَتَّ إلى الكريم خديعةً ... فرأيتَه فيما تروم يسُارع[1]
فآعلم بأنّك لم تُخادِع جاهلاً ... إنّ الكريم بفعله يتخادع

وفيها تُوفّي القانُ مَلِك الخَطَا والترك الملك كورخان[2] وهو على كفره. وأظنّه[3] هو الذي كسر سِنْجر شاه السلجوقيّ المقدّم ذكره، وقتل تلك الأمم. والله أعلم.

وفيها تُوفّي القاضي المنتخب أبو المعالي محمد بن يحيى بن عليّ القرشيّ قاضي قضاة دمشق وعالمها، مات بها في شهر ربيع الأوّل وله تسع وتسعون[4] سنة.

---

(١) في الأصل: «مسارع» وفيه إقواء.

(٢) كذا أيضاً في أخبار الدولة السلجوقية. وورد فيه أيضاً باسم «أوزخان». وفي الشذرات والذهبي وابن الأثير: «كوخان».

(٣) ذكر صاحب أخبار الدولة السلجوقية أن أوزخان أو كورخان هذا هو الذي كسر سنجر شاه السلجوقي.

(٤) في الشذرات والذهبي أنه مات عن سبعين سنة.

وفيها تُوفّي صاحب المغرب أمير المسلمين أبو الحسن عليّ بن يوسف بن تاشِفِين المعروف بالملثّم، قاله الذهبيّ في تاريخ الإسلام.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي أبو عبد الله الحسين[1] بن عليّ سِبط أبي منصور الخيّاط. وأبو الفتح عبد الله بن محمد بن محمد البيضاويّ في جُمادى الأولى. وأبو طالب عليّ بن عبد الرحمن بن أبي عقيل الصوريُّ بدمشق. وكوخان[2] سلطان الخطَا وهو على كفره. والخطيب أبو الفضل محمد بن عبد الله بن المهتدي[3] بالله. وأبو الفتح مُفْلِح بن أحمد الروميّ الورّاق ببغداد.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وست عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً سواء.

* * *

السنة الرابعة عشرة من خلافة الحافظ على مصر

وهي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة.

فيها تُوفّي نقيب النقباء عليّ بن طَرَّاد بن محمد بن عليّ أبو القاسم الزينبيّ. كان معظماً في الدول. ولّاه الخليفة المستظهر بالله نقابة النقباء، ولقّبوه بالرضي ذي الفخرين. وكان من بيت الرياسة والنقابة والفضل.

قلت: وكان وَلِي الوزارة؛ فنقم عليه الخليفة المقتفي بالله وصادره بما فعله مع الخليفة الراشد من كتابة المحضر المقدّم ذكره في سنة ثلاثين وخمسمائة. وكان الزينبيّ هذا إماماً فاضلاً فقيهاً بارعاً في مذهب الإمام أبي حنيفة، وكان جَوَاداً ممدَّحاً. مدحه الحَيْصَ بَيْص[4] بقصيدته التي أوّلها: [الكامل]

---

(١) في الأصل: «الحسن»وما أثبتناه عن الذهبي والمنتظم والشذرات.

(٢) راجع الصفحة السابقة، حاشية (٢).

(٣) في الذهبي: «محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد ابن المهتدي بالله».

(٤) هو أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي المتوفى سنة ٥٧٤هـ. (ابن خلكان: ٢/ ٣٦٢).

ما أنصفتْ بغدادُ نائبهَا الذي كَبُرتْ نيابتُه على بغداد

وفيها تُوفّي الشيخ الإمام العالم العلّامة فريد عصره ووحيد دهره وإمام وقته، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري؟ الخُوَارزميّ النحويّ اللغويّ الحنفيّ المتكلم المفسّر صاحب «الكشّاف» في التفسير و«المفصّل» في النحو. وكان يقال له جار الله؛ لأنّه جاور بمكّة المشرفة زماناً، وقرأ بها على آبن وَهّاس الذي يقول فيه: [الطويل]

ولولا آبن وَهّاسٍ وسابقُ فضله رَعَيْتُ هَشِيماً وآسْتَقَيتُ مُصَرَّدا

وزَمَخْشَر: قرية من قرى خُوارَزْم، ومولده بها في رجب سنة سبع وستين وأربعمائة. وقِدم بغداد وسمع الحديث وتفقّه وبَرع في فنون؛ وصار إمام عصره في عدّة علوم. ومن شعره يرثي شيخه أبا مُضَر منصوراً: [الطويل]

وقائلة ما هذه الدُّرَرُ التي تَساقَطُ من عينيك سِمْطَيْنِ سِمْطَيْنِ
فقلتُ لها[1] الدُّرّ الذي كان قد حشا أبو مُضَرٍ أذني تَساقطَ من عيني

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة ست[2] عشرة ذراعاً وتسع أصابع.

* * *

السنة الخامسة عشرة من خلافة الحافظ على مصر

وهي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة.

فيها آفتتح زَنْكِي بن آق سُنْقُر الرُّهاء من يد الفرنج مع أمور وحروب، ورَدّم سورها، وكتب إلى النصارى أماناً وأحسن للرعيّة، وحفر بها أساساً عميقاً. وأول

(١) في ابن خلكان: «فقلت هو الدرّ...»
(٢) في كنز الدرر لابن أيبك: ١٨ ذراعاً و ٤ أصابع.

صخرة ظهرت في هذا الأساس وجدوا مكتوباً عليها سطرين بالسريانيّة؛ فجاء شيخ يهوديّ فحلّهما إلى العربيّة، وهما: [السريع]

أصبحتُ خِلْواً من بني الأصفرِ   أختال بالأعلام والمِنْبَرِ
فَظَهَر الرّحب على أنّني   لولا آبنُ سُنْقُرَ لم أَظْهرِ

وفيها تُوفّي هبة الله بن الحسن الشيخ أبو القاسم المعروف بالبديع الأَسْطُرلابيّ. كان فريد وقته في عمل الأَسْطُرْلابات وآلات الفلك والطِّلَّسْمَات، وكان مع ذلك أديباً فاضلاً. ومن شعره وقد أرسل لبعض الرؤساء هديّة: [الكامل]

أُهْدِي لمجلسك الشريف وإنّما   أُهدي له ما حُزْتُ من نَعْمائِهِ
كالبحر يُمطره السحابُ وما له   مَنٌّ عليه لأنّه من مائه

وفيها تُوفّي صاحب المغرب وأمير المسلمين تاشِفين بن عليّ بن يوسف بن تاشفين المَصْمُودِيّ المغربيّ. وتمكّن بعده عبد المؤمن بن عليّ بعد أمور وقعت له مع تاشفين هذا وبعده.

وفيها تُوفّي الشيخ الإمام أبو الحسن شُرَيح بن محمد بن شُرَيْح الرُّعَيْنِيّ المالكيّ الفقيه خطيب إشْبِيلِيَة. كان إماماً عالماً خطيباً أديباً شاعراً.

وفيها تُوفّي المسنِد المُعَمَّر أبو الحسن عليّ بن هبة الله بن عبد السلام الكاتب الفقيه مُسْنِد الأندلس؛ سمع الكثير ورحل البلاد وتفرّد بأشياء عوال.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفي أبو البدر[١] إبراهيم بن محمد بن منصور الكَرْخِيّ في شهر ربيع الأوّل. وتاشفين بن عليّ بن يوسف بن تاشفين المصمودي أمير المسلمين، وتمكّن بعده عبد المؤمن وأبو منصور سعيد بن محمد بن آلرزاز[٢] شيخ الشافعيّة ببغداد. وأبو الحسن شُرَيْح بن محمد بن شريح الرُّعَيْنِيّ خطيب إشْبِيلِيَة. ومسند الأندلس أبو الحسن

---

(١) في الأصل: «أبو الوليد» والتصحيح عن الذهبي والشذرات.

(٢) في الأصل: «البزاز». والتصحيح عن الذهبي والشذرات.

عليّ بن هبة الله بن عبد السلام الكاتب. وأبو البركات عمر بن إبراهيم بن محمد الزَّيْدِيّ العَلَويّ النحويّ الكوفيّ. وفاطمة بنت محمد بن أبي سعد محمد[١] البغداديّ بأصبهان، ولها أربع وتسعون سنة. وأبو المعالي محمد بن إسماعيل الفارسيّ النيسابوريّ. وأبو منصور [محمد بن][٢] عبد الملك [بن الحسن بن إبراهيم][٣] بن خَيْرُون المقرىء في رجب. وأبو المكارم المبارك بن عليّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستّ أذرع وأربع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وأربع أصابع.

* * *

السنة السادسة عشرة من خلافة الحافظ عبد المجيد على مصر

وهي سنة أربعين وخمسمائة.

فيها تُوفّي بِهْرُوز الخادم، أبو الحسن مجاهد الدين خادم السلطان مسعود السَّلْجوقيّ. كان خادماً أبيض، ويُلَقّب مجاهد الدين. ولي إمرة[٤] العراق نيّفاً وثلاثين سنة، وله به مآثر. منها أخذ كنيسة وبناها رِباطاً على شاطىء دجلة وأوقف عليها أوقافاً، وبها دُفِن. وبِهرُوز (بكسر الباء الموحدة ثانية الحروف وهاء ساكنة وراء مهملة مضمومة وواو وزاي ساكنة) ومعناه باللغة العجميّة يوم جيّد على التقديم والتأخير على عادة اللغة العجمية والتركية.

وفيها تُوفِّي موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجَوَالِيقيّ، الشيخ أبو منصور إمام المقتفي العبّاسيّ. سمع الحديث ببغداد وقرأ الأدب فأكثر، وآنتهى إليه

---

(١) في الذهبي: «بنت محمد بن أبي سعد أحمد».

(٢) زيادة عن الذهبي والشذرات.

(٣) زيادة عن المنتظم وعقد الجمان.

(٤) المراد أنه كان صاحب الشحنة ببغداد، كما في معجم زامباور. وليها حتى سنة ٥٣٦هـ، ولم يكن حكمه متصلاً.

علم اللغة ودرّس النحو والعربيّة بالنظاميّة بعد أبي زكريا التِّبْرِيزي. فلمّا ولِي المقتفي الخلافةَ آختصه وجعله إمامه، فكان غزير العلم طويل الصمت متواضعاً مليح الخطّ. مات في المحرّم.

وفيها تُوفِّي الشيخ أبو بكر بن تقِيّ (بتاء مثناة من فوق ثالثة الحروف) الأندلسي القرطبي الفقيه الشاعر؛ كان فاضلاً شاعراً فصيحاً. ومن شعره: [الطويل]

ومشمولةٍ في الكأس تحسَب أنّها سمـاءُ عَقِيقٍ زُيِّنتْ بكـواكب
بنتْ كعبةَ اللّذّات في حَرَم الصِّبَا فحجّ إليها اللّهوُ من كلّ جانب

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفِّي الحافظ أبو سعد[1] أحمد بن محمد بن أبي سعد البغداديّ ثم الأصبهانيّ في شهر ربيع الأوّل. وأبو بكر عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن النيسابوريّ في جمادى الأولى. وأبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد الجَوَاليقيّ النحويّ اللغويّ إمام المقتفي في المحرّم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وأربع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً سواء.

* * *

السنة السابعة عشرة من خِلافة الحافظ عبد المجيد على مصر

وهي سنة إحدى وأربعين وخمسمائة.

فيها بَنَى حُسام الدين بن أُرْتُق جسر القرمان بأرض ميّافارقين.

وفيها توفّي الأمير جاوِلي صاحب أذربيجان. كان شجاعاً شهماً يخافه السلطان مسعود وغيره. وسبب موته أنه آفتصد وركب للصيد، فعنّ له أرنب فرماه بسهم فآنفجر فِصَاده فضعُف، ولم يقدِر الطبيب على حبس الدم فمات.

(١) في الأصل: «أبو سعيد». والتصحيح عن تذكرة الحفاظ والبداية والنهاية والمنتظم والشذرات.

وفيها توفّي الملك أبو المظفّر عماد الدين زَنْكِي بن الأتابك آق سُنْقُر. كان أبوه يكنى بقسيم الدولة. وكان (أعني آق سُنْقُر) من خواصّ السلطان ملكشاه السلجوقيّ وولّاه حَلَب وحمْص وغيرهما. ولمّا مات مَلَك بعده آبنه زَنْكِي جميع هذه البلاد، وزاد مملكته حتّى ملك الشام من محمد بن بُورِي بن طُغْتِكِين بعد حروب. ثم آستولى زَنْكِي هذا على الشام جميعه، وأقام على ذلك سنين، إلى أن توجّه إلى قلعة جَعْبَر[١]، فقاتل صاحبها شهاب الدين سالم بن مالك العُقَيْلِيّ ونصب عليها المجانيق حتى لم يبق إلّا أخذُها. فلمّا كان ليلة الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الآخر آتّفق ثلاثة من خدّامه على قتله فذبحوه على فراشه وهربوا إلى القلعة وعرّفوا من بها. وكان مع زَنْكِي أولاده الثلاثة: سيف الدين غَازِي، ونور الدين محمود المعروف بالشهيد، وقطب الدين مودود. فملك بعده آبنه نور الدين محمود الشهيد، وسار غازي إلى الموصل.

قلت: وبنو زَنْكِي هؤلاء هم أوسط الدول؛ فإن أوّل من ملك مع الخلفاء وتلقّب بالسلطان والألقاب العظيمة بنو بُوَيْه، ثم أنشأ بنو بويه بني سلجوق. وأنشأ بنو سلجوق بني أُرْتُق وآق سُنْقُر جدّ بني زَنْكِي هؤلاء. ثم أنشأ بنو زَنْكِي (أعني الملك العادل نور الدين محمود الشهيد) بني أيّوب سلاطين مصر وغيرها. ثم أنشأ بنو أيوب المماليك ودولة الترك. وأوّل ملوكهم الملك المعِزّ أيبك التركمانيّ. فآنظر إلى أمر الدنيا وكيف كلُّ طائفة نعمةُ طائفةٍ ونشوءُها إلى يومنا هذا. انتهى.

وفيها تُوفّي الأمير عَبّاس شِحْنة مدينة الرَّيّ. كان أميراً شجاعاً مقداماً جَوَاداً يباشر الحروب بنفسه.

وفيها تُوفّي عبد الرحيم بن المُحَسِّن بن عبد الباقي الشيخ أبو محمد التَّنُوخِيّ. كان شاعراً فصيحاً، مات بميّافارقين.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي أبو البركات

---

(١) قلعة جعبر: هي قلعة على الفرات في سوريا، مقابل صفين. واسمها دوسر. وتغلب عليها رجل يعرف بجعبر بن مالك فسميت به. (مراصد الاطلاع: ١١١٨/٣).

إسماعيل بن أبي سعد أحمد بن محمد بن دُوسْت الصوفيّ شيخ الشيوخ في جُمادى الآخرة. وأبو جعفر [حسن][1] بن عليّ البخاريّ الصوفيّ بَهَراة. وعِمَاد الدين زَنْكِي الأَتَابك آبن قسيم الدولة آق سُنْقُر؛ قتله غلام له وهو محاصر قلعة جَعْبر. وأبو الفتح محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عليّ النيسابوريّ الخشّاب، آخر من حدّث بأصبهان عن القُشَيْري. وأبو عبد الله محمد بن محمد [بن أحمد][1] بن السلّال[2] الورّاق. وأبو بكر وجيه بن طاهر الشَّحَّامِي العدل في جمادى الآخرة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ست أذرع وإصبعان. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الثامنة عشرة من خلافة الحافظ على مصر

وهي سنة آثنتين وأربعين وخمسمائة.

فيها آفتتح نور الدين محمود المعروف بالشهيد صاحب الشام حصن أرْتاح[3] وغيرها من يد الفرنج. قلت: وهذا أوّل أمر الفتوحات الزَّنكيّة والأيّوبيّة الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

وفيها آستولى عبد المؤمن بن عليّ على مدينة مَرَّاكُش من المغرب بالسيف وقَتل مَن بها من المُقَاتِلة، ولم يتعرّض للرعيّة، وأحضر اليهود والنصارى وقال: إنّ الإمام المهديّ أمرني ألّا أُقِرّ الناسَ إلّا على مِلّة واحدة وهي الإسلام، وأنتم تزعمون أن بعد الخمسمائة عام يظهر من يَعْضُد شريعتكم، وقد آنقضت المدّة؛ وأنا مخيِّركم بين ثلاث: إمّا أن تُسلِموا، وإمّا أن تلحَقوا بدار الحرب، وإمّا أن أضرب رقابكم.

---

(١) زيادة عن الذهبي.

(٢) كذا أيضاً في المنتظم وعقد الجمان. وفي الأصل: «ابن العسال».

(٣) حصن أرتاح: كان من جملة أعمال أنطاكية. ولما فتح نور الدين محمود حارم وما كان لأنطاكية من البلاد التي في شرقي العاصي مما يلي حلب، أصبح هذا الحصن من أعمال حلب. (الدرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب لابن الشحنة: ص ٢٠٦).

فأسلم منهم طائفة، ولَحِق بدار الحرب أخرى. وأخرب عبد المؤمن الكنائس والبِيَع وردّها مساجد، وأبطل الجِزْية، وفعل ذلك في جميع ولاياته.

وفيها قُتِل الوزير رِضْوان بن ولخشي أمير الجيوش وزير الحافظ صاحب الترجمة ومدبِّر ممالكه بديار مصر وغيرها. كان آستوزره الحافظ صاحب مصر المذكور. فلمّا ولي الوزرَ آستولى على مصر، وحَجَر على الخليفة الحافظ، وسلك في ذلك طريق الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي. وزاد أمره، حتى دسّ عليه الحافظ السودانَ فوثبوا عليه وقتلوه.(١).

وفيها تُوفِّي الأستاذ هبة الله بن عليّ بن محمد بن حمزة، أبو السعادات العلويّ النحويّ، ويُعرف بآبن الشَّجَريّ. اِنتهى إليه في زمانه علم النحو والعربيّة ببغداد، وسمع الحديث وطال عمره وأقرأ وحدّث.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وثلاث أصابع. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وثلاث عشرة إصبعاً.

* * *

السنة التاسعة عشرة من خلافة الحافظ عبد المجيد على مصر

وهي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة.

فيها أزال السلطان نور الدين محمود بن زَنْكِي صاحب دمشق من حلب الأذان بـ«حيّ على خير العمل» وسب الصحابةِ بها، وقال: من عاد إليه قتلته؛ فلم يَعُدْ أحد. رحمه الله تعالى.

---

(١) تولى رضوان بن الولخشي الوزارة للحافظ من ١١ جمادى الأولى سنة ٥٣١هـ حتى ١٤ شوال سنة ٥٣٣هـ. وقد هرب في تلك السنة إلى عسقلان فدخلها وجعلها معقله. وعاد في سنة ٥٣٤هـ في صفر على رأس قوة من ألف فارس فتمكن الحافظ من القبض عليه يوم الاثنين ٤ ربيع الآخر من السنة واعتقله بالقصر. وظل معتقلاً حتى استطاع الهرب في ٢٣ ذي القعدة سنة ٥٤٢هـ وتجمع حوله عدد من الأجناد وعرب لواتة وتمكن من دخول القاهرة. ولكن الجنود السودان استطاعوا قتله بعد أن أجزل لهم الحافظ العطاء. (انظر الوزارة في العصر الفاطمي: ص ٢٧٩ ــ ٢٨٠).

وفيها ظهر بمصر رجل من ولد نِزار آبن الخليفة المستنصر العُبَيْديّ يطلب الخلافة، فآجتمع عليه خَلْق، حتّى جهّز إليه الخليفة الحافظ صاحب الترجمة العساكر فآلتقَوْا بالصعيد، وقُتل من الفريقين جماعة. ثم آنهزم النِّزاريّ الذي خرج وقُتِل ولده[1].

وفيها أغار نور الدين محمود صاحب دمشق المعروف بالشهيد المقدّم ذكره على بلاد الفرنج وفَتَح عِدَّة حصون ــ تقبّل الله منه ــ وأَسَر وقَتَل وغَنِم.

وفيها حجّ بالناس من العراق الأمير قايماز.

وفيها تُوفّي قاضي القضاة أبو القاسم عليّ بن الحسين بن محمد بن عليّ الزينبي البغداديّ الحنفيّ. وُلِد في نصف شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين وأربعمائة، وسمع الحديث وتفقّه وبَرَع في مذهبه. ولّاه الخليفة المسترشد قضاء القضاة، وطالت مدّته وحسُنت سِيرته، وناب في الوزارة في بعض الأحيان.

وفيها توفي الفقيه أبو الحَجّاج يوسف بن دوباس[2] الفِنْدَلَاويّ شيخ المالكيّة بدمشق، اسْتُشْهِد بظاهر دمشق في حرب الفرنج ومحاصرتهم لدمشق. وكان إماماً عالماً ديّناً بارعاً في فنون.

وفيها تُوفِّي الأستاذ أبو الدرّ ياقوت الروميّ الكاتب مولى أبي المعالي أحمد بن عليّ بن البخاريّ التاجر بدمشق. قلت: وتَسَمّى بهذا الاسم جماعة كثيرة لهم ذكر، فمنهم من يُذكر هنا ومنهم من لا يذكر على حسب الاتفاق، وهم ياقوت هذا المذكور. وياقوت بن عبد الله الصَّقْلَبِي أبو الحسن المعروف بالجمالي مولى الخليفة المسترشد بالله الفضل العَبّاسيّ، ووفاته سنة ثلاث وستين وخمسمائة. وياقوت بن عبد الله أبو سعيد مولى أبي عبد الله عيسى بن هبة الله بن النقّاش، ووفاته سنة أربع

(١) ذكر ابن ميسَّر أن الذي قتل هو النزاري نفسه الذي ادعى أنه ابن نزار. قتله مقدمو لواتة الذين كان قد خرج فيهم، بعد أن بعث إليهم الحافظ مالاً جزيلاً، وبعثوا برأسه إلى الحافظ. (ابن ميسَّر، أخبار مصر: ص ١٣٩. وفي هامش نفس الصفحة أن اسم النزاري هذا: أبو عبد الله الحسين بن نزار. وكان بدء أمره في سنة ٥٢٩هـ).

(٢) في معجم البلدان والذهبي: «ابن دُرْنَاس».

وسبعين وخمسمائة. وياقوت بن عبد الله الموصلّي الكاتب أمين الدين المعروف بالملكِيّ نسبته إلى أستاذه السلطان ملكشاه السُّلْجوقيّ، إنتشر خطّه في الآفاق، تُوفّي بالموصل سنة ثماني عشرة وستمائة. وياقوت بن عبد الله الحَمَوِيّ الروميّ شهاب الدين أبو الدرّ. كان من خُدّام بعض التجار ببغداد يُعرف بعسكر الحمويّ، وهو صاحب التصانيف؛ تُوفّي سنة ست وعشرين وستمائة. وياقوت بن عبد الله مهذّب الدين الروميّ مولى أبي منصور الجِيلِيّ التاجر، كان شاعراً ماهراً، وهو صاحب القصيدة التي أوّلها: [البسيط]

إن غاض دمعك والأحباب قد بانوا فكُّل ما تـدَّعي زُورٌ وبُهتـان

تُوفِّي سنة آثنتين وعشرين وستمائة. وياقوت بن عبد الله المُسْتَعصِميّ الروميّ جمال الدين أبو المجد صاحب الخطّ البديع، مولى الخليفة المستعصم بالله العباسيّ، تُوفّي سنة ثمان وتسعين وستمائة. وياقوت الشَّيْخِي افتخار الدين الحبشي مقدَّم المماليك في دولة الأشراف شعبان بن حسين، توفِّي سنة سبع وسبعين وسبعمائة. وياقوت بن عبد الله الحَبَشِيّ المُعِزّيّ المسعوديّ المحدّث الفاضل، توفِّي سنة أربع وخمسين وستمائة. وياقوت بن عبد الله الأرغون شاوي الحبشيّ مقدّم المماليك للأشراف برسباي، تُوفّي سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة. قلت: وهؤلاء الأعيان. وأمّا غير الأعيان فكثير. وقد آستطردنا ذكرهم هنا جملة لئلاّ يلتبس أحد منهم على من ينظر في ترجمة أحدهم في محلّه.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وثماني أصابع. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وثلاث عشرة إصبعاً.

* * *

السنة العشرون من خلافة الحافظ عبد المجيد على مصر

مات في جمادى الآخرة، حسب ما تقدّم ذكره.

وهي سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

فيها واقع السلطان الملك العادل نورُ الدين محمود بن زَنْكِي بن آق سُنْقُر المعروف بالشهيد صاحبُ دمشق الفرنجَ وكسرهم الكَسْرَة المشهورة، وقَتل منهم ألفاً وخمسمائة، وأسر مثلَهم؛ وعاد إلى حلب بالغنائم العظيمة والأُسارى، وبعث بعضها إلى أخيه مودود. وفيها يقول آبن القَيْسَرانِيّ الشاعر: [السريع]

وكم[1] له من وقعةٍ يومُها عند ملوك الشِّرك مشهودُ
حتّى إذا عادوا إلى مثلها قالت لهم هيبتُه عودوا
مَنَاقِبٌ لم تك موجودةً إلا ونُور الدين موجود
وكيف لا نُثني على عيشنا الـ ـمحمود والسلطان محمود

وفيها آفتتح نور الدين محمود أيضاً حصن فَامِيَةَ؛ وكان على حماة وحمص منه ضرر عظيم.

وفيها تُوفّي القاضي الإمام الأديب العلّامة ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأَرَّجانِيّ قاضي تُسْتَر. قال آبن خلّكان: «والأَرَّجانيّ: بفتح الهمزة وتشديد الراء والفتح والجيم وبعد الألف نون، هذه نسبة إلى أَرَّجان، وهي من كور الأهواز من بلاد خُوزِسْتان». اِنتهى. وقال صاحب المرآة: «كان إمام عصره، فقيهاً أديباً شاعراً صاحب النظم الرائق. وديوان شعره مشهور بأيدي الناس؛ سمع الحديث وتفقّه. وكان بليغاً مُفَوَّهاً. وهو القائل: [الكامل]

(١) هذه الأبيات ضمن قصيدة طويلة وردت في كتاب «الروضتين في أخبار الدولتين» لأبي شامة. ومطلع القصيدة:

يا ليت أن الصدَّ مصدود أو لا فليت النوم مردود.

وفيها يذكره المؤلف تقديم وتأخير في الأبيات. (النجوم، طبعة دار الكتب المصرية: ٥/٢٨٤، حاشية).

وفي هذه السنة كان لنور الدين محمود أكثر من انتصار على الفرنجة ـ انظر تفصيل ذلك في ابن الأثير: حوادث سنة ٥٤٤هـ. وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي.

أنا أشعرُ الفقهاء غيَر مُدَافَع   في العصر وَأنا أفقه الشعراء

قلت: ومن شعره ــ والبيت الثاني يُقرأ معكوساً: [الوافر]

أُحِبُّ المرءَ ظاهره جميلٌ   لصاحبه وباطنُه سليم
مَوَدَّتُه تدوم لكلّ هول   وهل كل مودتُه تدوم

وفيها تُوفّي الحافظ الناقد الحجة عِياض بن موسى بن عِياض بن عمرو بن موسى بن عِياض بن محمد بن موسى بن عياض اليَحْصِبيّ السَّبْتِيّ، أبو الفضل المعروف بالقاضي عِياض، أحد عظماء المالكيّة. وُلِد بسبتة في منتصف شعبان سنة ست وتسعين[١] وأربعمائة. وأصله من الأندلس ثم آنتقل أخيرُ أجداده إلى مدينة فاس، ثم من فاس إلى سَبْتَة. كان إماماً حافظاً محدِّثاً فقيهاً متبحِّراً؛ صنّف التصانيف المفيدة، وآنتشر آسمه في الآفاق وبُعد صِيته. ومن مصنّفاته كتاب «الشفا في شرف المصطفى». وكتاب «ترتيب المدارك وتقريب المسالك في ذكر فقهاء مذهب مالك» وكتاب «العقيدة» وكتاب «شرح حديث أمّ زَرْع» وكتاب «[جامع][٢] التاريخ» وهو كتاب جليل، وشيء كثير غير ذلك. ومات بَمرَّاكُش في جُمادى الآخرة. ومن شعره رحمه الله: [السريع]

أُنظر إلى الزرع وخَاماتِهِ[٣]   تحكي وقد هَبَّتْ[٤] عليها الرياح
كتيبةً خضراءَ مهزومةً   شقائقُ النّعمان فيها جِرَاح

وفيها تُوفّي الملك غَازِي بن زَنْكِي بن آق سُنْقُر التركيّ، أخو السلطان نور الدين محمود الشهيد الأتَابك، سيف الدين صاحب الموصل، وهو أكبر أولاد زَنْكِي. مات في سلخ جمادى الآخرة وله أربع وخمسون سنة، وأقام في المُلك

(١) جاء في تاريخ قضاة الأندلس لأبي الحسن المالقي الأندلسي: ص ١٠١ «ثم كتب [أي القاضي عياض] إلى القاضي أبي الفضل بخطه يذكر أنه ولد في منتصف شعبان من سنة ٤٧٦هـ؛ وتوفي رحمه الله بمراكش وسط سنة ٥٤٤هـ».

(٢) زيادة عن كشف الظنون وتذكرة الحفاظ.

(٣) جمع خامة، وهي القصبة الرطبة من الزرع.

(٤) في ابن خلكان والذهبي والشذرات وتذكرة الحفاظ: «تحكي وقد ماست أمام الرياح».

ثلاث سنين وشهوراً. وكان شجاعاً جَوَاداً. وهو أوّل من حمل السَّنْجَق[١] على رأسه في الأَتَابَكيّة، ولم يحمله أحد قبله لأجل ملوك السلجوقيّة.

وفيها توفّي الأمير مُعين الدين أُنُر[٢] مملوك الأَتَابك طُغْتِكِين. كان مدبِّر دولة أولاد أستاذه الأتابك طُغْتِكِين، وكان جليل القدر عالي الهمّة.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي القاضي أبو بكر، أحمد بن محمد بن الحسين الأَرَّجاني الشاعر بُتْسْتَر. ومُعِين الدين أُنُر الطُّغْتِكِيّ مدبّر دولة أولاد أستاذه. والحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد [بن] المستنصر العبيديّ. والقاضي عِياض بن موسى بن عِياض أبو الفضل اليَحْصِبيّ السَّبْتِيّ بمرّاكُش في جمادى الآخرة. وصاحب الموصل سيف الدين غازي آبن الأتابَك.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستّ أذرع وأربع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وثماني عشرة إصبعاً.

(١) السنجق: لفظ تركي يطلق في الأصل على الرمح. والجمع سناجق. وهي رايات صفر صغار يحملها السنجقدار. (انظر صبح الأعشى: ٨/٤ و٤٥٦/٥، ٤٥٨).

(٢) في الأصل: «أبر» بالباء الموحدة. والتصحيح عن ابن الأثير وابن القلانسي وزامباور.

ذكر خلافة الظافر[١] على مصر

الظافر بالله أبو منصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد آبن الأمير محمد آبن الخليفة المستنصر مَعَدّ بن الظاهر عليّ بن الحاكم منصور بن العزيز بالله نِزار بن المعزّ لدين الله مَعَدّ، التاسع من خلفاء مصر من بني عُبَيْد، والثاني عشر منهم ممّن وَلِي من أجداده خلفاء المغرب.

بُويع بالخلافة بعد موت أبيه الحافظ في جُمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وهو آبن سبع عشرة سنة وأشهر؛ لأنّ مولده في يوم الأحد منتصف شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وخمسمائة. وأمّه أم ولد تُدْعَى ستّ الوفاء، وقيل: ست المنى.

قال العلاّمة شمس الدين أبو المظفّر يوسف بن قَزَأُوغْلي سِبْط آبن الجوزيّ في تاريخه مرآة الزمان ـــ، بعد أن سمّاه يوسف، والصواب ما قلناه أنّه إسماعيل ـــ قال: «وكانت أيّامه مضطربة لحداثة سنّه وآشتغاله باللّهو، وكان عبّاس[٢] الصِّنهاجيّ لمّا قتل آبن سلاّر[٣] وزر له وآستولى عليه. وكان له ولد آسمه نصر، فأطمع نفسه في الأمر وأراد قتل أبيه، ودسّ إليه سمّا ليقتله. فعلم أبوه وآحترز وأراد أن يَقبِض عليه

(١) ترجمته وأخباره في ابن خلكان: ١/٢٣٧ ـــ ٢٣٨؛ وأخبار الدول المنقطعة لابن ظافر: ١٠٢ ـــ ١٠٧؛ وخطط المقريزي: ١/٣٥٧؛ واتعاظ الحنفا: ٢٨٦؛ وابن الأثير: حوادث سنة ٥٤٩هـ؛ وبدائع الزهور لابن إياس: ١/١/٢٢٧؛ وحسن المحاضرة: ٢/٢٢؛ وأخبار مصر لابن ميسّر: ١٤١ ـــ ١٤٩.

(٢) هو أبو الفضل عباس بن أبي الفتوح يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي. تولى الوزارة من ١٢ المحرم سنة ٥٤٨هـ إلى ١٩ ربيع الأول سنة ٥٤٩هـ. (الوزارة في العصر الفاطمي: ٢٨٥).

(٣) هو أبو الحسن علي بن إسحاق بن السلار. تولى الوزارة من ١٥ شعبان ٥٤٤هـ حتى ٦ المحرم سنة ٥٤٨هـ. (المرجع السابق: ص ٢٨٣).

فما قَدر؛ ومنعه مؤيّدُ الدولة أُسامة(١) بن مُنْقِذ وقبّح عليه ذلك، وقال: إن فعلتَ هذا لم يبقَ لك أحد ويَفِرّ الناس عنك. فشرع أبوه يُلاطفه (يعني الوزير عباس يلاطف آبنه نصراً) وقال له: عوض ما تقتلني أُقتل الظافر. وكان نصر ينادم الظافر ويعاشره، وكان الظافر يثق به وينزل في الليل إلى داره متخفيّاً. فنزل ليلةً إلى داره وكانت بالسيوفيّين(٢) داخل القاهرة ومعه خادم له، فشربا ونام الظافر؛ فقام نصر فقتله ورمى به في بئر. فلمّا أصبح عبّاس (يعني الوزير أبا نصر المذكور) جاء إلى باب القصر يطلب الظافر؛ فقال له خادم القصر: اِبنُك يعرف أين هو[ومن] قتله. فقال عبّاس: ما لابني فيه علمٌ. وأحضر أخَوَي الظافر وآبن أخيه فقتلهم صَبْراً بين يديه؛ وأحضر أعيان الدولة وقال: إنّ الظافر ركب البارحة في مركب فآنقلبت به فغَرِق. ثمّ أخرج عيسى ولد الظافر. فتفرّقوا عن عبّاس وآبنه، وثار الجند والعبيد وأهل القاهرة وطلبوا بثأر الظافر من عبّاس وآبنه نصر. فأخذ عبّاسٌ وآبنه نصر ما قَدَرا عليه من المال والجواهر وهربا إلى الشام. فبلغ الفرنجَ فخرجوا إليهما، وقتلوا عبّاساً وأسروا آبنه نصراً؛ وقُتل نصر في السنة الآتية». اِنتهى.

وقال القاضي شمس الدّين أحمد بن خلِّكان: «بويع(٣) يوم مات أبوه بوصية أبيه، وكان أصغرَ أولاد أبيه سنّاً. كان كثير اللهو واللّعب، والتفرّد بالجواري، وآستماع المغاني. وكان يَأْنَس بنصر بن عبّاس. فآستدعاه إلى دار أبيه ليلاً سرّاً بحيث لا يعلم به أحد، وتلك الدار في المدرسة الحنفيّة السيوفيّة(٤) الآن، فقتله بها

(١) هو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الشيزري الأمير المتوفى سنة ٥٨٤هـ. وهو صاحب قلعة شيزر قرب حلب.

(٢) قال ابن ميسّر: «وهي الدار المعروفة بدار جبر بن القاسم، ثم عرفت بدار المأمون ابن البطائحي، وهي الآن المدرسة السيوفيّة». ومكان هذه المدرسة اليوم جامع الشيخ مطهر بأول شارع الخردجية على يسار الداخل إليه من جهة شارع السكة الجديدة. (محمد رمزي). وانظر المقريزي في الخطط: ٣٦٥/٢.

(٣) انظر نص سجلّ بيعة الظافر في صبح الأعشى للقلقشندي: ٢٨٦/٩ ـ ٢٩١.

(٤) المدرسة السيوفية: لما تكلم المقريزي على المدارس في الجزء الثاني من خططه قال: إن المدرسة السيوفية بالقاهرة محلها من جملة دار الوزير المأمون محمد بن فاتك البطائحي وقفها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على الحنفية سنة ٥٧٢هـ، وهي أول مدرسة وقفت على الحنفية بديار مصر وعرفت بالمدرسة السيوفية لأن سوق السيوفيين كان في ذاك الوقت على بابها. =

وأخفى أمره. قال: وقصّته مشهورة، وذلك في نصف المحرّم سنة تسع وأربعين وخمسمائة. وكان من أحسن الناس صورةً. والجامع الظّافِريّ[١] الذي بالقاهرة داخل باب زويلة منسوب إليه، وهو الذي عمّره وأوقف عليه شيئاً كثيراً». اِنتهى كلام آبن خلِّكان. قلت: والجامع الظافريّ هو المعروف الآن بجامع الفاكهانيّين على الشارع الأعظم[٢] بالقرب من حارة الدّيْلم[٣].

وقال آبن القَلانِسِيّ: «إنّ الظافر إنّما قتله أخواه يوسف وجبريل وآبن عمهما صالح بن الحسن. قلت: وهذا القول يُؤيِّده قول ما نقله أبو المظفر من أنّ عبّاساً قتل أخَوَي الظافر وآبن عمه صَبْراً (أعني لمّا بلغه قتلهم للظافر قتلهم به)؛ غير أنّ جمهور المؤرخين آتّفقوا على أنّ قاتل الظافر نصر بن عبّاس المقدّم ذكره.

قال: وكان الظافر قد رَكَن إليهم (يعني أخويه وآبن عمه) وأنِس بهم في وقت مسرّاته؛ فآتّفقوا عليه وآغتالوه، وذلك في يوم الخميس سلخ صفر. وحضر العادل عبّاس الوزير وآبنه ناصر الدين وجماعة [من][٤] الأمراء والمقدّمين [للسلام][٤] على

= وهذه المدرسة هي التي تعرف اليوم باسم جامع الشيخ مطهر الذي بأول شارع الخردجية على يسار الداخل إليه من جهة شارع السكة الجديدة. (محمد رمزي).

(١) الجامع الظافري: لما تكلم المقريزي على الجوامع في الجزء الثاني من خططه قال: إن جامع الظافر بالقاهرة بسوق الشوايين كان يقال له الجامع الأفخر، ويقال له اليوم: جامع الفاكهانيين، عمره الخليفة الظافر بنصر الله إسماعيل ابن الخليفة الحافظ لدين الله عبد المجيد الفاطمي سنة ٥٤٣هـ.
وأقول إن الخليفة الظافر بنى هذا المسجد في سنة ٥٤٨هـ لأنه تولى في ٥ جمادى الآخرة سنة ٥٤٤هـ ومات في المحرم سنة ٥٤٩هـ وهذا الجامع موجود إلى اليوم باسم جامع الفاكهاني بشارع العقادين عند تلاقيه بشارع الشوايين بالقاهرة. ويقال إنه عرف بجامع الفاكهانيين لأن سوق الفاكهة كان ذاك الوقت بالقرب من بابه. (محمد رمزي).

(٢) الشارع الأعظم: لما تكلم المقريزي على مسالك القاهرة وشوارعها في الجزء الأول من خططه، قال: إن الشارع الأعظم هو قصبة القاهرة من باب زويلة إلى بين القصرين عند باب الخرنفش.
وأقول: إن هذا الشارع موضعه اليوم الطريق العام الذي يشمل شوارع السكرية والمناخلية والعقادين والشوايين والغورية والأشرفية والخردجية وبين القصرين حيث ينتهي عند مدخل شارع الخرنفش من شارع النحاسين. (محمد رمزي).

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٣ من الجزء الرابع.

(٤) زيادة عن ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي.

الرسم. فقيل لهم: إن أمير المؤمنين ملتاث الجسم. فطلبوا الدخول إليه فمُنِعوا؛ فألحوا في الدخول بسبب العيادة فلم يمكّنوا. فهجموا ودخلوا القصر وآنكشف أمره، فقتلوا الثلاثة وأقاموا ولده عيسى وهو آبن ثلاث سنين، ولقّبوه بالفائز بنصر الله وبايعوه؛ وعبّاس الوزير إليه تدبير الأمور. ثم ورد الخبر بأن طلائع بن رُزِّيك فارس المسلمين قد آمتعض من ذلك وجمع وحشد وقصد القاهرة، وكان من أكابر الأمراء. وعلم عبّاس أنّه لا طاقة له به، فجمع أمراءه وأسبابه وأهله وخرج من القاهرة. فلمّا قرب من عَسْقَلان وغزّة خرج عليه جماعة من خيّالة الفرنج، فآغترّ بكثرة من معه؛ فلمّا حمل عليهم قُتِل أكثر أصحابه وآنهزموا، فانهزم هو وآبنه الصغير وأُسِر آبنه الكبير الذي قتل آبنَ سلّار مع ولده وحرمه وماله وكُراعه، وصار الجميع للفرنج، ومن هرب مات من الجوع والعطش. ووصل طلائع بن رُزِّيك إلى القاهرة، فوضع السيف فيمن بقي من أصحاب عبّاس، وجلس في مَنْصِب الوزارة». إنتهى كلام آبن القلانسيّ. وما نقله غالبه مخالف لغيره من المؤرّخين. والله أعلم.

وقيل غير ذلك: إنّ خدّام القصر كتبوا إلى طلائع بن رُزِّيك وهو والي قُوص[1] وأُسْوان والصعيد يخبرونه بقتل الظافر ويستنجدونه على عبّاس وآبنه نصر[2]. وكتب إليه فيمن كتب القاضي الجليس أبو المعالي عبد العزيز بن الحَبَّاب قصيدته الدالية التي أوّلها: [الطويل]

دمعيَ عن نظم القريض غوادي[3] وشفّ فؤادي شجوه المتمادي

(١) قوص: مدينة واقعة على الشاطىء الشرقي للنيل في الصعيد الأعلى.
وأسوان: من المدن المصرية القديمة، على الشاطىء الشرقي للنيل بالقرب من الشلال الأول الذي يعلوه قناطر خزان أسوان. (راجع عن تاريخ المدينتين ما كتبه الأستاذ محمد رمزي في حواشي طبعة دار الكتب المصرية: ٢٩٢/٥، و٣٨٣/٦).

(٢) رواية ابن ميسّر: «وبعثت عمة الفائز إلى طلائع بن رزّيك، وهو على الأعمال الأسيوطية، بالكتب وفي طيّها شعور النساء تستصرخ به على عباس».

(٣) كذا في الأصل. واقترح محقق طبعة دار الكتب المصرية أن تكون: «دهتني عن نظم القريض عوادي».

وأرّق عيني والعيـونُ هـواجعٌ ... هُمُـومٌ أقضّت مَضْجَعي ووِسَادِي
بمَصْرَع أبناء الوَصِيِّ وعِترة النـ ... ـبيّ وآل الـذاريـات وصـاد
فـأين بنو رُزِّيـك عنهم ونصـرُهم ... ومـا لـهُـمُ مـن مَـنْـعَـةٍ وذِيـاد
أولئك أنصارُ الهدى وبنو الـردّى ... وسمّ العِـدا من حـاضـرين وبـاد
لقـد هُـدّ ركن الـدِّين ليلةَ قتله ... بـخيـر دليـلٍ للنَّجـاة وهـاد
تَـدَارَكْ من الإيمـان قبـل دُثُـوره ... حُشـاشـةَ نفس آذنـت بنَفَـاد
وقد[1] كاد أن يُـطْفِي تَألُّق نـورِه ... على الحقّ عـادٍ من بقيـة عـاد
فلو عاينت عيناك بـالقَصْرِ يـومَهم ... ومَصْـرَعَهمْ لم تكتحـل بـرقَـادِ

وهي طويلة كلّها على هذا المنوال في معنى النجدة. وقد نقلتها من خطٍّ عَقِدٍ لا يُقرأ إلاّ بجهد. فلمّا بلـغ ذلك طلائـع بن رُزِّيك جمـع ودخل القاهرة في تاسـع شهر ربيـع الأوّل، وجلس في دَسْت الوزارة، وتلقّب بالملك الصالـح؛ وهو صاحب الجامـع[2] خارج بابـي زويلة، وأخرج جسد الظافر من البئر التي كان رُمِي فيها بعد قتله وجعله في تابوت ومشى بين يديه حافياً مكشوفَ الرأس، وفعل الناسُ كذلك، وكثر الضجيـج والبكاء والعويل في ذلك اليوم.

وقال بعضهم وأوضـح الأمر، وقوله: إنّ الظافر كان قد أحبّ نصر بن عبّاس حبّاً شديداً، وبقي لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً. فقدِم مؤيّد الدولة أُسامة بن مُنقِذ من الشام، فقال لعبّاس الوزير يوماً: كيف تصبِر على ما أسمـع من قبيـح القول! قال عبّاس: وما يقولون؟ قال يقولون: إن الظافر بَنَى[3] على آبنك نصر. فغضِب عباس من ذلك، وأمر آبنه نصراً، فدعا الظافر لبيته فوثب عليه وقتله. وساق نحواً مما سقناه من قول أبـي المظفّر وآبن خلكان. وآنتهى كلامه.

---

(١) في الأصل: «وقد كان...» وما أثبتناه عن طبعة دار الكتب المصرية.

(٢) هذا الجامع بني سنة ٥٥٥هـ. وهو موجود اليوم باسم جامع الصالح تجاه باب زويلة من الخارج. ومكانه على ناصية شارعي الدرب الأحمر والخيامية بالقاهرة. (محمد رمزي).

(٣) في الأصل: «تبنّى بابنك».

وقال صاحب كتاب المقلتين[1] في أخبار الدولتين: «ولمّا تمّ أمر الظافر ركب بزيّ الخلافة وعاد إلى القصر؛ ولم يقدّم شيئاً على آنتقامه من آبني الأنصاري لِمَا كان يبلغه عنهما في أيام والده الحافظ.

وخبر آبنَي الأنصاريّ أنّهما كانا من جملة الكُتّاب، وتوصّلا إلى الحافظ، فآستخدمهما في ديوان الجيش قصدا لتمييزهما؛ وهما غير قانعين بذلك، لمَا يعلمانه من إقبال الحافظ عليهما؛ فوثبا على السادة من رؤساء الدولة مثل الأجلّ الموفّق أبي[2] الحجّاج يوسف كاتب دَسْت الخليفة ومشورته، ومن يليه مثل القاضي المرتضى المحنك[3]، والخطيري البوّاب؛ فتجرآ على المذكورين وغيرهم من الأمراء مع قِلّة دُرْبة. فتتبّع القوم عَوْراتهم، والخليفة الحافظ لا يزداد فيهما إلاّ رغبة. ووقع لهما أمور قبيحة، والقوم يُبلّغون الخليفة خبرهم شيئاً بعد شيء، وهو لا يلتفت إلى قولهم. ولا زال آبنا الأنصاريّ حتى صار الأكبر شريكَ الأجلّ الموفّق في ديوان المكاتبات، ولكن خُصِّص الموفّق بالإنشاء جميعه. ولمّا تولّى آبن الأنصاريّ نصف الديوان نُعِت بالقاضي الأجلّ سناء الملك، بعد أن وصّاه الخليفة الحافظ أن يقنع مع الموفق بالرتبة ويدع المباشرة، ويخدِم الموفّق. وصبَر الأجلّ الموفّق على ذلك مراعاةً لخاطر الخليفة. وأمّا آبن الأنصاري الصغير فإنّه تجنّد فتأمَرَ في يوم، وخُلِع عليه بالطَّوْق وما يلزم الأمريّة، وصار أمير طوائف الأجناد. فقال الناس: هو الأمير الطاري ابن الأنصاريّ!. وبينما هم في ذلك مرِض الخليفة الحافظ ومات، وآلت الخلافة لولده الظافر هذا. فنرجع لِمَا كنّا عليه من أمر الظافر مع ولدي الأنصاريّ المذكورين. فركب الخليفة الظافر بعد العشاء الآخرة في الشمع بالقصر، ووقف على باب الملك بالإيوان المجاور للشباك، وأحضر آبني الأنصاريّ وآستدعى متولّي السِّتْر، وهو صاحب العذاب، وأحضِرت آلات العقوبة،

---

(١) لابن الطوير القيسراني المتوفى سنة ٦١٤هـ. راجع ص ٢٣٨ من هذا الجزء، حاشية (٥).

(٢) في الأصل: «ابن الحجاج» والتصويب عن ابن ميسّر وابن خلكان. وهو الموفق أبو الحجاج يوسف بن علي بن الخلال، صاحب ديوان الإنشاء في دولة الحافظ. توفي سنة ٥٦٦هـ. (انظر ابن خلكان: ٢١٩/٦ ـ ٢٢٥، والشذرات: ١٩٤/٤).

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن الحسين الطرابلسي، المعروف بالمحنّك. (ابن ميسّر: ١٣٧).

فضُرِب الأكبر بحضوره بالسِّياط إلى أن قارب الهلاك، وثنى بأخيه كذلك؛ وأمر بإخراجهما وقطع أيديهما وسلّ ألسنتهما من قفيهما، وصُلِبا على بابي زويلة الأوّل والثاني زماناً[١].

وأقام الظافر آبن مَصَال[٢] المغربيّ وزيراً مدة شهرين. فخرج عليه آبن سلّار، وكان والياً على البُحيرة والإسكندرية، ولم يرض بوزارة آبن مَصَال المذكور، وتابعة عباس وكان والياً على الغربية، وهو ولد زوجته. فلمّا بلغ الوزير آبن مَصَال ذلك، خرج إلى الصعيد لكونه لم يُطِق لقاء آبنَ سلّار ومن معه على غير موافقة من الخليفة الظافر. ودخل آبن سلّار إلى القاهرة وزيراً؛ فما طابت به نفس الخليفة الظافر بالله، فباشر الأمور مباشرةً بجِدّ. وأقام الظافر خليفة إلى أوائل سنة تسع وأربعين وخمسمّائة، ولم يصفُ بين الخليفة والوزير عيشٌ قطّ، وجرت بينهما أمور؛ وثبت عند آبن سلّار كراهة الخليفة فيه، فآحترز على نفسه منه، وأقام كذلك أربع سنين وبعض الخامسة، حتّى قتله نصر بن عبّاس آغتيالاً في داره. وذُكر أنّ ذلك بموافقة الخليفة الظافر على ذلك؛ لأنّ هذا نصراً كان قد آختلط بالخليفة آختلاطاً دائماً أدّى إلى حسد أكثر أهل الدولة له على ذلك. وخشِي عبّاس على نفسه من ولده نصر المذكور لِمَا تمّ منه في حقّ آبن سلّار؛ فرمى بينه وبين الخليفة بمُوهِمات قبيحة، حتّى قَتَل نصر الخليفة أيضاً. ودفنه في داره التي بالسيوفيّين، وقَتَل أستاذين معه.

ولمّا عُدِم الخليفة آستُخلِف ولده، وهو أبو القاسم عيسى، ونُعِت بالفائز بنصر الله، وكان عمره يومئذ خمس سنين. أخرجه الوزير عبّاس من عند جدّته أمّ أبيه الخليفة يوم قتل عَميّه يوسف وجبريل آبني الحافظ ـ وهما مظلومان ـ بتهمة أنّهما قتلا أخاهما الخليفة الظافر حسداً على الرتبة لينالاها بعده. وليس الأمر كذلك، بل عبّاس الوزير وولده نصر قتلاه. فرآهما الخليفة هذا الصغير مقتولين، فتفزّع وآضطرب وغُشِي عليه، ولازمه ذلك وكثر به.

---

(١) ذكر ابن ميسّر خبر قطع أيديهما وصلبهما على بابي زويلة في سنة ٥٤٣هـ في شهر رجب، أي في أثناء خلافة الحافظ. (أخبار مصر: ص ١٣٩).

(٢) هو أبو الفتح نجم الدين سليم بن مصال اللكّي. تولى الوزارة من سنة ٥٣٤ إلى سنة ٥٤٤هـ (الوزارة في العصر الفاطمي: ٢٨٠ ـ ٢٨٢).

قلت: وقول هذا عندي في قتل الخليفة الظافر أثبت الأقاويل. وبكلامه أيضاً يُعرف جميع ما ذكرناه في أمره من أقوال المؤرّخين؛ فإنّه ساق أمره على جليّته من غير إدخال شيء معه.

وأمّا تفصيل أمر عبّاس الوزير وآبنه نصر فإنّ عبّاساً كان رجلاً من بني تميم ملوك الغرب، ودخل عبّاس القاهرة فآجتمع بالخليفة، فأكرمه وأنعم عليه بأشياء ثم خَلَع عليه بالوزارة على العادة ولقبه؛ فباشر عبّاس الوزارة وخدم الأمور وأكرم الأمراء وأحسن إلى الأجناد لينسيهم العادل آبن سلّار. وآستمرّ آبنه نصر على مخالطة الخليفة الظافر، حتّى آشتغل الظافر عن كلّ أحد بآبن عبّاس المذكور، وأبوه عبّاس يكره خلطته بالخليفة. وآنتهى الخليفة معه إلى أن يخرج من قصره لزيارة آبن عبّاس بداره التي بالسيوفيين، بحيث لا يعلم عبّاس بذلك. فلمّا علم آستوحش من الخليفة لجرأة آبنه، وتوهّم أنّه ربما يحمله الخليفة على قتله. فقال عباس لابنه سرًّا: قد أكثرت من ملازمة الخليفة حتى تحدّث الناس في حقّك معه بما أزعج باطني، وربمّا يتناقل الناس ذلك ويصل إلى أعدائنا منه ما لا يزول، ففهم آبنه نصر عنه وأخذته حِدّة الشباب؛ فقال نصر لأبيه: أيُرضيك قتله؟ فقال أزِل التهمة عنك كيف شئت. فخرج الخليفة ليلةً إلى نصر بن عبّاس على عادته، فقتله بالجماعة الذين قَتَل بهم الوزير آبن سلّار، وقَتَل أيضاً أستاذين كانا مع الخليفة الظافر، وطَمَرهم في بئر هناك. وأصبح عبّاس فبايع عيسى بن الظافر، ولقّبه الفائز، على ما يأتي ذكره في أوّل ترجمة الفائز.

ولما تم لعباس ما قصده من قتل الخليفة وتولية ولده الخلافة، كثرت الأقاويل ووقع الناس على الخبر الصحيح بالحَدْس، فآستوحش الناس قتل هؤلاء الأئمة. وكان طلائع بن رُزِّيك والياً على الأُشْمُونين والبَهْنَسَا؛ فتحرّك حاشداً على عبّاس، ولبِس السواد وحمل شعور النساء حرمِ الخليفة على الرماح. فتخلخل أمر عبّاس وتفرّق الناس عنه، وصار الناس تُسمعه المكروه في الطُّرقات من كلّ فجّ، حتى إنّه رُمِي من طاق ببعض الشوارع وهو جائز بهاوُن نحاس، وفي يوم آخر بقِدر مملوءة ماء حارًّا؛ فقال عبّاس: ما بقي بعد هذا شيء. فصار يدبّر كيف يخرج وأين يسلُك.

فأشار عليه بعض أصحابه بتحريق القاهرة قبل خروجه منها فلم يفعل، وقال: يكفي ما جرى. فلمّا قرُب طلائع بن رُزيك إلى القاهرة خرج عبّاس وآبنه ومعهما كلّ ما يملكانه طالباً للشرق. فحال الفرنج بينه وبين طريقه، فقاتل حتّى قُتِل وأُسِر ولده نصر، وفاز الفرنج بما كان معه، وذلك في شهر ربيع الأوّل سنة تسع وأربعين وخمسمائة[١]. وأمّا ولده نصر فنذكر أمره وقتله في أوّل ترجمة الفائز بأوسع من هذا إن شاء الله تعالى.

وكانت قَتْلة الخليفة الظافر هذا في سلخ المحرّم سنة تسع[٢] وأربعين وخمسمائة على قول من رجّح ذلك، وله آثنتان وعشرون سنة؛ وكانت خلافته أربع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام[٣]. وتولّى الخلافة بعده ولده الفائز عيسى.

ونذكر إن شاء الله أمر قتله أيضاً في ترجمة الفائز بأوسع من هذا هناك.

* * *

السنة الأولى من خلافة الظافر بالله أبي منصور إسماعيل على مصر

وهي سنة خمس وأربعين وخمسمائة.

فيها مُطِرت اليمن مطراً دماً، وبقي أثره في الأرض وفي ثياب الناس.

وفيها في المحرّم نزل الملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكِي صاحب الشام على دِمَشق وحاصرها؛ فراسله صاحبها مُجير الدين، وخرج إليه هو والرئيس آبن الصوفيّ وبذلا له الطاعة وأن يخطُب له مجير الدين بعد الخليفة والسلطان، وأن ينقُش آسمه على الدينار والدرهم؛ فرضي نور الدين وخلع عليه ورحل عنه. وعاد وآفتتح قلعة أعزاز.

---

(١) أهمل أبو المحاسن رواية أسامة بن منقذ عن قتل الخليفة الظافر ومصير عباس وابنه. وهي رواية لها قيمتها التاريخية لأنها رواية شاهد عيان ومشارك في تلك الأحداث. ولذا يستحسن الرجوع إلى «كتاب الاعتبار» لأسامة بن منقذ، ص ١٦ ــ ٣٢.

(٢) في الأصل: «سنة أربع وأربعين وخمسمائة» والتصحيح عن جميع المراجع التي ذكرناها.

(٣) في ابن ميسَّر: «كانت مدة ملكه أربع سنين وسبعة أشهر وخمسة وعشرين يوماً. وعمره إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهر وخمسة عشر يوماً».

وفيها آختلف وزير مصر آبن مَصَال المغربي والعادل آبن سلّار وجمعا العساكر وآقتتلا، فقُتِل الوزير آبن مَصَال، وآستقلّ آبن سلّار بالوزر والملك. وقد ذكرنا نحو ذلك في ترجمة الظافر هذا.

وفيها تُوفّي أبو المفاخر الحسن بن ذي[١] النون الواعظ [بن أبي القاسم]. كان فاضلاً صالحاً إماماً فقيهاً حنفيّ المذهب؛ كان يُعيد الدرس خمسين مرّة. ومن شعره: [البسيط]

مات الكرامُ ومرّوا وآنقضَوْا ومَضَوْا ... ومات بعدهمُ تلك الكراماتُ

وخلّفوني في قوم ذوي سَفَهٍ ... لوأبصروا طَيْفَ ضيف في الكَرَى ماتوا

وفيها تُوفّي الأمير أبو الحسن عليّ بن دُبَيْس صاحب الحِلّة. كان شجاعاً جواداً إلّا أنّه كان على عادة أهل الحِلّة رافضيّاً خبيثاً.

وفيها تُوفّي قتيلاً الوزير عليّ[٢] بن سلّار وزير الظافر صاحب الترجمة بديار مصر. كان يلقّب بالملك العادل. وتولّى الوزر بعده عبّاس أبو نصر الذي قتل الظافر، حسب ما ذكرنا ذلك كلّه مُفصّلاً.

وفيها ملكت الفرنج عَسقلان[٣] بالأمان بعد أن قُتِل من الفريقين خَلْق كثير، وكان قد تمادى القتال بينهم في كلّ سنة إلى أن سلّموها. وأخذ الفرنج جميع ما كان فيها من الذخائر وغيرها.

وفيها تُوفّي أحمد بن منير بن أحمد الأديب أبو الحسين الطرابُلْسيّ الشاعر المشهور المعروف بالرّفاء[٤]. ولِد سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة بطرابُلس. وكان بارعاً في اللغة والعربيّة والأدب إلّا أنّه خبيث اللّسان كثير الفُحْش. حبسه الملك تاج

---

(١) في الأصل: «الحسن بن أبي الليوث» والتصحيح والزيادة عن الذهبي وابن الأثير والبداية والنهاية.

(٢) الصواب أنه قتل يوم الخميس السادس من المحرم سنة ٥٤٨هـ.

(٣) الصواب أنهم ملكوها سنة ٥٤٨هـ، كما في ابن الأثير وابن القلانسي والبداية والنهاية وعقد الجمان وتاريخ مختصر الدول وغيرها.

(٤) الصواب أنه توفي سنة ٥٤٨هـ، كما في ابن خلكان والشذرات والذهبي وعقد الجمان.

الملوك بُورِي صاحب دمشق، وعزم على قطع لسانه؛ فآستوهبه منه الحاجب يوسف بن فيروز فوهبه له فنفاه. وكان هجا خلائق كثيرة؛ وكان بينه وبين آبن القَيْسراني مهاجاة، وكان رافضيّاً. وكانت وفاته بحلب في جُمادى الآخرة. ومن شعره: [الطويل]

جنى وتجنّى والفؤاد يُطِيعه فلا ذاق من يجنى عليه كما يجني

فإن لم يكن عندي كعيني ومَسْمَعِي فلا نظرت عيني ولا سمعتْ أُذْني

وفيها تُوفّي الأمير تمرتاش[1] بن نجم الدين إيلغازي الأُرْتُقيّ صاحب ماردين وديار بكر. كان شجاعاً جواداً عادلاً محبّاً للعلماء والفضلاء يبحث معهم في فنون العلوم. وكان لا يرى القتل ولا الحبس. ومات في ذي القعدة، وكانت مدّته نيّفاً وثلاثين سنة. وقام بعده آبنه.

وفيها تُوفِّي حَيْدرة بن الصوفيّ الذي كان أقامه مُجير الدين صاحب دمشق مقام أخيه، ثم وقع منه سعيٌ بالفساد، فآستدعاه مجير الدين إلى القلعة على حين غفلة فضرب عنقه لسوء سِيرته وقُبْح أفعاله.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي أبو بكر محمد بن أبي حامد بن عبد العزيز بن علي الدِّينَوَرِيّ البَيِّع ببغداد. والمبارك بن أحمد بن بركة الكِنديّ الحبّار[2].

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ست أذرع وأربع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وثلاث عشرة إصبعاً.

* * *

(١) اختلف في وفاته: ففي الأعلاق الخطيرة أثبت وفاته في سنتي ٥٤٧ و٥٤٨هـ. وفي معجم زامباور أنه أنهى حكمه في سنة ٥٤٧هـ. وفي ابن القلانسي سنة ٥٤٩هـ، وفي ابن الأثير سنة ٥٤٧هـ.

(٢) في الذهبي: «الخباز».

السنة الثانية من خلافة الظافر على مصر

وهي سنة ست وأربعين وخمسمائة.

فيها دخل السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقيّ إلى بغداد، وخرج الوزير آبن هُبَيْرة[1] وأرباب الدولة إلى لقائه فأكرمهم.

وفيها عاد الملك العادل نور الدين محمود إلى حصار دمشق، ووقع له مع مجير الدين صاحب دمشق أمور حتّى آستنجد[2] مجير الدين بالفرنج، فرحل عنها نور الدين؛ ثم نازلها وتراسلا على يد الفقيه برهان الدين البلخيّ وأسد الدين شِيرِكُوه الكرديّ وأخيه نجم الدين أيوب، ثم تحالف نور الدين مع مجير الدين على أمر ورحل عنه[3].

وفيها تُوفِّي الأمير عليّ بن مُرشد [بن عليّ][4] بن المُقلَّد بن نصر بن مُنقِذ عِزّ الدين. ولِد بشَيْزَر. وكان فاضلاً أديباً حسن الخط؛ مات بعسقلان شهيداً. وكان أكبر إخوته وبعده أُسامة. ومن شعره: [الكامل]

قد قلت للمنثور إنّ الورد قد ... وافى على الأزهار وهو أمير
فآفتّر ثغر الأُقْحوان مسَرّةً ... لقدومه وتلوّن المنثور

---

(١) هو الوزير عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد الشيباني المتوفى سنة ٥٦٠هـ. (الشذرات).

(٢) لما صار نور الدين محمود على أبواب دمشق بعث برسالة إلى أهلها يوضح فيها أنه إنما جاء لنصرة المسلمين على أعدائهم الفرنجية الذين استذلوهم ولنصرة الفلاحين الذين أخذت أموالهم (انظر ابن القلانسي: ٣٠٩) فكان جواب مجير الدين أبق بن محمد بن طغتكين صاحب دمشق على لسان أهلها: «ليس بيننا وبينك إلا السيف، وسيوافينا الإفرنج ما يعيننا على دفعك» (المصدر السابق). واستنجد مجير الدين بالفرنج الذين حضروا بقيادة بغدوين الثالث بن فلك وأقاموا على أبواب دمشق عدة أسابيع؛ حتى إنه أبيح لفرسانهم أن يتجولوا في الأسواق (الحروب الصليبية كما رآها العرب: ص ١٩٤).

(٣) رحل نور الدين عن دمشق بعد أن أخذ وعداً بأن يذكر اسمه في الخطب في المساجد بعد اسمي الخليفة والسلطان مباشرة، وأن تسك النقود باسمه. (المرجع السابق).

(٤) زيادة عن الذهبي.

وفيها تُوفِّي الفامِيّ[١] الحافظ أبو نصر عبد الرحمن بن عبد الجبّار الهَرَوِيّ العجميّ. كان إماماً عالماً فاضلاً؛ رحل وسمع الحديث وتفقّه وبَرَع في علوم شتّى. مات في هذه السنة في قول الذهبيّ.

وفيها تُوفِّي الأمير نُوشْتِكِين[٢] بن عبد الله الرِّضوانيّ السلجوقيّ ببغداد. كان أميراً معظَّماً في الدول وله مواقف ووقائع.

وفيها تُوفِّي القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربيّ[٣] الأندلسيّ المالكيّ. كان إمام وقته مُفْتَنًّا في علوم كثيرة، وولي القضاء مدّة طويلة، وكان مشكور السِّيرة عدلاً في حكمه.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفِّي أبو نصر عبد الرحمن بن عبد الجبّار الهَرَويّ الفاميّ الحافظ. والقاضي أبو بكر محمد بن عبد الله الأندلسيّ. والأمير نُوشْتِكِين الرّضوانيّ ببغداد. وأبو الوليد يوسف بن عبد العزيز بن الدَّبّاغ اللّخْميّ الأندلسيّ.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم ست أذرع وإصبعان. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وأربع أصابع.

* * *

السنة الثالثة من خلافة الظافر أبي منصور على مصر

وهي سنة سبع وأربعين وخمسمائة.

فيها تُوفِّي محمد[٤] بن نصر أبو عبد الله العَكّاوِيّ ويقال له آبن صغير

---

(١) في الأصل: «القاضي» والتصحيح عن السمعاني والشذرات وتذكرة الحفاظ.
(٢) في الأصل: «بوستكين» والتصحيح عن الشذرات والذهبي.
(٣) في تاريخ قضاة الأندلس لأبي الحسن المالقي أن وفاته سنة ٥٤٣هـ. وأورد نسبه على النحو التالي: محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد العربي المعافري، أبو بكر.
(٤) وفاته في ابن خلكان سنة ٥٤٨هـ. (وفيات الأعيان: ٤/٤٥٨ ـ ٤٦١).

القَيْسَرانيّ الشاعر المشهور. ولد بعَكّا ونشأ بقَيْسارِيّة الساحل، ثم آنتقل إلى حلب وإلى دمشق. فبلغ تاجَ الملوك بُورِي بن طُغْتِكِين أنّه هجاه فتنكّر له، فهرب إلى حلب ومدح نور الدين محمود بن زَنْكِي صاحبها. وله ديوان شعر مشهور، ومات بدمشق. ومن شعره في مغنّ وأجاد إلى الغاية: [البسيط]

والله لـو أنصف الفتيـان أنفسهم أعطَوْك ما آدّخروا منها وما صانوا

ما أنت حين تُغَنِّي في مجالسهم إلا نسيمُ الصَّبَا والقـوم أغصـان

وفيها تُوفّي السلطان مسعود آبن السلطان محمد شاه آبن السلطان ملكشاه ابن السلطان أَلْب أَرْسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقماق السلجوقيّ. كان ملِكاً جليلاً شجاعاً طالت أيامه. قال أبو المظفَّر: لم يَر أحد ما رأى من الملوك والسلاطين حتّى مرِض على همذان بأمرآض حارّة، وعسُرت مداواته. ومات في سلخ جُمادى الآخرة. وأُقِيم بعده في الملك آبن أخيه ملكشاه بن محمود بن محمد شاه بـن ملكشاه، فأقام ملكشاه المذكور خمسة أشهر ثمّ وقـع له أمور وخُلِـع. قلت: يكون ملكشاه هذا ثاني ملك من بني سلجوق سمّي بملكشاه.

وفيها تُوفّي الشيـخ الإمام الواعظ المظفَّر بن أَرْدَشير، أبو منصـور العَبَّادِيّ الواعظ. سمـع الحديث الكثير، وقدِم بغداد ووعظ بجامـع القصر والنِّظَاميّـة، وحصل له قبول زائد. وكان فصيحاً بليغاً. وترسَّل بين الخليفة والملوك، وعظُم أمره.

وفيها تُوفّي القاضي أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأُرْمَوِيّ الشافعيّ. كان إماماً عالماً فقيهاً مُفْتَنًّا في عدة فنون؛ وولي القضاء زماناً، وحُمِدت سِيرتُه.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي أبو عبد الله محمد ابن الحسن بن محمد بن سعيد الدَّانِيّ، المقرىء آبنُ غلام الفَرَس. وأبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأُرْمَوِيّ القاضي الشافعيّ. وأبو نصر محمد بن منصور ابن عبد الرحيم النَّيْسَابورِيّ الحُرْضِيّ في شوّال، وله تسعون سنة. والسلطان مسعود ابن محمد بن ملكشاه السلجوقيّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستّ أذرع وسبع أصابع. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وأربع أصابع.

* * *

السنة الرابعة من خلافة الظافر أبي منصور على مصر

وهي سنة ثمان وأربعين وخمسمائة.

فيها آنحل أمر بني سلجوق بآستيلاء الترك على السلطان سِنجَر شاه السلجوقيّ. وسببه أنّه لمّا آلتقى مع خاقان ملك الترك وخُوَارَزْم شاه قبل تاريخه، وآنهزم منهم تلك الهزيمة القبيحة التي قُتِل فيها خلائق من العلماء والفقهاء وغيرهم، وعاد خاقان إلى بلاده، ثم صالح سِنْجَر شاه خُوَارَزْم شاه، [١] وبقِي في قلب سِنْجر شاه ما جرى عليه. فلمّا حسُن أمره تجهز للقاء الترك ثانياً بعد أمور صدرت بينهم، وآلتقى معهم فآنكسر ثانياً؛ وآستولَوا عليه وجعلوه في قفص حديد؛ فبقي فيه مدّة وهو يخدُم نفسه وليس معه أحد. وآقتصّ الله منه للخليفة المسترشد وآبنه الراشد ما كان فعله معهما حسب ما تقدّم ذكره. وآمْتُحِن بأشياء إلى أن مات، على ما يأتي ذكره إن شاء الله.

وفيها تُوفّي القاضي محفوظ[٢] بن أبي محمد الحسن بن صصرى أبو البركات، ويُعرف بالقاضي الكبير. كان إماماً عالماً مشهوراً بالخير والعَفَاف. ومات بدِمَشق في ذي الحجّة وقد بلغ ثمانين سنة.

وفيها توفي الشيخ الزاهد المُسَلِّك أبو العباس أحمد بن أبي غالب بن الطلاية الصوفي العارف في شهر رمضان.

---

(١) لعل الواو هنا زائدة من قلم الناسخ.

(٢) في الذهبي وابن القلانسي أن وفاته سنة ٥٤٥هـ.

وفيها تُوفّي الحافظ أبو الفرج عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر اليُوسِفيّ. كان إماماً حافظاً محدِّثاً، سمع الكثير ورحَل وكتب وصنّف. ومات في المحرّم وله أربع وثمانون سنة.

وفيها تُوفّي الأفضل أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشَّهْرَسْتَانِيّ الإمام العالم المتكلِّم. كان إمام عصره في علم الكلام عالماً بفنون كثيرة من العلوم، وبه تخرّج جماعة كثيرة من العلماء.

وفيها تُوفّي شيخ الصوفيّة في زمانه أبو الفتح محمد بن عبد الرحمن بن محمد المَرْوَزِيّ الكُشْمِيهَنِيّ. كان إماماً مُسَلِّكاً عارفاً بطريق القوم، إمام عصره في علم التصوّف وغيره؛ وللناس فيه محبّة وآعتقاد حسن.

وفيها تُوفّي الشيخ الإمام أبو سعد محيي الدين محمد بن يحيى النَّيْسابورِيّ الشافعيّ، تلميذ أبي حامد الغَزَاليّ، في شهر رمضان حين آستباحت الترك نَيْسابور. وكان فقيهاً إماماً عالماً مصنّفاً.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وخمس عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وستّ أصابع.

ذكر خلافة الفائز[١] بنصر الله على مصر

هو أبو القاسم عيسى آبن الخليفة الظافر بأمر الله أبي منصور إسماعيل آبن الخليفة الحافظ أبي الميمون عبد المجيد بن محمد ـ ومحمد هذا ليس بخليفة ـ آبن الخليفة المستنصر بالله مَعَدّ آبن الخليفة الظاهر لإعزاز[٢] دين الله علي آبن الخليفة الحاكم بأمر الله منصور آبن الخليفة العزيز بالله نِزَار آبن الخليفة المُعِزّ لدين الله مَعَدّ أول خلفاء مصر آبن الخليفة المنصور إسماعيل آبن الخليفة القائم بأمر الله محمد آبن الخليفة المهديّ عُبَيْد الله، العُبَيْديُّ الفاطميّ المغربيّ الأصل المصريّ، العاشر من خلفاء مصر من بني عُبَيد والثالث عشر من أصلهم المهديّ أحد خلفاء بني عبيد بالمغرب. وأُمّ الفائز هذا أمّ ولد يقال لها زين الكمال.

قال أبو المظَفَّر بن قِزَأُوغْلِي في تاريخه مرآة الزمان: «مولده في المحرّم سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وتُوفّي وهو آبن إحدى عشرة سنة وشهور». وزاد آبن خَلِّكان بأن قال: لتسع بَقِين من المحرّم[٣]. قال: وكانت أيّامه ستّ سنين وستة أشهر وسبعة عشر يوماً. وبين وفاته ووفاة المُقْتَفِي (يعني خليفة بغداد العبّاسِيّ) أربعةُ أشهر وأيّام. قلت: وقوله «وبين وفاته ووفاة المقتفي أربعة أشهر وأيام» لا يُعرف بذلك مَن السابق منهما بالوفاة. وأنا أقول: أمّا السابق فهو الخليفة المقتفي الآتي

(١) ترجمته وأخباره في وفيات الأعيان: ٤٩١/٣، وخطط المقريزي: ٣٥٧/١، واتعاظ الحنفا: ٢٨٧، وبدائع الزهور: ٢٢٨/١/١، وابن الأثير: ٤٣٧/٩، وأخبار مصر لابن ميسّر: ١٤٩، والشذرات: ١٧٤/٤، وحسن المحاضرة: ٢٢/٢، وكتب التاريخ العام.

(٢) في الأصل: «الظاهر بالله».

(٣) في الأصل: «ذي الحجة». وما أثبتناه عن ابن خلكان.

ذكره، إن شاء الله؛ فإنّ وفاة المقتفي في شهر ربيـع الأوّل، ووفاة الفائز هذا صاحب الترجمة في شهر رجب.

قال صاحب المرآة: «وقام بعده أبومحمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ. ولم يكن أبوه خليفة، وأمّه (يعني عبد الله) أمّ ولـد تدعى ستّ المنى، ولقّب بالعاضد». اِنتهى كلام صاحب المرآة.

وقال صاحب كتاب المُقلتين في أخبار الدولتين: «ولمّا أصبـح الوزير عبّاس (يعني صبيحة قتل الخليفة الظافر بأمر الله) ركب إلى القصر ودخل إلى مقطـع الوزارة من غير آستدعاء، فأطال جلوسه ولم يجلس الخليفة له، فآستدعى عبّاسٌ زِمامَ القصر[1]، وقال له: إن كان لمولانا ما يَشْغَله عنّا في هذا اليوم عدُنا إليه في الغد. فمضى الأستاذ وهو حائر فيما يعمل وقد فُقِد الخليفة. فدخل إلى أخَوَي الخليفة يوسف وجبريل، وهما رجلان أحدهما مُكْتهل، فأخبرهما بالقصّة؛ وما كان عندهما من خروج أخيهما البارحة إلى دار نصر بن عبّاس خبرٌ ولا آطّلعا عليه إلّا في تلك الساعة؛ فما شكّا في قتل أخيهما الخليفة الظافر، وقالا للزِّمَام: إن آعتذرت اليومِ هل يتمّ لك هذا مـع الزمان؟ فقال الزِّمام: ما تأمراني به؟ قالا: تَصدُقُه وتحقّقه. وكان للخليفة ولد عمره خمس سنين آسمه عيسى. فعاد الزِّمام إلى عبّاس وقال له: ثَمّ سِرٌّ أقوله إليك بحضور الأمراء والأستاذين. فقال عبّاس: ما ثَمَّ إلّا الجهر. قال: إنّ الخليفة خرج البارحةَ لزيارة ولدك نصر فلم يَعُد بغير العادة. فقال عبّاس: تكذب يا عبدَ السوء! إنّما أنت مبايـع أخويه يوسف وجبريـل اللذين حسداه على الخلافة فآغتالاه، وآتّفقتم على هذا القول. فقال الزِّمام: معاذَ الله! قال عبّاس: فأين هما؟ فخرجا إليه ومعهما آبن أخ لهما آسمه صالـح بن حسن الذي قتل والده الخليفة الحافظ بالسمّ. وقد تقدّم ذكر قتله في ترجمة أبيه الحافظ عبد المجيد.

قال: فلمّا حضروا قال لهم عبّاس الوزير: أين الخليفة؟ فقالوا: حيث يعلم

---

(١) زمام القصر: هو المشرف على القصر وأحد الأستاذين المحنكين. (صبح الأعشى: ٤٨١/٣، والألقاب الإسلامية: ٣١٢).

آبنُك ناصر الدين. قال لا. قالوا: بلى! وهذا بُهْتانٌ منك، لأنّ بَيْعة أخينا في أعناقنا، وهؤلاء الأمراء الحاضرون يعلمون ذلك، وإنّا في طاعته بوصيّة والدنا، وأقاما الحجّة عليه. فكذّبهما وأمر غلمانه بقتل الثلاثة في دارهم. ثم قال للزِّمام: أين آبن مولانا؟ قال حاضر. فقال عبّاس: قُدَّامي إلى مكانه. فدخل الوزير عبّاس بنفسه إليه، وكان عند جَدّته لأمّه، فحمله على كتفه وأخرجه للنّاس قبل رفع المقتولين، وبايع له بالخلافة، ولقّبه بالفائز بنصر الله. فرأى الصبيّ القَتْلَى فتفزّع وآضطرب ودام مدّة خلافته لا يَطِيب له عيش من تلك الرجفة. وتم أمر الفائز في الخلافة، ووزر له عبّاس المذكور، إلى أن وقع له مع طلائع بن رُزِّيك ما سنذكره من أقوال جماعة من المؤرّخين. وقد ذكرنا منه أيضاً نبذةً فيما مضى، ولكن آختلاف النقول فيها فوائد.

وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ في تاريخ الإسلام ــ بعد أن ساق نسب الفائز هذا حتّى قال ــ: «بويع بالقاهرة حين قُتِل والده الظافر وله خمس سنين، وقيل: بل سنتان، فحمله الوزير عباس على كتفه ووقف في صحن الدار به مُظهراً الحزن والكآبة، وأمر أن يدخل الأمراء فدخلوا؛ فقال لهم: هذا ولد مولاكم، وقد قَتَل عماه مولاكم، وقد قتلتهما كما تَروْن به، وأشار إلى القَتْلَى، والواجب إخلاص الطاعة لهذا الولد الطفل. فقالوا كلّهم: سمِعنا وأطعنا، وضجّوا ضَجّةً واحدة بذلك. فِفَزِع الطفل (يعني الفائز)، ومال على كتف عبّاس من الفَزَع. وسمّوْه الفائز، ثم سيّروه إلى أمّه وقد آختلّ عقله من تلك الضجّة فيما قيل، فصار يتحرّك في بعض الأوقات ويُصْرَع ــ قلت: على كلّ قول كان الفائز قد آختلّ عقله ــ. قال: «ولم يبق على يد عباس الوزير يد ودانت له الممالك. وأمّا أهل القصر فإنّهم آطّلعوا على باطن القصّة فأخذوا في إعمال الحيلة في قتل عبّاس وآبنه، فكاتبوا طلائع بن رُزِّيك الأَرْمَنيّ والي مُنْيَة بني[1] خَصِيب. ثم ساق الذهبيّ قصّة طلائع مع الوزير عباس.

(١) منية بني خصيب، أو منية ابن خصيب: تقع على الشاطىء الغربي للنيل. وتسميتها نسبة إلى الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر في عهد هارون الرشيد. وقيل لها اختصاراً «المنية». وتسمى اليوم «المنيا». وهي اليوم قاعدة مديرية المنيا في مصر. (عن تعليقات محمد رمزي).

وقال آبن الأثير: «اتّفق أنّ أسامة بن منقِذ قدِم مصر، فآتّصل بعباس الوزير وحسّن له قتل زوج أُمّه العادل بن سَلّار فقتله، وولّاه الظافر الوزارة من بعده؛ فآستبدّ بالأمر وتمّ له ذلك. وعَلِم الأمراء [والأجناد][1] أنّ ذلك من فعل آبن منقِذ فعزموا على قتله. فخلا بعبّاس وقال له: كيف تصبر على ما أسمع من قبيح قول الناس إنّ الظافر يفعل بآبنك نصر ـ وكان من أجمل الناس، وكان ملازماً للظافر ـ فآنزعج لذلك وقال: كيف الحِيلة؟ قال: اقتله فيذهب عنك العار. فآتّفق مع آبنه على قتله. وقيل: إنّ الظافر أقطع نصر بن عبّاس [قرية][1] قليوب[2] كلّها فدخل وقال: أقطعني مولانا قليوب. فقال آبن منقِذ: ما هي في مهرك بكثير!».

فجرى ما ذكرناه، وهربوا وقصدوا الشام على ناحية أيْلة في شهر ربيع الأوّل سنة تسع وأربعين. وملك الصالح طلائع بن رُزِّيك ديار مصر من غير قتال؛ وأتى إلى دار عبّاس المعروفة بدار الوزير المأمون بن البطائحيّ التي هي اليوم المدرسة السّيوفّية الحنفيّة؛ فآستحضر الخادم الصغير الذي كان مع الظافر لمّا نزل سراً، وسأله عن الموضع الذي دُفن فيه فعرفه به. فقلع البلاطة التي كانت على الظافر ومن معه من المقتولين، وحُملوا وقُطّعت عليهم الشعور وناحوا عليهم بمصر، ومشى الأمراء قُدّام الجنازة إلى تربة آبائه. فتكفّل الصالح طلائع بن رُزِّيك بالصغير (يعني الفائز هذا) ودبّر أحواله.

وأمّا عبّاس ومن معه فإنّ أخت الظافر كاتبت الفرنج الذين بعَسْقَلان الذين آستَولَوا عليها من مُدَيْدة يسيرة، وشَرَطَت لهم مالاً جزيلاً إذا خرجوا عليه وأخذوه، فخرجوا عليه فواقعهم فقُتِل عباس وأخذت الفرنج أمواله وهرب آبن مُنْقِذ[3] في طائفة إلى الشام؛ وأرسلت الفرنج نصر بن عبّاس إلى مصر في قَفَص حديد. فلما وصل تسلّم رسولهم المال وذلك في [شهر] ربيع الأوّل سنة خمسين وخمسمائة ثم

(١) زيادة عن ابن الأثير.

(٢) قليوب: شمالي القاهرة على بعد ١٥ كلم منها. وهي اليوم قاعدة مركز قليوب أحد مراكز مديرية القليوبية. (محمد رمزي).

(٣) قارن برواية ابن منقذ في الاعتبار: ٢٩ ـ ٣٢.

خَلَعت أخت الظافر يد نصر وضُرِب ضرباً مهلكاً، وقُرِض جسمه بالمقاريض، ثم صُلِب على باب زويلة حياً ثم مات؛ وبقِي مصلوباً إلى يوم عاشوراء سنة إحدى وخمسين، ثم أُنزِل وأحرقت عظامه. وقيل: إنّ الصالح طلائع بن رُزِّيك بعث إلى الفرنج بطلب نصر بن عبّاس وبذَل إليهم أموالاً. فلمّا وصل سلّمه الملك الصالح إلى نساء الظافر فأقمن يضربنه بالقباقيب والزّرابيل[1] أياماً، وقطّعن لحمه وأطعمنه إيّاه، إلى أن مات ثم صُلِب.

وتكفّل الصالح طلائع بن رُزِّيك أمر الصبيّ (أعني الفائز) وساس الأمور وتلقّب بالملك الصالح، وسار في الناس أحسن سِيرة، وفخم أمره، وكان طلائع أديباً كاتباً. ولمّا ولي الوزر وتلقّب بالملك الصالح خُلِع عليه مثل الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجماليّ من الطيلسان المقوّر، وأنشىء له السّجلّ؛ فتناهى فيه كُتّاب الإنشاء. فمما قيل فيه[2]:

وآختصّك أمير المؤمنين بطيلسان غَدَا للسيف تَوْأما، ليكون كلّ ما أسْنِد إليك من أمور الدولة معلماً. ولم يُسمع بذلك إلاّ ما أكْرَم به الإمامُ المستنصر بالله أميرُ المؤمنين أميرَ الجيوش أبا النجم بدراً وولده أبا القاسم شاهنشاه، وأنت أيّها السيد الأجلّ الملك الصالح. وأين سعيُهما من سعيك، ورعيهما الذّمام من رعيك؛ لأنّك كشفت الغُمّة، وآنتصرت للأئمة، وبيّضتَ غياهب الظلمة، وشفَيْت قلوب الأمة». وأشياء غير ذلك. وعظُم أمر الصالح طلائع إلى أن وقع له ما سنذكره. كلّ ذلك والفائز ليس له من الخلافة إلاّ مجرّد الاسم فقط، وذلك لصغر سنّه.

ولمّا آستفحل أمر الصالح طلائع أخذ في جمع المال؛ فإنّه كان شَرِهاً حريصاً على التحصيل. وكان مائلاً إلى مذهب الإماميّة (أعني أنّه كان متغالياً في

(١) الزرابيل: نوع من الخفاف تلبسه الجواري.

(٢) انظر نص هذا السجلّ في حسن المحاضرة للسيوطي: ٢/٢٠٥ ــ ٢١٤ طبعة القاهرة ١٩٦٧م، و٢/١٥٦ ــ ١٦٢ طبعة القاهرة ١٢٩٩هـ. ومجموعة الوثائق الفاطمية: ٣٣٧ ــ ٣٥٠. والسجلّ من إنشاء الموفق أبي الحجاج يوسف بن علي بن الخلاّل المتوفى سنة ٥٦٦هـ.

الرَّفْض) فمال على المستخدَمِين في الأموال، وأخذ يعمل على الأمراء المقدّمين في الدولة، مثل ناصر الدولة ياقوت، وكان صاحب الباب[١]، وناب عن الحافظ في مَرْضة مرِضها مدّة ثلاثة أشهر؛ وطلب أن يُوزِّره فأبى ياقوت المذكور. ومثل الأوحد بن تميم، فإنّه كان من أعيان الأمراء. ولمّا سمع بقصّة عبّاس من قتله الظافرَ، وكان والياً على دِمياط[٢] وتنِّيس[٣]، تحرّك لطلب دم الظافر وقصد القاهرة، فسبقه طلائع بن رزيك بيوم واحد، فخاب قصده؛ فردّه طلائع بن رُزِّيك إلى ولايته، وأضاف إليه الدَّقَهْليّة والمُرْتاحيّة[٤]. وبقي تاج الملوك قايماز بالقاهرة، وهو من كبار الأمراء، وابن غالب لاحق به؛ فَحمَل الأجنادُ عليهما يطلبونهما، فخرجا في جماعتهما، فتكاثر عليهما الأجناد فقُتِلا ونُهبت دورهما بأطماع الصالح طلائع بن رزيك في ذلك.

---

(١) صاحب الباب: وظيفة تلي رتبة الوزارة، ويقال لها الوزارة الصغرى. وصاحبها يقرب من النائب الكافل. وهو الذي ينظر في المظالم. (صبح الأعشى: ٤٧٩/٣).

(٢) دمياط: هي من ثغور مصر القديمة واقعة على الشاطىء الشرقي لفرع النيل المسمى باسمها بينها وبين مصبه في البحر الأبيض المتوسط ١٥ كيلومتر. وهي اليوم إحدى محافظات مصر (محمد رمزي).

(٣) تنيس: اسم مدينة قديمة كانت قائمة في جزيرة صغيرة واقعة في الجهة الشمالية الشرقية من بحيرة المنزلة على بعد ٩ كيلومترات من الجنوب الغربي لمدينة بور سعيد. وبسبب إغارة الصليبيين على مصر أمر الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر الأيوبي في سنة ٦٢٤هـ ــ ١٢٢٧م بإخراج سكان هذه المدينة منها ونقلهم إلى دمياط. ومن ذاك الوقت خربت تنيس ولم يبق منها إلا رسومها في بحيرة المنزلة. ويلاحظ التمييز بين تنيس هذه التي بكسر التاء وتشديد النون وبين تانيس التي هي صان الحجر بمركز فاقوس، وبين تنيس بغير تشديد، ويقال: لها التينة، وهي التي تعرف باسم البربا بمركز جرجا وهي مسقط رأس الملك مينا أول ملوك مصر الفراعنة (محمد رمزي).

(٤) المرتاحية: هو اسم أحد الأقاليم المصرية بالوجه البحري في العهد العربي، وكان يقال لها: كورة المرتاحية ثم الأعمال المرتاحية. وكان إقليم المرتاحية واقعاً في المنطقة التي تشمل اليوم بلاد مركزي المنصورة وأجا بمديرية الدقهلية، وكان يجاوره من الجهة البحرية إقليم الدقهلية. وكان إقليم الدقهلية في ذاك الوقت واقعاً في المنطقة التي تشمل اليوم بلاد مراكز فارسكور ودكرنس والمنزلة بمديرية الدقهلية؛ وفي زمن حكم دولتي المماليك جعل هذان الإقليمان إقليماً واحداً باسم إقليم الدقهلية والمرتاحية، وفي عهد الحكم العثماني اختصر باسم الدقهلية، ولم يزل يطلق لغاية اليوم على مديرية الدقهلية التي قاعدتها مدينة المنصورة.

ثم إنّ طلائع ما آتّسع له قُرْبُ الأوحد بن تميم بدِمّياط، فقلّده أَسيوط[١] وإخميم[٢]. وكان ناصر الدولة بقوص من وزارة عباس؛ وكان آبن رُزِّيك لمّا آسْتُدعِي لأخذ الثأر وهو بالأُشْمُونين لم يجسُر على الحركة إلّا بعد مكاتبة ناصر الدولة بذلك، وآستدعاه آبن رُزِّيك ليكون الأمر له. فكاتبه ناصر الدولة بإزهاده في ذلك، وأنّه سئل به وتركه في أيام الحافظ عن قدرة، وآعتقد أنّه لا يُفلح لأنّه لم يتحقق ما كان من عباس. فعند ذلك خلت القاهرة لطلائع بن رُزِّيك من مماثل. وأظهر مذهبَ الإماميّة، وباع الولايات للأمراء، وجعل لها أسعاراً، ومدّتها ستة أشهر؛ فتضرّر الناس من تردّد الوُلاة عليهم في كلّ ستة أشهر. وضايق القصر طمعاً في صغر سنّ الخليفة، فتعب الناس معه. وجعل له مجلساً في أكثر الليالي يحضُره أهل الأدب، ونظَم هو شعراً ودوّنه، وصار الناس يهرعون إلى نقل شعره؛ وربمّا أصلحه له شاعر كان يصحَبه يقال له آبن الزُّبير[٣]. وممّا نُسِب إليه من الشعر قوله: [الكامل]

---

(١) أسيوط: بلدة مصرية قديمة واقعة على الشاطىء الغربي للنيل. وكانت هذه المدينة في عهد الفراعنة قاعدة قسم «يوتف خفت» وفي عهد الرومان قاعدة قسم «ليكو» وفي العهد العربي قاعدة كورة الأسيوطية، وفي العهد العثماني ألغي هذا القسم وأضيفت بلاده إلى ولايتي المنفلوطية وجرجا. وفي سنة ١٢٤١هـ ـــ ١٨٢٦م أعيد إنشاء إقليم أسيوط باسم مأمورية أسيوط إذ كانت المديريات في ذاك الوقت تسمى «مأموريات» وجعلت أسيوط قاعدة لها. وفي سنة ١٢٤٩هـ ـــ ١٨٣٣م. سميت المأموريات باسم مديريات ومنها مديرية أسيوط وقاعدتها مدينة أسيوط إلى اليوم (محمد رمزي).

(٢) إخميم وهي من البلاد المصرية القديمة واقعة على الشاطىء الشرقي للنيل. وكانت إخميم في عهد الفراعنة قاعدة قسم «خمينو» وفي عهد الرومان قاعدة قسم «بانوس» وفي عهد العرب قاعدة كورة الإخميمية، واستمرت كذلك إلى آخر حكم دولتي المماليك، وفي العهد العثماني ألغيت الإخميمية وأضيفت بلادها إلى ولاية جرجا وأضحت إخميم إحدى بلاد مركز سوهاج. وفي سنة ١٩٠٣م صدر قرار من الداخلية بفصل البلاد الواقعة شرقي النيل من مركز سوهاج وجعلها مركزاً باسم إخميم وهي قاعدة المركز من تلك السنة إلى اليوم (محمد رمزي).

(٣) هو الحسن بن علي بن إبراهيم بن الزبير الملقب بالقاضي المهذب. كان كاتباً مليح الخط جيد العبارة حسن الألفاظ. واختص بالصالح بن رزيك، ويقال إن أكثر الشعر الذي في ديوان الصالح إنما هو من شعر المهذب، وحصل له من مال الصالح شيء جم. ومن شعره:

لقد طال هذا الليل بعد فراقه وعهدي به قبل الفراق قصير
وكيف أرجّي الصبح بعدهم وقد تولت شموس بعدهم وبدور

(طبعة دار الكتب المصرية من النجوم: ٣١٣/٥ حاشية: ٣).

كم ذا يُرينا الدهر من أحداثه عِبَراً وفينا الصّدُّ والإعراضُ
نَنْسَى المماتَ وليس نُجري ذكره فينا فتُذْكِرنا به الأمراض

وله من قصيدة: [الوافر]

مَشِيبُكَ قد رمَى(١) صِبْغَ الشبابِ وحلّ البازُ في وَكْرِ الغُرابِ

ومنها:

فكيف بقاءُ عمرك وهو كنزٌ وقد أنفقتَ منه بلا حسابِ

فلمّا ثَقُلتْ وطأته على القصر، وكان الخليفة الفائز في تدبير عمته، شرعت في قتل طلائع بن رُزِّيك المذكور، وفرّقت في ذلك مالاً يقرُب من خمسين ألف دينار. فعلم آبن رُزِّيك بذلك، فأوقع بها وقتلها بالأستاذين والصقالبة سراً، والخليفة في واد آخر من الاضطراب. ثم نَقَل آبن رُزِّيك كفالة الفائز إلى عمّته الصغرى، وطيّب قلبها وراسلها. فما حماه ذلك منها بل رتّبت قتله. وسعى لها في ذلك أصحاب أختها المقتولة؛ فرتّبت قوماً من السودان الأقوياء في باب السِّرداب، في الدِّهليز المظلم الذي يُدْخَل منه إلى القاعة، وقوم أُخَر في خزانة هناك وفيهم واحد من الأجناد يقال له آبن الراعي. فدخل يوم خمسة من شهر رمضان سنة ستّ وخمسين وخمسمائة؛ فلمّا آنفصل من السلام على الخليفة، وكان صاحب الباب في ذلك اليوم أميراً يقال له آبن قوّام الدولة، وكان إمامياً، فيقال: إنّه أخلى الدِّهليز من الناس حتّى لم يبق فيه أحد، وإنّه آستوقفه أستاذ يقال له عنبر الربعيّ بحديث طويل. وتقدّم طلائع بن رُزِّيك ومعه ولده رُزِّيك، فأرادت الجماعة المخبّأة أن تخرج، فوجدوا الباب مغلقاً، وخافوا من خلعه التشغيب(٢)؛ فخرجت عليه الجماعة الأخرى فضربوا رُزِّيك بن الصالح طلائع ضربة أوقعت عَضُده الأيمن، وجُرِح أبوه الصالح طلائع بن رُزِّيك من آبن الراعي المذكور. وقيل: إنّ طلائع كان متخوماً فآستفرغ بالدّم، فأكبّ على وجهه وأُخِذ منديله من على رأسه؛ فعاد إليه رجل يقال

(١) في ابن خلكان: «قد نضا».
(٢) التشغيب: كثرة الجلبة.

له ابن الزُّبْد، فألبسه المنديل، وخرج به محمولاً على الدّابة لا يُفِيق. فقيل: إنّه كان يقول إذا أفاق: رحمك الله يا عبّاس (يعني بذلك عبّاساً الوزير الذي قتل الخليفة الظافر).

وكان الفائز قد مات، وتولّى الخلافَة العاضد، وهو أيضاً تحت حَجْر طلائع المذكور. فمات طلائع سَحَراً. وكان طلائع قد ولّى شاوَر[1] قوصَ وندم على ولايته، فأراد آستعادته من الطريق؛ فسبقه شاوَر حتّى حصل بها، وطلب منه كلّ شهر أربعمائة دينار، وقال: لا بدّ لقوص من والٍ، وأنا ذلك؛ والله لا أدخل القاهرة، ومتى صرفني دخلت النُّوبة. ولمّا مات الصالح طلائع بن رُزِّيك وطاب ولده رُزِّيك، طلبت عمة الفائز رُزِّيكَ، وأحضرت له الذي ضربه في عضده الأيمن، وأحضرت أيضاً سيف الدين حسين آبن أخي طلائع، وحلفتْ لهما أنّها لم تدرِ بما جرى على أبيه الصالح، وأنّ فاعل ذلك أصحاب أختها المقتولة؛ وخلعت على رُزِّيك بالوزارة عوضاً عن أبيه طلائع بن رزّيك، وفسحتْ له في أخذ من آرتاب به في قتل أبيه. فأخذ ابن قوّام الدولة فقتله وولده، والأستاذ الذي شغله. وأقام رُزِّيك المذكور في الوزارة سنة وكسراً[2]، فما رأى الناس أحسن من أيامه؛ وسامح الناس بما عليهم من الأموال البواقي الثابتة في الدواوين، ولم يُسبَق إلى ذلك. ودام في الوزارة حتى قيل: اِصرِفْ شاوَر من قُوص يتمّ الأمر لك. فأشار عليه سيف الدين حسين بإبقائه؛ فقال رُزِّيك: ما لي طمع فيما آخذه منه، ولكن أُريده يطأ بساطي. فقيل له: ما يدخل أبداً، فما قَبِل. وخلع على أمير يقال له آبن الرفعة بولاية قوص عوضاً عن شاوَر؛ فخرج شاوَر من قوص في جماعة قليلة إلى الواحات[3].

---

(١) هو أبو شجاع شاور بن مجير. ويرتقي نسبة إلى أبي ذؤيب عبد الله والد حليمة مرضع رسول الله. تولى الوزارة من ٢٢ المحرم سنة ٥٥٨هـ إلى رمضان من نفس السنة. (الوزارة في العصر الفاطمي: ٢٨٨).

(٢) أقام في الوزارة من ١٩ رمضان سنة ٥٥٦هـ حتى ٢٢ المحرم سنة ٥٥٨هـ. (المرجع السابق).

(٣) الواحات: عبارة عن جزائر زراعية تروى أراضيها بماء عيون الآبار، واقعة في صحراء مصر (صحراء ليبيا). ويوجد في مصر الواحات البحرية ومنها واحة الفرافرة ثم واحة سيوه والواحات الخارجة والواحات الداخلة، وكلها تابعة لمحافظة الصحراء الغربية إحدى محافظات مصلحة الحدود المصرية. والظاهر ان المؤلف يقصد الواحات الخارجة لأنها أقرب الواحات إلى قوص. (طبعة دار الكتب المصرية: ٣١٦/٥، =

وأما رُزِّيك الوزير فإنّه رأى مناماً أخبر به آبنَ عمه سيف الدين[١] حسين؛ فقال له حسين: إنّ بمصر رجلاً يقال له آبن الإيتاخي حاذقاً في التعبير، فأحضره رُزِّيك وقال له: رأيت كأنّ القمر قد أحاط به حنش، وكأنّني روّاس في حانوت. فغالطه المعبِّر في التفسير؛ وظهر ذلك لسيف الدين حسين، فأمسك إلى أن خرج المعبِّر فقال له: ما أعجبني كلامك، والله لا بدّ أن تصدُقني ولا بأس عليك. فقال: يا مولاي، القمر عندنا هو الوزير، كما أنّ الشمس خليفة؛ والحنش المستدير عليه هو جيش مصحف؛ وكونه روّاساً اِقلبها تجدها «شاور» مصحّفاً أيضاً. فقال له حسين: اكتم هذا عن الناس. وآهتمّ حسين في أمره، ووطّأ له التوجّه إلى مدينة النبيّ عليه السلام، وكان أحسنَ إلى المقيمين بها، وحمل إليها مالاً وأودعه عند مَنْ يثق به. وصار أمر شَاور يزداد ويقوَى حتى قَرُب من القاهرة، وصاح الصائح في بني رُزيك وكانوا أكثر من ثلاثة آلاف فارس. فأوّل من نجا بنفسه حسين. فلمّا بلغ رُزِّيكَ توجُّه حسين آنقطع قلبه، وأخذ أمواله على البغال وخرج في خاصّته إلى إطْفِيح[٢]، فأخذه مقدّم إطْفِيح بعد أمور وكلَّ من معه، وأتى بهم إلى شاوَر في الحديد؛ فآعتقله شاوَر وأخاه جلال الإسلام؛ فطلب رُزِّيك من بعض غلمان أبيه مِبْرداً فبَرد قيده؛ فعلم أخوه جلال الإسلام فأعلم شاوَر بذلك، فقتل شاور رُزِّيك وأبقى على أخيه جلال الإسلام لهذه النصيحة. وآستمر شاوَر في الوَزَر أشهراً حتى وقع له مع الضِّرغام أحد أمراء بني رُزِّيك ما وقع، وآستنجد عليه بتوجّهه إلى

= حاشية: ١) ويقال في واحدتها: واح؛(انظر ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار: ١١/٥ وصبح الأعشى: ٤٤٦/٣، طبعة دار الكتب العلمية).

(١) في الأصل: «سيف الدولة». وسبق أنه سيف الدين.

(٢) إطفيح: هي من البلاد المصرية القديمة الواقعة على الشاطىء الشرقي للنيل. وكانت في عهد الفراعنة قاعدة قسم ماتونو، وفي عهد الرومان قاعدة قسم أفروديتون، وفي عهد العرب قاعدة كورة الإطفيحية، وكان يقال لها «الشرقية» لوقوع بلادها شرقي النيل. وفي سنة ١٢٤٩هـ ــ ١٨٣٣م سميت مديرية شرق إطفيح وفي سنة ١٢٥٧هـ ــ ١٨٤١م ألغيت هذه المديرية وأضيفت بلادها إلى مديرية الجيزة مع بقاء إطفيح قاعدة للمركز المسمى باسمها. وفي سنة ١٨٩٨م نقل المركز من إطفيح إلى الصف باسم مركز الصف، فأصبحت إطفيح إحدى بلاد مركز الصف بمديرية الجيزة (محمد رمزي).

دِمشق إلى نور الدين محمود بن زَنْكِي؛ فأرسل معه نور الدين أسدَ الدين شِيرِكُوه بن شَاذِي. وشاوَر هو صاحب القِصّة مع أسد الدين شِيرِكُوه وآبن أخيه السلطان صلاح الدين. يأتي ذكر ذلك في ترجمة العاضد مفصّلاً، إن شاء الله.

وكانت وفاة الفائز صاحب الترجمة في شهر رجب سنة خمس وخمسين وهو آبن عشر سنين أو نحوها. وبايعوا العاضد لدين الله أبا محمد عبد الله بن يوسف آبن الحافظ عبد المجيد بن محمد بن المستنصر آبن عم الفائز هذا. وأجلسه الملك الصالح طلائع بن رُزِّيك على سرير الخلافة. وأزْوَجه آبنته. ثم بعد ذلك آستعمل طلائعُ شاوَرَ على بلاد الصعيد. وهو شاوَر البدريّ الذي آستولى على ديار مصر في خلافة العاضد آخر خلفاء بني عُبَيد، على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

* * *

السنة التي حكم في أوّلها الظافر وفي آخرها الفائز

وكلاهما ليس له في الخلافة إلّا مجرّد الاسم فقط.

وهي سنة تسع وأربعين وخمسمائة.

فيها خَنِقت الترك على سِنْجَرشاه السلجوقيّ وتركوه في قيد من حديد في خيمة، ووُكِّل به جماعة وأجرَوْا عليه ما لا يُجرَى على الكَفَرة، وكاد يموت خوفاً، وصار يبكي ليلاً ونهاراً على نفسه، ويتمنى الموت.

وفيها ملك نور الدين محمود بن زَنْكِي بن آق سُنْقُر المعروف بالشهيد دمشق من الأمير مجير الدِّين. وساعده في ذلك بعض أهل دمشق على مجير الدين المذكور لزيادة ظلمه ومصادراته الناس؛ فلمّا تحرّك نور الدين لطلب دمشق وافقه أهلها لما في نفوسهم من مجير الدين[١].

(١) في الفترة ما بين الحصار الأول سنة ٥٤٦هـ (راجع ص ٢٨٩، حاشية: ٢ و٣) وأخذ دمشق هذه المرّة دون مقاومة تذكر، كان نور الدين محمود قد استطاع إسقاط مجير الدين من الداخل وذلك بانتهاجه سياسة ذكية استطاع بفضلها اكتساب عواطف الناس وميل الأمراء والقادة وتحييد الميليشيا البلدية التي كان يقودها شاب من إخوة ابن القلانسي. (انظر تفصيل ذلك في ذيل تاريخ دمشق: ٣٢٧، والحروب الصليبية كما رآها العرب: ١٩٤ ــ ١٩٥).

وفيها توفي المظَفّر بن عليّ [بن محمد بن محمد][1] بن جَهِير، الوزير أبو نصر آبن الوزير فخر الدولة، وجدّه كان أيضاً وزيراً. وهو من بيت وزارة وفضل؛ وَزَر للمقتفي سبع سنين، وعُزِل عن الوزارة في سنة آثنتين وأربعين وخمسمائة، وكان الخليفة المقتفي نقله من الأُستاداريّة إلى الوزَر. وكانت وفاته في ذي الحجة. وكان فاضلاً نبيلاً، سمع الحديث وحج وتصدّق.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن إبراهيم العلّامة أبو بكر البغداديّ الحنفيّ. كان فقيهاً عالماً نحوياً. مات في ذي القعدة.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي الظافر بالله إسماعيل ابن الحافظ العُبَيديّ، إغتاله عبّاس في المحرّم وله آثنتان وعشرون سنة، وأجلس مكانه ولده الفائز طفلاً. وأبو البركات عبد الله بن محمد بن الفضل الفراويّ، مات جوعاً في ذي القعدة في كائنة الغُزّ. وأبو منصور عبد الخالق بن زاهر بن طاهر الشّحامِيّ، هلك في شوّال بنيسابور. وأبو سعد محمد بن جامع الصَّيْرفِيّ خياط الصوف، تُوفّي في [شهر] ربيع الآخر. وأبو العشائر محمد بن فارس القَيْسِيّ بدِمَشق في ذي الحجّة. والحافظ أبو المُعَمَّر المبارك بن أحمد الأنصاري الأَزَجِيّ[2] في رمضان. والوزير أبو نصر المظَفّر بن عليّ آبن الوزير فخر الدولة بن جَهِير، وزر للمقتفي سبع سنين، ومات في ذي الحجة. وأبو المحاسن نصر بن المظَفّر البرمكيّ بهمذان.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستّ أذرع وسبع أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وعشرون إصبعاً.

* * *

---

(١) زيادة عن المنتظم والذهبي.

(٢) نسبة إلى باب الأزَج، محلة ببغداد.

السنة الثانية من خلافة الفائز بنصر الله على مصر

وهي سنة خمسين وخمسمائة.

فيها دخلت الترك نَيْسابور بعد أن كان بينهم وبين أهلها قتال عظيم ونهبوا وسَبَوْا وقتلوا بها نحواً من ثلاثين ألف نسمة، منهم محمد بن يحيى شيخ الشافعيّة، وكان الملك سِنْجَرشاه السلجوقيّ معهم في الأسر، وعليه آسم السلطنة وهو مقيد معتقَل على أقبح وجه يخدُم نفسه ويجلس وحده في أضيق مكان.

وفيها تُوفّي محمد بن ناصر بن محمد بن عليّ بن عمر السَّلاميّ[١] الدار الفارسيّ الأصل. سمع الحديث ورحل إلى البلاد؛ وكان حافظاً متقناً عالماً بالأسانيد والمتون، ضابطاً ثقة من أهل السنّة. ومات في شعبان. وأنشد لغيره: [البسيط]

دع المقادير تجري في أعنّتها وآصبر فليس لها صبر على حال
ما بين رَقْدَة عينٍ وآنتباهتها يقلّب الدهرُ من حال إلى حال

وفيها تُوفّي هبة الله بن عليّ أبو محمد بن عرام؛ كان فاضلاً شاعراً. ومن شعره في ذمّ إنسان: [مخلّع البسيط]

جميع أقواله دعاوِي وكلّ أفعاله مَساوِي
ما زال في فنّه[٢] غريباً ليس له في الورى مُساوِي

وفيها تُوفّي محمد بن عليّ بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو بكر القَيْسيّ المغربيّ المالكيّ؛ مات بفاس في ذي القعدة. وكان فقيهاً أديباً مترسّلاً شاعراً. ومن شعره: [الخفيف]

أطيبُ الطيباتِ قتلُ الأعادِي وآختيالي على مُتون الجياد
ورسولٌ يأتي بوعد حبيبٍ وحبيبٌ يأتي بلا ميعادِ

---

(١) نسبة إلى دار السلام، وهي بغداد.

(٢) في طبعة دار الكتب المصرية عن مرآة الزمان: «وقته».

قلت: وقد تغالى الناس في رسول الحبيب وقالوا فيه أحسن الأقوال. فمن ذلك قول بهاء الدين زُهَيْر من أول قصيدته: [الطويل]

رسول الرضا أهلاً وسهلاً ومَرْحبًا حديثك ما أحلاه عندي وأطيبا

وأحسن ما سمعت في هذا المعنى قول صَفِيّ الدين الحِلّيّ: [مجزوء الكامل]

من كنتَ أنتَ رسولَه كان الجواب قبولَهُ
هو طلعة الشمس الذي جاء الصباح دليلَه

وفي المعنى للسّراج[1] الورّاق: [الكامل]

إن كانت العُشّاق من أشواقهم جعلوا النسيمَ إلى الحبيب رسولا
فأنا الذي أتلو لهم: يا ليتني كنتُ اتّخذت مع الرسول سبيلا

ومما يُقارب هذا المعنى ما أنشدني الحافظ شهاب الدّين بن حَجر لنفسه إجازةً إن لم يكن سماعاً: [الطويل]

أتى من أحِبّائي رسولٌ فقال لي تَرَفَّقْ وهُنْ واخضَعْ تَفُزْ برضانا
فكم عاشقٍ قاسى الهوانَ بحبّنا فصار عزيزاً حين ذاق هوانا

وقد خرجنا عن المقصود.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو العباس أحمد ابن مَعَدّ التُّجِيبيّ الأُقْلِيشِيّ[2]. وأبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن العَصَائِديّ[3] النَّيسابوريّ. وأبو القاسم سعيد بن أحمد بن أحمد بن الحسن[4] [بن عبد الله][5] بن أحمد بن البنّاء في ذي الحجة. وأبو الفتح محمد بن عليّ بن هبة الله بن عبد السلام الكاتب.

(١) هو سراج الدين الورّاق، عمر بن محمد بن حسن المتوفى سنة ٦٩٥هـ (فوات الوفيات: ٤/١٤٠).
(٢) في نفح الطيب وتكملة الصلة: «ابن الأقليشي». ونسبته إلى أقليش بالأندلس Uclés (الأعلام: ٢٥٩/١).
(٣) نسبة إلى عمل العصيدة.
(٤) في الأصل: «الحسين». وما أثبتناه عن المنتظم والذهبي.
(٥) زيادة عن المنتظم.

والحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن عليّ السَّلامِيّ في شعبان، وله ثلاث وثمانون سنة. وأبو الكرم المبارك بن الحسن الشهرُزُورِيّ المقرىء في ذي الحجة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وتسع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وسبع عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثالثة من خلافة الفائز بنصر الله على مصر

وهي سنة إحدى وخمسين وخمسمائة.

فيها خَلَع الخليفة المقتفي بالله على سليمان شاه بن محمد شاه بن ملكشاه السلجوقيّ بعد عمّه سِنْجَر شاه خِلْعة السلطنة: التاج والطوق والسِّوار والمَرْكب[١] الذهب، وآستحلفه الخليفة أن يكون العراق للخليفة ولا يكون لسليمان شاه المذكور إلّا ما يفتحه بسيفه من غير العراق؛ وخطب له على منابر العراق بالسلطنة، وتمّ أمره إلى ما سيأتي ذكره.

وفيها خلَص السلطان سِنْجَر شاه من أَسْر الترك بحيلة، وهرب إلى قلعة تِرمِذ بعد أن أقام عندهم أربع سنين في الذلّ والهَوَان حتى ضُرِب بحاله عندهم الأمثال.

وفيها تُوفّي عبدالقاهر بن عبد الله بن الحسين أبو الفرج المعروف بالوَأْوَاء[٢] الشاعر المشهور. كان أصله من بُزَاعة ونشأ بحلب (وبُزاعَة بضم الباء الموحدة وفتح الزاي وبعد الألف عين مهملة مفتوحة وهاء، وهي قرية من أعمال حلب) وتأدّب

(١) المراد بالمركب هنا السَّرج وما يتعلق به. وانظر عن خلع التقليد والولاية والتشريف والمنادمة «رسوم دار الخلافة» لأبي الحسين هلال بن المحسِّن الصابىء: ص ٩٣ وما بعدها.

(٢) في الأصل: «الواوا» والتصحيح عن الأعلام: ٤/٤٩ وهو غير الوأواء الدمشقي محمد بن أحمد الغساني المتوفى نحو ٣٨٥هـ.

بحلب وبَرَع في الأدب وقول الشعر، وشرح ديوان المتنبّي. ومما يُنسب إليه من الخمريات ــ وقيل هما لغيره ــ قوله: [الوافر]

مجرّةُ جَدْوَلٍ وسماءُ آسٍ ... وأنجمُ نَرْجِسٍ وشموسُ ورد
ورعدُ مُثَلثٍ وسحابُ كأس ... وبرقُ مُدامةٍ وضباب نَدِّ

قلت: ويُعجبني في هذا المعنى قول يزيد بن معاوية: [الكامل]

ومُدامةٍ حمراء في قارورة ... زَرْقاء تحملها يدٌ بيضاءُ
فالراحُ شمسٌ والحَبَابُ كواكبٌ ... والكفّ قُطْب والإناءُ سماء

وما أظرف قول دِيك الجِنّ عبد السلام بن رَغْبان: [الوافر]

شَرِبنا في غروب الشمس شمساً ... لها وصفٌ يَجِلّ عن الصفات
عجبتُ لعاصريها كيف ماتوا ... وقد صنعوا لنا ماءَ الحياة

ومما قيل في هذا المعنى ــ دوبيت ــ:

يا ساقي خُصَّني بما تهواه ... لا تمزج أقداحي رعاك الله
دعها صِرْفاً فإنّني أمزجها ... إذ أشربها بذكر من أهواه

وفيها تُوفّي عليّ بن الحسين الشيخ الإمام الواعظ أبو الحسن[1] الغَزْنَوِيّ الملقّب بالبرهان. قدِم بغداد وسمع الحديث ووعظ، وكان فصيحاً مفوَّهاً. كان السلطان مسعود السَّلْجُوقيّ يزوره. ولمّا أقام ببغداد أمرت الخاتون زوجة الخليفة المستظهر أن يُبنى له رِباط ووقفتْ عليه قرية آشترتها من الخليفة المسترشد. وآنتفع الناس بجاهه وماله. وكان له أدب ونظم. فمن شعره قوله: [السريع]

كم حسرة لي في الحشا ... من ولد إذا نَشَا[2]
وكم أردتُ رُشْدَهُ ... فما نشا كما نشا

(١) في الأصل: «أبو الحسين». وما أثبتناه عن ابن الأثير والبداية والنهاية والمنتظم.
(٢) في الأصل: «من ولد إذا انتشا» وما أثبتناه عن الشذرات والمنتظم والبداية والنهاية.

وله في غير هذا المعنى وأجاد: [السريع]

يحسُدني قومي على صَنْعتي لأنّني في صنعتي فارسُ
سَهِرتُ في ليليَ وآستنعسوا هل يستوي الساهر والناعسُ

وفيها توفّي السلطان مسعود بن محمد ملك الروم[١]. وتولّى ممالك الروم بعده آبنه قليج أَرْسلان بن مسعود.

وفيها تُوفّي الشيخ أبو العِزّ بن أبي الدنيا القرشيّ الصوفيّ البصريّ. كان أبوه محتسبَ البصرة، وكان شاعراً مجيداً (أعني أباه)[٢]. ومن شعره: [الرجز]

ما بال قلبي زائداً غَرامُهُ ودَمْع عيني هاطلاً غَمامُهُ
وذلك الجمر الذي خلفتمُ على الحشا لا ينطفي ضِرامه

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو القاسم إسماعيل بن عليّ النيسابوريّ ثم الأصبهانيّ الحمّاميّ الصوفي في صفر وقد شارف المائة. وأبو القاسم الحسين بن الحسن بن البُنّ الأسديّ بدمشق في ربيع الآخر. وأبو الحسن عليّ بن أحمد بن محمويه اليَزْديّ[٣] الشافعيّ المصريّ. وأبو عبد الله محمد بن عبد الله[٤] بن سلامة الكَرْخيّ في شوّال. والشيخ أبو البَيان [نبا][٥] بن محمد بن محفوظ القُرَشيّ ابن الحَوْرَانِيّ الدمشقيّ اللغويّ الشافعيّ الزاهد القُدوة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستّ أذرع وتسع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وثماني أصابع.

* * *

(١) يريد بالروم بعض بلادهم مثل قونية وأقصرى، كما ذكر العيني في عقد الجمان.
(٢) نسب صاحب عقد الجمان البيتين لأبي العز نفسه.
(٣) في الشذرات: «البرذي».
(٤) في الشذرات: «عبيد الله».
(٥) زيادة عن الشذرات.

السنة الرابعة من خلافة الفائز بنصر الله على مصر

وهي سنة آثنتين وخمسين وخمسمائة.

فيها جمع الملك محمد شاه بن محمود شاه بن محمد شاه بن ملك شاه السَّلْجُوقيّ التركمانَ والأكراد وسار حتّى قارب بغداد، وبعث إلى الخليفة المقتفي يطلب منه الخطبة والسلطنة، فقيل له: السلطان هو سِنْجَر شاه بن ملكشاه عمّ أبيك، وأنتم مختلفون. فلم يلتفت محمد شاه حتّى قدِم بغداد وحصرها، ووقع له بها أمور؛ وطال الأمر بينهم إلى أن رحل منها إلى جهة هَمَذَان.

وفيها كانت زلازلُ عظيمة بالشام وحَلَب وحَمَاة وشَيْزَر وغالب بلاد الشام والشرق، وهلَك خلقٌ كثير، حُكي أن معلِّماً كان بحماة في كُتّاب، فقام من المكتب يقضي حاجة ثم عاد وقد رقع المكتب على الصبيان فماتوا بأسرهم. والعجب أنه لم يأت أحد يسأل عن صبيّ منهم بل جميع آبائهم ماتوا أيضاً تحت الهدم في دورهم. ووقعت أبراج قلعة حلب وغيرها، وهلك جميع من كان في شَيْزَر إلا آمرأة واحدة وخادماً. وساخت قلعة فامية، وآنشقّ تلّ حَرّان نصفين، وظهر فيه بيوت وعمائر قديمة. وآنشقّ في اللاّذقيّة موضع ظهر فيه صَنمَ قائم في الماء، وخَرِبت صَيْداء وبيروت وطرابلسُ وعَكّا وصُور وجميع قِلاع الفرنج. وعَمِل شعراء ذلك العصر في هذه الزلزلة أشعاراً كثيرة.

وفيها ملك الملك العادل نور الدين محمود بن زَنكي بن آق سُنْقُر المعروف بالشهيد حصن شَيْزَر، وزال مُلك بني مُنْقِذ عنها بعد أن ملكوها سنين كثيرة.

وفيها تُوفّي أحمد بن عمر[1] الشيخ الإمام العلاّمة أبو اللّيث السَّمَرْقَنْدِيّ الحنفيّ. كان إماماً فقيهاً حسن الهيئة كثير الصَّمْت غزير العلم واسع الحفظ. حجّ وعاد إلى بغداد، وصنّف التصانيف المفيدة النافعة، وتفقّه به جماعة كبيرة. ولمّا خرج من بغداد خرج الناس لوداعه، فلمّا ودّعهم أنشد: [مخلّع البسيط]

(١) كذا في المنتظم وعقد الجمان. وفي البداية والنهاية: «أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل» وفي الأصل: «أحمد بن عمرو».

يـا عـالمَ الغيب والشّهـاده إنّ[1] بتـوحيـدك الشهـاده
أسـأل في غُـرْبتي وكَـرْبي منـك وفـاةً على الشهـاده

وخرج في قافلة؛ فلما ساروا قطع قوم الطريق على القافلة المذكورة وقتلوا منهم جماعة كبيرة من العلماء، فيهم صاحب الترجمة، فقُتِل الجميع شهداء.

وفيها توفّي أحمد بن المبارك بن محمد بن عبد الله. وُلِد سنة آثنتين وثمانين وأربعمائة. كان أديباً شاعراً فاضلاً. ومن شعره: [دوبيت]

ساروا وأقام في فؤادي الكَمَدُ لم يلقَ كما لَقِيتُ منهم أحـدُ
شوقٌ وجوىً ونارُ وجدٍ تَقِـدُ ما لي جَلَدٌ ضعُفتُ ما لي جلدُ

وفيها تُوفّي السلطان سِنْجَر شاه آبن السلطان ملكشاه بن ألْب أرْسلان بن داود بن ميكائيل بن سَلْجوق بن دُقماق، السلطان أبو الحارث ــ وقيل: آسمه أحمد. وسمّي بسِنْجَر لأنّه ولد بسِنْجَار في شهر رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة حين توجّه أبوه إلى غَزْو الروم ــ ونشأ ببلاد الخُوز[2]، وسكن خُراسان وآستوطن مدينة مَرْو. وكان دخل بغداد مع أخيه محمد شاه على الخليفة المستظهر. قال سِنْجَر شاه: فلمّا وقفنا بين يدي الخليفة المذكور ظنّ أني أنا السلطان، فافتتح كلامه معي؛ فخدمت وقلت: يا مولانا أمير المؤمنين، السلطانُ هو أخي، وأشرت إلى أخي محمد شاه ففوّض إليه السلطنة وجعلني وليَّ عهده.

قلت: ولمّا مات محمد شاه خُوطِب سِنْجَر شاه هذا بالسلطنة، وكان قبلها في مُلك ضخم نحواً من عشرين سنة، وخُطِب له على عامّة منابر الإسلام؛ وأسره الترك أربع سنين، حسب ما ذكرناه في وقته. ثم خلَص وكاد مُلكه أن يرجع إليه، فأدركتْه المنيّة فمات في يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الأوّل. ودُفِن بمَرْو في قُبّة بناها

(١) في المنتظم وعقد الجمان: «مني بتوحيدك...».
(٢) أي خوزستان.

بها. وكان رَوَى الحديث وعنده فضيلة. وأصابه صَمَمٌ في آخر عمره. وآستقرّ المُلك بعده لابن أخيه أبي القاسم محمود(١) بن محمد شاه بن ملكشاه السلْجوقيّ.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي السلطان مُعِزّ الدين أبو الحارث سِنْجَر بن ملكشاه السّلْجوقيّ في [شهر] ربيع الأوّل، وبقِي في المُلك نحواً من خمسين سنة. وأبو صابر عبد الصَّبُور بن عبد السلام الهَرَوِيّ. وأبو عمرو عثمان بن عليّ البِيكَنْدِيّ(٢) الزاهد ببُخارى. وأبو حفص عمر بن عبد الله الحَرْبيّ المقرىء. وأبو بكر محمد بن عُبَيد(٣) بن نصر بن الزَّاغُونيّ. وشيخ الشافعيّة أبو الحسن محمد بن المبارك بن الخَلّ. وأبو القاسم نصر بن نصر العُكْبَرِيّ الواعظ في ذي الحجّة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستّ أذرع وإحدى وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وإحدى عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الخامسة من خلافة الفائز بنصر الله على مصر

وهي سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة.

فيها آتّفق السلطان محمد شاه السّلْجوقيّ مع أخيه ملكشاه وأمدّه بعساكر، فسار إلى خُوزِسْتان وفتحها.

وفيها تُوفّي عبد الأوّل بن عيسى بن شعيب بن إبراهيم، أبو الوقت الهَرَوِيّ المنشأ السِّجْزِيّ(٤) الأصل. ومولده في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة. وحمله أبوه من هَرَاة

---

(١) ذكر زامباور في معجمه أن وفاة أبي القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه في شوال سنة ٥٢٥هـ. وحسب نفس المصدر يكون الذي جاء بعد السلطان سنجر هو محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه المتوفى سنة ٥٥٤هـ.

(٢) نسبة إلى «بيكند» بين بخارى وجيحون (معجم البلدان).

(٣) كذا في الشذرات ومعجم البلدان. وفي الأصل: «محمد بن عبد الله».

(٤) السجزّي: نسبة إلى سجستان. والهروي: نسبة إلى هراة.

إلى بُوشَنْج على عُنُقه، فسمع صحيح البخاري؛ وقدِم بغداد وطال عمره وحدّث وسمع منه خلائق وألحق الصِّغار بالكِبار. وكان كثير التعبّد والتهجّد. ومات ببغداد ودفِن بالشُّونِيزِيّة عن نيّف وتسعين سنة.

وفيها تُوفّي يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد، الشيخ أبو الفضل الحَصْكَفِيّ(١). وولد بطَنْزة (مدينة صغيرة بديار بكر) ونشأ بحصن كَيْفَا وآنتقل إلى ميّافارقين. وكان إماماً في كلّ فنّ، وله أدب وترسُّل وشعر. ومن شعره: [البسيط]

والله ولو كانت الدّنيا بأجمعها تُبْقِي علينا ويأتي رزقُها رَغَدَا
ما كان من حقّ حُرٍّ أن يَذِل لها فكيف وهي متاعٌ يَضمَحِلّ غدَا

قلت: وهذا الشعر تكلّم [به] الحَصْكَفيّ المذكور عن خاطري. وكثيراً ما كنت ألهج بهذا المعنى نثراً قبل أن أقف على هذين البيتين، فطابَقَا ما كان يخطُر ببالي، فلله درُّه!. ومن شعره أيضاً قوله: [البسيط]

على ذَوِي الحبّ آياتٌ مترجمةٌ تُبين من أجله عن كلّ مشتبه
عرفٌ يلوح وآثارٌ تلوح وأسـ ـرارٌ تبوح وأحشاءٌ تنوح به

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي أبو الوقت عبد الأوّل بن عيسى السِّجْزِيّ الصوفيّ في ذي القعدة، وله ستّ وتسعون سنة. وأبو مسعود عبد الجليل بن محمد كُوتاه الحافظ بأصبهان في شعبان. وعليّ بن عساكر بن سرور المَقْدِسِيّ الكَيّال(٢) بدِمَشق في شوّال عن ست وتسعين سنة. والعلاّمة أبو حفص عمر بن أحمد بن منصور النَّيسابوريّ الصّفّار يوم النحر.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع سواء. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وعشر أصابع.

* * *

(١) نسبة إلى حصن كيفا، بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر. (مراصد الاطلاع).

(٢) في الشذرات: «الخشّاب».

السنة السادسة من خلافة الفائز بنصر الله على مصر

وهي سنة أربع وخمسين وخمسمائة.

فيها غَرِقت بغداد(١) وصارت تِلالاً لا يَعرِف أحد موضع داره.

وفيها تُوفِّي عبد الواحد بن حُمَيْد بن مفرّج الدمشقيّ. كان أديباً شاعراً فصيحاً. ومن شعره قوله من أوّل قصيدة: [الرمل]

ظالِمِي في الحبّ أضحى حَكمي كيف لا يَـأْثم في سَفْـك دَمِي
كم كتمتُ الحبّ عن عـاذلتي حـذَرَ البيـن فلم ينكـتِم

وفيها تُوفّي السلطان محمد شاه بن محمود شاه [بن محمد شاه](٢) بن ملكشاه بن ألْب أرْسلان بن داود بن ميكائيل بن دقماق بن سَلْجوق، أبو نصر السلجوقي. قد تقدّم نبذةٌ كبيرة من ذكره في الحوادث. ولمّا حاصر بغداد كان مريضاً، وبلغه موت عمّه سِنْجَر شاه فزاد به المرض إلى أن مات على باب هَمَذان في ذي الحجّة. وآختلف الأمراء بعد موته؛ فمنهم من مال إلى أخيه ملكشاه، ومنهم من مال إلى سليمان شاه، ومنهم من مال إلى أرْسلان شاه؛ ثم آتفقوا على سليمان شاه. وكان محبوساً بالموصل؛ فجهّزه زين الدين صاحب الموصل بإشارة الملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكي المعروف بالشهيد؛ فأجلسوه على سرير الملك بهَمَذان. وكان قصدهم أن يأكلوا به البلاد، لأنّه كان مشغولاً باللّهو إلّا أنّه كان فاضلاً جَواداً مُشفقاً أميناً. وأما محمد شاه صاحب الترجمة فإنّه كان شاباً وعنده شجاعة وإقدام وكرم.

وفيها تُوفّي محمد(٣) بن أبي عَقامَة أبو عبد الله قاضي زَبِيد. كان حاكماً على اليمن، ولمّا تغلّب آبن مهدي(٤) على اليمن قتله وقتل ولده، وكانا فاضلين.

---

(١) ذكر ابن الأثير ذلك بتفصيل وافٍ. انظر حوادث سنة ٥٥٤هـ.

(٢) زيادة عن زامباور.

(٣) هو محمد بن عبد الله بن علي بن أبي عقامة، كما في تاريخ اليمن لعمارة اليمني: ص ٣١٢.

(٤) هو علي بن مهدي بن محمد الحميري الرعيني: القائم في اليمن. توفي سنة ٥٥٤هـ. (الأعلام: ٥/٢٥).

ومن شعر محمد هذا من أوّل قصيدة قوله: [البسيط]

للوجد عنكم روايـاتٌ وأخبـارُ وللعُـلا نحوكُم حـاجٌ وأوطـارُ
وحيث كنتم فثغرُ الرَّوْضِ مبتسمٌ وأين سِـرْتُمْ فدمعُ العين مِـدْرارُ
لله قـومٌ إذا حـلُّوا بـمـنـزلـةٍ حلّ النَّدَى ويسير الجود إن ساروا
تشتـاقكم كلُّ أرض تنزلون بهـا كـأنّكم لبقـاع الأرض أمـطار

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي أبو القاسم أحمد بن المبارك بن عبد الباقي الذهبيّ القَطّان. وأبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز العبّاسيّ المكيّ النقيب في شعبان. وأبو زيد جعفر بن زيد بن جامع الحَمَوِيّ صاحب «الرسالة»(١). وأبو عليّ الحسن بن جعفر [بن عبد الصمد](٢) بن المتوكّل.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وثماني عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعاً وإصبع واحدة.

* * *

السنة السابعة من خلافة الفائز بنصر الله على مصر

وهي سنة خمس وخمسين وخمسمائة.

على أنّ الفائز مات فيها في شهر رجب، وحكم في باقيها العاضد بالله عبد الله.

فيها في يوم الجمعة سلخ صفر أُرْجِف ببغداد بموت الخليفة المقتفي بالله العباسِيّ؛ فلمّا كان ثاني شهر ربيع الأوّل تحقّق الناس موته، ودُعِي الناس إلى بيعة وليّ العهد المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن محمد المقتفي، وتمّ ذلك وبُويع بالخلافة.

(١) هي «رسالة البرهان» كما في الشذرات وكشف الظنون.
(٢) زيادة عن الشذرات.

وفيها تُوفّي الحسن بن عليّ بن عبد الله بن أبـي جَرَادَة، أبو عليّ ثقةُ الملك الحلبـيّ الحنفيّ. نشأ بحلب ثم سافر إلى مصر، فتقدّم عند وزيرها الملك الصالـح طلائـع بـن رُزِّيك، وكان طلائـع المذكور يحترمه لفضله وبيته. ومات بمصر في هذه السنة ــ وقيل: في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ــ وكان إماماً بارعاً فصيحاً شاعراً. ومن شعره: [البسيط]

يـا صاحبـيَّ أطِيـلاَ في مؤانستي ... وذَكِّـراني بخـلاَّنـي وعُشَّـاقـي

وحـدِّثاني حـديثَ الخَيْفِ إنّ بـه ... رَوْحـاً لـرُوحي وتسهيـلاً لآمـاقي

وفيها تُوفّي حمزة بن أسد بن عليّ بن محمـد، أبو يَعْلى التميميّ العميـد الدمشقيّ، ويُعرف بآبن القَلانِسيّ. كان فاضلاً أديباً مترسلاً؛ جمـع تاريـخ دمشق وسماه الذيل، وذكر في أوّله طَرَفاً من أخبار المصريّين وبعض حوادث السنين. وقد نقلنا عنه نبذةً في هذا الكتاب. وكانت وفاته بدمشق في يوم الجمعة سابـع شهر ربيـع الأوّل، ودفن يوم السبت بقاسيون. ومن شعره: [الكامل]

إيـاك تَقْنَط عنـد كـلّ شديـدةً ... فشـدائـد الأيّـام سـوف تهـونُ

وآنـظُر أوائـل كـلِّ أمـر حـادث ... أبـداً فمـا هـو كـائنٌ سيكـون

وفيها تُوفّي الأمير قايماز الأرجواني، أمير الحاج. حـجّ غير مرّة بالناس. وكان شجاعاً عادلاً رفيقاً بالحاجّ محسناً إليهم. دخل مَيْدان دار الخلافة يلعب بالكرة فسقط من الفرس فمات، فحزن الخليفة عليه والناس؛ ثم أمر الخليفة أمراء الدولة أن يمشوا في جنازته. وكان حـجّ بالناس مدّة سنين.

وفيها تُوفّي الخليفة المقتفي بالله أمير المؤمنين أبو عبد الله محمد آبن الخليفة المستظهر بالله أحمد ابن المقتدي بالله عبد الله آبن الأمير محمد آبن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله ابن القادر بالله أحمد آبن الأمير إسحاق آبن الخليفة المقتدر بالله جعفر ابن المعتضد بالله أحمد آبن الأمير الموفَّق طلحة آبن الخليفة المتوكّل على الله جعفر آبن المعتصم محمد بن الرشيد هارون بن المهدي محمد بن أبـي جعفر المنصور بن محمد بـن عليّ بن عبد الله بن عباس الهاشميّ العباسيّ البغداديّ.

بُويـع بالخلافة بعد قتل ابن أخيه الراشد بالله في شهر رمضان سنة آثنتين وثلاثين وخمسمائة. ومولده في سنة تسع وثمانين وأربعمائة. وأمّه أمّ ولد تُدْعَى بُغْية النفوس ــوقيل: نسيمــ ومات في يوم الأحد ثاني شهر ربيـع الأوّل ودُفِن بداره بعد أن صُلِّي عليه بالمسجد. وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وواحداً وعشرين يوماً. ووَلِي الخلافة من بعده آبنه المستنجد يوسف. وكان إماماً عالماً أديباً شجاعاً حليماً دمِث الأخلاق كامل السُّودد، خليقاً بالخلافة قليل المِثل في الأئمة. رحمه الله تعالى.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي العميد أبو يَعْلَى حمزة بن أسد التميميّ ابن القَلانِسِيّ رئيس دمشق في عشر التسعين. وأبو يعلَى حمزة بن عليّ بن هبة الله بن الحُبُوبِيّ[١] الثعلبِيّ البزّاز في جمادى الأولى. وصاحب غَزْنة خُسْرُوشاه بن مسعود السُّبُكْتِكِينيّ. والفائز عيسى بن الظافر بن الحافظ العُبَيْديّ، أقاموه في الخلافة بمصر وله خمس سنين أو دونها، وكان يُصْرَع، فمات في رجب وبايعوا العاضد. وتُوفّي المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين محمد ابن المستظهر بالله ابن المقتدي في شهر ربيـع الأوّل وله ستّ وستون سنة، وكانت دولته خمساً وعشرين سنة، وأمه حبشيّة. وأبو المظفّر محمد بن أحمد بن التُّرَيْكيّ[٢] الهاشميّ. وأبو الفتوح محمد بن محمد بن عليّ الطائيّ الهمذانيّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وعشر أصابـع. مبلـغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وعشر أصابـع[٣].

(١) في الأصل: «الحنوي». وما أثبتناه من طبعة دار الكتب المصرية.

(٢) في الأصل: «الزمكي». وما أثبتناه عما سبق.

(٣) في كنز الدرر: «١٨ ذراعاً و ٧ أصابـع» وفي جدول كارتمير: «١٨ ذراعاً سواء».

ذكر خلافة العاضد[1] بالله على مصر

الخليفة أبو محمد عبد الله العاضد بالله آبن الأمير يوسف آبن الخليفة الحافظ بالله عبد المجيد آبن الأمير محمد آبن الخليفة المستنصر بالله مَعَدّ آبن الظاهر بالله عليّ بن الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله نِزار بن المعزّ لدين الله مَعَدّ بن المنصور إسماعيل ابن القائم بالله محمد بن المهديّ عبيد الله، الفاطميّ العُبيديّ، المغربيّ الأصل المصريّ، الحادي عشر من خلفاء بني عبيد بمصر، والرابع عشر بالثلاثة الذين وَلُوا بالمغرب: المهديّ والقائم والمنصور. وُلد سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وقيل سنة أربعين[2].

وقال قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلّكان ــ رحمه الله ــ: «وِلد يوم الثلاثاء لعشر بَقِين من المحرّم سنة سبع[3] وأربعين وخمسمائة، وبويع في رجب بعد موت آبن عمّه الفائز بنصر الله سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وهو آبن إحدى عشرة سنة وشهور. وكان أبوه يوسف أحد الأخوين اللذين قتلهما عبّاس الوزير بعد قتل الظافر». اِنتهى.

وقال أبو المظفّر بن قِزَأُوغْلي في تاريخه: «وتُوفّي (يعني العاضد) يوم عاشوراء وعمره ثلاث وعشرون سنة، فكانت أيّامه إحدى عشرة سنة. وآختلفوا في سبب وفاته

---

(١) ترجمته وأخباره في: وفيات الأعيان: ٣/١١٠ ــ ١١٢، وخطط المقريزي: ١/٣٥٧، واتعاظ الحنفا: ٢٨٧، وحسن المحاضرة: ٢/٢٢، وبدائع الزهور: ١/١/٢٣٠، وشذرات الذهب: ٤/٢٢٢، وابن الأثير: ١٠/٣٣ وغيرها من كتب التاريخ العام.

(٢) وقيل سنة ٥٤٦ و٥٤٣ (الأعلام: ٤/١٤٧).

(٣) الذي في ابن خلكان: سنة ٥٤٦هـ.

على أقوال. أحدها أنّه تفكّر في أموره فرآها في إدبار فأصابه ذَرَبٌ عظيم فمات منه. والثاني أنّه لمّا خُطِب لبني العباس بلغه فآغتمّ ومات؛ وقيل: إنّ أهله أخْفَوْا عنه ذلك، وقالوا: إن سَلِم فهو يعلم، وإن مات فلا ينبغي أن ننغّص عليه هذه الأيام التي بَقِيت من عمره. والثالث أنّه لمّا أيقن بزوال دولته كان في يده خاتم، له فصّ مسموم فمصّه فمات منه. وجلس صلاح الدين في عَزَائه ومشى في جنازته وتولّى غسله وتكفينه، ودفنه عند أهله. وآستولى السلطان صلاح الدين على ما في القصر من الأموال والذخائر والتُّحَف والجواهر والعبيد والخدم والخيل والمتاع وغيره. وكان في القصر من الجواهر النفيسة ما لم يكن عند خليفة ولا ملك، مما كان قد جُمع في طول السنين. فمنه: القضيب الزُّمُرُّد وطوله قبضة ونصف، والجبل[1] الياقوت الأحمر، والدرّة اليتيمة مثل بيض الحمام، والياقوتة الحمراء وتسمّى الحافر، وزنتها أربعة عشر مثقالاً. ومن الكتب المنتخبة بالخطوط النفيسة مائة ألف مجلد. ووجد عمامة القائم وطيلسانه؛ كان البَسَاسِيريّ بعث بهما إلى المستنصر» (يعني لمّا آستولى البساسيريّ على بغداد، وأَسَرَ الخليفة القائم العباسيّ، وخطب ببغداد للمستنصر من بني عبيد، ثم بعث بعمامة القائم وطيلسانه، فأخذوهما خلفاء مصر فآحتفظوا عليهما، نوعاً من النكاية في بني العبّاس؛ فهذا شرح قول أبي المظفّر من عمامة القائم والطيلسان). قال: «ووجدوا أموالاً لا تُحدّ ولا تُحصى. وأفرد صلاح الدين أهل العاضد ناحية عن القصر، وأجرى عليهم جميع ما يحتاجون إليه، وسلّمهم إلى الخادم قراقوش؛ فعزل الرجال عن النساء وآحتاط عليهم.

وممّا وُجد في خزانة العاضد طبل القُولَنْج الذي صُنع للظافر، وكان مَن ضربه خرج منه ريحٌ وآستراح من القُولَنْج ــ قلت: قد تقدّم الكلام قبل ذلك على هذا الطبل في محلّه ــ. قال: «فوقع الطبل إلى بعض الأكراد فلم يدر ما هو فكسره، لأنّه ضرب عليه فخرج منه ريح فحنِق وضربه وكسره.

قال: «وفرّق صلاح الدين الأموال التي أخذها من القصر في العساكر، وباع

(١) في الأصل: «والجمل». وما أثبتناه عن الذهبي وابن الأثير.

بعض الجواري والعبيد، وأعطى للقاضي الفاضل من الكتب ما أراد، وبعث إلى نور الدين بعمامة القائم وطيلسانه وهدايا وتُحَف وطِيب ومائة ألف دينار. وكان نور الدين بحلب فلمّا حضرت بين يديه قال: والله ما كان لي حاجة إلى هذا؛ ما وصل إلينا عشر معشار ما أنفقناه على العساكر التي جهّزناها إلى مصر، وما قصدنا بفتحها إلّا فتح الساحل، [وقلع الكفّار منه][1]. وآنقضت أيام الخلفاء المصريّين بوفاة العاضد، وعدتهم أربعة عشر على عدد بني أمية، إلّا أنّ أيّامهم طالت فملكوا مائتين وثماني سنين، وبنو أمية ملكوا نيفاً وتسعين سنة. قال: وأوّل المصريّين عُبَيْد الله الملقّب بالمهديّ».

قلت: ليس هو كما قال: إنّ عبيد الله أوّل خلفاء المصريّين، وإنما أوّلهم المُعِزّ لدين الله مَعَدّ. نعم إن كان قصد بأن يكون أوّلهم ممّن دُعِيَ له على المنابر بالمغرب وأُطلق عليه آسم الخليفة فيكون، وأمّا أنّه ملك مصر فلا. ويأتي بيان ذلك. وقد تقدّم أيضاً في ترجمة المعزّ وغيره.

قال أبو المظفّر: «قال آبن عبد البرّ[2]: هو عُبَيْد الله بن محمد بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ــ عليه السلام ــ. والثاني آبنه أبو القاسم محمد ويلقّب بالقائم بأمر الله، والثالث آبنه إسماعيل ويلقّب بالمنصور، والرابع آبنه معدّ ويلقّب بالمُعِزّ لدين الله».

ــ قلت: وهذا المعز هو الذي تقدّم ذكره أنّه أوّل من ولي مصر من بني عُبَيد وبَنَى له جوهرٌ القائد القاهرة، وهو أوّل خليفة سكن مصر من بني عُبَيد؛ ولهذا كنا نقول في تراجمهم الأوّل من خلفاء مصر والرابع ممن وَلي من آبائه بالمغرب، وعلى هذا سلكنا في تراجمهم ــ.

قال: والخامس آبنه نِزار ويلقّب بالعزيز بالله، والسادس آبنه منصور ويلقب

---

(١) زيادة من طبعة دار الكتب المصرية عن مرآة الزمان.

(٢) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ النمري القرطبي المالكي المتوفى سنة ٤٦٣هـ. حافظ مؤرخ أديب رحالة. (الأعلام: ٨/٢٤٠).

بالحاكم بأمر الله، والسابع آبنه عليّ ويلقّب بالظاهر لدين الله، والثامن آبنه مَعَدّ ويلقّب بالمستنصر بالله وقد وَلِي ستين سنة، والتاسع أبو القاسم أحمد ويلقّب بالمستعلي، والعاشر آبنه منصور ويلقّب بالآمر بأحكام الله، وآنقطع نسله، وولي آبن عمّه أبو الميمون عبد المجيد بن أبي القاسم بن المستنصر [ويلقّب بالحافظ لدين الله](١) وهو الحادي عشر، والثاني عشر ولده إسماعيل ويلقّب بالظافر، والثالث عشر أبو القاسم عيسى ويلقّب بالفائز بنصر الله، والرابع عشر عبد الله بن يوسف بن الحافظ ويلقّب بالعاضد». إنتهى كلام صاحب مرآة الزمان وغيره.

قلت: (فائدة جليلة) لم يَلِ الخلافة أحد من الفاطميّين بعد أخيه، وهذا لم يقع لغيرهم. وأمّا عدد خلفاء بني أمية فهم كما قال: أربعة عشر، لكنه ما عدّهم، فنقول: هم معاوية بن أبي سُفْيان، ثم آبنه يزيد بن معاوية، ثم آبنه معاوية بن يزيد، ثم مَرْوان بن الحَكَم، ثم آبنه عبد الملك بن مروان، ثم آبنه الوليد ابن عبد الملك، ثم أخوه سليمان بن عبد الملك، ثم آبن عمّه عمر بن عبد العزيز بن مروان، ثم يزيد بن عبد الملك، ثم أخوه هشام بن عبد الملك ثم الوليد الفاسق ابن يزيد بن عبد الملك، ثم آبن عمّه يزيد بن الوليد بن عبد الملك، المعروف بالناقص، ثم أخوه إبراهيم، ثم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم المعروف بالحمار؛ وهو آخرهم، قُتل بسيف بني العباس. وقد خرجنا عن المقصود ولنعد إلى ترجمة العاضد وما يتعلّق به.

قلت: وكان وزير العاضد شاوَر. وشاور هذا هو الذي وقع له مع الأمير أسد الدين شِيرِكُوه الآتي ذكره ما وقع. يأتي ذلك كلّه في ترجمة آبن أخيه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب مفصّلاً؛ لكن نذكر هنا من أحوال شاوَر المذكور نبذة كبيرة ليكون الناظر بعد ذلك فيما يأتي على بصيرةٍ بترجمة شاوَر المذكور.

وكان شاوَر قد وزر للعاضد بعد قتل رُزِّيك ابن الملك الصالح طلائع بن رُزِّيك. وكان دخوله إلى القاهرة من قُوص في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة لمّا

(١) زيادة من طبعة دار الكتب المصرية عن مرآة الزمان.

ملكها رُزِّيك، ودخل معه خلق كثير ونزل بدار سعيد السعداء، ودخل معه أولاده طيىء وشجاع. فلما وزر زاد الأجنادَ على ما كان لهم عشر مرّات. وكان يجلس والأبواب مغلّقة عليه خِيفةً من حواشي رُزِّيك. وكان رزِّيك أنشأ أمراء يقال لهم البرقية، ويقال لكبيرهم ضِرْغام. فولّى شاوَر ضرغاماً المذكور الباب، وكان فارساً شجاعاً، جمع على شاوَر حتى أخرجه من القاهرة وقتل ولده الأكبر المسمى بطيىء، وبقي آبنه شجاع المنعوت بالكامل. فسار شاور إلى الشام، وآستنجد بالملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكِي بن آق سُنقُر المعروف بالشهيد؛ فأرسل معه الملك العادل أحد أُمرائه وهو الأمير أسد الدين شِيرِكُوه بن شادي. يأتي ذكر ذلك كلّه في آخر هذه الترجمة، وأيضاً في ترجمة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب بأوسع من هذا، بعد أن نذكر أقوال جماعةٍ من المؤرّخين في حقّ العاضد هذا وأحواله.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ في تاريخ الإسلام ــ بعد ما ساق نسبته إلى أن قال ــ: العُبَيْديّ الرافضيّ الذي زعم هو وبيته أنّهم فاطميّون، وهو آخر خلفاء مصر. ولد سنة ستّ وأربعين وخمسمائة في أوّلها. فلمّا هلك الفائز آبنُ عمِّه وآستولى الملك الصالح طلائع بن رُزِّيك الديار المصريّة، بايع العاضدَ وأقامه صورة؛ وكان كالمحجور عليه لا يتصرّف في كلّ ما يريد، ومع هذا كان رافضيّاً سبّاباً خبيثاً.

قال آبن خلّكان: كان إذا رأى سُنّيّاً آستحلّ دمه. وسار وزيره الملك الصالح طلائع بن رُزِّيك بسيرة مذمومة، وآحتكر الغَلّات فغلت الأسعار، وقَتَل أمراء الدولة خِيفةً منهم، وأضعف أحوال دولتهم، فقَتَل ذوي الرأي والبأس وصادر أولي الثروة. وفي أيام العاضد ورد حسين بن نزار بن المستنصر العُبَيْديّ من المغرب وقد جمع وحشد؛ فلمّا قارب مصر غَدَر به أصحابه وقبضوا عليه وأتَوْا به إلى العاضد فذبحه صَبْراً في سنة سبع وخمسين. ثم قَتَل العاضد طلائع بن رُزِّيك ووزر له شاوَر؛ فكان سبب خراب دياره؛ ودخل أسد الدين إلى ديار مصر وقَتَل شاوَر، ومات أسد الدين شِيرِكُوه وقام في الأمر آبن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب، وتمكّن في المملكة. إنتهى.

وقال القاضي جمال الدين بن واصل[١]: حَكَى لي الأميرُ حُسام الدين بن أبـي عليّ قال: كان جَدّي في خدمة صلاح الدِّين، فحكى أنّه لمّا وقعت هذه الواقعة (يعني وقعة السودان بالقاهرة) التي زالت دولتهم فيها، وزالت آل عبيد من مصر (يأتي ذكر هذه الواقعة في آخر ترجمة العاضد إن شاء الله تعالى) قال: وشرع صلاح الدين يطلب من العاضد أشياء من الخيل والرقيق والأموال ليتقوى بذلك. قال: فسيّرني يوماً إلى العاضد أطلب منه فرساً ولم يبق عنده إلاّ فرس واحد، فأتيتُه وهو راكب في البستان المعروف بالكافوريّ الذي يلي القصر، فقلت: السلطان صلاح الدين يسلّم عليك ويطلب منك فرساً؛ فقال: ما عندي إلاّ الفرس الذي أنا راكبه، ونزل عنه وشقَّ خُفَّيْه ورمى بهما وسلّم إليّ الفرس، فأتيت به صلاح الدين، ولزم العاضد بيته. وآشتغل صلاح الدين بالأمر وبقي العاضد معه صورة إلى أن خلعه وخطب في حياته لأمير المؤمنين المستضيء بأمر الله العبّاسيّ؛ وأزال الله تلك الدولة المخذولة. اِنتهى.

وقال الشيخ شِهاب الدين أبو شامة[٢]: اِجتمعتُ بـالأمير أبـي الفتـوح بن العاضد وهو مسجون مقيد في سنة ثمان وعشرين وستمائة، فحكى لي أن أباه في مرضه آستدعى صلاح الدين فحضر، فأحضرونا (يعني أولاده) ونحن صِغار فأوصاه بنا، فالتزم إكرامنا وآحترامنا. ثم قال أبو شامة: وهم أربعة عشر خليفة وعدّهم نحواً ممّا ذكرناه، إلى أن قال: ويدّعون الشرف، ونسبتُهم إلى مجوسيّ أو يهوديّ، حتّى آشتهر لهم ذلك بين العوامّ، فصاروا يقولون الدولة الفاطميّة والدولة العلويّة، وإنما هي الدولة اليهودية والمجوسية الملحدة الباطنيّة. قال: وقد ذكر ذلك جماعة من العلماء الأكابر [و] أنهم لم يكونوا لذلك أهلاً ولا نسبهم صحيحاً بل المعروف أنهم

---

(١) هو القاضي جمال الدين بن واصل، محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم، أبو عبد الله الحموي صاحب كتاب «مفرّج الكروب في أخبار بني أيوب». توفي سنة ٦٩٧هـ. (الأعلام: ٦/١٣٣).

(٢) هو أبو القاسم، شهاب الدين، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، صاحب «كتاب الروضتين في أخبار الدولتين: الصلاحية والنورية» و«ذيل الروضتين». توفي سنة ٦٦٥هـ. (الأعلام: ٣/٢٩٩).

بنو عُبَيد، وكان والد عُبَيد هذا من نسل القدّاح المُلحد المجوسيّ. قال: وقيل إن والد عبيد هذا كان يهوديّاً من أهل سَلَمْيَةَ وكان جَواداً. وعبيد كان آسمه سعيداً، فلمّا دخل المغرب تَسمَّى بعبيد الله وآدّعى نسباً ليس بصحيح، قال ذلك جماعة من علماء الأنساب. ثم ترقّت به الحال إلى أن ملك المغرب وبنى المَهْدِيّة وتلقّب بالمهديّ؛ وكان زِنديقاً خبيثاً عدوّاً للإسلام، من أوّل دولتهم إلى آخرها، وذلك من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين إلى سنة سبع وستين وخمسمائة. وقد بيّن نسبهم جماعة مثل القاضي أبي بكر الباقلاني، فإنّه كشف في أوّل كتابه المسمّى بـ«كشف أسرار الباطنية» عن بطلان نسب هؤلاء إلى عليّ ــ رضي الله عنه ــ، وكذلك القاضي عبد الجبار بن أحمد آستقصى الكلام في أصولهم. اِنتهى.

قلت. وقد ذكرنا نوعاً من ذلك في عدّة تراجم من هذا الكتاب من بني عُبَيْد المذكورين، وفي المحْضَر المكتَتَب من جهة الخليفة القائم بأمر الله العبّاسيّ وغيره.

وقال بعضهم: كانت وفاة العاضد في يوم عاشوراء بعد إقامة الخطبة بيُويمات قليلة في أوّل جمَعة من المحرّم لأمير المؤمنين المستضيء بالله، والعاضد آخر خلفاء مصر؛ فلمّا كانت الجمعة الثانية خُطب بالقاهرة أيضاً للمستضيء بسائر الجوامع، ورجعت الدعوة العبّاسيّة بعد أن كانت قد قُطعت بها (أعني الديار المصريّة وأعمالها) أكثر من مائتي سنة. وتسلّم السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب قصر الخلافة، وآستولى على ما كان به من الأموال والذخائر، وكانت عظيمة الوصف، وقَبَض على أولاد العاضد وحبسهم في مكان واحد بالقصر، وأجرى عليهم ما يموّنهم وعفّى آثارهم، وقَمعَ مواليهم وسائر نسائهم. قال: وكانت هذه الفعلة من أشرف أفعاله، فلنعم ما فعل؛ فإنّ هؤلاء كانوا باطنيّين زنادقة دعَوْا إلى مذهب التناسخ وآعتقاد حلول الجزء الإلهي في أشباحهم. وقد قال الحاكم لداعيه: كم في جريدتك؟ قال ستة عشر ألفاً يعتقدون أنّك الإله. وقال قائلهم ــ وأظنّه في الحاكم[1] بأمر الله ــ: [الكامل]

---

(١) هذا البيت لابن هانىء الأندلسي المتوفى سنة ٣٦١هـ. وقد قاله في المعز لدين الله لا في الحاكم.

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ فآحكُمْ فأنت الواحد القهّارُ

قال: فلعن الله المَدّاح والممدوح؛ فليس هذا في القبح إلّا كقول فرعون: أنا ربّكم الأعلى. وقال الحافظ شمس الدين الذهبيّ: وقال بعض شعرائهم في المهديّ ــ وهو غاية في الكفر ــ: [مخلّع البسيط]

حلّ بَرقّادةَ المسيحُ حلّ بها آدم ونوحُ
حلّ بها الله في عُلاه وما سوى الله فهو ريح[1]

قال: وهذا أعظم كفراً من النصارى؛ لأنّ النصارى يزعمون أن الجزء الإلهي حلّ بناسوت عيسى فقط، وهؤلاء يعتقدون حلوله في جسد آدم ونوح والأنبياء وجميع الأمة. هذا آعتقادهم. لعنهم الله!.

وقال القاضي شمس الدين بن خلّكان ــ رحمه الله ــ: سمعت جماعة من المصريّين يقولون: هؤلاء القوم في أوائل دولتهم قالوا لبعض العلماء: أُكتب لنا ألقاباً في ورقة تصلح للخلفاء، حتى إذا تولّى واحد لقّبوه ببعض تلك الألقاب. فكتب لهم ألقاباً كثيرة، وآخر ما كتب في الورقة العاضد؛ فآتّفق أنّ آخر من وَلِي منهم تلقب بالعاضد. وهذا من عجيب الآتّفاق. وأخبرني أحد علماء المصريّين أيضاً: أنّ العاضد المذكور في آخر دولته رأى في منامه أنّه بمدينة مصر، وقد خرجت إليه عقربٌ من مسجد هو معروف بها، فلدغته. فلما آستيقظ آرتاع لذلك فطلب بعض معبِّري الرؤيا وقصّ عليه المنام؛ فقال: ينالك مكروه من شخص هو مقيم بالمسجد. فطلب والي مصر وقال له: اكشف عمّن هو مقيم بالمسجد الفلانيّ ــ وكان العاضد قد رأى ذلك المسجد ــ فإذا رأيت أحداً أحْضِرْه إليّ. فمضى الوالي إلى المسجد فوجد به رجلاً صوفياً، فأخذه ودخل به إلى العاضد. فلمّا رآه سأله من

(١) رواية معجم البلدان، في الكلام على رقّادة:
حلّ بها الله ذو المعالي وكل شيء سواه ريح

أين هو، ومتى قدم البلاد، وفي أيّ شيء قدِم؟ [وهو يجاوبه عن كلّ سؤال][(١)]. فلمّا ظهر منه ضعف الحال والصدق والعجز عن إيصال المكروه إليه أعطاه شيئاً وقال له: يا شيخ، أُدع لنا؛ وخلّى سبيله؛ وخرج من عنده وعاد إلى المسجد. فلمّا آستولى السلطان صلاح الدِّين على الديار المصريّة وعزم على قبض العاضد [وأشياعه][(١)] وآستفتى الفقهاء [وأفتوه][(١)] بجواز ذلك لِما كان عليه من آنحلال العقيدة وفسادِ الاعتقاد وكثرة الوقوع في الصحابة والاشتهار بذلك، فكان أكثرهم مبالغة في الفُتْيَا الصوفيّ المقيم بالمسجد، وهو الشيخ نجم الدين الخُبُوشانيّ[(٢)]. اِنتهى كلام آبن خلّكان.

ولمّا آستولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، كتب إلى الوزير ببغداد على يد شمس الدين محمد بن المُحَسِّن بن الحسين بن أبي المَضَاء[(٣)] البعلبكّيّ الذي خطب أوّل شيء بمصر لبني العبّاس بإشارة السلطان صلاح الدين؛ وكان الكتاب من إنشاء القاضي الفاضل عبد الرحيم البَيْسَانِيّ، وكان ممّا فيه:

«وقد توالت الفتوح غرباً ويمناً وشاماً، وصارت البلاد [بل الدنيا][(٤)] والشهر بل الدهر حرماً حراماً، وأضحى الدِّين واحداً بعد ما كان أدياناً، والخلافة إذا ذُكِّر بها أهلُ الخلاف لم يَخِرُّوا عليها صُمًّا وعُمياناً؛ والبدعة خاشعة، والجمعة جامعة، والمذلّة في شِيَع الضلال شائعة؛ وذلك بأنّهم آتخذوا عباد الله من دونه أولياء،

---

(١) الزيادة عن ابن خلكان.

(٢) هو أبو البركات محمد بن الموفق بن سعيد بن علي بن الحسن بن عبد الله الخبوشاني الملقب بنجم الدين الفقيه الشافعي. توفي سنة ٥٨٧هـ. (وفيات الأعيان: ٤/٢٣٩).

(٣) في الأصل: «ابن أبي الصفاء» والتصحيح عن كتاب الروضتين.

(٤) زيادة عن الروضتين.

وسَمُّوا أعداء الله أصفياء؛ وتقطّعوا أمْرهم [بينهم][1] شيَعاً، وفرّقوا أمر الأمة وكان مجتمعاً؛ وكذّبوا بالنار فعُجّلت لهم نارُ الحتوف، ونَثَرت أقلامُ الظُّبَا حروفَ رؤوسهم نَثْرَ الأقلام للحروف؛ ومُزِّقوا كلَّ مُمَزَّق، وأُخِذَ منهم كلُّ مُخَنَّق، وقُطِع دابُرهم، ووَعَظ آئبَهم غابرُهم، ورُغِمتْ أنوفهم ومنابرهم؛ وحقّت عليهم الكلمة تشريداً وقتلاً، وتمّت كلمات ربّك صِدْقاً وعدلاً. وليس السيف عمّن سواهم من [كفّار][1] الفرنـج بصائم، ولا اللّيل عن السير إليهم بنائم. ولا خفاء عن المجلِس الصاحبيِّ أنّ مَنْ شَدَّ عَقْدَ خلافة وحلّ [عقد][1] خلاف، وقام بدولة وقعد بأخرى قد عجز عنها الأخلاف والأسلاف؛ فإنّه مفتقرٌ إلى أن يُشْكَرَ ما نَصَـح، ويُقلَّد ما فَتَـحَ، ويُبَلَّـغ ما آقترح، ويُقَدَّم حقُّه ولا يُطَّرَح، ويُقَرَّب مكانُه وإن نَـزَح؛ وتأتيـه التشريفـات الشريفة. ــ ثم قال بعد كلام آخر ــ: وقـد أنهض لإيصال ملطّفـاته، وتنجيـز تشريفاته[2]؛ خطيبَ الخطباء بمصر، وهو الذي آختاره بمصر لصعود المنبر، وقام بالأمر قيامَ مَنْ بَرّ. وآستفتـح بُلبْس السواد الأعظم، الذي جمـع الله عليه السواد الأعظم».

ثم كتب السلطان صلاح الدِّين إلى الملك العادل نور الدين يطلب منه أباه وأقاربه. ويأتي ذلك كلُّه في ترجمة صلاح الدين مفصَّلاً، إن شاء الله تعالى. وقد ذكرنا أقوال جماعة من العلماء والمؤرخين في أحوال العاضد وتوليته ووفاته ونسبه. والآن نذكر الأسباب التي كانت سبباً لذهاب ملك العاضد وزوال دولة الفاطميّين بني عُبَيد من ديار مصر، وآبتداء ملك بني أيّوب على سبيل الاختصار مجملاً. وقد ذكرنا ذلك كلّه في التراجم والحوادث على عادة سياق هذا الكتاب من أوّله إلى آخره؛ غير أنّ الذي نذكره هنا متعلّق بالوزراء وكيفيّة آنفصال الدولة الفاطمية وآتّصال الدولة الأيّوبيّة.

فأوّل الأمر قَتل العاضدُ وزيرَه الملك الصالـح طلائـع بن رُزِّيك، وكنيته أبو الغارات الأرمنيّ الأصل. أقام وزيراً بمصر سبـع سنين؛ وقد ذكرنا آبتداء أمره في

(١) زيادة عن الروضتين.

(٢) في الأصل: «وتنجز مشرفاته». وما أثبتناه عن الروضتين.

آخر ترجمة الظافر وأوّل ترجمة الفائز؛ وكان الفائز معه كالمحجور عليه. ولمّا مات الفائز أقام العاضدَ هذا في الخلافة، وتولّى تدبير ملكه على عادته، وولّى شاوَر بن مجير[1] السعديّ الصعيدَ. ثم ثَقُل طلائـع هذا على العاضد فدبَّر في قتله. فلمّا كان عاشر شهر رجب سنة ستّ وخمسين وخمسمائة حضر الصالـح طلائـع إلى قصر الخلافة، فوثب عليه باطنيٌّ فضربه بسكّين في رأسه، ثم في تَرْقُوَته فحمِل إلى داره، وقُتِل الباطني. ومات الملك الصالـح طلائـع بن رُزِّيك من الغد، فحزِن الناس عليه لحسن سِيرته، وأُقيم المأتم عليه بالقصر وبالقاهرة ومصر. وكان جَواداً ممدّحاً فاضلاً شاعراً كثير الصدقات حسن الآثار؛ بنى جامعاً خارج بابـي زويلة يعرف بجامـع[2] الصالـح، وآخر بالقرافة[3] وتربة[4] إلى جانبه، وهو مدفون بها. وقام بعده في الوزر ابنه رُزِّيك بن طلائـع بـن رزيك، ولُقِّب بمجد الإسلام. وفرح العاضد بقتل طلائـع المذكور إلى الغاية، وكان في ذلك عكسه؛ على ما يأتي: وهو أن رُزِّيك لمّا وزر مكان والده طلائـع سار على سِيرة أبيه، فلم يحسُن ذلك ببال العاضد، فأحبّ ذهابَه أيضاً ليستبدّ بالأمور من غير وزير؛ فدسّ إلى شاورَ، فتحرّك شاور بن مُجير السعديّ من بلاد الصعيد وجمـع أوباش الصعيد من العبيد والأوغاد، وقدِم إلى القاهرة تَحْراباً لرُزِّيك. فخرج إليه رزيك بن طلائـع وقاتله والعاضد في الباطن مـع شاوَر، فآنهزم رزّيك. ودخل شاور إلى القاهرة وملكها وأخرب دور الوزارة ودور بني رزِّيك؛

---

(١) في الأصل: «شاور بن محمد». راجع ص ٣٠٢، حاشية (١).

(٢) راجـع ص ٢٨٢، حاشية (٢).

(٣) قال المقريزي: مسجد الصالـح الذي بناه الصالـح طلائع بن رزّيك وزير مصر كان بخط جامـع القرافة الذي عرف باسم جامـع الأولياء. (خطط: ٢/٤٤٧).
والقرافة هي مقبرة أهل مصر. فما كان منها في سفح الجبل يقال له القرافة الصغرى، وما كان منها في شرقي مصر يقال له القرافة الكبرى. (خطط: ٢/٤٤٢).
وهذا الجامـع يعرف اليوم باسم حوش أبي علي؛ وقد زال ولم يبق منه إلا آثار بعض جدرانه. وموقعه في الجنوب الشرقي لمسجد قديم يعرف اليوم بحوش خضراء الشريفة، آثاره قائمة في الفضاء الواقـع بين جبانة سيدي عقبة ومصر القديمة. ومن هذا الوصف يتبين أن مسجد الصالح كان واقعاً في ذلك الفضاء بالقرب من حوش خضراء الشريفة. (محمد رمزي).

(٤) تربة الصالـح طلائـع بن رزّيك: موقعها بجوار حوش أبي علي من الجهة الغربية. (راجـع الحاشية السابقة).

وآختفى الوزير رزّيك المذكور إلى أن ظَفِر به شاور وقتله. يأتي بعض ذكر ذلك في الحوادث كلّ واحد على حدته.

وتولّى شاوَر الوزارة، فعامل العاضد بأفعال قبيحة وأساء السِّيرة في الرعيّة، وأخذ أمر مصر في وزارته في إدبار. ولمّا كثُر ظلمه خرج عليه أبو الأشبال ضِرْغام بن عامر[١] من الصعيد ــ وقيل من مصر ــ وحشد. فخرج إليه شاور بدَسْته فهزمه ضِرْغام، وقُتل ولده الأكبر طيىء؛ وخذَل أهلُ القاهرة شاوَر لبغضهم له. فهرب شاور إلى الشام ودخل إلى السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكي المعروف بالشهيد؛ فالتقاه نور الدين وأكرمه. فطلب شاور منه النجدة والعساكر وأطمعه في الديار المصرية، وقال له: أكون نائبك بها، وأقنَعُ بما تعيَّن لي من الضِّياع والباقي لك. فأجابه نور الدين لذلك وجهّز له العساكر مع الأمير أسد الدين شِيرِكُوه بن شادِي الكُرْدِيّ، أحد أمراء نور الدين. وخرجوا من دمشق في العشرين من جمادى سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وكان مع أسد الدين شِيرِكوه آبن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيّوب في خدمته. فلمّا وصلوا إلى القاهرة خرج إليهم أبو الأشبال ضِرْغام بن عامر بن[٢] سوار، فحاربهم أيّاماً ووقع بينهم حروب وأمور يطول شرحها، إلى أن آلتقَوْا على باب القاهرة؛ فحَمَل ضِرْغام بنفسه في أوائل الناس فطُعِن وقُتِل، وآستقام أمر شاوَر. فكانت وزارة ضِرْغام تسعة أشهر. وآستولى شاوَر ثانياً على القاهرة. وكان خبيثاً سفّاكاً للدماء. ولمّا ثبت أمره ظهر منه أمارات الغَدْر بأسد الدِّين شِيرِكُوه. فأشار صلاح الدين يوسف بن أيّوب على عمّه أسد الدين شيركوه بالتأخّر إلى بلبيس[٣]. وكان أسد الدين لا يقطع أمراً دون صلاح الدين،

(١) في الأصل: «ضرغام بن ثعلبة» والتصحيح عن الوزارة في العصر الفاطمي. وهو ضرغام بن عامر بن سوار اللخمي، أبو الأشبال. تولى الوزارة من رمضان سنة ٥٥٨هـ حتى آخر جمادى الآخرة سنة ٥٥٩هـ.

(٢) في الأصل: «ضرغام من أسوان». وفي شفاء القلوب في مناقب بني أيوب: ٢٦ «ووصل أسد الدين بلبيس، فخرج إليه ناصر الدين أخو الضرغام، فهزمه أسد الدين إلى القاهرة، فقاتله جند القاهرة. ثم هزمهم أسد الدين آخر النهار وأحرق نواحي القاهرة. وبقي الضرغام متحيراً، ثم قتل عند مشهد السيدة نفيسة، وحمل رأسه على رمح».

(٣) بلبيس: من المدن المصرية القديمة. تقع على الشاطىء الغربي لترعة الإسماعيلية من حدود الصحراء الشرقية. وهي اليوم قاعدة مركز بلبيس. (محمد رمزي).

ففعل ذلك وخرج إلى بلبيس، وبعث أسد الدين يطلب من شاوَر رزق الجند (أعني النفقة) فآعتذر وتعلّل عليه. فكتب أسد الدين إلى نور الدين يخُبره بما جرى، ودسّ شاوَر إلى الفرنـج رُسلاً يدعوهم إلى مصر ويبذُل لهم الأموال، فآجتمـع الفرنـج من الساحل وساروا من الدَّارُوم[1] متّفقين مـع شاوَر على أسد الدين شيركـوه. فتهّيأ أسد الدين لحربهم وحاربهم فقَوِي الفرنـج عليه وحاصروه بمدينة بلبيس نحو شهرين حتّى صالحهم أسد الدين على مال. وكان حصارهم له من أوّل شهر رمضان إلى ذي القعدة. ووقـع بينهـم حروب وأمور حتى بلغهم أنّ نور الدين الشهيد قصد بلادهم من الشام؛ فعند ذلك رجعت الفرنـج وصالحوا أسد الدين شِيرِكُوه، فعاد أسد الدين إلى الشام وهو في غاية من القهر[2].

وأقام شاوَر بالقاهرة على عادته يظلِم ويقتُل ويصادر الناس، ولم يبق للعاضد معه أمر ولا نهي. وأقام أسد الدين بدمشق في خدمة نور الدين إلى سنة آثنتين وستين، فعاد بعساكر الشام إلى مصر ثانياً. وسببه أنّ العاضد لَمّا غلب عليه شاوَر كتب إلى نور الدين يستنجده على شاور وأنّه قد آستبدّ بالأمر وظلم وسفك الدم. وكان في قلب نور الدين من شاور حرازة لكونه غَدَر بأسد الدين شِيرِكُوه وآستنجد عليه بالفرنـج. فخرج أسد الدين بعساكر الشام من دمشق في منتصف شهر ربيـع الأوّل من سنة آثنتين وستين المذكورة، وسار أسد الدين ومعه آبن أخيه صلاح الدين

(١) الداروم: قلعة بعد غزة للداخل إلى مصر. (معجم البلدان).

(٢) سياق الخبر في «شفاء القلوب» مختلف عما هنا. وفيه تفاصيل يحسن ذكرها. قال: «. . وتحصّن أسد الدين ببلبيس شهرين، وهو يغاديهم القتال ويراوحهم، ولم يبلغوا منه غرضاً. فبينا هم كذلك إذ أتاهم الخبر بهزيمة الفرنـج بحارم ومسير نور الدين إلى بانياس. فلما سمـع الفرنـج بالهزيمة، سقط في أيديهم، وأرادوا العودة إلى بلادهم ليحفظوها، وراسلوا أسد الدين في الصلـح. فأجابهم، ولم يعلم ما فعل نور الدين. وخرج أسد الدين من بلبيس في ذي الحجة. قال بعضهم: رأيته يوم خرج، وقد قدم أصحابه بين يديه، وبيده لِتّ حديد، والمسلمون والفرنـج تنظر إليه. فأتاه فرنجي فقال له: أما تخاف غدر هؤلاء، وقد أحاطوا بك. فقال: يا ليتهم فعلوا. كنت والله أضع فيهم السيف فلا أقتل حتى أقتل رجالاً؛ ثم يقصدهم الملك العادل فيفني من بقي منهم. ووالله لو طاوعني هؤلاء لخرجت إليهم أول يوم. فصلّب الفرنجي على وجهه وقال: كنا نعجب من فرنـج هذه الديار ومبالغتهم في وصفكم؛ والآن قـد عذرناهم.»

يوسف بن أيّوب حتّى نزل برّ الجيزة[١] غربيّ مصر على بحر النيل. وكان شاوَر قد أعطى الفرنـج الأموال وأقطعهم الإقطاعات وأنزلهم دور القاهرة وبنى لهم أسواقاً تخصُّهم. وكان مقدِّم الفرنـج الملك مُرِّي[٢] وٱبن نيرزان. فأقام أسد الدين على الجيزة شهرين، وعدّى إلى برّ مصر والقاهرة في خامس عشرين جمادى الآخرة، وخرج إليه شاوَر والفرنـج. ورتّب شاور عساكره، فجعل الفرنـج على الميمنة مـع ٱبن نيرزان، وعسكر مصر في الميسرة، وأقام الملك مُريٌّ الفرنجيّ في القلب في عسكره من الفرنـج. ورتّب أسد الدين عساكره فجعل صلاح الدين في الميمنة؛ وفي الميسرة الأكراد، وأسد الدين في القلب[٣]، فحمل الملكُ مُرِّي على القلب فتعتعه، وكانت أثقال المسلمين خلفه فٱشتغل الفرنـج بالنهب؛ وحمل صلاح الدين على شاوَر فكسره وفرّق جمعه. وعاد أسد الدين إلى ٱبن أخيه صلاح الدين وحملا على الفرنـج فٱنهزموا، فقتلا منهم ألوفاً وأسرا مائة وسبعين فارساً. وطلبوا القاهرة، فلو ساق أسد الدين خلفهم في الحال مَلَكَ القاهرة، وإنّما عدل إلى الإسكندرية فتلقّاه أهلها طائعين، فدخلها وولّى عليها صلاح الدين.

فأقام صلاح الدين بها وسار أسد الدين إلى الصعيد فٱستولى عليه، وأقام يجمـع أمواله. وخرج شاوَر والفرنـج من القاهرة فحصروا الإسكندرية أربعة أشهر، وأهلها يقاتلون مـع صلاح الدين ويُقَوُّونه بالمال. وبلـغ أسد الدين فجمـع عرب البلاد وسار إلى الإسكندرية، فعاد شاوَر إلى القاهرة وراسل أسد الدين حتّى تمّ الصلـح بينهم، وأعطى شاوَر أسدَ الدين إقطاعاً بمصـر وعجّل لـه مالاً. فعـاد أسد الدين إلى الشام ومعه صلاح الدين. وٱعتذر أسد الدين إلى الملك العادل

---

(١) الجيزة: أنشأها العرب سنة ٢١هـ على الشاطىء الغربي للنيل. وهي اليوم قاعدة مديرية الجيزة.

(٢) مُرّي: ملك الإفرنـج بالشام (ابن الأثير). ويعرف في المؤلفات العربية باسم آموري. تولى مملكة القدس الصليبية سنة ٥٥٧هـ حتى توفي سنة ٥٦٩هـ. (الروضتين: ٢٩٣/١ حاشية). ويقال له أيضاً أملريق الأول Amaury I ملك أورشليم. (منطلق تاريخ لبنان: ١٠٦). ولم نستطـع تحقيق اسم ابن نيرزان هذا.

(٣) في الروضتين أن أسد الدين جعل صلاح الدين في القلب، وأمره أن يتقهقر ما إن يحمل عليه العدو. ــ انظر أيضاً الحروب الصليبية كما رآها العرب: ص ٢١٢، وشفاء القلوب: ٣٠، وابن الأثير: ٤/١٠.

نور الدين محمود بكثرة الفرنج والمال. ورأى صلاح الدين لأهل الإسكندرية ما فعلوا، فلمّا ملك مصر بعد ذلك أحسن إليهم.

ثم إنّ الفرنج طلبوا من شاور أن يكون لهم شِحْنَة[١] بالقاهرة ويكون أبوابها بأيدي فُرْسانهم وتُحْمَل إليهم في كلّ سنة مائة ألف دينار، ومَن سكن منهم بالقاهرة يبقى على حاله ويعود بعض ملوكهم إلى الساحل؛ فأجابهم شاوَر إلى ما طلبوا منه. كل ذلك تقرّر بين شاوَر والفرنج والعاضد لا يعلم بشيء منه. وسار بعض الفرنج إلى الساحل. وكان الملك العادل نور الدين محمود يخاف على مصر من غلبة الفرنج عليها، فسار بعساكره من دمشق وفتح المُنَيْطِرة[٢] وقِلاعاً كثيرة؛ فخاف من كان بمصر من الفرنج. وبينا هم في ذلك عاد الفرنج من الساحل إلى نحو مصر في سنة أربع وستين، وطمعوا في أخذها. وكان خروجهم من عَسْقلان والساحل إلى نحو مصر في أوائل السنة، وساروا حتّى نزلوا بلبيس[٣]، وأغاروا على الريف وأسروا وقتلوا. هذا وقد تلاشى أمر الديار المصرية من الظلم ولم يبق للعاضد من الخلافة سوى الاسم والخطبة لا غير.

فلمّا بلغ شاوَر فعلُ الفرنج بالأرياف، أخرج من كان بمصر من الفرنج بعد أن أساء في حقّهم قبل ذلك، وقتل منهم جماعة كبيرة وهرب الباقون. ثم أمر شاور أهل مصر بأن ينتقلوا إلى القاهرة[٤] ففعلوا، وأحرق شاور مصر. وسار الفرنج من بلبيس

---

(١) المراد هنا مفرزة من الفرسان للسهر على حسن تطبيق معاهدة التحالف التي كانت قد عقدت بين مرّي (آموري) والعاضد وكان عرّابها شاور. وكذلك كان من مهامها مراقبة أبواب المدينة وحماية الموظفين الفرنج المكلفين جباية الجزية السنوية التي وعد شاور بدفعها إلى مملكة القدس. (الحروب الصليبية كما رآها العرب: ٢١٣) وانظر في نفس المرجع الإشارة إلى العبقرية العسكرية التي أبداها شيركوه في تلك المعارك، إلى جانب البصيرة السياسية التي عالج بها الأمور.

(٢) المنيطرة: في منطقة جبال كسروان في لبنان.

(٣) في بلبيس ارتكب الصليبيون مجزرة هائلة؛ فقد ذبحوا سكانها من الرجال والنساء والأطفال، مسلمين ومسيحيين أقباطاً على السواء. (انظر ابن الأثير: ١٢/١٠؛ والحروب الصليبية: ٢١٤) ولعلّ سلوكهم هذا هو الذي دفع شاور إلى إحراق القاهرة القديمة ليمنع دخول الفرنجة إليها هذه المرّة.

(٤) المراد بها القاهرة الفاطمية؛ وكانت تضم في ذلك الوقت بشكل أساسي القصور والإدارات والثكنات وجامعة الأزهر الدينية. (الحروب الصليبية: السابق).

حتّى نزلوا على القاهرة في سابع صفر، وضايقوها وضربوها بالمجانيق. فلم يجد شاور بُداً أن كاتب الملك العادل نور الدين محموداً بأمر العاضد. وكان الفرنج لمّا وصلوا إلى مصر في المرّتين الأوليين آطّلعوا على عوراتها وطمِعوا فيها؛ وعلم نور الدين بذلك فأسرع بتجهيز العساكر خوفاً على مصر. ثم جاءته كتب شاور والعاضد؛ فقال نور الدين لأسد الدين شِيرِكُوه: خذ العساكر وتوجّه إليها؛ وقال لصلاح الدين: أخرج مع عمّك أسد الدين؛ فآمتنع وقال: يا مولاي، يكفي ما لَقِينا من الشدائد في تلك المرّة. فقال نور الدين: لا بدّ من خروجك؛ فما أمكنه مخالفة مخدومه نور الدين المذكور؛ فخرج مع عمّه، وساروا إلى مصر. وبلغ الفرنج ذلك فرجعوا عن مصر إلى الساحل. وقيل: إن شاوَر أعطاهم مائة ألف دينار. وجاء أسد الدين بمن معه من العساكر ونزل على باب القاهرة. فاستدعاه العاضد إلى القصر وخلع عليه في الإيوان خِلْعة الوزارة ولقّبه بالمنصور، وسُرَّ أهل مصر بذلك. وقيل: إنّه لم يستدعه، وإنّما بعث إليه بالخِلَع والأموال والإقامات؛ وكذلك إلى الأمراء الذين كانوا معه. وأقام أسد الدين مكانه وأرباب الدولة يتردّدون إلى خدمته في كلّ يوم، ولم يقدر شاور على منعهم لكثرة العساكر ولكون العاضد مائلاً إلى أسد الدين المذكور. فكاتب شاوَر أيضاً الفرنج واستدعاهم وقال لهم: يكون مجيئكم إلى دِمْياط في البحر والبرّ. فبلغ ذلك أعيانَ الدولة بمصر، فآجتمعوا عند الملك المنصور أسد الدين شِيرِكُوه وقالوا له: شاوَر فساد العباد والبلاد، وقد كاتب الفرنج، وهو يكون سبب هلاك الإسلام. ثم إنّ شاور خاف لما تأخّر وصول الفرنج، فعمل في عمل دعوة لأسد الدين المذكور ولأمرائه ويقبض عليهم. فنهاه آبنه الكامل وقال له: والله لئن لم تنته عن هذا الأمر لأُعَرِّفنّ أسد الدين. فقال له أبوه شاوَر: والله لئن لم نفعل هذا لنُقْتلنّ كلّنا. فقال له آبنه الكامل: لأنْ نُقتل والبلاد بيد المسلمين خيرٌ من أن نُقتل والبلاد بيد الفرنج. وكان شاوَر قد شرَط لأسد الدين شِيرِكُوه ثلث أموال البلاد؛ فأرسل أسد الدين يطلب منه المال؛ فجعل شاوَر يتعلّل ويماطل وينتظر وصول الفرنج؛ فآبتدره أسد الدين وقتله.

وآختلفوا في قتله على أقوال؛ أحدها أنّ الأمراء آتّفقوا على قتله لمّا علموا مكاتبته للفرنج، وأنّ أسد الدين تمارض، وكان شاوَر يخرج إليه في كلّ يوم والطبل

والبُوق يضربان بين يديه على عادة وزراء مصر. ـ قلت: وعلى هذا القول يكون قول من قال: إنّ العاضد خلـع على أسد الدين شِيرِكُوه بالوزارة ولقّبه بالمنصور في أوّل قدومه إلى مصر ليس بالقويّ، ولعلّ ذلك يكون بعد قتل شاوَر، على ما سيأتي ذكره. ـ فجاء شاوَر ليعود أسد الدين فقبض عليه وقتله.

والثاني أنّ صلاح الدين وجُرديك ٱتفّقا على قتله وأخبرا أسد الدين فنهاهما، وقال: لا تفعلا، فنحن في بلاده ومعه عسكر عظيم، فأمسكا عن ذلك إلى أن ٱتفّق أنّ أسد الدين ركب إلى زيارة الإمام الشافعيّ ـ رضي الله عنه ـ وأقام عنده، فجاء شاور على عادته إلى أسد الدين فٱلتقاه صلاح الدين وجُرديك وقالا: هو في الزيارة اِنزل، فٱمتنـع؛ فجذباه فوقـع إلى الأرض فقتلاه.

والثالث أنّهما لمّا جذباه لم يمكنهما قتله بغير أمر أسد الدين فسحبه الغِلمان إلى الخَيْمة وٱنهزم أصحابه عنه إلى القاهرة ليُجيِّشوا عليهم. وعلم أسد الدين فعاد مسرعاً؛ وجاء رسول من العاضد برُقعة يطلب من أسد الدين رأس شاوَر، وتتابعت الرُّسُل. وكان أسد الدين قد بعث إلى شاور مـع الفقيه عيسى[1] يقول: لك في رقبتي أيمان، وأنا خائف عليك من الذي عندي فلا تجيء. فلم يلتفت وجاء على العادة فوقـع ما ذكرناه. ولما تكاثرت الرسل من العاضد دخل جرديك إلى الخيمة وجزر رأسه، وبعث أسد الدين برأسه إلى العاضد فسُرَّ به. ثم طلب العاضد ولدَ شاوَر الملك الكامل وقتله في الدِّهليز وقتل أخاه، وٱستوزر أسد الدين شِيرِكُوه، وذلك في شهر ربيـع الأوّل. وهذا الذي أشرنا إليه من أنّ ولاية أسد الدين للوزر كانت بعد قتل شاوَر.

ولما قُتل شاور وٱبنه الكامل، بعث العاضد منشوراً بالوزارة لأسد الدين بخطّ القاضي الفاضل وعليه خطّ العاضد بما صورته[2]:

---

(١) هو أبو محمد ضياء الدين عيسى بن محمد الهكاري. كان من فقهاء حلب، وانتقل إلى مصر صحبة شيركوه. توفي سنة ٥٨٥هـ. (وفيات الأعيان: ٤٩٧/٣).

(٢) ورد في صبح الأعشى: ٤٠٦/٩، والروضتين: ٤٠٢/١، وشفاء القلوب: ٣٥.
وانظر نسخة عهد أسد الدين بالوزارة عن العاضد الفاطمي، والوزارة في ذاك الوقت قائمة مقام السلطنة، في صبح الأعشى: ٨١/١٠ ـ ٩٢، وشفاء القلوب: ٣٦ ـ ٤٢، ومفرّج الكروب: ٤٤٤/٢.

«هذا[(١)] عهدٌ لم يُعْهَدْ إلى وزير بمثله، فتقلّد ما أراك الله أهلاً بحمله؛ وخذ كتاب أمير المؤمنين بقوّة، وآسحب ذيل الافتخار بخدمتك بيت النبوّة؛ وآلزم حقّ الإمامة تجد إلى الفوز سبيلاً؛ ﴿ولا تنقضوا الأَيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾[(٢)].

ثم أرسل العاضد نسخة الأيمان إلى أسد الدين، وحلف كلّ واحد منهما لصاحبه على الوفاء والطاعة والصفاء. فتصرّف أسد الدين شهرين ومات. ولمّا آحْتُضِر أوصى إلى آبن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيّوب، فوُلِّي صلاح الدين الوزارة ولُقِّب بالملك الناصر، على ما يأتي ذكر ذلك كلّه في ترجمتهما بأوضح من ذلك. ولمّا وزر صلاح الدين آختلف عليه جماعة من الأمراء عقيب وفاة أسد الدين. وبلغ الملكَ العادل نور الدين آتِّفاقُ الأمراء عليه بمصر؛ فقال له تُورَان شاه بن أيوّب الذي لُقِّب بعد ذلك بالملك المعظّم، وكان أسنَّ من صلاح الدين: يا مولانا، أُريد أن أسير إلى أخي (يعني إلى صلاح الدين) فقال له نور الدين: إن كنت تسير إلى مصر وترى يوسف أخاك بعين أنّه كان يقف في خدمتك وأنت قاعد فلا تَسِر، فإنّك تُفسد العباد والبلاد فتُحْوِجني إلى عقوبتك بما تستحقّه؛ وإن كنت تسير إليه وترى أنّه قائم مقامي وتخدُمه كما تخدمني، [فسِرْ إليه وآشْدُدْ أزْرَه وساعده على ما هو بصدده][(٣)] وإلّا فلا تذهب إليه[(٤)]. فقال: «يا مولانا، سوف يبلغك ما أفعل من الخدمة والطاعة». وسار إلى مصر فتلقّاه صلاح الدين من بلبيس وخدمه وقدّم له

---

(١) وردت صورة ما كتبه العاضد في طرّة عهد أسد الدين عند القلقشندي كما يلي:
«هذا عهد لا عهد لوزير بمثله، وتقليد أمانة رآك الله تعالى وأمير المؤمنين أهلاً لحمله، والحجة عليك عند الله بما أوضحه لك من مراشد سبله؛ فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوّة، واسحب ذيل الفخار بأن اعتزتْ خدمتك إلى بنوَّة النبوّة، واتخذ أمير المؤمنين للفوز سبيلاً ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾ قارن أيضاً بالمصادر السابقة.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩١.

(٣) زيادة عن الروضتين. وبها يستقيم السياق.

(٤) كان توران شاه شقيق صلاح الدين وأكبر إخوته. وكان في نفسه من الملك، ويرى أنه أحقّ من أخيه. وكان يقع في حق أخيه منه ــ في حال سكره ــ كلمات (شفاء القلوب: ٥٠) ولعل معرفة نور الدين محمود بهذا الواقع هي التي دفعته إلى تحذير توران شاه من الاستطالة على أخيه.

المال والخيل والتُّحَف، وأقام عنده على أحسن حال؛ وفعل ما ضَمِن لنور الدين من خدمة أخيه صلاح الدين؛ وقَوِي أمر صلاح الدين به وآستقام أمره. كلّ ذلك والخطبة بآسم العاضد في هذه السنين إلى سنة سبع وستين وخمسمائة، على ما يأتي ذكره في ترجمة السلطان صلاح الدين.

ولمّا تمّ أمر صلاح الدين بمصر خاف العاضد عاقبة أمره. وكان للعاضد خادم يقال له مؤتمن[1] الخلافة، وكان مقدّم السودان والخدم والمشار إليه بالقصر. فأمره العاضد بقتال الترك والغزّ. وآتفّق العسكر المصريّ مع الخادم وثاروا على الترك فقتلوا منهم جماعة. فرِكب صلاح الدين وشمس الدولة ودخلا إلى باب القصر، وتقاتلا مع مؤتمن الخلافة، وأبلى شمس الدولة بلاءً حسناً، وقُتل الخادم مؤتمن الخلافة وجماعة كبيرة من السودان بعد حروب وقتال عظيم. فأرسل العاضد إلى صلاح الدين يتعتّب عليه ويقول له: «فأين أيماناتكم! هذا الخادم جاهل فعل ما فعل بغير أمرنا» فقال صلاح الدين: «نحن على الأيمان والعهود ما نتغيّر، وما قتلنا إلّا مَن قصد قتلنا». وقول العاضد: أين الأيمان والعهود يعني بذلك أنّه لمّا مات أسد الدين شِيرِكُوه وأوصى لابن أخيه صلاح الدين المذكور آختلف جماعة من أمراء نور الدين الذين كانوا قَدِموا مع أسد الدين على صلاح الدين، ورام كلُّ واحد منهم الأمر لنفسه آستصغاراً بصلاح الدين، وهم: عين الدين[2] الياروقي رأس الأتراك، وسيف الدين المشطوب[3] ملك الأكراد، وشهاب الدين محمود صاحب حارم وهو خال صلاح الدين، وجماعة أُخَر؛ فبادر العاضد وآستدعى صلاح الدين وخلع عليه في الإيوان خِلْعة الوزارة وكتب عهده ولقّبه الملك الناصر. وقيل: الذي لقّبه بالملك الناصر إنّما هو الخليفة المستضيء العباسيّ بعد ذلك.

ولمّا ولي الوزارة شرع الفقيه عيسى في تفريق البعض عن بعض، وأصلح

---

(١) هو مؤتمن الخلافة جوهر، أحد الأستاذين المحنكين في قصر العاضد. (خطط علي مبارك: ٦٣/١) وانظر فيه وفي المقريزي التفاصيل الوافية لوقعة العبيد مع الغزّ.

(٢) في الأصل: «عز الدين». وما أثبتناه عن الروضتين وابن الأثير.

(٣) هو علي بن أحمد الهكاري المشطوب، كما في المرجعين أعلاه.

الأمور لصلاح الدين، على ما يأتي في ترجمة صلاح الدين بعد ذلك. وبذل صلاح الدين الأموال وأحسن لجميع العسكر الشاميّ والمصريّ فأحبُّوه وأطاعوه؛ وأقام نائباً عن نور الدين؛ يُدْعَى لنور الدين على منابر مصر بعد الخليفة العاضد، ولصلاح الدين بعدهما. وآستمر صلاح الدين على ذلك والخطبة للعاضد، وقد ضعُف أمره وقوِي أمر صلاح الدين، حتى كانت أوّل سنة سبع وستين وخمسمائة، فكتب إليه الملك العادل نور الدين محمود يأمره بقطع الخطبة لبني عُبَيد، وأن يخطُب بمصر لبني العباس. فخاف صلاح الدين من أهل مصر ألاّ يُجيبوه، ولم يسعه مخالفة أمر نور الدين، وقال: ربّما وقعت فتنة لا تتدارك؛ فكتب الجواب إلى نور الدين يُخبره بذلك، فلم يسمع منه نور الدين وخشّن عليه في القول، وألزمه إلزاماً لا مَحِيدَ عنه.

ومَرِض العاضد، فجمع صلاح الدين الأمراء والأعيان وآستشارهم في أمر نور الدين بقطع الخطبة للعاضد والدعاء لبني العبّاس، فمنهم من أجاب ومنهم من آمتنع؛ وقالوا: هذا باب فتنة وما يفوت ذلك، والجميع أمراء نور الدين؛ فعاودوا نور الدين فلم يلتفت وأرسل إلى صلاح الدين يستحثّه في ذلك؛ فأقامها والعاضد مريض. وآختلفوا في الخطيب فقيل: إنّه رجل من الأعاجم يُسَمَّى الأمير العالم، وقيل: هو رجل من أهل بعلبكّ يقال له محمد بن المحسِّن بن أبي المَضَاء[1] البعلبكِّيّ المقدّم ذكره الذي توجّه في الرُّسُلية من قِبل صلاح الدين إلى بغداد، وقيل: إنّه كان رجلاً شريفاً عجمياً، ورد من العراق أيام الوزير الملك الصالح طلائع بن رُزِّيك[2].

---

(١) راجع ص ٣٢٧ من هذا الجزء.

(٢) جاء في «الحروب الصليبية» لأمين معلوف: وفجأة حدث يوم الجمعة العاشر من أيلول ١١٧١م أن دخل واحد من أهل الموصل، كان في زيارة إلى القاهرة، أحد المساجد واعتلى المنبر قبل الخطيب ودعا باسم الخليفة العباسي. والغريب أن أحداً لم يثر، لاعلى الفور ولا في الأيام التالية. أيكون عميلاً أرسله نور الدين لإحراج صلاح الدين؟.

وفي شفاء القلوب: حضر الفقيه أبو يحيى بن اليشفع الجامع يوم الجمعة سابع محرم، وصعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستضيء.

قلت: فأشبه أمرُ الفاطميّين في هذا الأمر أمرَ العباسيين لمّا آنتقلت الدعوة منهم إلى الفاطميّين بني عُبيد؛ فإنّه أوّل من خطب للمُعِزّ مَعدّ أوّل خلفاء مصر من بني الخطيب عمر بن عبد السميع العبّاسيّ الخطيب بجامع عمرو وجامع أحمد ابن طولون، وهذا من باب المكافأة والمجازاة (أعني أنّ الذي خطب لبني عبيد كان عبّاسياً والذي خطب لبني العبّاس الآن علويّ). اِنتهى أمر الفاطميّين. وأقيمت الخطبة لبني العبّاس في أوّل المحرّم، والعاضد مريض، فأخفى عنه أهله ذلك؛ وقيل: بلغه، فأرسل إلى صلاح الدين يستدعيه ليوصيه، فخاف أن يكون خديعةً فلم يتوجّه إليه.

ومات العاضد في يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة، وآنقضت دولة الفاطميّين من مصر بموته. وندم صلاح الدين على قطع خطبته، وقال: ليتني صبرت حتّى يموت. ثم كتب صلاح الدين يُخبر الملك العادل نور الدين بإقامة الدعوة العبّاسيّة بمصر. فكتب نور الدين كتاباً إلى بغداد من إنشاء العِماد الكاتب الأصبهانيّ، وفيه: [الخفيف]

قد خطبنا للمستضيء بمصر ... نائب المصطفى إمام العصرِ
ولدينا تضاعفت نعمُ اللّـ ... ـه وجَلّت عن كلّ عدٍّ وحصر
وآستنارت عزائم المَلِك العا ... دل نور الدين الهمام الأغرّ
هو فتحٌ بِكْر ودون البرايا ... خصّنا الله بآفتراع[1] البِكر

وهي أطول من ذلك. وصفا الوقت لصلاح الدين وسمي السلطان، وصار يُخطب بآسمه على منابر مصر بعد الخليفة العبّاسيّ والملك العادل نور الدين محمود. وكان آبتداء مرض العاضد من أواخر ذي الحجة سنة ست وستين وخمسمائة. فلمّا كان رابع المحرّم سنة سبع وستين جلس العاضد في قِصره بعد الإرجاف بأنّه أثخن في مرضه، فشوهد وهو على ما حقق الإرجاف من ضعف القوى وتخاذل الأعضاء وظهور الحُمّى. وقيل: إنّ الحمّى فشت بأعضائه، وأمسك طبيبه

(١) في الأصل: «خصّه الله بانتزاع البكر» وما أثبتناه رواية الروضتين.

المعروف بآبن السديد[1] عن الحضور إليه، وآمتنع من مداواته وخذَله، مساعدةً عليه للزمان ومَيْلاً مع الأيام. ثم خُطب في سابع المحرّم بآسم الخليفة المستضيء بالله العبّاسيّ وصُرِّح بآسمه ولقبه وكنيته بمصر، حسب ما تقدم ذكره. فمات العاضد بعد ذلك بثلاثة أيام في يوم الاثنين يوم عاشوراء. وكان لموته بمصر يوم عظيم إلى الغاية؛ وعظم مُصابه على المصريّين إلى الغاية، ووجدوا عيه وَجْداً عظيماً لا سيما الرافضة؛ فإنّ نفوسهم كادت تَزْهَق حزناً لانقضاء دولة الرافضة من ديار مصر وأعمالها. وقد تقدّم التعريف بأحوال العاضد في أوّل ترجمته من عدة أقوال، فلا حاجة لتكرار ذلك في هذا المحل.

* * *

السنة الأولى من خلافة العاضد على مصر

وهي سنة ستّ وخمسين وخمسمائة.

فيها توفي محمود بن نعمة، الشيخ أبو الثناء الشِّيرازيّ الشاعر المشهور. كان أديباً فاضلاً بارعاً. ومن شعره يعارض قول آبن سُكَّرة في قوله: [البسيط]

جاء[2] الشتاءُ وعندي من حوائجه سبعٌ إذا القَطْر عن حاجاتنا حبسا
كيس وكِنٌّ وكانون وكأس طِلاً مع الكَبَاب وكُسٌّ ناعمٌ وكسا

فقال الشِّيرازيّ: [الطويل]

(١) هو عبد الله بن علي بن داود بن المبارك، شرف الدين بن سديد الدين المتوفى سنة ٥٩٢هـ. كان رئيس الأطباء في الديار المصرية في عصره. خدم خمسة من الخلفاء الفاطميين أولهم الآمر بأحكام الله وآخرهم العاضد. ثم خدم صلاح الدين مدة مقامه بالقاهرة. (الأعلام: ١٠٥/٤).

(٢) رواية الأصل:

جاء الشتاء وعندي من حوائجه سبع فلاقيت عن حاجاتنا حَبْسا
كيسٌ وكفٌّ وكانونٌ وكأس طِلاً مع الكباب وكسٌّ ناعم وكسا

وما أثبتناه رواية ابن خلكان: ٤١٢/٤، والحريري: المقامة الكرجية: ٥٢٤ ـ ٢٥٥.
وابن سكرّة هذا هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد، المعروف بابن سكرّة الهاشمي البغدادي. توفي سنة ٣٨٥هـ.

يقولون كافات الشتاء كثيرةٌ وما هي إلّا فردُ كافٍ بلا مِرَا[١]
إذا صحّ كاف الكيس فالكلُّ حاصلٌ لديك[٢] وكلّ الصيد يوجد في الفَرَا

ولغيره في المعنى: [الوافر]

وكافات الشتاء تُعَدُّ سبعاً وما لي طاقة بلقاء سبع
إذا ظَفِرتُ بكاف الكيس كفّي ظَفِرتُ بمفردٍ يأتي بجمع

وأمّا ما يشبه قول آبن سُكَّرة فكثير. من ذلك ما قاله آبن قزل: [البسيط]

عَجِّلْ إليّ فعندي سبعةٌ كملتْ وليس فيها من اللّذات إعوازُ
طارٌ وطَبْلٌ وطُنْبورٌ وطاس طِلاً وطَفْلةٌ وطبَاهيجُ[٣] وطَنّازُ[٤]

قلت: لم يحك وفاته الشنب[٥]. وأكثر الصَّفَديّ في المعنى فقال: [البسيط]

إنْ قدّر الله لي بالعمر وآجتمعتْ سبعٌ فما أنا في اللّذات مغبونُ
قصرٌ وقِدرٌ وقوّادٌ وقَحبتُه وقهوةٌ وقناديلٌ وقانون

وله أيضاً: [الطويل]

ثمانيةٌ إن يَسْمَح الدهرُ لي بها فما لي عليه بعد ذلك مطلوبُ
مَقَامٌ ومشروبٌ ومزجٌ ومأكلٌ وملهًى ومشمومٌ ومالٌ ومحبوبُ

وللسرّاج[٦] الورّاق في هذا المعنى أيضاً ــ وهو عندي أقربهم لقول آبن سُكّرة ــ: [البسيط]

---

(١) كذا أيضاً في الحريري وخريدة القصر (قسم الشام). ورواية ابن خلكان: «وما هي إلا واحد غير مفترَى».

(٢) في الأصل: «يصحّ» وما أثبتناه رواية ابن خلكان والحريري والخريدة.

(٣) الطباهيج والطباهجة: اللحم المشرّح وهو الصفيف. معرب: تباهة. وقيل هو الكباب. (معجم متن اللغة).

(٤) الطنّاز: الساخر المضحك. ويقال: طانزه وتطانزوا.

(٥) كذا وردت العبارة بالأصل. ولعل الصواب: «ولم يحكه، وفاته السبب».

(٦) سبق التعريف به: ص ٣٠٧، حاشية (١).

عنـدي فـديتُـك لَـذّاتٌ ثمـانيـةٌ أنفِي بها الحزنَ إن وافى وإن وَرَدا
راحٌ ورَوْحٌ وريحـانٌ وريقُ رَشـاً ورفـرفٌ وريـاضٌ نـاعـمٌ ورِدَا

ولغيره في المعنى: [البسيط]

إذا بلغتُ من الدنيا ولـذّتهـا سبعاً فإنّي في اللذات سلطانُ
خمرٌ وخَوْدٌ وخـاتون وخـاتمُها وخضـرةٌ وخَـلاعـات وخُـلّانُ

وقد خرجنا عن المقصود في الاستطراد في معنى هذين البيتين. ولنعد لما نحن بصدده.

وفيها كانت مقتلة وزير العاضد الملك الصالح طلائع بن رُزِّيك الأرمنيّ أبي الغارات؛ أقام وزيراً سبع سنين. وقد تقدّم ذكر طلائع هذا في ترجمة جماعة من خلفاء مصر: الحافظ والفائز والعاضد، وكيف كان قدومه إلى مصر وكيف قُتِل. وكان ملكاً جواداً ممدَّحاً شاعراً بليغاً. ومن شعره من جملة أبيات، وكان قد خرج من الحمّام فقال: [الخفيف]

نـحن فـي غفـلةٍ ونـومٍ وللمـو تِ عيـونٌ يَقْـظانـةٌ لا تـنـامُ
قد[1] دخلنا الحَمّام عامـاً ودهراً ليت شعـري متى يكون الحِمـامُ

فقُتِل بعد قوله بثلاثة أيام. ومن شعره أيضاً إلى صديق له بالشام: [البسيط]

أحبابَ قلبيَ إن شَطّ المَزارُ بكم فـأنتمُ في صميم القلب سُكّـانُ
وإن رجعتم إلى الأوطان إنّ لكم صـدورَنا عِـوَضَ الأوطانِ أوطـانُ
جـاورتمُ غيـرنَـا لمّـا نـأتْ بكمُ دارٌ وأنتم لـنـا بـالـودّ جيـران
فكيف ننسـاكمُ يومـاً لِبُعْـدكمُ عنـا وأشخصكم للعين إنسـان

وفيها تُوفي القاضي الأعزّ أبو البركات بن أبي جرادة، أخو القاضي ثقة الملك الحسن بن عليّ بن أبي جَرَادَة. كان أبو البركات هذا أميناً على خِزانة الملك العادل نور الدين الشهيد، وكان فاضلاً بليغاً. كتب إلى أخيه بمصر قصيدة منها: [الطويل]

(١) رواية ابن الأثير والروضتين: «قد رحلنا إلى الحمام سنيناً».

أحبــاب قلبي والــذيـن أوَدُّهم وأشتـاقهم في كلّ صبح وغَيْهَب

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في الإشارة[١]، قال: وفيها تُوفّي أبو حكيم إبراهيم بن دينار النّهرَوَانيّ الحنبليّ الزاهد. والملك الصالح طلائع بن رُزِّيك الأرمنيّ الرافضيّ. وأبو الفتح عبد الوهاب بن محمد بن الحسين بن الصابونيّ الخَفّاف. وأبو محمد محمد بن أحمد بن عبد الكريم التميميّ بن المادح[٢].

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وسبع عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثانية من خلافة العاضد على مصر

وهي سنة سبع وخمسين وخمسمائة.

فيها تُوفِّي الحسين بن عليّ بن القاسم بن المظفَّر قاضي القضاة أبو عليّ الشَّهْرُزُورِيّ قاضي الموصل. كان عظيم الشأن عالماً فاضلاً عفيفاً، رحمه الله.

وفيها تُوفّي الشيخ الصالح الزاهد عَدِيّ بن مُسافر بن إسماعيل بن موسى بن مَرْوان بن الحسن بن مروان بن الحَكَم بن مروان، القُدوة شرف الدين أبو الفضائل الأمويّ الهَكَّارِيّ؛ اِستوطن ليلش[٣] من جبل الهَكَّارِيّة[٤] إلى أن مات بها في سنة ثمان، وقيل سنة سبع وخمسين وخمسمائة، ودُفِن بزاويته؛ وقبره بها ظاهر يُزار. وكان فقيهاً عالماً عابداً فصيحاً متواضعاً حسن الأخلاق مع كثرة الهيبة والوقار؛

---

(١) في حاشية طبعة دار الكتب المصرية أنه اسم كتاب للذهبي. ولم نجده فيما بأيدينا من المراجع.

(٢) في الشذرات: «المارح».

(٣) في معجم البلدان: ليلش، قرية من أعمال شرقي الموصل، منها الشيخ عدي بن مسافر الشافعي. وفي الأصل: «لالش».

(٤) في الأصل والبداية والنهاية: «في جبل الهكار» وما أثبتناه عن معجم البلدان وابن خلكان. والهكارية جنس من الأكراد.

وهو أحد كبار مشايخ الطريقة[١]، وأحد العلماء الأعلام فيها. سلك في المجاهدة طريقاً صعباً بعيداً. وكان القطب محيي الدين عبد القادر[٢] ينوِّه بذكره ويُثني عليه كثيراً، وشهد له بالسلطنة (يعني على الأولياء)، وقال: لو كانت النبوّة تنال بالمجاهدة لنالها الشيخ عَدِيّ بن مسافر. وكان في أوّل أمره في الجبال والصحارى مجرّداً يأخذ نفسه بأنواع المجاهدات مدّة سنين، وكانت الحيّات والسباع تألفه، ثم عاد وسكن بزاويته. وتلمذ له خلق كثير من الأولياء، وتخرّج بصحبته غير واحد من ذوي الأحوال. وكان له كلام على لسان أهل الطريقة في توحيد البارىء عظيم. ومناقبه كثيرة يضيق هذا المحلّ عن استيعابها، رحمه الله.

الذين ذكرهم الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي أبو يَعْلَى حمزة بن أحمد [بن فارس][٣] بن كَروَّس السلميّ الدمشقيّ. والشيخ عَدِيّ بن مسافر الهَكَّارِيّ الزاهد العارف، يوم عاشوراء. وأبو المظَفّر هبة الله بن أحمد الشِّبْليّ القصّارُ في سلخ العام.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وعشر أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وأربع أصابع.

* * *

السنة الثالثة من خلافة العاضد على مصر

وهي سنة ثمان وخمسين وخمسمائة.

فيها سار الملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكِي المعروف بالشهيد إلى قتال قليج أرْسلان ابن السلطان مسعود صاحب بلاد الروم، ووقع له معه أمور وحروب.

---

(١) وتنتسب إليه الطائفة العدوية. وقد انتشرت طريقته في أهل السواد والجبال. وغالى أتباعه في اعتقادهم فيه. وأحرق قبره سنة ٨١٧هـ، فاجتمع العدوية عليه واتخذوه قبلة لهم. (الأعلام: ٤/٢٢١).

(٢) هو عبد القادر بن موسى الجيلاني أو الكيلاني أو الجيلي المتوفى سنة ٥٦١هـ. وهو مؤسس الطريقة القادرية. (الأعلام: ٤/٤٧).

(٣) زيادة عن الشذرات.

وفيها ظهر شاوَر بن مجير السعديّ وجمع جمعاً كثيراً وقتل وزير العاضد صاحب الترجمة رُزِّيك بن طلائع بن رُزِّيك، وتولّى الوزارة عوضه.

وفيها تُوفّي عبد المؤمن بن عليّ، أبو محمد القَيْسِيّ الكُومِيّ الذي قام بأمره محمد بن تُومَرْت المعروف بالمهديّ. قال آبن خلّكان: رأيت في بعض تواريخ الغرب أن آبن تُومَرْت كان قد ظَفِر بكتاب يقال له الجَفْر، وفيه ما يكون على يده. فأقام آبن تومرت مدّة يتطلّبه حتى وجده وصحبه وهو إذ ذاك غلام، وكان يتفرّس فيه النجابة، ويُنشِد إذا أبصره: [البسيط]

تكاملتْ فيك أوصافُ خُصِصتَ بها ... فكلنّا بك مسرورٌ ومُغتبِطُ
السنّ ضاحكةٌ والكفّ مانحةٌ ... والنفسُ واسعةٌ والوجهُ منبسطُ

وكان يقول آبن تومرت لأصحابه: صاحبكم هذا غلّاب الدّول. ولم يصح عنه أنّه آستخلفه، بل راعى أصحابهُ في تقديمه [إشارته][1]، فتمّ له الأمر. وأوّل ما أخذ من البلاد وهْرَان ثم تِلِمْسان ثم فاس ثم مَرَّاكش بعد أن حاصرها أحد عشر شهراً، وذلك في سنى آثنتين وأربعين وخمسمائة، وآستوثق له الأمر وآمتدّ ملكه إلى الغرب الأقصى والأدنى وبلاد إفْرِيقِيّة، وتسمّى أمير المؤمنين. وقصدته الشعراء وآمتدحته. ذكر العِمَاد الكاتب الأصبهانيّ في «كتاب الخريدة» أنّ الفقيه أبا عبد الله محمد بن أبي العبّاس لمّا أنشده[2]: [البسيط]

ما هزّ عِطْفَيْهِ بين البِيض والأَسَلِ ... مثلُ الخليفة عبد المؤمن بن علي

أشار إليه بأن يقتصر على هذا البيت، وأمر له بألف دينار. وكانت وفاة عبد المؤمن المذكور في العشر الأخير من جُمادى الآخرة، وكانت مدّة ولايته ثلاثاً وثلاثين سنة وأشهراً. والكُومِيّ المنسوب إليها هي كُومِيَة قبيلة صغيرة نازلة بساحل البحر من أعمال تِلِمْسَان.

(١) زيادة عن ابن خلكان.
(٢) خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء المغرب): ١٢٨/١. وهو فيه: محمد التيفاشي عم الشاعر يحيى بن التيفاشي القفصي.

وفيها تُوفّي محمد بن عبد الكريم، أبو عبد الله سديد الدولة ابن الأنباري، كاتب الإنشاء بديوان الخليفة. أقام كاتباً به نيّفاً وخمسين سنة، وناب في الوزارة. وكان بينه وبين الحَريريّ صاحب المقامات مكاتبات ومراسلات.

وفيها تُوفّي يحيى بن سعيد النصرانيّ البغداديّ أوحد زمانه في الطِّبّ والأدب؛ له ستون مقامة ضاهى بها مقامات الحريريّ، وله شعر جيّد. من ذلك في الشيب: [الخفيف]

نفَرَتْ هندُ من طلائع شيبي وآعترتها سآمةٌ من وُجوم
هكذا عادة الشياطين يَنْفِرْ نَ إذا ما بدتْ رجومُ النجوم

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة؛ قال: وفيها تُوفّي الزاهد أبو العبّاس أحمد بن محمد بن قُدَامة. وأبو منصور شَهْردار بن شيرويه الديلميّ بهمَذَان. وصاحب الغرب عبد المؤمن بن عليّ بن علويّ[1] القَيْسِيّ التِلِمْسَانيّ في جمادى الآخرة بمدينة سَلا[2]. والصاحب جمال الدين محمد بن عليّ الأصبهانيّ الملقّب بالجَوَاد وزير الموصل.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وثلاث عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وثماني أصابع.

* * *

السنة الرابعة من خلافة العاضد على مصر

وهي سنة تسع وخمسين وخمسمائة.

فيها توفّي الحسن بن محمد بن الحسن، الشيخ أبو المعالي الوَرْكَانِيّ الفقيه

---

(١) سلسلة نسبه في الأعلام: عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان. (الأعلام: ٤/ ١٧٠، وانظر مصادره).

(٢) سلا: مدينة بأقصى المغرب. بينها وبين مراكش على ساحل البحر تسع مراحل. (الروض المعطار: ٣١٩).

الشافعيّ ـ ووَرْكَان: بلد بنواحي قاشان ـ كان إماماً في فنون العلوم؛ عاش نيِّفاً وثمانين سنة.

وفيها توفّي محمد[1] بن عليّ بن [أبي][2] المنصور الوزير أبو جعفر جمال الدين الأصبهانيّ وزير الأتَابَك زَنْكي وسيف الدين غازي وقطب الدين مودود؛ وكان هو الحاكم على الدولة. وكان بينه وبين زين الدين كُوجَك مصافاة وعهود ومواثيق.

وكانت الموصل في أيامه ملجأً لكلّ ملهوف. ولم يكن في زمانه من يضاهيه ولا يقاربه فى الجواد والنّوَال؛ وكان كثير الصِّلات والصدقات، بنى مسجد الخَيف بمنًى وغَرِم عليه أموالاً عظيمة، وجدّد الحجر إلى جانب الكعبة، وزخرف البيت بالذهب، وبنى أبواب الحرم وشيّدها ورفع أعتابها صيانةً للحرم؛ وبنى المسجد الذي على عَرَفة والدرج الذي فيها، وأجرى الماء إلى عرفات، وعمل البرك والمصانع؛ وبنى على مدينة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم سُوراً، وكانت الأعراب تنهبها، وكان الخطيب يقول على المنبر: اللهم صُن من صان حرم حريم نبيّك محمد صلى الله عليه وسلم. وكانت صدقاته تسير إلى المشرق والمغرب، رحمه الله تعالى.

وفيها تُوفّي أبو الفرج عبد الله بن أسعد بن عليّ بن عيسى الموصليّ المعروف بآبن الدهّان وبالحمصِيّ أيضاً، الفقيه الشافعيّ المنعوت بالمهذب الشاعر المشهور. كان فصيحاً فقيهاً فاضلاً أديباً شاعراً؛ غلب عليه الشعر وآشتهر به؛ وله ديوان صغير وكلّه جيّد؛ ورحل البلاد ومدح بمصر الوزير الصالح طلائع بن رُزِّيك وغيره. ومن شعره في غلام لَسَبَته نحلة في شفته: [الرمل]

بأبي مَنْ لَسَبَتْه نحلةٌ ... آلمتْ أكرم شيء وأجَلّْ
أثرتْ لسبتُها في شَفَةٍ ... ما براها الله إلّا للقُبَلْ
حَسِبَتْ أنّ بفيه بيتَها ... إذ رأت ريقته[3] مثل العسل

(١) تقدمت وفاته في السنة الماضية.
(٢) زيادة عن ابن خلكان وابن الأثير.
(٣) الريق والريقة بمعنى واحد.

ومن شعره أيضاً: [الكامل]

قالوا سلا، صدَقوا، عن السُّـ ـلْوان ليس عن الحبيبِ
قالوا فَلِمْ تركَ الزيا رَة قلتُ من خوف الرقيبِ
قالوا فكيف يعيش مَعْ هـذا فقلتُ من العجيب

الذين ذكر الذهبيّ [وفاتهم] في هذه السنة، قال: فيها تُوفّي أبو سعد[1] عبد الوهاب بن الحسن الكِرْمَانِيّ آخر من رَوَى عن آبن خلف وغيره. والسيد أبو الحسن عليّ بن حمزة العلويّ الموسويّ بهراة، وكان مسندها وله إحدى وتسعون سنة. وأبو الخير محمد بن أحمد بن محمد البَاغْبَان[2].

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثماني أذرع وثماني أصابع. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وعشر أصابع. وزاد بعد طلوع السِّماك[3] بعدّة أيام.

* * *

السنة الخامسة من خلافة العاضد على مصر

وهي سنة ستين وخمسمائة.

فيها فتح الملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكي الشهيد بَانْيَاس عَنْوَةً، وكان معه أخوه نصرة[4] الدين، فأصابه سهم فأذهب إحدى عينيه؛ فقال له أخوه نور الدين: لو كُشف عما أُعِدّ لك من الأجر لتمنّيت ذهاب الأخرى، فحمِد الله على ذلك.

---

(١) في الأصل: «أبو سعيد». وما أثبتناه عن الشذرات.

(٢) الباغبان: نسبة إلى حفظ الباغ، وهو البستان. (الشذرات وأنساب السمعاني).

(٣) السِّماك: واحد السماكين؛ وهما نجمان نيّران، أحدهما في الشمال وهو السماك الرامح، والآخر في الجنوب وهو السماك الأعزل. ويطلع السِّماك الأعزل مع الفجر في تشرين الأول من السنة. (لسان العرب).

(٤) في الأصل هنا: «نصير الدين» والتصحيح عن ابن الأثير والروضتين والألقاب الإسلامية وما سيأتي للمؤلف.

وفيها فوّض الملك العادل شحنكيَّة[١] دمشق إلى صلاح الدين يوسف بن أيوب، فأظهر صلاح الدين السياسة وهذّب آلآمور، وذلك في حياة والده وعمّه أسد الدين شِيركُوه.

وفيها تُوفّي أمير أميران[٢] نُصرة الدين بن زَنْكي بن آق سُنْقُر التركيّ أخو الملك العادل نور الدين المقدّم ذكره في ذَهاب عينه في فتح بَانْيَاس. وكان أميراً شجاعاً مقداماً عزيزاً على أخيه نور الدين محمود، وعظُم مصابه عليه؛ رحمه الله.

وفيها تُوفّي حسّان بن تميم بن نصر، الشيخ أبو الندى الدمشقيّ المحدّث؛ سمع الحديث وحجّ ومات في شهر رجب، ودُفِن بمقبرة باب الفراديس.

وفيها تُوفّي الشيخ المعتقَد محمد بن إبراهيم الكِيزَانِيّ[٣] أبو عبد الله الواعظ المصريّ. قيل إنه كان يقول: إنّ أفعال العباد قديمة[٤]. ولمّا مات دفن عند قبر الإمام الشافعيّ بالقرافة الصغرى، وآستمرّ هناك إلى أن نبشه الشيخ نجم الدين الخُبُوشَانِيّ في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وأخرجه، فدُفِن بمكان آخر في القرافة. وقبره معروف يُقصد للزيارة. قيل إنّ الخُبُوشانيّ لمّا أراد نبشه قال: لا يتّفق مجاورة زِنديق إلى صِدّيق؛ ثم نبشه. قال صاحب المرآة وغيره: كان (يعني الكِيزَانيّ) زاهداً عابداً قَنوعاً من الدنيا باليسير. وله شعر جيّد، وديوانه مشهور. ومن شعره: [مجزوء الرمل]

اِصرفوا عنّي طبيبي ودَعُوني وحبيبي
عَلّلوا قلبي بذكرا هُ فقد زاد لهيبي
طاب هَتْكي في هواه بين واشٍ ورقيب

---

(١) راجع ص ١٩٧ من هذا الجزء، حاشية (٢).

(٢) أمير أميران: أميران صيغة جمع باللغة الفارسية. ومعنى اللقب: أمير الأمراء. وهذا اللقب ربما كان يشير إلى أعلى وظائف الدولة النورية. (الألقاب الإسلامية: ١٩١).

(٣) الكيزاني: هذه النسبة إلى صنع الكيزان وبيعها..

(٤) أي إن الله قدَّر أعمال البشر منذ الأزل وخلقها؛ وهو قول الجبرية. عارضهم المعتزلة لأنهم يعطلون الجزاء ويلغون المسؤولية.

مـا أُبـالي بفَـوات النّـ ـفس مـا دام نـصيـبـي
لـيس مـن لام وإن أطـ ـنبَ فيـه بـمـصـيـب
جـسـدي راض بسقـمـي وجـفـونـي بـنـحـيـبـي

ومن شعره أيضاً قوله من أبيات: [الكامل]

يـا من يتيه على الـزمان بحسنـه اِعطِفْ على الصَّب المشوق التائِه
أضحى يخاف على آحتراق فؤاده أسَفـاً لأنّـك منـه في سَـوْدائِـه

قلت: وللكِيزَانِيّ كلام في علم الطريق ولسان حُلْو في الوعظ؛ وكان للناس فيه محبّة ولكلامه تأثير في القلوب؛ ولا يُلتفت لقول الخُبُوشَانِيّ فيه؛ لأنّهما أهل عصر واحد، وتهوُّرُ الخُبُوشَانيّ معروف، كما سيأتي ذكره في وفاته إن شاء الله تعالى.

وفيها تُوفّي محمد بن عبد الله بن عبّاس، الشيـخ أبو عبد الله الحَرّانِيّ كان شهِد عند القاضي أبـي الحسن الدامَغانيّ الحنفيّ، وعاش حتّى لم يبق من شهوده غيره. وسمـع الحديث، وصنّف كتاباً سمّاه «رَوْض الأدباء». قال الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بـن الجَوْزِيّ في تاريخه: زرتُه يوماً وأطلت الجلوس عنده؛ فقلت له: ثقّلت عليك. فأنشدني ــ رحمه الله ــ: [الوافر]

لئن سَمَّيتَ[1] إبـرامـاً وثـقـلاً زيـاراتٍ رفعـت بهـنّ قـدري
فـمـا أبـرمـتَ إلّا حبـل ودِّي ولا ثَـقَّلتَ إلّا ظـهـرَ شـكـري

وكانت وفاته في جمادى الأخرة.

وفيها تُوفّي يحيى بن محمد بن هُبَيْرة بن سعيد[2] بن حسن الشيبانيّ ــ قد رفـع نسبه صاحب مرآة الزمان إلى عدنان ــ هو الوزير عون الدين أبو المظفَّر بن

---

(١) في الأصل: «لئن ضمّنت». وما أثبتناه عن هامش الأصل.
(٢) في ابن خلكان: «ابن سعد بن الحسين».

هُبَيْرة. ولِد سنة تسع وتسعين وأربعمائة بقرية الدُّور[١] من أعمال العراق، وقرأ بالروايات وسمع الحديث الكثير، وقرأ النحو واللغة والعروض، وتفقّه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، وصنّف الكتب الحِسان. وكان قبل وزارته فقيراً؛ فلما أضرّ الفقر بحاله تعرّض للخدمة، فجعله الخليفة المقتفي مُشرفاً في المخزن، ثم صار صاحبَ الديوان ثم آستوزره، فسار في الوزارة أجمل سِيرة. وكان ديّناً جَوَاداً كريماً. دخل عليه الحَيْصَ بَيْص الشاعر مرّة؛ فقال له آبن هُبَيْرة: قد نظمتُ بيتين، تقدِر أن تعززهما بثالث؟ قال: وما هما؟ قال: [البسيط]

زار الخيالُ بخيلاً مثلَ مُرْسِلِهِ ... ما شاقني منه إلّا الضّمُّ والقُبَلُ
ما زارني قَطُّ إلّا كي يوافقني ... على الرُّقَادِ فينفيه ويرتحل

فقال الحَيْصَ بَيْص من غير رَوِيّة:

وما درَى أنّ نومي حِيلة نُصِبتْ ... لِوَصْلِهِ حين أعيا اليَقْظةَ الحِيَلُ

فأعجبه وأجازه. وكانت وفاة آبن هُبَيْرة في جمادى الأولى فجأة، وله إحدى وستون سنة.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي أبو العبّاس أحمد آبن عبد الله [بن أحمد بن هِشام][٢] بن الحُطَيْئة الفاسيّ الناسخ المقرىء بمصر. وأبو النَّدَى حسّان بن تميم الزيّات. والوزير أبو المظفّر سعيد بن سهل الفلكيّ في شوّال. وأبو الحسن[٣] عليّ بن أحمد اللّبّاد بأصبهان. وعليّ بن أحمد بن مُقَاتِل السُّوسيّ الشّاغُورِيّ[٤]. وأبو القاسم عمر بن محمد بن البَزْرِيّ الشافعيّ فقيه

(١) الدُّور: وتعرف بدور الوزير، نسبة إلى الوزير ابن هبيرة هذا. وهي دور بني أوقر الذين كانوا مشايخها وأرباب ثروتها. وهي من أعمال دجيل، بينها وبين بغداد خمسة فراسخ. (معجم البلدان: ٤٨١/٢ والفخري: ٣١٢).

(٢) زيادة عن الشذرات.

(٣) في الشذرات: «أبو الحسين».

(٤) الشاغوري: نسبة إلى الشاغور، محلة بالباب الصغير من دمشق. (معجم البلدان).

الجزيرة. وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن العبّاس الحَرّانيّ العدل ببغداد. والقاضي أبو يَعلَى الصغير شيخ الحنابلة محمد بن أبي خازم آبن القاضي أبي يَعْلَى بن الفَرّاء. والشريف أبو طالب محمد بن محمد [بن محمد][1] بن أبي زيد العَلَويّ البصريّ النقيب. والوزير عَوْن الدِّين يحيى بن محمد بن هُبَيْرة الشيبانيّ في جمادى الأولى فجأة وله إحدى وستون سنة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وخمس عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وثماني عشرة إصبعاً.

* * *

السنة السادسة من خلافة العاضد على مصر

وهي سنة إحدى وستين وخمسمائة.

فيها هرَب عِزّ الدين محمد بن الوزير عَوْن الدِّين بن هُبَيْرة من دار الخلافة، وكان صُودر بعد موت والده.

وفيها تُوفي عبد العزيز بن الحسين بن الحَبَّاب، أبو المعالي القاضي الجليس السعديّ، كان يجالس خلفاء مصر من بني عُبَيْد فسُمِّي الجليس. وكان أديباً مترسّلاً شاعراً. ومن شعره وأبدع: [الطويل]

ومن عَجَبٍ أنّ الصوارمَ في الوَغَى ... تحيضُ بأيدي القوم وهي ذكورُ
وأعجبُ من ذا أنها في أَكُفِّهم ... تَأَجَّجُ ناراً والأَكُفُّ بحورُ

وفيها تُوفي شيخ الإسلام تاج العارفين محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى[2] بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجَوْن بن عبد الله المَحْض بن الحسن أبي محمد المُثَنَّى بن

---

(١) زيادة عن الشذرات والمنتظم وكشف الظنون.

(٢) في الشذرات: «عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست بن أبي عبد الله عبد الله بن يحيى بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الحوزي.. الخ».

الحسن بن عليّ بـن أبـي طالب الهاشميّ القرشيّ العلويّ الجِيليّ الحنبليّ السيد الشريف الصالـح المشهور المعروف بسبط أبـي عبد الله الصَّوْمَعِيّ الزاهد. وكان يُعرف بِجِيلان. وأمّه أمّ الخير أمَة الجبّار فاطمة بنت أبـي عبد الله الصَّوْمَعِيّ. مولده بجِيلان في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة. كان شيـخ العراق صاحب حال ومقال، عالماً عاملاً قُطْب الوجود، إمام أهل الطريقة، قُدوة المشايـخ في زمانه بلا مدافعة. ومناقبه وشهرته أشهر من أن تذكر. كان ممّن جمـع بين العلم والعمل؛ أفتى ودرّس ووعظ سنين، ونظم ونثر؛ وكان محقّقاً، صاحب لسان في التحقيق، وبيان في الطريق. وهو أحد المشايـخ الذين طنّ ذكرهم في الشرق والغرب. أعاد الله علينا من بركاته وبركات أسلافه الطاهرين.

وفيها تُوفّي محمد بن حَيْدَر بن عبد الله الشيـخ أبو طاهر البغداديّ الأديب الشاعر المعروف بآبن شعبان. ومن شعره من أوّل قصيدة: [الطويل]

خليليّ هـذا آخـر العهـد منكمـا ... ومِنّي فهـل من مـوعـدٍ نَستجَـدُّه

وفيها تُوفّي محمد بن يحيى بن محمد بن هُبَيْرة أبو عبد الله عزّ الدين آبن الوزير عون الدين. كان فاضلاً كبير الشأن عظيم القدر. ناب عن أبيه في الوزارة مدّة، ثم قُبِض عليه بعد موت أبيه وصُودر وحبس، ثم هرب من محبسه خوفاً على نفسه فلم يستتر أمره؛ وأُخِذ وقُتِل خنقاً. وكان من بيت علم وفضل ورياسة.

الذين ذكر الذهبـيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي أبو طاهر إبراهيم ابن الحسن بن الحُصَين الشافعيّ بدمشق. وأبو عبد الله الحسن بن العبّاس الرّسْتُمي الشافعيّ في صفر وله ثلاث وتسعون سنة. وأبو محمد عبد الله بن رِفَاعة بن غَدِير السَّعْديّ الفَرَضِيّ في ذي القعدة وله أربـع وتسعون سنة. والحافظ أبو محمد عبد الله ابن محمد الأَشِيريّ ـــ وأَشِير: بين حمص[١] وبعلبكّ ـــ وأبو طالب عبد الرحمن بن الحسن بن العَجَميّ بحلب. والقدوة الشيـخ عبد القادر الجيليّ شيـخ العراق وله تسعون سنة.

(١) في معجم البلدان واللباب آن «أشير» حصن بالمغرب. قال في اللباب: توفي بالشام ودفن ببعلبك.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ست أذرع وإحدى عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة السابعة من خلافة العاضد على مصر

وهي سنة آثنتين وستين وخمسمائة.

فيها تزوّج الخليفة المستنجد بالله بآبنة عمّه أبـي نصر بن المستظهر، ودخل بها في شهر رجب ليلة الدعوة التي كان يعملها في كلّ سنة للصوفيّة وغيرهم؛ وغنّى المغنّي: [الطويل]

يقول رجالُ الحَيِّ تَطمَعُ أن ترى ... محاسنَ ليلَى مُتْ بداء المطَامِعِ
وكيف ترى ليلَى بعينٍ ترى بها ... سواها وما طَهَّرتَها بالمدامعِ
وتلتذّ منها بالحديث وقد جَرَى ... حديثُ سواها في خُروق المسامعِ

وكان مع الصوفية رجل من أهل أصبهان، فقام قائماً وجعل يقول للمغنّي: «أي خواجا كفت» وهو يُكرِّر ذلك، والمغنّي يعيد الأبيات حتى وقع الرجل ميتاً؛ فصار ذلك الفرح مأتماً؛ وبكى الخليفة والصوفيّة ولا زالوا يتراقصون حوله إلى الصباح، فحملوه إلى الشُّونيزيّة فدفنوه بها، وكان له مشهد عظيم.

وفيها عاد الأمير أسد الدين شِيرِكُوه بعساكر دمشق إلى مصر، وهي المرّة الثانية. وقد تقدّم ذلك كلّه في ترجمة العاضد.

وفيها آحترقت اللّبّادون[1] وباب الساعات بدمشق حريقاً عظيماً صار تاريخاً. . وسببه أنّ بعض الطبّاخين أوقد ناراً عظيمة تحت قِدْر هَرِيسة ونام، فآحترقت دكّانه ولعبت النار في اللّبّادين وغيرها إلى أن عظُم الأمر.

وفيها تُوفّي أحمد بن عليّ بن الزبير القاضي الرشيد. كان أصله من أُسْوان

(١) اللبّادون: موضع بدمشق مشرف على باب جيرون (معجم البلدان).

وسكن مصر، وكان من شعراء شاوَر بن مُجير السَّعْديّ، وله فيه مدائح، إلّا أنّه لم ينجُ من شر شاوَر؛ اِتّهمه بمكاتبة أسد الدين شيركُوه فقتله. وكان فاضلاً شاعراً؛ وله التصانيف المفيدة، من ذلك كتاب «جنّات[١] الجَنان ورياض الأذهان» ذيّل به على اليتيمة. ومن شعره: [الطويل]

تَوَاطَا على ظُلمي الأنامُ بأَسْرِهم   وأظلم مَنْ لاقيتُ أهلي وجِيراني
لكل آمرىء شيطانٌ جِنّ يَكيدُه   بسوء ولي الورَى ألفُ شيطان

وفيها تُوفّي يحيى بن عبد الله بن القاسم القاضي تاج الدين الشَّهْرُزُورِيّ[٢]. كان إماماً فاضلاً شاعراً فصيحاً؛ مات بالموصل. ومن شعره يُوازن قصيدة مِهْيَار التي يقول فيها: [المتقارب]

وعَطِّلْ كؤوسك إلّا الكبار   تجد للصغار أُناساً صِغارا[٣]

وفيها تُوفّي محمد بن الحسن [بن محمد][٤] بن علي العلّامة أبو المعالي بن حَمْدون الكاتب، الملقّب كافي الكُفاة، بهاء الدين البغداديّ. كان فاضلاً ذا معرفة تامّة بالأدب والكتابة من بيت مشهور بالرياسة والفضل هو وأبوه وأخواه أبو نصر[٥] وأبو المظفر[٦]. وأبو المعالي هذا هو مصنّف كتاب «التذكرة»[٧] وهو من أحسن

(١) في كشف الظنون وابن خلكان: «جنان الجنان ورياض الأذهان».
(٢) ذكر ابن خلكان نقلاً عن الخريدة أن وفاته سنة ٥٥٦هـ.
(٣) سها المؤلف عن ذكر الشعر الذي يوازن به الشهرزوري قصيدة مهيار. وأورده ابن خلكان كما يلي:

وسُقّ للندامى عقيقيّةً   تضيء فتحسب في الليل نارا
تدور المسرّة مع كاسها   وتتبعه حيثما الكاس سارا
ولا عيب فيها سوى أنها   متى عرست بحمى الغمّ سارا
ستلقى ليالي الهموم الطوال   فباد ليالي السرور القصارا

(٤) زيادة عن ابن خلكان وما سيأتي للمؤلف.
(٥) هو أبو نصر غرس الدولة. واسمه أيضاً محمد. كان من كتاب الدواوين، وله مؤلفات. توفي سنة ٥٤٥هـ. (مقدمة التذكرة الحمدونية: ٦/١ تحقيق الدكتور إحسان عباس).
(٦) لعله كان يسمى محمداً أيضاً. (المرجع السابق).
(٧) وهم في ذلك أبو شامة في ذيل الروضتين والذهبي في العبر فنسب كل منهما الكتاب إلى ابنه الحسن أبي سعد المتوفى سنة ٦٠٨هـ. (المرجع السابق).

التصانيف، يشتمل على التاريخ والأدب والأشعار، وقفتُ عليه وهو في غاية الحسن. وكان آبن حمدون المذكور صاحب ديوان[1] الخليفة المستنجد العباسيّ، وروي عن المستنجد قول أبـي حفص الشِّطْرَنْجِيّ في جارية حَوْلاء، وهو: [الطويل]

حَمِدتُ إلهي إذ بُلِيتُ بحبّها ... وبـي[2] حَوَلٌ يغني عن النظر الشَّزْرِ
نظرت إليها والرقيب يخالني ... نظرتُ إليه فآسترحتُ من العذر

وقال آبن خلّكان: إنّه تُوفّي ببغداد في يوم الأربعاء من شهر رجب سنة خمس[3] وسبعين وخمسمائة، بخلاف ما ذكرناه من قول أبـي المظفّر.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: فيها تُوفّي أبو البركات الخَضِر آبن شِبْل بن الحسين بن عبد الواحد خطيب دمشق. والحافظ أبو سعد عبد الكريم [بن محمد][4] بن منصور التميميّ السَّمْعَانيّ تاج[5] الإسلام محدّث خُراسان في شهر ربيع الأوّل وله ست وخمسون سنة. وأبو عَرُوبة عبد الهادي بن محمد بن عبد الله بن عمر بن مأمون السجستانيّ الزاهد. وجمال الأئمة بن الماسح أبو القاسم عليّ بن الحسن الكلابيّ الدمشقيّ في ذي الحجّة. وأبو الحسن عليّ بن مهديّ بن الهلال الطبيب. والعلامة أبو شجاع عمر بن محمد البسطاميّ ثم البَلْخِيّ. وأبو عاصم قيس بن محمد السُّوَيْقِيّ المؤذِّن. وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ثابت المصريّ الكِيزَانِيّ[6] الواعظ في المحرّم. وأبو المعالي محمد بن محمد بن محمد في شهر ربيع الآخر. والمبارك بن المبارك بن صدقة السمسار. وأبو طالب

(١) تولى هذه الوظيفة سنة ٥٥٨هـ، وهي وظيفة «صاحب ديوان الزمام». وكان قد تولى في عهد المقتفي وظيفة «عارض الجيش». (المرجع السابق).
(٢) رواية ابن خلكان: «على حولٍ».
(٣) الذي في ابن خلكان: ٣٨٢/٤ أن وفاته سنة ٥٦٢هـ.
(٤) زيادة عن الشذرات وابن الأثير وابن خلكان وما سيأتي في السنة التي تلي هذه السنة.
(٥) في الأصل: «ابن تاج الإسلام» والتصحيح عما سبق.
(٦) تقدمت وفاته سنة ٥٦٠هـ.

المبارك بن خُضَيْر الصيرفيّ. وأبو الفرج مسعود بن الحسن الثقفيّ في رجب وله مائة سنة. وأبو القاسم هبة الله بن[١] الحسن الدقاق في المحرّم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وأربع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الثامنة من خلافة العاضد على مصر

وهي سنة ثلاث وستين وخمسمائة.

فيها أبيع الورد ببغداد مائة رطل بقيراط وحبّة.

وفيها زاد ظلم أبي جعفر[٢] بن البَلَدِيّ وزير الخليفة، وآستغاث أهل بغداد منه.

وفيها تُوفّي ظافر بن القاسم الأديب أبو منصور الجُذَامِيّ الإسكندريّ المعروف بالحدّاد الشاعر المشهور. كان فصيحاً فاضلاً بليغاً. وشعره في غاية الحسن. وهو صاحب القصيدة الذالية التي أوّلها: [الكامل]

لو كان بالصبر الجميل مَلاذُهُ	ما سَحَّ وابلُ دمعه ورَذَاذُهُ
ما زال جيشُ الحب يغزو قلبه	حتّى وَهَى وتَقطّعتْ أفلاذه
لم يبقَ فيه من الغرام بَقِيّةٌ	إلّا رسيسٌ يحتويه جُذاذُه
مَنْ كان يَرغَبُ في السلامة فليكن	أبداً من الحَدَقِ المِرَاض عِياذُه
لا تَخْدَعنّك بالفتور فإنّه	نَظَرٌ يضرّ بقلبك آستلذاذه
يأيّها الرَّشأ الذي من طَرْفِه	سهمٌ إلى حَبِّ القلوب نفاذُه
دُرٌّ يلوح بفيك مَنْ نَظّامُه	خمرٌ يجول عليه من نَبّاذُه

(١) في الشذرات: «هبة الله الحسن بن هلال الدقّاق مسند العراق».

(٢) هو شرف الدين أبو جعفر محمد بن أبي الفتح البلدي وزير المستنجد العباسي، كما في الفخري لابن الطقطقي. وفي ابن الأثير أنه شرف الدين أبو جعفر أحمد بن محمد بن سعيد.

وقنــاةُ ذاك القَــدّ كيف تَقَــوّمتْ وسِنــانُ ذاك اللَّحْظِ مـا فُــولاذه
رِفْقاً بجسمـك لا يـذوب فـإنّني أخشى بـأن يجفـو عليـه لاذه[1]
هاروت يعجز عن مـواقـع سحره وهـو الإمـام فمَنْ تـرى أستاذُه
تـالله مـا عَلِقتْ محـاسنُك آمرأً إلّا وعَـزّ على الـورَى آستنقـاذُه
أغـريتَ حُبَّك بـالقلوب فـأذعنتْ طوعاً وقـد أودَى بهـا آستحـواذُه
ما لِي أتيتُ الحبّ[2] من أبوابه جـهــدِي فــدام نِـفــارُهُ ولِــواذُه
إيّـاكَ من طمـع المُنَى فعزيـزه كــذلـيـله وغَـنِـيُّـه شَـحَّـاذُه

ومنها:

داليــة آبن دُرَيْـدٍ آستهـوَى بهـا قــومـاً غــدَاة نَبَتْ بـه بغـداذه
دانُـوا لـزخْـرف قـولـه فتفـرّقت طمعــاً بهم صَـرْعـاه أو جـذاذُه

ويحكى أنّ آبن ظَفْر أمير الإسكندريّة أحضره مرّة ليبرُد له خاتماً قد ضاق في خنصره فقال ظافر المذكور: [السريـع]

قصَّـرَ عن أوصـافـك العـالمُ فـآعتـرف[3] النـاثـرُ والنـاظمُ
مَنْ يكن البـحـرُ لـه راحـةً يَضيقُ عن خِنْصَـرِه الـخـاتَمُ

وكانت وفاته في هذه السنة. وقال آبن خَلِّكان: في سنة تسع وعشرين وخمسمائة.

وفيها تُوفّي عبد الكريم[4] بن محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبّار الإمام الحافظ أبو سعيد بن السَّمْعاني التميميّ، مولده بمَرْو. وكان إماماً فاضلاً محدّثاً فقيهاً. ذيّل على تاريخ أبـي بكر الخطيب، ورحل إلى دِمشق. قال آبن عساكر ثمّ عاد من دمشق إلى بغداد فسَمَّـعَ تاريخ الخطيب وذيّله، وعاد إلى خُراسان وعَبَر النهر، وحدّث ببَلْـخ وهَرَاة. وصنّف كتاباً سماه «فرط الغرام إلى ساكني الشام» وأرسل به

---

(١) اللاذ: ثياب حرير تنسج في الصين. واحدتها لاذة.

(٢) رواية ابن خلكان: «... الحظ من أبوابه... جهدي فدام نفوره..»

(٣) في ابن خلكان: «وكثر الناثر.».

(٤) وردت وفاته عن الذهبي في السنة الماضية.

إلى دمشق وهو بخطّه في ثمانية أجزاء تشتمل على أخبار وحكايات. ومات بَمرْو في شهر ربيع الأوّل.

وفيها تُوفّي الأمير زين الدِّين عليّ بن بُكتُكِين بن مُظَفَّر الدِّين كُوكُبُورِيّ، المعروف كُوجَك، التركيّ. كان حاكماً على الموصل وغيرها؛ وكان حسن السِّيرة عادلاً في الرعيّة. وكان أوّلاً بخيلاً مَسِيكاً، ثمّ إنّه جاد في آخر عمره، وبنى المدارس والقناطر والجسور. وحكي أنّ بعض الجند جاءه بذَنَب فَرَس وقال له: مات فرسي، فأعطاه عوضه؛ وأخذ ذلك الذنب آخر وجاءه به وقال له: مات فرسي، فأعطاه عوضه؛ ولا زال يتداول الذنَب آثنا عشر رجلاً، وهو يعلم أنّه الأوّل ويعطيهم الخيل. فلمّا أعجزوه أنشد: [الكامل]

ليس الغبيُّ بسيِّدٍ في قومه لكنّ سيِّد قومه المتغابي

فعلموا أنّه عَلِم فتركوه. ولما كَبِر سِنُّه سلّم البلاد إلى قطب الدين مودود، وقال له: إنّك لا تنتفع بي، فقد كَبِرتُ وضَعُفت قوّتي وخانني سمعي وبصري. وكان الأتابك زَنْكِي قد أعطاه إرْبِل، فمضى إليها وأقام بها حتّى مات في ذي الحجّة. وكانت أيّامه على الموصل إحدى وعشرين سنة ونصفاً. وملك بعده آبنه زين الدِّين يوسف بن عليّ بن مُظَفَّر الدِّين كُوكُبورِي.

وفيها تُوفّي محمد بن عبد[1] الحميد أبو الفتح علاء الدِّين الرازيّ[1] السَّمَرْقَندِيّ صاحب «التعليقة» و«المعترض والمختلف» على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة، رضي الله عنه. وكان إماماً بارعاً مفتناً؛ كان من فرسان الكلام؛ قدِم بغداد وناظر وبَرَع وفاق أهلها. وكان شحيحاً بكلامه؛ فكانوا يُورِدون عليه أسئلة وهو عالم بأجوبتها، فيكاد ينقطع ولا يذكرها لشحّه ولئلّا تستفاد منه؛ وعلم ذلك منه علماء عصره. وقيل: إنّه تنسّك وترك المناظرة مع شهادة أهل عصره من العلماء له بالسَّبْق والفضيلة.

(١) في الأصل: «عبد المجيد... الداري». وما أثبتناه عن المنتظم والبداية والنهاية ومعجم البلدان واللباب وأنساب السمعاني. ووفاته في السمعاني واللباب ومعجم البلدان سنة ٥٥٢هـ.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي أبو المعالي أحمد آبن عبد الغني الباجسرائي[١]. والقاضي الرشيد أبو الحسين[٢] [أحمد بن] عليّ بن الزُّبير الأُسْوانِيّ الكاتب بمصر. وأبو المظَفّر أحمد بن محمد بن عليّ الكاغَدِيّ في رجب ببغداد. وأبو بكر أحمد بن المقرّب الكَرْخِيّ في ذي الحجّة. وأبو المناقب حَيْدَرة بن عمر بن إبراهيم العَلَوِيّ الزَّيْدِيّ في ذي الحجّة بالكوفة. وأبو طاهر الخَضِر بن الفضل الصّفّار، ويعرف بزُحَل، في جمادى الأولى، وله إجازة عالية. وأبو الفضل شاكر بن عليّ الأُسْوَارِيّ. وأبو محمد عبد الله بن عليّ الطَّامَذِيّ المقرىء بأصبهان في شعبان. والشيخ العلّامة أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهْرَوَرْدِيّ عن ثلاث وسبعين سنة. وأبو الحسن عليّ بن عبد الرحمن الطُّوسِيّ بن تاج القرّاء. وعمرو بن سمّان البغداديّ. وأبو الحسن محمد بن إسحاق بن محمد بن الصابىء. والشريف الخطيب أبو الفتوح ناصر بن الحسن الحُسَيْنِيّ المقرىء بمصر. وأبو بكر محمد بن عليّ [بن عبد الله][٣] بن ياسر الجَيَّانِيّ الأندلسيّ. ونفيسة بنت محمد بن عليّ البزّازَة[٤]. والصائن هبة الله بن الحسن بن هبة الله بن عساكر في شعبان وله خمس وسبعون سنة. وأبو المظَفَّر هبة الله بن عبد الله بن أحمد بن السَّمَرْقَنْدِيّ. وأبو الغنائم هبة الله بن محفوظ بن صصرى. ومدرِّس النِّظاميَّة أبو الحسن يوسف بن عبد الله بن بُنْدَار الدمشقيّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصبعاً.

* * *

(١) نسبة إلى باجسرى، من نواحي بغداد. وترسم أيضاً: باجسرا. (معجم البلدان والسمعاني).

(٢) في الأصل: «أبو الحسن علي بن الزبير». والتصحيح والزيادة عن ابن خلكان.

(٣) زيادة عن الشذرات.

(٤) في الأصل: «البراد» والتصحيح عن شذرات الذهب. ونسبتها إلى «البزّ» وهي الثياب.

السنة التاسعة من خلافة العاضد على مصر

وهي سنة أربع وستين وخمسمائة.

فيها ملك السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكِي الشَّهِيد قلعة جَعْبَر من صاحبها آبن مالك العُقَيْلِيّ[١].

وفيها قدم أسد الدين شِيرِكُوه إلى الديار المصريّة ومعه آبن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيّوب لقتال الفرنج. وهذه قَدْمته إلى مصر الثالثة التي ملك فيها مصر، حسب ما تقدّم ذكره في ترجمة العاضد: من قتله لشاور، وتوليته الوزر للعاضد، ووفاته بديار مصر، وتولية صلاح الدين يوسف بعده.

وفيها تُوفّي حُمَيْد بن مالك بن مُغيث بن نصر بن مُنْقِذ الأمير أبو الغنائم الكِنانِيّ. مولده بشَيْزَر، ثمّ آنتقل منها وسكن دمشق، ثم رَحَل إلى حلب ومات بها في شعبان. وكان أديباً فاضلاً شاعراً.

وفيها تُوفّي عبد الخالق بن أَسَد بن ثابت الإمام أبو محمد الدِّمَشْقيّ الحنفيّ. كان فقيهاً مُفْتَناً عارفاً بالحديث وفنون العلوم، ودرس بالصادِرِيّة[٢] بدمشق ومات بها. ومن شعره: [الكامل]

قال العواذل ما آسم مَن أضنى فؤادَك قلت أحمد
قالوا أتَحمدُه وقد أضنى فؤادَك قلت أحمد

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي الأمير مُجير الدِّين [آبق بن محمد][٣] بن بُورِي بن طُغتِكِين الذي أخذ منه نور الدين دمشق، ثم صار

(١) هو شهاب الدين مالك بن علي بن مالك العقيلي صاحب قلعة جعبر. استلمها من والده سنة ٥٤٦هـ، ولم يزل مالكاً لها إلى أن خرج إلى الصيد سنة ٥٦٣هـ فصادفه بنو كلب فأخذوه أسيراً وحملوه إلى نور الدين ليتقربوا به إليه. فحبسه نور الدين وضيّق عليه إلى أن سلّمه جعبر. (الأعلاق الخطيرة: ١١٥/١/٣).

(٢) في الأصل: «الصاروجية». والتصحيح عن الشذرات. والمدرسة الصادرية هي أول مدرسة أقيمت في دمشق، أنشأها شجاع الدولة صادر بن عبد الله سنة ٤٩١هـ. وكانت خاصة بمذهب أبي حنيفة. (الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام: ص ٦١).

(٣) زيادة عن زامباور.

أميراً ببغداد. والملك أبو شجاع شاوَر بن مجير بن نِزَار السعديّ، وزير العاضد، قتله جُرديك النُّورِيّ. والملك المنصور أسد الدين شِيرِكوه بن شَادِي فجأة بعد شاور بشهرين. وأبو محمد عبد الخالق بن أسد الحنفيّ الحافظ في المحرّم. وأبو الحسن عليّ بن محمد بن عليّ البَلَنْسِيّ[1] المقرىء في رجب وله أربع وتسعون سنة. وقاضي القضاة زكيّ الدِّين عليّ بن المنتخب [محمد بن][2] يحيى القرشيّ الدمشقيّ في شوّال غريباً ببغداد وله سبع وخمسون سنة. وأبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن البَطِّيّ الحاجب مُسْنِد العراق في جمادى الأولى وله سبع وثمانون سنة. والحافظ أبو أحمد معمر بن عبد الواحد القرشيّ بن الفاخر الأصبهانيّ في ذي القعدة بطريق الحجاز وله سبعون سنة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستّ أذرع وثماني أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وآثنتا عشرة إصبعاً.

* * *

السنة العاشرة من خلافة العاضد على مصر

وقد وزر له الملك الناصر صلاح الدِّين يوسف بن أيّوب، ولم يكن له مع صلاح الدين إلّا مجرّد الاسم فقط.

وهي سنة خمس وستين وخمسمائة.

فيها نزل الفرنج على دِمْياط يوم الجمعة في ثالث صفر، وجدّوا في القتال، وأقاموا عليها ثلاثة وخمسين يوماً يحاصرونها ليلاً ونهاراً. ونذكر هذه الواقعة بأوسع من هذا في أوّل ترجمة صلاح الدِّين إن شاء الله.

---

(١) نسبة إلى بلنسية بالأندلس.

(٢) زيادة عن شذرات الذهب.

وفيها تُوفّي حّماد بن منصور البُزَاعِيّ[١] الحلبيّ ويُعرف بالخرّاط. كان أديباً شاعراً فصيحاً. ومن شعره في كريم: [الخفيف]

ما[٢] نوالُ الغَمَام وقت ربيعٍ كنوال الأمير وقت سَخَاء
فنوالُ الأمير بَدْرَةُ مالٍ ونوال الغمام قَطْرةُ ماء

قلت: ومن الغاية في هذا المعنى قول الشيخ علاء الدين عليّ الوَدَاعِيّ[٣]: [البسيط]

مَنْ زار بابك لم تَبْرَحْ جوارحُه تَرْوِي أحاديثَ ما أولَيْتَ من مِنَنِ
فالعين عن قُرَّةٍ والكَفُّ عن صِلَةٍ والقلبُ عن جابرٍ والسمع[٤] عن حسنِ

وفيها تُوفّي محمد بن إبراهيم بن هانىء أبو القاسم المغربيّ. كان من شعراء الخلفاء الفاطميّين. ومن شعره من أوّل قصيدة مدح بها بعض خلفاء مصر: [الرمل]

اِمسَحُوا عن ناظري كحلَ السُّهادِ وانفُضُوا عن مَضْجَعي شوكَ القَتَادِ
أوْ خذوا منّي الذي أبقَيتُمُ ما أُحِبّ الجسم مسلوبَ الفؤادِ

وفيها تُوفّي مودود بن زَنْكِي بن آق سُنْقُر الملك قطب الدِّين صاحب الموصل وأخو السلطان الملك العادل نور الدين محمود الشهيد. ولمّا آحتُضِر مودود هذا أوصى بالمُلك لولده عِماد الدين زَنْكِي، وكان أكبرهم وأعزّهم عليه. وكان الحاكم على الموصل فخر الدين عبد المسيح، وكان يكره عِماد الدِّين زَنْكِي هذا؛ وكان عِماد الدين قد أقام عند عمّه نور الدين محمود بحلب مدّة وتزوّج بآبنته، فلا زال فخر الدين المذكور بقطب الدين مودود حتّى جعل العهد من بعده لولده سيف الدين

---

(١) نسبة إلى بزاعة من أعمال حلب (انظر الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب: ١٧٢ ــ ١٧٣).

(٢) في معاهد التنصيص أن هذين البيتين لرشيد الدين الوطواط. (النجوم، طبعة دار الكتب المصرية، ٥/٣٨٣، حاشية: ٢).

(٣) هو علاء الدين علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر بن زيد، المعروف بالوداعي، كاتب ابن وداعة. توفي سنة ٧١٦هـ. وهو صاحب التذكرة الكندية. (فوات الوفيات: ٣/٩٩).

(٤) في الفوات: «والأذن».

غازي وعزل عِماد الدين زَنْكِي؛ فعزّ ذلك على نور الدين وقصد الموصل وقال: أنا أحقُّ بتدبير ملك أولاد أخي.

الذين ذكرهم الذهبيّ في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي أبو بكر عبد الله ابن محمد بن النَّقُور البزّاز في شعبان عن إحدى وثمانين سنة. وأبو المكارم عبد الواحد بن محمد بن المسلّم بن الحسن بن هلال الأزديّ العدل في جمادى الآخرة. وأبو القاسم محمود بن عبد الكريم الأصبهانيّ التاجر. وصاحب الموصل قطب الدين مودود ابن أتابك زَنْكِي.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وثماني عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وأربع عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الحادية عشرة من خلافة العاضد على مصر

وتحكّم وزيره الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب.

وهي سنة ست وستين وخمسمائة.

فيها سار الملك العادل نور الدين محمود من دِمشق إلى الموصِل وسلّمها لابن أخيه عِماد الدين زَنْكِي بعد أمور وقعت بينه وبين فخر الدين عبد المسيح المقدّم ذكره في الماضية.

وفيها بنى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب مدرسة للشافعيّة[1]،

(١) مدرسة الشافعية التي كان موضعها حبس المعونة. ذكر المقريزي عند الكلام على ذكر السجون في الجزء الثاني (ص ١٨٧) من خططه سجنين باسم حبس المعونة أحدهما بمصر (الفسطاط)، والثاني بالقاهرة. فقال: حبس المعونة بمصر يقال له أيضاً دار المعونة لأنها بنيت بمعونة المسلمين ينـزلها ولاتهـم، وعرفت أيضاً بدار الفلفل. وكانت واقعة قبلي جامع عمرو بن العاص بمصر، وقد جعلت داراً للشرطة، وآستمرت كذلك من أول الإسلام إلى أن حولها يانس العزيزي إلى حبس يعرف بالمعونة في سنة ٣٨١هـ. ولما ولي السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حكم مصر جعل هذا الحبس مدرسة وهي التي تعرف =

وكان موضعها حبس المعونة، وبنى بها أيضاً مدرسة للمالكيّة تعرف بدار الغزل[١].
وولّى صدر الدِّين عبد الملك بن درباس الكرديّ القضاء بالقاهرة..

وفيها في جمادى الآخرة خرج صلاح الدِّين يوسف بن أيّوب بعساكر العاضد إلى الشام فأغار على غَزّة وعَسْقلان والرملة ومضى إلى أَيْلة، وكان بها قلعة فيها جماعة من الفرنـج، وآلتقاه الأسطول في البحر؛ فآفتتحها وقتل من فيها وشحنها بالرجال والعدد؛ وكان على درب الحجاز منهم خطر عظيم. ثم عاد صلاح الدين إلى مصر في جمادى الآخرة.

وفيها في شعبان آشترى تقّي الدين عمر بن شاهنشاه منازل[٢] العزّ بمصر، وعملها مدرسة للشافعيّة.

= بالشريفية. وقال آبن دقماق في الجزء الرابع من كتاب الانتصار ص ٩٣: إن المدرسة الشريفية بجانب جامع مصر في شرقيه بناها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب.
أما يانس العزيزي فهو يانس الصقلي صاحب الشرطة في عهد الخليفة العزيز بالله نزار الفاطمي وقد نقل الشرطة إلى مكان آخر؛ والمدرسة الشريفية وهي مدرسة الشافعية زالت. ومحلها اليوم أرض فضاء في الجنوب الشرقي من جامع عمرو بمصر القديمة مشغولة بأقمان الجير والفواخير. (محمد رمزي).

(١) مدرسة المالكية المسماة بدار الغزل. قال آبن دقماق (ص ٩٥ ج ٤ من كتاب الانتصار): «إن المدرسة المالكية وهي المعروفة بالقمحية كانت تعرف بدار الغزل وهي قيسارية يباع فيها الغزل، جعلها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب مدرسة للمالكية». وقال المقريزي عند الكلام على المدرسة القمحية في الجزء الثاني (ص ٣٦٤) من خططه: «إن هذه المدرسة بجوار الجامع العتيق بمصر (جامع عمرو بمصر القديمة). كان موضعها قيسارية تعرف بدار الغزل هدمها السلطان صلاح الدين وأنشأ موضعها مدرسة للفقهاء المالكية في النصف من شعبان سنة ٥٦٦هـ».
وهذه المدرسة قد زالت. ومحلها اليوم أرض فضاء في الجهة الشرقية من جامع عمرو بمصر القديمة بجوار أقمان الجير والفواخير. وفي الأصل: «بدار العدل» وهو تحريف. (محمد رمزي).

(٢) منازل العز، قال المقريزي عند الكلام على منازل العز في الجزء الأول (ص٤٨٤) من خططه: إن هذه المنازل بنتها السيدة تغريد أم الخليفة العزيز بالله نزار الفاطمي، ولم يكن بمصر أحسن منها وكانت مطلة على النيل لا يحجبها شيء عن نظره، وما زال الخلفاء من بعد المعز يتداولونها، وكانت معدّة لنزهتّهم. . .
وموضعها الآن المدرسة التقوية منسوبة للملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الـدين أيوب بن شادي. وقال المقريزي (ج ٣ ص ٣٦٤) عند الكلام على مدرسة منازل العز: إن الملك المظفر نزل في منازل العز فسكنها مدّة ثم آشتراها في شهر شعبان سنة ٥٦٦هـ إلى أن ولاه عمه السلطان صلاح الدين نيابة حماة وما معها في سنة ٥٨٣هـ فوقف منازل العز على فقهاء الشافعية. =

وفيها توفّي الخليفة المستنجد بالله أمير المؤمنين أبو المظفر يوسف ابن المقتفي لأمر الله محمد ابن المستظهر بالله أحمد ابن المقتدي بأمر الله عبد الله الهاشميّ العباسيّ البغداديّ. أُستخلف يوم مات أبوه في شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وخمسمائة. ومولده في سنة ثماني عشرة وخمسمائة. وأمّه أمّ ولد تسمى «طاوس» كَرَجيّة، أدركت خلافته. وكان المستنجد أسمر طويل اللّحية معتدل القامة شجاعاً مهيباً عادلاً في الرعيّة ذكّياً فصيحاً فَطِناً؛ أزال المظالم والمكوس. وكانت وفاته في يوم السبت ثامن شهر ربيع الآخر، ودُفِن بداره. وكانت خلافته إحدى عشرة سنة وشهراً.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع سواء. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وإحدى وعشرةن إصبعاً.

= وأقول: إن منازل العز كانت واقعة على شاطىء النيل بمصر القديمة. ومحلها اليوم مجموعة المباني التي تحد من الغرب بشارع مصر القديمة، ومن الجنوب مدخل شارع المرحومي، وحارة الشراقوة وعطفة زاهر، ومن الشرق جنينة الجعجعي وعطفة الاسرلي، ومن الشمال شارع القبوة. وأما المدرسة التقوية فتعرف اليوم باسم جامع شهاب الدين أحمد المرحومي الذي يتوسط هذه المنطقة بشارع المرحومي بمصر القديمة. (محمد رمزي).

ذكر ولاية أسد الدين شِيرِكُوه[١] على مصر

وقد آختلف المؤرّخون في أمر ولايته على مصر، فمنهم من عدّه من الأمراء، ومنهم من ذكره من الوزراء. ولهذا أخّرنا ترجمته إلى هذه السنة، ولم نسلُك فيها طريق أمراء مصر. وقد ذكرنا من تردّده إلى مصر وقتله لشاوَر وتوليته الوزارة من قِبَل العاضد نبذةً كبيرة في ترجمة العاضد المذكور. ونذكر ترجمته الآن على هيئة تراجم أمراء مصر؛ ففي مساق هذه الترجمة وفي سياق تلك الترجمة جمعٌ بين القولين، وللناظر فيهما الاختيار، فمن شاء يجعله وزيراً، ومن شاء يجعله أميراً[٢].

هو الملك المنصور أسد الدِّين شِيرِكُوه بن شادِي[٣] بن مَرْوَان عمّ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب. يأتي بقيّة نسبه وما قيل في أصله في ترجمة آبن أخيه

---

(١) ترجمته وأخباره في: وفيات الأعيان: ٤٧٩/٢، وابن عساكر: ٣٥٨/٦، وابن خلدون: ٢٨٢/٥، وابن الأثير (حوادث سنة ٥٦٤هـ)، وشفاء القلوب: ٢٥، والخطط التوفيقية: ٦٠/١، والخطط المقريزية: ٣٥٨/١، والسلوك: ٦٠/١/١، وحسن المحاضرة: ٢٣/٢، والشذرات: ٢١١/٤.

(٢) يمكن اعتباره وزيراً وأميراً في آن معاً. فهو وزير بعهد من قبل العاضد آخر الخلفاء الفاطميين. وهو أمير نائب عن أمير. أي إنه ذهب إلى مصر نيابة عن نور الدين محمود الذي كان والياً على البلاد الشامية والمصرية، كما قال السيوطي في حسن المحاضرة: ٢٣/٢. قال: «لما قتل الظافر وصلت الأخبار إلى بغداد أنه لم يبق فيهم (أي الفاطميين) إلا صبيّ صغير ابن خمس سنين، وقد ولوه عليهم ولقبوه الفائز. فكتب الخليفة المكتفي عهداً للملك نور الدين محمود بن زنكي على البلاد الشامية والمصرية وأرسله إليه».
وبما لا شك فيه أن نور الدين الشهيد كان مصمماً منذ البدء على إسقاط الخلافة الفاطمية ورفع الدعوة العباسية. وما قبوله بوزارتي أسد الدين ومن ثم صلاح الدين للعاضد إلا من قبل التمهيد للاستيلاء على البلاد المصرية وإلحاقها بالخلافة العباسية ببغداد. وبالتالي فإن شيركوه وصلاح الدين هما في نظره نائبان عنه في ولاية مصر.

(٣) تروى بصيغتين: بالدال المهملة، والذال المعجمة.

صلاح الدين المذكور، من أقوال كثيرة. وقد تقدّم من حديثه نبذة كبيرة. ونسوق ذلك كلّه على سبيل الاختصار، فنقول:

كان شاوَر قد توجّه إلى الشام يستنجد نور الدين في سنة تسع وخمسين وخمسمائة؛ فنَجَده بأسد الدين شِيرِكُوه هذا بالعساكر، ووصلوا إلى مصر في الثاني من جمادى الآخرة من سنة تسع وخمسين، وغَدَر بهم شاوَر ولم يفِ بما وعدهم به؛ فعادوا إلى دِمشق وعرّفوا نور الدين بذلك. ثم إنّ شاوَرَ ألجأته الضرورة لطلبهم ثانياً خوفاً من الفرنج؛ فعاد أسد الدين ثانياً إلى مصر في شهر ربيع الأول سنة آثنتين وستين؛ وسلك طريق وادي الغِزْلان[1] وخرج عند وادي إطْفيح، فكانت بينه وبينهم وقعة هائلة. وتوجّه صلاح الدين إلى الإسكندرية وآحتمى بها وحاصره شاوَر؛ لأنّه كان قد وُقِّع بينهم وبينه أيضاً، وآصطلح عليهم مع الفرنج. ثم رجع أَسد الدين من الصعيد نجدةً لابن أخيه صلاح الدين، وأخذه وسار إلى بلبيس حتّى وقع الصلح بينه وبين المصريّين؛ وعاد إلى الشام. فحنِق نور الدين لذلك ولم يمكنه الكلام لاشتغاله بفتح السواحل، ودام ذلك إلى أن وصل الفرنج إلى مصر وملكوها في سنة أربع وستين وقتلوا أهلها. أرسل العاضد يطلب النجدة من نور الدين فنجدهم بأسد الدين شِيرِكُوه، وهي ثالث مرّة، فمضى إليهم أسد الدين وطرد الفرنج عنهم، وملك مصر في شهر ربيع الأوّل من سنة أربع وستين وخمسمائة. وعزم شاور على قتل أسد الدين وقتل أصحابه أكابر أمراء نور الدين معه؛ ففطن أسد الدين لذلك فآحترز على نفسه. وعلم ذلك صلاح الدين يوسف بن أيوب أيضاً، فآتّفق صلاح الدين يوسف مع الأمير جُرديك النُّوريّ على مسك شاور وقتله؛ وآتّفق ركوب أسد الدين إلى زيارة قبر الإمام الشافعيّ ــ رضي الله عنه ــ وكان شاوَر يركب في كلّ يوم إلى أسد الدين؛ فلمّا توجّه إليه في هذا اليوم المذكور قيل له: إنّه توجّه إلى الزيارة. فطلب العود؛ فلم يمكنه صلاح الدين وقال: انزل، الساعة يحضر عميّ. فآمتنع فجذبه هو وجُرديك فأنزلوه عن فرسه وقبضوا عليه وقتلوه بعد حضور أسد الدين. وقد تقدم ذكر ذلك كلّه مفصلاً في ترجمة العاضد.

(١) وادي الغزلان: يعرف اليوم بوادي شراش بالجبل الشرقي تجاه ناحية القبابات بمركز الصف في شمالي وادي إصفيح (النجوم، طبعة دار الكتب المصرية، ٣٨٨/٥، حاشية).

وخلع العاضد على الأمير أسد الدين شِيرِكُوه المذكور بالوزارة[1]، ولقّبه بالملك المنصور. فلم تطُل مدّته ومات بعد شهرين فجأة في يوم السبت ثاني عشر جمادى الآخرة ــ وقيل: يوم الأحد ثالث عشرينه ــ سنة أربع وستين وخمسمائة، ودُفِن بالقاهرة ثم نُقل إلى المدينة. وقال آبن شدّاد[2]: «كان أسد الدين شِيرِكُوه كثير الأكل، كثير المواظبة على أكل اللحوم الغليظة، فتواتر عليه التُّخَم والخوانيق وهو ينجو منها بعد مقاساة شدّة عظيمة، ثم آعترضه بعد ذلك مرض شديد وآعتراه خانوق فقتله في التاريخ المقدّم ذكره».

قلت: ولمّا مات تولّى آبن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيّوب الوزارة من بعده. وكان أسد الدين أميراً عاقلاً شجاعاً مدبّراً عارفاً فطناً وَقُوراً. كان هو وأخوه أيّوب من أكابر أمراء نور الدين محمود الشهيد، وهو الذي أنشأهم حتى صار منهم ما صار. رحمهم الله تعالى.

* * *

[انتهى الجزء الخامس من النجوم الزاهرة،
ويليه الجزء السادس، وأوّله: ذكر سلطنة
السلطان الناصر صلاح الدين على مصر]

(١) راجع نصّ طرّة العهد بالوزارة ص ٣٣٥ ــ ٣٣٦ من هذا الجزء، والإحالة على مصادر نسخة العهد في الحاشية رقم (٢) ص ٣٣٥ والحاشية (١) ص ٣٣٦.

(٢) هو القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم الأسدي الشافعي المعروف بابن شداد، مؤلف سيرة صلاح الدين الأيوبي المسماة «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية». ولد سنة ٥٣٩هـ وتوفي سنة ٦٣٢هـ. (الأعلام: ٨/ ٢٣٠).

مصادر ومراجع

١ ـ اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، للمقريزي ـ تحقيق جمال الدين الشيّال ومحمد حلمي محمد أحمد ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣.

٢ ـ أخبار الدول المنقطعة، لابن ظافر الأزدي (القسم الخاص بالفاطميين). منشورات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٧٢.

٣ ـ أخبار الدولة السلجوقية، لصدر الدين بن علي الحسيني ـ دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٤.

٤ ـ أخبار مصر لابن ميسَّر ـ تحقيق أيمن فؤاد السيد ـ المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٨١.

٥ ـ أخبار مصر لابن المأمون ـ تحقيق أيمن فؤاد السيد ـ المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٨٣.

٦ ـ أخبار مصر للمسبحي ـ تحقيق أيمن فؤاد السيد وتياري بيانكي ـ المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية القاهرة ١٩٧٨.

٧ ـ الإشارة إلى من نال الوزارة، لابن منجب الصيرفي ـ تحقيق عبد الله مخلص ـ مطبعة المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية، القاهرة ١٩٢٤.

٨ ـ الاعتبار، لأسامة بن منقذ ـ مراجعة وتدقيق الدكتور حسن الزين ـ دار الفكر الحديث، بيروت ١٩٨٨.

٩ ـ الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، لابن شداد. تحقيق يحيى عبّارة. وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٨.

١٠ ـ الأعلام، لخير الدين الزركلي. دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٦.

١١ ـ أعمال الأعلام، للسان الدين ابن الخطيب. تحقيق ليفي بروفنسال. دار المكشوف، بيروت ١٩٥٦.

١٢ ـ أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين العاملي. دار التعارف، بيروت ١٩٨٦.

١٣ ـ إغاثة الأمة بكشف الغمة، للمقريزي. مؤسسة ناصر الثقافية، بيروت.

١٤ ـ الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، لحسن الباشا. مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧.

١٥ ـ الإمام المستنصر بالله الفاطمي، للدكتور عبد المنعم ماجد. القاهرة ١٩٦١.

١٦ ـ الانتصار لواسطة عقد الأمصار، لابن دقماق. دار الآفاق الجديدة، بيروت.

١٧ ـ الأنساب، للسمعاني. دار الكتب العلمية، بيروت.
١٨ ـ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل باشا البغدادي. دار الفكر، بيروت ١٩٨٢.
١٩ ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور، لابن إياس. سلسلة النشرات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية، فيسبادن ١٩٦٠ ـ ١٩٦٣.
٢٠ ـ البداية والنهاية، لابن كثير. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨.
٢١ ـ بلدان الخلافة الشرقية، لسترانج. ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد. بغداد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٥٤.
٢٢ ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذاري المراكشي. تحقيق كولان وبروفنسال. دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣.
٢٣ ـ تاج العروس، للزبيدي. مطبعة حكومة الكويت ١٩٦١.
٢٤ ـ تاريخ ابن الأثير (الكامل في التاريخ). دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧.
٢٥ ـ تاريخ الإسلام للذهبي. مطبعة السعادة، مصر ١٣٦٧ ـ ١٣٦٩هـ. الأجزاء ١ ـ ٦.
٢٦ ـ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، لحسن إبراهيم حسن. مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧.
٢٧ ـ تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي. دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٨ ـ تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر). نسخة مصورة عن طبعة بولاق.
٢٩ ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة ١٩٦٩.
٣٠ ـ تاريخ دمشق لابن عساكر. تحقيق صلاح الدين المنجد. دمشق ١٩٥١ ـ ١٩٥٤.
٣١ ـ تاريخ دول الإسلام، لرزق الله منقريوس الصرفي ـ الدار العالمية، بيروت ١٩٨٦.
٣٢ ـ تاريخ الزمان لابن العبري. نقله إلى العربية الأب إسحاق أرملة. دار المشرق ١٩٨٦.
٣٣ ـ تاريخ الفارقي (تاريخ ميافارقين) لابن الأزرق الفارقي ـ دار الفكر الحديث، بيروت ١٩٨٨.
٣٤ ـ تاريخ قضاة الأندلس، لأبي الحسن المالقي الأندلسي ـ المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت.
٣٥ ـ تاريخ مختصر الدول، لابن العبري ـ تحقيق أنطوان صالحاني اليسوعي ـ المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٨٩٠.
٣٦ ـ تاريخ اليمن (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد) لعمارة اليمني ـ تحقيق محمد بن علي الأكوع ـ مطبعة لجنة البيان العربي ـ ١٩٦٧.
٣٧ ـ تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، لأحمد السعيد سليمان. دار المعارف بمصر ١٩٧٩.

٣٨ ـ التذكرة الحمدونية، لابن حمدون ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ معهد الإنماء العربي، بيروت ١٩٨٣.
٣٩ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي. دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٠ ـ التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، لمحمد قنديل البقلي. الهيئة المصرية العامة، ١٩٨٤.
٤١ ـ تعريف القدماء بأبي العلاء ـ تحقيق مجموعة من الأساتذة بإشراف الدكتور طه حسين ـ الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥.
٤٢ ـ تقويم البلدان، لأبي الفداء إسماعيل صاحب حماة. باريس ١٨٤٠م.
٤٣ ـ تقويم النيل، لأمين سامي باشا ـ المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩١٦م.
٤٤ ـ تهذيب تاريخ ابن عساكر، للشيخ عبد القادر بدران. دمشق ١٣٥١هـ.
٤٥ ـ الحروب الصليبية كما رآها العرب، لأمين معلوف ـ تعريب الدكتور عفيف دمشقية ـ دار الفارابي للنشر، بيروت ١٩٨٩.
٤٦ ـ ابن حزم: حياته وعصره، للشيخ محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي ١٩٥٤.
٤٧ ـ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، للسيوطي. مطبعة إدارة الوطن، القاهرة ١٢٩٩هـ.
٤٨ ـ حكايات الشطّار والعيارين في التراث العربي، للدكتور محمد رجب النجار. مجلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ٤٥.
٤٩ ـ الحلّة السيراء، لابن الآبار. تحقيق حسين مؤنس. الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٣.
٥٠ ـ الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ـ تأليف أحمد أحمد بدوي ـ دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٢.
٥١ ـ خريدة القصر، للعماد الكاتب الأصفهاني. (قسم مصر) ـ تحقيق الدكتور شوقي ضيف ـ القاهرة ١٩٥١.
٥٢ ـ خريدة القصر (قسم المغرب). تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم ـ القاهرة ١٩٦٤.
٥٣ ـ خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ـ تحقيق الدكتور شكري فيصل. دمشق ١٩٥٥ ـ ١٩٦٤.
٥٤ ـ الخطط التوفيقية الجديدة، لعلي باشا مبارك. الهيئة المصرية العامة، القاهرة ١٩٨٠ ـ ١٩٨٦.
٥٥ ـ الخطط المقريزية (المواعظ والاعتبار). دار صادر، بيروت.
٥٦ ـ دائرة المعارف الإسلامية (النسخة العربية) إعداد وتحرير إبراهيم خورشيد وأحمد الشنتناوي وعبد الحميد يونس. إصدار كتاب الشعب، القاهرة.
٥٧ ـ الدرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب، لابن الشحنة. دار الكتاب العربي، دمشق ١٩٨٤.
٥٨ ـ ديوان صر در ـ دار الكتب المصرية ١٩٣٤.

٥٩ ــ ديوان ابن حيّوس ــ تحقيق الاستاذ خليل مردم بك ــ دمشق ١٩٥١.

٦٠ ــ ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ــ طبعة الآباء اليسوعيين ــ بيروت ١٩٠٨.

٦١ ــ رسوم دار الخلافة، لهلال بن المحسّن الصابىء ــ تحقيق ميخائيل عوّاد ــ دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٦.

٦٢ ــ الروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد بن عبد المنعم الحميري. تحقيق إحسان عباس. مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٤.

٦٣ ــ الروضتين في أخبار الدولتين، لأبي شامة المقدسي ــ دار الجيل، بيروت.

٦٤ ــ زبدة الحلب من تاريخ حلب، لابن العديم. تحقيق سامي الدهان. المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٨.

٦٥ ــ زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ــ لخليل بن شاهين الظاهري ــ طبعة باريس ١٨٩٤م.

٦٦ ــ سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، للسويدي ــ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦.

٦٧ ــ السلوك لمعرفة دول الملوك، للمقريزي ــ تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة ــ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

٦٨ ــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي. دار إحياء التراث العربي بيروت.

٦٩ ــ شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، لأحمد بن إبراهيم الحنبلي ــ تحقيق ناظم رشيد ــ وزارة الثقافة والفنون، بغداد ١٩٧٨.

٧٠ ــ صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي: طبعة المؤسسة العامة للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٣ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧.

٧١ ــ الصحاح في اللغة (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري ــ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة ١٩٥٦.

٧٢ ــ صفة جزيرة الأندلس (منتخب من الروض المعطار) تحقيق ليفي بروفنسال. مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة ١٩٣٧.

٧٣ ــ صفة جزيرة العرب، للحسن بن أحمد الهمـذاني ــ تحقيق محمد بن علي الأكـوع ــ منشورات دار اليمامة ــ الرياض ١٩٧٤.

٧٤ ــ الضوء اللامـع لأهل القرن التاسـع، للسخاوي ــ دار مكتبة الحياة، بيروت.

٧٥ ــ طبقات الأطباء (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة. تحقيق نزار رضا. دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥.

٧٦ ــ طبقات القراء (غاية النهاية في طبقات القراء) لابن الجزري. تحقيق برجشتراس، القاهرة ١٩٣٣.

٧٧ ــ طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول. تحقيق سترستين. دار الكلمة، صنعاء ١٩٨٥.

٧٨ ـ عبر الذهبي.
٧٩ ـ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، لبدر الدين محمود العيني. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
٨٠ ـ علماء النصرانية في الإسلام، للأب لويس شيخو. تحقيق الأب كميل حشيمة اليسوعي. المكتبة البولسية، لبنان ١٩٨٣.
٨١ ـ الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، لابن الطقطقي. دار صادر، بيروت.
٨٢ ـ فوات الوفيات، لابن شاكر الكتبي. تحقيق إحسان عباس. دار صادر، بيروت ١٩٧٣.
٨٣ ـ في التراث العربي، لمصطفى جواد. وزارة الإعلام العراقية ١٩٧٥.
٨٤ ـ القاموس المحيط للفيروزابادي. البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٢.
٨٥ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة. دار الفكر، بيروت ١٩٨٢.
٨٦ ـ كنز الدرر وجامع الغرر، لابن أيبك الدواداري ـ (الجزء السادس ـ أخبار الدولة الفاطمية) ـ تحقيق صلاح الدين المنجد ـ المعهد الألماني للآثار، القاهرة ١٩٦١.
٨٧ ـ اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير الجزري. القاهرة ١٣٥٦ ـ ١٣٦٩هـ.
٨٨ ـ لسان العرب لابن منظور. دار صادر، بيروت.
٨٩ ـ مجلة معهد المخطوطات العربية، العدد ٢، ١٩٥٦.
٩٠ ـ مجموعة الوثائق الفاطمية، لجمال الدين الشيال ـ الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة ١٩٥٨.
٩١ ـ مختارات من كتابات المؤرخين العرب، للدكتور سهيل زكار. دار الفكر.
٩٢ ـ مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية. تحقيق عارف تامر. مؤسسة عز الدين، بيروت ١٩٨٣.
٩٣ ـ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، للبغدادي. تحقيق علي محمد البجاوي. دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٤.
٩٤ ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لابن فضل الله العمري (دولة المماليك الأولى) ـ تحقيق دوروتيا كرافولسكي ـ المركز الإسلامي للبحوث ـ بيروت ١٩٨٦.
٩٥ ـ المشتبه في الرجال وأسمائهم وأنسابهم، للذهبي. تحقيق علي البجاوي. دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٢.
٩٦ ـ معجم الأدباء لياقوت الحموي (إرشاد الأريب لمعرفة الأديب) طبعة دار المأمون، القاهرة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨.
٩٧ ـ معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، لمحمد إسماعيل إبراهيم. دار الفكر العربي، القاهرة.
٩٨ ـ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، للمستشرق زامباور. أخرجه زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود. مطبعة جامعة فؤاد الأول ١٩٥١.
٩٩ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي. دار صادر، بيروت ١٩٨٤.

١٠٠ ــ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، لعمر رضا كحالة. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥.

١٠١ ــ معجم متن اللغة، للشيخ أحمد رضا. دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٥٨.

١٠٢ ــ معجم ما استعجم، للبكري. تحقيق مصطفى السقا. عالم الكتب، بيروت ١٩٨٣.

١٠٣ ــ المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية، القاهرة.

١٠٤ ــ المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد الأندلسي (قسم الأندلس) تحقيق شوقي ضيف. دار المعارف بمصر ١٩٧٨.

١٠٥ ــ مفرّج الكروب في أخبار بني أيوب، لابن واصل الحموي ــ (١ ــ ٣) تحقيق الدكتور جمال الدين الشيّال، القاهرة ١٩٥٩ ــ ١٩٦٠ ــ الجزء الرابع، تحقيق حسين محمد ربيع، القاهرة ١٩٧٥.

١٠٦ ــ مقامات الحريري ــ شرح دي ساسي، طبعة باريس.

١٠٧ ــ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي. (٥ ــ ١٠) مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر أباد ١٣٥٩هـ.

١٠٨ ــ منطلق تاريخ لبنان ــ تأليف كمال سليمان الصليبي ــ بيروت ١٩٧٩.

١٠٩ ــ الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف محمد شفيق غربال ــ منشورات دار الشعب ومؤسسة فرنكلين، القاهرة.

١١٠ ــ الموسوعة الفلسطينية ــ دمشق ١٩٨٤.

١١١ ــ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي: طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٨ ــ ١٩٧٢م طبعة كاليفورنيا للمستشرق وليم بوبر.

١١٢ ــ نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، للمقّري. تحقيق إحسان عباس دار صادر، بيروت.

١١٣ ــ نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١١٤ ــ الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ــ تأليف الدكتور محمد حمدي المناوي ــ دار المعارف بمصر ١٩٧٠.

١١٥ ــ الوافي بالوفيات، للصفدي. (١ ــ ٩) منشورات فرانز شتاينز ــ فيسبادن ــ مطبوعات دار صادر، بيروت ١٩٦١.

١١٦ ــ وفيات الأعيان، لابن خلكان. تحقيق إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت ١٩٧٢.

١١٧ ــ ولاة دمشق في العهد السلجوقي، لصلاح الدين المنجد ــ ١٩٤٩.

١١٨ ــ يتيمة الدهر للثعالبي. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٩.

فهرس الموضوعات
الجزء الخامس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

